

المحجة البيضاء

في هذيك الأحياء

تأليف

المجتهد العظيم والمحدث الكبير المآثر محمد بن المرتضى المدعو
أحمد بن أبيهم

بإهداء المحسن الكاشفاني

المسوخ في ١٠٩١ هـ

التاسعة

مكتبة المصطفى

طهران بازار سرای اردبیل

المَحَجَّةُ البَيْضَاءُ

فِي هَذَيْنِ الْأَحْيَاءِ
تأليف

المحقق العظیم والمحدث الکبیر حکیم المتأله محمد بن المرتضى المدعو

بأهلون له محسن الكاشفاني

المؤلف في ١٠٩١ هـ

صححه وعلق عليه على الكبر لغفاري



شبكة كتب الشيعة



وقرأتها نشرات اسلامي

وابسته بجامعة مدرسین حوزة علمیه قم

الجزء الثامن

shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

تیراژ: ۵۰۰۰ نسخه
چاپ و صحافی: چاپخانه سپهر، تهران

حمداً لك يا من جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، وطريقاً
من طرق الاعتراف بوحديته ، و سبباً لمزيد فضله و نعمه ،
و محبة بيضاء لطالبي فضله و إحسانه .
و صلاة على رسولك الأعظم ، و الهادي إلى صراطك
الأقوم و على آله أئمة الهدى ، و مصابيح الدجى .

كتاب المحبة والشوق والرضا والانس

وهو الكتاب السادس من ربيع المنجيات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزه قلب أوليائه عن الالتفات إلى متاع الدنيا ونضرتة ، وصفى سرائرهم عن ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ، ثم تجلّى لها بأسمائه وصفاته حتى أشرفت بأنوار معرفته ، ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ، ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداها كبريائه وعظمتها ، فكلما اهتزت لملاحظة كنهه الجلال غشيها من الدهش ما أغبر في وجه العقل وبصيرته ، وكلما هممت بالانصراف عنه آيسة فوديت من سرادقات الجمال صبراً أيها الأئس عن نيل الحقّ بجهله وعجلته ، فبقيت بين الردّ والقبول والصدّ والوصول غرقى في بحر معرفته ، محترقة بنار محبته ، والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمتّه ، وقادة الحقّ وأزمنته وسلّم كبيراً .

أما بعد فإنّ المحبة لله عزّ وجلّ هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلاّ وهو ثمرة من ثمراتها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلاّ وهو مقدّمة من مقدّماتها كالنوبة والصبر والرّهد وغيرها وسائر المقامات وإنّ عزّ وجودها فلم تنحل القلوب عن الإيمان بامكانها ، فأما محبة الله عزّ وجلّ فقد عزّ الإيمان بها حتى أنكروا بعض العلماء إمكانها وقال : لا معنى لها إلاّ المواظبة على طاعة الله عزّ وجلّ ، وأما حقيقة المحبة فمجال إلا مع الجنس والمثال ، ولما أنكروا

المحبة أنكروا الأُنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحبّ و توابعه ولا بدّ من كشف الغطاء عن هذا الأمر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ، ثمّ بيان حقيقتها وأسبابها ، ثمّ بيان أن لا مستحقّ للمحبة إلاّ الله عزّ وجلّ ، ثمّ بيان أن أعظم اللذات لذّة النظر إلى وجه الله تعالى ، ثمّ بيان سبب زيادة لذّة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ، ثمّ بيان الأسباب المقويّة لحبّ الله تعالى ثمّ بيان السبب في تفاوت الناس في الحبّ لله ، ثمّ بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله عزّ وجلّ ، ثمّ بيان معنى الشوق ، ثمّ بيان محبة الله عزّ وجلّ للعبد ، ثمّ القول في علامات محبة العبد لله تعالى ، ثمّ بيان معنى الأُنس بالله تعالى ، ثمّ بيان معنى الانبساط في الأُنس ، ثمّ القول في معنى الرّضا ببيان فضيلته ، ثمّ بيان حقيقته ، ثمّ بيان أن الدّعاء و كراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ، ثمّ بيان حكايات المحبّين وكلمات للمحبّين متفرّقة .

﴿بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى﴾

إعلم أنّ الأُمَّة مجمعة على أنّ الحبّ لله عزّ وجلّ ولرسوله فرض ولن يفرض ما لا وجود له وكيف يفسّر الحبّ بالطاعة والطاعة تبع الحبّ و ثمرته فلا بدّ أن يتقدّم الحبّ ثمّ بعد ذلك يطبع من أحبّ فمن شواهد الشرع في حبّ الله عزّ وجلّ قوله : «يحبّهم ويحبّونه»^(١) وقوله تعالى : «والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله»^(٢) وهو دليل على إثبات الحبّ لله و إثبات التفاوت فيه ، و قد جعل النبيّ ﷺ الحبّ لله من شروط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي : يا رسول الله ما الإيمان؟ قال : «أن يكون الله ورسوله أحبّ إليك ممّا سواهما»^(٣) وفي حديث آخر «لا يؤمن أحدكم حتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما»^(٤) وفي حديث آخر «لا يؤمن

(١) المائدة : ٥٩ . (٢) البقرة : ١٦٠ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١١ في حديث .

(٤) أخرجه بمضمونه النسائي ج ٨ ص ٩٤ ، وأحمد في مسنده ج ٣ ص ١٧٢ ، والطبراني

العبد حتى أكون أحبّ إليه من ماله وأهله والناس أجمعين» (١) وفي رواية «ومن نفسه» .

كيف وقد قال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم - إلى قوله - أحبّ إليكم من الله ورسوله - الآية » (٢) .

وإنّما ذلك جرى في معرض التهديد والإنكار وقد أمر ﷺ بالمحبة فقال : « أحببوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحببوني لحبّ الله إياي » (٣) .
وقد يروى أنّ رجلاً قال : « يا رسول الله إنّي أحبّك ، فقال : استعدّ للفقير ، فقال : إنّي أحبّ الله ، فقال : استعدّ للبلاء » (٤) .

وعن عمر قال : نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به (٥) فقال النبي ﷺ : « انظروا إلى هذا الرّجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيت بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حبّ الله وحبّ رسوله إلى ماترون » (٦) .

وفي الخبر المشهور « إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلاً يميم خليلي؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه هل رأيت محبباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال : يا ملك الموت الآن فاقبض » (٧) وهذه لا يجدها إلا عبدٌ يحبّ الله عزّ وجلّ بكلّ قلبه فإذا علم أنّ الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نبينا ﷺ في دعائه : « اللهمّ ارزقني حبّك وحبّ

(١) أخرجه البخاري ج ١ ص ١٢ من حديث أنس وأيضاً مسلم ج ١ ص ٤٩ بنحوه .

(٢) التوبة : ٢٤ .

(٣) أخرجه الترمذي ، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٥٠ من حديث ابن عباس .

(٤) أخرجه البزار ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة وفيه « استعد

للغاة » دون آخر الحديث كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٧٤ . (٥) أي شد وسطه به .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية بسند حسن كما في المعنى .

(٧) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

من يحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد»^(١).
وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : «يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: ما أعدت لها؟ فقال: ما أعدت لها كثير صلاة و صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له:
النبي ﷺ: المرء مع من أحب» قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشي بعد الإسلام فرحهم بذلك^(٢).

وقال بعض الصحابة: من ذاق من خالص محبة الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر. وقال آخر: من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها وأبغضها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن.
وقال أبو سليمان الداراني: إن من خلق الله تعالى خلقاً ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا.

ويروى أن عيسى ﷺ مر بثلاثة نفر قد نحلّت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف، ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فاذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة؟ قال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فاذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً كأن على وجوههم المرأيا من النور فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: حب الله عز وجل فقال: أنتم المقربون أنتم المقربون.

وقال عبد الواحد بن زيد: مررت برجل قائم في الثلج فقلت له: أما تجد البرد؟ فقال: من شغله حب الله لم يجد البرد، عن سري السقطي أنه قال: تدي الأمم يوم القيامة بأنبيائها فيقال: يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه و تعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً.

(١) تقدم عن الترمذي من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي بسند حسن كفا في الجامع الصغير.

(٢) رواه مسلم ج ٨ ص ٤٢، والطبراني والبزار كفا في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٨٠.

وقال هرم بن حيان : المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الرغبة وهو بجسده في الدنيا وروحه في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ، وحبّه يدهش العقول فكيف ودّه ، وودّه ينسي ما دونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب : عبدي أنا وحقك لك محب فبحقّي عليك كن لي محباً . وقال يحيى بن معاذ : من قال خردلة من الحب أحب إلى الله من عبادة سبعين سنة بلا حب . وقال أيضاً : إلهي إنني مقيم بفنائك ، مشغول بشنائك صغيراً أخذتني إليك و سربلتني بقربك ، و شرقتني بمعرفتك ، وأمكنتني من لطفك ، ونقلتني في الأحوال ، و قلبتني في الأعمال سترأ و توبة و زهداً و شوقاً و رضاً و حباً فسقيتني من حياضك و نعمتني في رياضك ملازماً لأمرك ومشعوراً بقولك ولما طر شاربي ولاح طائلي^(١) فكيف أنصرف اليوم عنك كبيراً و قد اعتدت هذا منك صغيراً فلي ما بقيت حولك زمزمة وبالضراعة إليك همهمة ، لأنني أحبك و كل حبيب بحبيبه مشعوف ، وعن غير حبيبه مصروف .

أقول : و في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال : « حب الله إذا أضاء على سر عبد أخلاه عن كل شاغل و كل ذكر سوى الله ، والمحبة أخلص الناس سرا لله و صدقهم قولاً و أوفاهم عهداً و أذكاهم عملاً و أصفاهم ذكراً و أعبدهم نفساً يتباهى به الملائكة عند مناجاته و تقتخر برؤيته ، و به يعمر الله تعالى بلاده و بكرامته يكرم الله عباده ، يعطيهم إذا سألوه بحقه ، و يدفع عنهم البلايا برحمته ، فلو علم الخلق ما محله عند الله و منزلته لديه لما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه . و قال أمير المؤمنين عليه السلام : « حب الله نار لا يمر على شيء إلا احترق ، و نور الله لا يطلع على شيء إلا أضاء ، و سما الله ما ظهر من تحته من شيء إلا غطاه ، و ريح الله ما تهب في شيء إلا حر كته و ما الله يحيى به كل شيء ، و أرض الله ينبت منها كل شيء ، فمن أحب الله أعطاه كل شيء من الملك و الملك . قال النبي صلى الله عليه وآله : « إذا أحب الله عبداً من أممي قذف في قلوب أصفياؤه و أرواح ملائكته و سكنان عرشه محبته ليحبوه فذلك المحب حقاً ، قلوب أصفياؤه و أرواح ملائكته و سكنان عرشه محبته ليحبوه فذلك المحب حقاً ، (١) طرائف : بيست و منه طر شارب الغلام . و الطائل : الفضل و القدرة و الغنى .

طوبى له ثم طوبى له وله عند الله شفاعة يوم القيامة «^(١) إلى هنا كلام الصادق عليه السلام .
قال أبو حامد : وقد ورد في حبّ الله من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر
حاصر و ذلك أمرٌ ظاهر و إنّما الغموض في تحقيق معناه فلمنشغل به .

﴿ بيان حقيقة المحبة و أسبابها ﴾

﴿ و تحقيق معنى محبة العبد لله تعالى ﴾

إعلم أنّ المطلوب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها
ثم معرفة شروطها وأسبابها ، ثمّ النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حقّ الله عزّ و
جلّ ، فأوّل ما ينبغي أن يتحقّق أنّه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة و إدراك إذ لا
يحبّ الإنسان من لا يعرفه و لذلك لم يتصور أن يتّصف بالحبّ جهادٌ بل هو من
خاصية الحيّ المدرك ثمّ المدركات في أنفسها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه
ويلذّه و إلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه و إلى ما لا يؤثر فيه بايلام و إلذاذ فكلّ ما في
إدراكه لذّة و راحة فهو محبوب عند المدرك ، و ما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند
المدرك ، و ما يخلو عن استعقاب ألم و لذّة فلا يوصف بكونه محبوباً و لا مكروهاً ،
فإنّ كلّ لذيد محبوبٌ عند المتلذّذ به ، و معنى كونه محبوباً أنّ في الطبع ميلاً إليه
و معنى كونه مبغوضاً أنّ في الطبع نفرة عنه، فالحبّ عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء
الملذّ فإن تأكّد ذلك الميل و قوي سمّي عشقاً، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن
المؤلّم المتعب فإذا قوي سمّي مقتاً فهذا أصل في معنى حقيقة الحبّ لا بدّ من معرفته .
الأصل الثاني أنّ الحبّ لمّا كان تابعاً للمعرفة و الإدراك انقسم لأمّالة
بحسب انقسام المدركات و الحواسّ فلكلّ حاسة إدراك لنوع من المدركات ، ولكلّ
واحدة منها لذّة في بعض المدركات ، و للطبع بسبب تلك اللذّة ميل إليها فكانت
محبوبات عند الطبع السليم فلذّة العين في الإبصار و إدراك المبصرات الجميلة والصور
المليحة الحسنة ، ولذّة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ، ولذّة الشمّ في الرّوائح
الطيبة ، ولذّة الذوق في الطعوم ، ولذّة اللمس في اللّين و النعومة ، ولما كانت هذه

(١) المصدر الباب السادس والتسعون .

المدركات بالحواس^١ ملذذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال :
 « حَبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ وَجَعَلْتَ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » (١)
 فسمى الطيب محبوباً ومعلوم أن لاحظاً للعين والسمع فيه بل للشَّمِّ فقط وسمى
 النساء محبوبات ولاحظاً فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع و
 سمي الصلاة قرّة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس^٢
 الخمس بل حسّ سادس مطيئته القلوب لا يدركه إلا من كان له قلب وولدات الحواس^٣
 الخمس تشارك فيها البهائم إلا إنسان فإن كان الحب مقصوداً على مدركات الحواس^٤
 الخمس حتى يقال : إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يمثل في الخيال فلا يحب^٥
 فإن قد بطلت خاصية الإنسان وما تميّز به من الحسّ السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل
 أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيئات فالبصيرة الباطنة
 أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكاً من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل
 أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فتكون لا محالة لذّة القلوب بما تدركه من
 الأمور الشريفة الإلهية التي تجلّ عن أن تدركها الحواس^٦ أتم وأبلغ فيكون ميل
 الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب^٧ إلا الميل إلى ما في إدراكه
 لذّة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر إذن حبّ الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة
 البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس^٨ أصلاً .

الأصل الثالث أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب
 غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لأجل نفسه هذا مما قد يشكك
 على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع
 منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلنبين
 أقسام المحبة وأسبابها .

و بيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن
 في طبعه ميلاً إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو

(١) تقدم كراراً .

الملائم للمحبِّ وأي شيء، أتم ملاءمة من نفسه و دوام وجوده وأي شيء، أعظم مضادةً و منافرة له من عدمه و خلاكه ، فلذلك يجبُ الإنسان دوام الوجود ، ويكره الموت و القتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت و لا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم و تعب و أميت من غير ثواب و لا عقاب لم يرض به وكان كارهاً لذلك و لا يجبُ الموت و العدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحياة و مهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء ، فإن أحبُّ العدم لم يحبِّه لأنَّه عدم بل لأنَّ فيه زوال البلاء فالهلاك و العدم ممقوت و دوام الوجود محبوبٌ و كما أنَّ دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضاً محبوبٌ لأنَّ الناقص فاقد للكمال و النقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود ، و هو هلاك بالنسبة إليه و الهلاك و العدم ممقوت في الصفات و كمال الوجود كما أنَّه ممقوت في أصل الذات و وجود صفات الكمال محبوبٌ كما أنَّ دوام أصل الوجود محبوبٌ و هذه غريزه في الطباع بحكم سنة الله تعالى : «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» (١) فإذن المحبوب الأوَّل للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ، ثم ماله و ولده و عشيرته و أصدقاؤه ، فالأعضاء محبوبة و سلامتها مطلوبة لأنَّ كمال الوجود و دوام الوجود موقوفٌ عليها ، و المال محبوبٌ لأنَّه أيضاً آلة في دوام الوجود و كماله و كذا سائر الأسباب ، فالإنسان يحبُّ هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حفظه في دوام الوجود و كماله بها حتى أنَّه ليجبُ ولده و إن كان لا يناله منه حظٌ بل يتحمل المشاقَّ لأجله لأنَّه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلقرط حبه لبقاء نفسه يحبُّ بقاء من هو قائم مقامه ، و كأنَّه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبداً نعم لو خيَّر بين قتله و قتل ولده و كان طبعه باقياً على اعتداله أثر بقاء نفسه على بقاء ولده لأنَّ بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه و ليس هو بقاءه المحقق و كذلك حبه لأقاربه و عشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنَّه يرى نفسه كثيراً بهم قوياً بسببهم متجماً بكمالهم ، فإنَّ العشيرة و المال و الأسباب الخارجة كالجنح المكمل للإنسان ، و كمال الوجود و دوامه محبوبٌ بالطبع لاحتمال فإذن المحبوب

الأوّل عند كلّ حيٍّ ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كلّهُ والمكروه عنده ضدّ ذلك فهذا هو أوّل الأسباب .

السبب الثاني الإحسان وإنّ الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ، وقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يداً فيحبّه قلبي »^(١) أشار إلى أنّ حبّ القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلّة و فطرة لا سبيل إلى تغييرها وبهذا السبب قد يحبّ الإنسان الأجنبيّ الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة ، وهذا إذا حقق رجوع إلى السبب الأوّل فإنّ المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود إلّا أنّ الفرق أنّ أعضاء الإنسان محبوبة لأنّ بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب ، فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سبباً له كالطبيب الذي يكون سبباً في دوام صحّة الأعضاء ففرق بين حبّ الصحّة وبين حبّ الطبيب الذي هو سبب الصحّة إذ الصحّة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوبٌ لا لذاته بل لأنّه سببٌ للصحّة ، وكذلك العلم محبوبٌ والأستاذ محبوبٌ ولكنّ العلم محبوبٌ لذاته والأستاذ محبوبٌ لكونه سببٌ للعلم المحبوب ، وكذلك الطعام والشراب محبوبٌ والدنانير محبوبَةٌ لكنّ الطعام محبوبٌ لذاته والدنانير محبوبَةٌ لأنها وسيلة إلى الطعام فإنّ يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة وإلّا فكلٌ واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه فكلٌ من أحبّ المحسن لا حسانه فما أحبّ ذاته تحقيقاً بل أحبّ إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال ذلك زال الحبُّ مع بقاء ذاته تحقيقاً ولو نقص نقص الحبُّ ولو زاد زاد ويتطرّق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه .

السبب الثالث : أن يحبّ الشيء لذاته لا لحظّ ينال منه وراء ذاته ، بل يكون ذاته عين حظّه وهذا هو الحبُّ الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحبّ الجمال والحسن فإنّ كلّ جمال فهو محبوبٌ عند مدرك الجمال ، وذلك لعين الجمال

(١) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وقد تقدم .

لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة، ولا تظن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضاً لذيق فيجوز أن يكون محبوباً لذاته و كيف ينكر ذلك، والخضرة و الماء الجاري محبوبان لا يشرب الماء أو تؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله ﷺ تعجبه الخضرة والماء الجاري^(١) و الطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار^(٢) و الأزهار و الأطياف المليحة الألوان الحسنة المنقش المتناسبة الشكل حتى أن الانسان لتفترج عنه الغموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر، فهذه الأسباب ملذّة و كل لذيق محبوب و كل حسن و جمال فلا يخلو إدراكه عن لذة، و لا أحد ينكر كون الجمال محبوباً بالطبع فإن ثبت أن الله تعالى جميل كان لا محالة محبوباً عند من انكشف له جماله و جلاله كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»^(٣).

السبب الرابع في بيان معنى الحسن والجمال: أعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات و المحسوسات ربّما يظن أنه لا معنى للحسن و الجمال إلا تناسب الخلق و الشكل و حسن اللون و كون البياض مشوباً بالحمرة و امتداد القامة إلى غير ذلك ممّا يوصف من جمال الانسان فإن الحسن الأغلب على الخلق حس الاصا و أكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصراً و لا متخيلاً و لا متشكلاً و لا متلوّناً متقدراً فلا يتصور حسنه، وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لذة فلم يكن محبوباً، وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر، و

(١) رواه أبو نعيم في كتاب طب النبي صلى الله عليه وآله من حديث ابن عباس بسند ضعيف كما في المعنى .

(٢) جمع النور بالفتح مصدر وواحدتها نورة و نور النبات زهرتها و بهجتها و غضارتها .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الایمان من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف، و

مسلم و الترمذي من حديث ابن مسعود، والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وابن عساكر من حديث جابر و ابن عمر بسند صحيح كما في الجامع الصغير .

لا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة ، فإننا نقول هذا خطٌ حسن وهذا صوت حسن بل نقول : هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن فأَيُّ معني لحسن الصّوت والخطّ وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلّا في الصورة و معلوم أنّ العين تستلذّ النظر إلى الخطّ الحسن و الأذن تستلذّ استماع النغمات الحسنة الطيّبة و ما من شيء من المدركات إلّا و هي منقسمة إلى حسن وقبح فما معنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الأشياء ، فلا بدّ من البحث عنه ، و هذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطّاب فيه فنصرّح بالحقّ فنقول : كلُّ شيء ، فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال و هي غاية الكمال و إن كان الحاضر بعضها فله من الحسن و الجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كلّ ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون و حسن عدو وتيسر كرّ وفرّ عليه ، و الخطّ الحسن كلُّ ما جمع ما يليق بالخطّ من تناسب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها و لكلّ شيء ، كمال يليق به و قد يليق بغيره ضدّه فحسن كلّ شيء ، في كماله الذي يليق به فلا يحسن الا إنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخطّ بما يحسن به الصوت ولا يحسن الأواني بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء ، فإن قلت : فهذه الأشياء و إن لم يدرك جميعها بحسّ البصر مثل الأصوات والطعوم والأرائيح فإنّها لا تنفكّ عن إدراك الحواسّ لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن و الجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذّة بإدراك حسننها إنّما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواسّ ، فاعلم أنّ الحسن و الجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال : هذا خلق حسن ، وهذا علم حسن ، وهذه سيرة حسنة ، و هذه أخلاق جميلة و إنّما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروّة وسائر خلال الخير وشي ، من هذه الصفات لا يدرك بالحواسّ الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة و كلّ هذه الخصال الجميلة محبوبّة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية أنّ الأمر كذلك أنّ الطباع مجبولة على حبّ الانبياء صلوات الله عليهم مع أنّهم لم يشاهدوهم بل على حبّ أبواب المذاهب

حتى أن الرُّجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حدَّ العشق فيجمله ذلك على أن ينفق جميع أمواله في نصرته مذهبه والذَّبَّ عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه ، فكَم من دم أريق في نصرته أرباب المذاهب وليت شعري من يحبُّ إمامه مثلاً فلمِ يحبُّه ؟ ولم يشاهد قطُّ صورته ولو شاهده ربّما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على إفراطه في الحبِّ إنّما سيرته الباطنة لا صورته الظاهرة فإنَّ صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً و إنّما يحبُّه لصفاته الباطنة من الدِّين و التقوى و غزاة العلم و الا حاطة بمدارك الدِّين و انتهاضه لافاضة علم الشرع ونشره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواسُّ فقاصرة عنها . وتلك الصفات الباطنة ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذ اعلم حقائق الأمور و قدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحسِّ و محلّهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ ، فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ ، صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوباً لأجله فإن الجمال موجود في السير و لو صدرت السيرة الجميلة من غير علم و بصيرة لم يوجب ذلك حبّاً فالمحبوب مصدر السير الجميلة وهي الأُخلاق الحميدة و الفضائل الشريفة و ترجع جملتها إلى كمال العلم و القدرة و هو محبوب بالطبع و غير مدرك بالحواسِّ حتى أن الصبيَّ المخملي وطبعه إذا أردنا أن نحسب إليه غائباً أو حاضراً حياً أو ميتاً لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة ، فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه و لم يقدر أن لا يحبُّه فهل غلب حبُّ الصحابة و بغض أبي جهل و بغض إبليس لعنه الله إلا بالاطناب في وصف المحاسن و المقابح التي لاتدرك بالحواسِّ بل لما وصف الناس حاتمياً بالسخاء ووصفوا رجلاً بالشجاعة أحببتهم القلوب حباً ضرورياً وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظِّ يناله المحبُّ منهم بل إذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبِّين لبعدها المزار ونأي الدِّيار ، فإن ذلك ليس حبُّ الإنسان مقصوراً على من أحسن إليه

بل المحسن في نفسه محبوبٌ وإن كان قد لا ينتهي قطّ إحسانه إلى المحبّ لأنّ كلّ جمال وحسن فهو محبوبٌ والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذّ بها ولا يحبّها ولا يميل إليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواسّ الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحبّ نقشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحبّ نبياً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة .

السبب الخامس : المناسبة الخفية بين المحبّ والمحبوب إذ ربّ شخصين يتأكّد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظّ ولكنّ بمجرد تناسب الأرواح كما قال عنه والأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف^(١) وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحبّ في الله تعالى فليطلب منه لأنّه أيضاً من عجائب أسباب الحبّ فإن رجوع أقسام الحبّ إلى خمسة أقسام وهو حبّ الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقاءه ودفع المهلكات عنه ، وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه وحبه لكلّ ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن ، فلو اجتمعت هذه الأسباب كلّها في شخص واحد تضاعف الحبّ لامحالة كما لو كان للإنسان ولدٌ جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لامحالة غاية الحبّ وتكون قوّة الحبّ بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوّة هذه الخلال في نفسها فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحبّ لامحالة في أعلى الدرجات ، فلنبيّن الآن أنّ هذه الأسباب كلّها لا يتصور كمالها واجتماعها إلّا في حقّ الله فلا يستحقّ المحبة في الحقيقة إلّا الله سبحانه وتعالى .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٨ ص ٤١ و قد تقدم .

✽ (بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده) ✽

و أن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول محمود لأنه عين حب الله وكذا حب العلماء والأقبياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحبة المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله لا مستحق للمحبة سواه وإيضاحه بأن يرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها و نبيّن أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجمالها ولا توجد في غيره إلا أحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً وبأن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى .
 أما السبب الأول : وهو حب الإنسان نفسه وبقائه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلته كل حي ولا يتصور أن ينفك عنها حي وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله وإلى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمّل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لو لا فضل الله عليه بالبقاء وهو ناقص بعد الوجود لو لا فضل الله عليه بتكميل خلقته ، وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحيّ الدائم الذي هو قائم بذاته ، وكل ما سواه قائم به فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمدنم له إن عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً مبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً للغير فإن كان لا يحبّه فهو لجهله بنفسه و بربه و المحبة ثمرة المعرفة فتعندم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوي بقوتها ولذلك قيل : من عرف ربه أحبه ومن عرف النار

بعد عنها و من عرف الدنيا زهد فيها فكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بجر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله عز وجل هو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس ، فإن الكل من آثار قدرته و وجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ، ووجود الظل تابع للشجر ، بل هذا المثل صحيح بالإضافة إلى أوهم العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس و بين الأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب منها الحقائق فإذن إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فحبه لمن به قوامه أو لآل و دوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه و جواهره و أعراضه أيضاً ضروري إن عرف ذلك كذلك و من خلا عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وزهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهائم في التنعم به و الأتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه إلا من يقرب في شكله من الملائكة فينظر فيه بقدر قربته في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم .

و أما السبب الثاني : وهو حبه لمن أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بمعونته و انتدب لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأعراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده ، وهذا بعينه يقتضي أن لا يحب إلا الله تعالى فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبده فلست أعددّها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (١)

و لقد أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا الآن نقتصر على بيان أن الإحسان من الناس غير متصور إلا بالمجاز فإنما المحسن هو الله عز وجل ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع أمواله ومكنتك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فإنك تظن أن هذا الإحسان منه وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح دينه وديناه في الإحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرّر في نفسه أن صلاح دينه وديناه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة إلى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطرب فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه ، فإن اعتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو محسن بنفسه لا من حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر فإنه لا يتصور الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه وأما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل إما أجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنّة والاستسخار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة والمحبة وكما أن الإنسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد إنسان إلا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصوده ، وأما أنت فلست مقصوداً بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استخرتك في القبض للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عمّا بذله من ماله عوضاً هو أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظّ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتّة ، فإذن هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما أنه مضطرب بتسليط الله الدواعي عليه ولا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسناً بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه لأنه من جهة الأمير

مضطرٌ إلى الطاعة و الامتثال لما يرسمه فلا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلمه فكذلك كلُّ محسن لو خلاه الله عزَّ وجلَّ ونفسه لم يبذل حبةً من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه و ألقى في نفسه أن حظّه ديناً و دنياً في بذله فبذله لذلك ، و الثاني أنه معتاض عما بذله حظاً هو أوفى عنده وأحبُّ إليه مما بذله و كما لا يعدّ البايع محسناً لأنه بذل بعوض هو أحبُّ عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد و الثناء أو عوضاً آخر و ليس من شرط العوض أن يكون عيناً متموّلاً بل الحظوظ كلّها أعراض تستحق الأموال و الأعيان بالإضافة إليها فالإحسان بالجود و الجود هو بذل المال من غير عوض و حظّ يرجع إلى البازل و ذلك محالٌ من غير الله عزَّ وجلَّ فهو الذي أنعم على العالمين إحساناً إليهم و لأجلهم لا لحظّ و غرض يرجع إليه فإنه يتعالى عن الأغراض و الحظوظ فللفظ الجود و الإحسان في حقّ غيره كذب أو مجاز و معناه في حقّ غيره محالٌ و ممنوع امتناع الجمع بين السواد و البياض فهو المنقرّد بالجود و الإحسان و الطول و الامتنان فإن كان في الطبع حبُّ المحسن فينبغي أن لا يحبّ العارف إلا الله عزَّ وجلَّ إذا الإحسان من غيره محالٌ فهو المستحقّ لهذه المحبة وحده و أمّا غيره فيستحقّ المحبة على الإحسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان و حقيقته .

وأمّا السبب الثالث : وهو حبك المحسن في نفسه و إن لم يصل إليك إحسانه فهذا موجود في الطباع فإذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطّف بهم متواضع لهم و هو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك و بلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق مهتمك شرير و هو أيضاً بعيد عنك فإنك تجد في القلب تفرقة بينهما إذ تجد في القلب ميلاً إلى الأوّل و هو الحبّ و تفرقة عن الثاني و هو البغض مع أنك أس من خير الأوّل و آمن من شرّ الثاني لانقطاع طمعك عن الترحّل إلى بلادهما فهذا حبُّ المحسن من حيث أنه محسن في نفسه فقط لا من حيث أنه محسن إليك و هذا أيضاً يقتضي حبّ الله تعالى بل يقتضي أن لا يحبّ غيره أصلاً إلا من حيث يتعلّق منه بسبب فإن الله تعالى هو المحسن إلى الكافة المتفضّل على جميع أصناف

الخلق أولاً بايجادهم وثانياً بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضرورتهم وثالثاً بترفيهم وتنعيمهم بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ، ورابعاً بتحميلهم بالزوايد والمزايا التي هي في مثلنة زينتهم وهي خارجة عن ضرورتهم وحاجاتهم ، ومثال الضروري من الأعضاء الرّأس والقلب والكبد ، ومثال المحتاج إليه العين واليد والرّجل ، ومثال الزينة استقواس الحاجين وحرمة الشفتين وتلوّز العينين إلى غير ذلك مما لو لم يكن لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ، ومثال الضروري من النعم الخارجة من بدن الإنسان الماء والغذاء ، ومثال الحاجة الدوا، واللحم والفواكه ، ومثال المزايا والزوايد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ الفواكه والأطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذرّة العرش إلى منتهى الثرى فإذن هو المحسن وكيف يكون غيره محسناً وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فإنه خالق الخلق وخالق الحسن وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان فالحب بهذه العلة أيضاً لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يجب بهذه العلة إلا الله تعالى .

وأما السبب الرابع : وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء إدراك الجمال فقد بيّنا أن ذلك مجبول في الطباع فإن الجمال ينقسم إلى جمال الصور الظاهرة المدركة بعين الرّأس وإلى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة ، والأوّل يدركه الصبيان والبهايم فضلاً عن غيرهم والثاني يختص بدرّكه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإن كان مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب ، ومثال هذا في المشاهدة حب الأنبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والأخلاق الرضية فإن ذلك متصور مع تشويه الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، نعم يدرك الحس آثاره السادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه فمن يحب الرّسول أو الإمام أو ولياً

من أولياء الله فلا يحبهم إلا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دلّ حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنّف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة فكلما كان المعلوم أشرف وأتمّ جمالاً وجلالاً وعظمة كان العلم أشرف وأجلّ وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجلّ مرتبة كانت القدرة عليه أجلّ رتبة وأشرف قدراً، وأجلّ المعلومات هو الله فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله عزّ وجلّ وكذلك ما يقاربه فشره على قدر تعلقه به فاذن جمال صفات الصديقين الذين تحبّهم القلوب طبعاً يرجع إلى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله عزّ وجلّ وملائكته وكتبه ورسله وشرائع الأنبياء ، والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة ، والثالث تنزّههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشرّ وبمثل هذا يحبّ الأنبياء والعلماء فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى أمّا العلم فأين علم الأولين والآخريين من علم الله الذي هو محيط بالكلّ إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلّهم فقال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (١) ولو اجتمع أهل السماوات والأرض على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلقه نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشره ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، والقدرة اليسير الذي علمه الخلائق كلّهم فبتعليمه إياهم علموه كما قال تعالى : « خلق الإنسان من علمه البيان » (٢) فإن كان جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكمالاً للموصوف به فلا ينبغي أن يحبّ بهذا السبب إلا الله تعالى ، فعلم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحبّ بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم وإن كان الأجهل لا يخلو عن علم ما بتفاصيل معيشته و

التفاوت بين علم الله وعلم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلق وأجهلهم لأنّ الأعم لا يفضل إلّا بعلوم معدودة متناهية يتصوّر في الإمكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد ، وفضل علم الله على علوم الخلائق كلّهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية ، وأمّا صفة القدرة فهي أيضاً كمال والعجز نقص وكلّ كمال وبهاء وعظمة وقهر ومجد واستيلاء فإنّه محبوبٌ وإدراكه لذيذٌ حتّى أن الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة عليّ وغيره من الشجعان وقدرتها واستيلاءهما على الأقران فيصادف من قلبه اهتزازاً وفرحاً وارتياحاً ضرورياً بمجرد السماع فضلاً عن المشاهدة و يورث ذلك حباً ضرورياً للمتّصف به فإنّه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كلّهم إلى قدرة الله عزّ وجلّ فأعظم الأشخاص قوّةً وأوسعهم ملكاً وأقواهم بطشاً وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره فإنّه ينتهي قدرته ، وإنّما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الإنس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا نفعاً ولا ضرراً ، بل لا يقدر على حفظه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج إلى عدوّ ما يعجز عنه في نفسه وغيره ممّا هو على الجملة متعلّق قدرته فضلاً عمّا لا تتعلّق به قدرته من ملكوت السماوات وأفلاكها وكواكبها والأرض و جبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها فلا قدرة له على ذرّة منها وما هو قادرٌ عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه و بنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ، ولو سلّط بعبوضاً على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس للعبد قدرة إلّا بتمكين مولاه كما قال في أعظم ملك من ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال : «إنّا مكّنّا له في الأرض» ^(١) فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلّا بتمكين الله عزّ وجلّ إيّاه في جزء من الأرض والأرض كلّها مدرة بالاضافة إلى أجسام العالم و جميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض

غبرة من تلك المدرة ، ثم تلك الغبرة أيضاً من فضل الله وتمكينه فيستحيل أن يحبَّ عبداً من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكّنه واستيلائه وكمال قوّته ولا يحبُّ الله تعالى لذلك ولا قويَّ غيره ، فليس أحد قدرته من نفسه بل لا حول لأحد ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، فهو الجبار القاهر والعليم القادر ، السماوات مطويات بيمينه والأرض وما عليها في قبضته ، وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه ومملكه ذرّة ، وإن خلق أمثالهم ألف مرّة لم يعي بخلقها ولا يمسّه لغوب ولا فتور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء ، فإن كان يتصور أن يحبَّ قادرٌ لكمال قدرته فلا يستحقُّ الحبَّ بكمال القدرة سواء أصلاً ، و أمّا صفة النزّه عن العيوب والنقائص والتقدّس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحبِّ ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانباء والصدّيقون وإن كانوا منزّهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدّس والنزّه إلاّ لذي الجلال والإكرام وأمّا كلُّ مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزاً مخلوقاً مسخراً مضطراً هو عين العيب والنقص ، فالكمال لله وحده فليس لغيره كمال إلاّ بقدر ما أعطاه وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقلُّ درجاته أن لا يكون عبداً مسخراً لغيره و قائماً بغيره وذلك محالٌ في حقِّ الله فهو المنفرد بالكمال المتنزّه عن النقص المقدّس عن العيوب و شرح ذلك التقديس و التنزيه في حقه عن النقائص يطول و هو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذلك ، فهذا الوصف أيضاً إن كان كمالاً وجمالاً محبوباً فلا تتمُّ حقيقته إلاّ له و كمال غيره وتنزّهه لا يكون مطلقاً بل بالإضافة إلى ما هو أشدُّ منه نقصاناً كما أن المفرس كمالاً بالإضافة إلى الحمار ، وللإنسان كمالاً بالإضافة إلى الفرس ، وأصل النقص شامل للكُلِّ و إنّما يتفاوتون في درجات النقصان فاذن الجميل محبوبٌ والجميل المطلق هو الله الواحد الذي لا ندُّ له ، الفرد الذي لا ضدَّ له ، الصمد الذي لا منازع له ، الغنيُّ الذي لا حاجة له ، القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا رادَّ لحكمه ولا معقب

لقضائه، العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة، ولا تنقلت عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة، الأزلي الذي لأول لوجوده الأبدى الذي لا آخر لبقائه، الواجب الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته، القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به، جبار الأرض والسماوات، خالق الجماد والحيوان والنبات، المتفرّد بالعزّة والجبروت، المتوحّد بالملك والملكوت والفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحيّر في معرفة جلاله العقول وتخرس عن وصفه الألسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوّة الأنبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيّد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين «أنت كما أثنيت علي نفسك لا أحصى ثناء عليك» (١).

أقول: وقال سيّد الأوصياء: «العجز عن درك الإدراك إدراك» (٢) وقال سيّد الساجدين «سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته» (٣). قال أبو حامد: فليت شعري من ينكر إمكان حبّ الله عزّ وجلّ تحقّقاً ويجعله مجازاً أينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بها، أو ينكر كون الجمال والجلال والكمال والعظمة محبوباً بالطبع عند من أدركه، فسبحان من احتجب عن أبصار العُميان غيرة على جماله وجلاله أن يطّلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون. وتتركّ الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يتردّدون، يعلمون ظاهراً من الحياه الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون، فالحبّ بهذا السبب أقوى من الحبّ بالإحسان لأنّ الإحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود ان أدّ الأوداء إليّ من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الرّبوبية حقّها. وفي الزّبور من أظلم

(١) تقدم كراراً عن الترمذى وغيره.

(٢) ما عثرت على أصل له. (٣) في مناجات العارفين من المناجات الخمسة عشر.

مَنْ عَبْدَنِي لِحَنَّةِ أُونَارٍ ، لَوْلَمْ أَخْلُقْ جَنَّةً وَلَا نَاراً أَلَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أُطَاعَ . وَمَرْعِيْسِي
 عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْعِبَادِ قَدْ نَحَلُوا فَقَالَ : مَا أَنْحَلَكُمْ قَالُوا : نَخَافُ النَّارَ وَنَرْجُو
 الْجَنَّةَ فَقَالَ لَهُمْ : مَخْلُوقًا خَفْتُمْ وَمَخْلُوقًا رَجَوْتُمْ ، وَ مَرْبُّو قَوْمٍ آخِرِينَ كَذَلِكَ فَقَالُوا : نَعْبُدُهُ
 حُبًّا لَهُ وَتَعْظِيمًا لِجَلَالِهِ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقًّا مَعَكُمْ أُمِرْتُ أَنْ أُقِيمَ .
 وَفِي الْخَبَرِ « لَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ كَالْعَبْدِ السُّوءِ إِنْ لَمْ يَخْفَ لَمْ يَعْمَلْ وَلَا كَالْأَجِيرِ السُّوءِ
 إِنْ لَمْ يَعِطْ لَمْ يَعْمَلْ » (١) .

وَأَمَّا السَّبَبُ الْخَامِسُ لِلْحُبِّ فَهُوَ الْمُنَاسَبَةُ وَالْمَشَاكَلَةُ إِذْ شَبِهَ الشَّيْءُ مِنْجَذِبِ
 إِلَيْهِ وَالشَّكْلُ إِلَى الشَّكْلِ أَمِيلٌ وَ لِذَلِكَ تَرَى الصَّبِيَّ يَأْلَفُ الصَّبِيَّ وَالْكَبِيرَ يَأْلَفُ
 الْكَبِيرَ وَيَأْلَفُ الطَّيْرُ نَوْعَهُ وَيَنْفَرُ مِنْ غَيْرِ نَوْعِهِ ، وَ الْاُنْسُ الْعَالَمُ بِالْعَالَمِ أَكْثَرُ مِنْهُ بِالْمَحْتَرَفِ
 وَأَلْفُ التَّاجِرِ بِالْتَّاجِرِ وَأُنْسُهُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ اُنْسِهِ بِالْفَلَاحِ وَهَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ بِهِ التَّجْرِبَةُ
 وَ تَشْهَدُ لَهُ الْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ كَمَا اسْتَقْصَيْنَاهُ فِي بَابِ الْأَخْوَةِ فِي اللَّهِ مِنْ كِتَابِ آدَابِ
 الصَّحْبَةِ فَلْيَطْلُبْ مِنْهُ ، وَإِذَا كَانَتْ الْمُنَاسَبَةُ سَبَبَ الْمَحَبَّةِ فَالْمُنَاسَبَةُ قَدْ تَكُونُ فِي مَعْنَى
 ظَاهِرٍ كَمُنَاسَبَةِ الصَّبِيِّ لِلصَّبِيِّ فِي مَعْنَى الصَّبِيِّ وَقَدْ تَكُونُ خَفِيًّا بِحَيْثُ لَا يَطَّلَعُ عَلَيْهِ
 كَمَا تَرَى مِنَ الْاِتِّحَادِ الَّذِي يَتَّفَقُ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مِنْ غَيْرِ مِلَاحَظَةِ جَمَالٍ أَوْ طَمَعٍ فِي
 مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ كَمَا أَشَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ إِذْ قَالَ : « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا
 ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » (٢) وَالتَّعَارُفُ هُوَ التَّنَاسُبُ وَالتَّنَافَرُ هُوَ التَّبَايُنُ ، وَ
 هَذَا السَّبَبُ أَيْضًا يَقْتَضِي حُبَّ اللَّهِ الْمُنَاسَبَةَ بَاطِنَةً لِاتِّرَاجِعَ إِلَى الْمَشَابَهَةِ فِي الصُّورَةِ وَالْأَشْكَالِ
 بَلْ إِلَى مَعَانٍ بَاطِنَةً يَجُوزُ أَنْ يَذْكَرَ بَعْضُهَا فِي الْكُتُبِ وَبَعْضُهَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْطَرَّ بَلْ
 يَتَرَكُ تَحْتَ غَطَاءِ الْغُبْرَةِ حَتَّى يَعْثُرَ عَلَيْهِ السَّالِكُونَ لِلطَّرِيقِ إِذَا اسْتَكْمَلُوا شُرُوطَ
 السَّلُوكِ فَالَّذِي يَذْكَرُ هُوَ قَرَبُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الصِّفَاتِ الَّتِي أَمَرَ فِيهَا
 بِالْاِتِّدَاءِ وَ التَّخَلُّقَ بِأَخْلَاقِ الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّى قِيلَ : تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ ، وَ ذَلِكَ فِي
 اِكْتِسَابِ مَحَامِدِ الصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ مِنَ الْعِلْمِ وَ الْبِرِّ وَ الْإِحْسَانِ وَ

(١) قَالَ الْعِرَاقِيُّ : لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ج ٨ ص ٤١ وَ قَدْ تَقَدَّمَ كِرَارًا .

اللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة ، فكل ذلك يقرب إلى الله عز وجل لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومي إليها قوله تعالى : « و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي »^(١) إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق ، ويشير إليه قوله تعالى : « إنني جاعل في الأرض خليفة »^(٢) إذ لم يستحق آدم خلافة الله إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله ﷺ « إن الله خلق آدم على صورته »^(٣) حتى ظن القاصرون أن لاصورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبها ووجسمها ووصورها وتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً وإليه الإشارة بقوله لبعض الأنبياء و في نسخة لموسى ﷺ : « مرضت فلم تعدني فقال : يا رب وكيف ذلك ؟ قال : مرض فلان فلم تعده ، ولو عدته لوجدتني عنده »^(٤) وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد أحكام الفرائض ، قال الله عز وجل : « ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصره ، ولسانه الذي ينطق به »^(٥) وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين ما لوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم : أنا الحق . فضل النصارى في عيسى ﷺ وقالوا هو الإله ، وقال آخرون منهم : تدرع الناسوت باللاهوت ، وقال آخرون : اتحد به ، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقول فهذه هي المعلومة من أسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقاً لامجازاً وفي أعلى الدرجات لاني أدناها فكان المعقول المقبول هو حب الله تعالى فقط عند ذوي-

(٢) البقرة : ٢٩ .

(١) الاسراء : ٨٥ .

(٤) تقدم أيضاً .

(٣) تقدم غير مرة .

(٥) تقدم عن البخاري في الصحيح و الكليني في الكافي ج ٢ ص ٣٥٢ .

البصائر كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط، ثم كل من يحب واحداً من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لمشار كنه إياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغيض من كماله ولا يتفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا في حق الله فإنه موصوف بهذه الأوصاف التي هي غاية الجمال والكمال ولا شريك له فيه وجوداً ولا يتصور أن يكون ذلك إمكاناً فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا ينظر في نقصان إلى حبه كما لا تنظر في الشركة إلى صفاته فهو المستحق إذ الأصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقاً لا يساهم فيه أصلاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْعَلُوا مَا كُنْتُمْ يُوعَىٰ إِلَىٰ اللَّهِ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ عِندِ اللَّهِ حَافِظٌ ۗ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧)
 ﴿وَأَن تَقُولُوا لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ لَدُنَّكَ عَدْوً ۖ لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة: ٢١٨)

إعلم أن اللذات تابعة للإدراكات والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها بمقتضى طبعها التي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان هزلاً بل خلقت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع، فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام، فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها، وغريزة شهوة الطعام مثلاً خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار والاستماع والاستشمام فلا يخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه» (١) وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف أبداً يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخييلة ولا

محسوسة كما إدراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق مدبّر حكيم موصوف بصفات الإلهية ولنسم تلك الغريزة عقلاً بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة ، فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمّه من ذمّه وإلا فالصفة التي بها فارق الإنسان البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعزّ الصفات فلا ينبغي أن يذمّ وهذه الغريزة خلقت فيه ليعلم بها حقائق الأمور كلّها فمقتضي طبعها المعرفة والعلم وهي لذّتها كما أنّ مقتضى طبع سائر الغرائز هو لذّتها وليس يخفى أنّ في العلم والمعرفة لذّة حتّى أنّ الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء، خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء، حقير يغمّ به وحتّى أنّ الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدّي بالعلم والتمدّح به في الأشياء الحقيرة فالعالم باللّعب بالشرطنج على خسة لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطق لسانه بذكر ما يعلمه وكلّ ذلك لفرط لذّة العلم وما يستشعره من كمال ذاته فإنّ العلم من أخصّ صفات الرّبّوبية وهومنتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع إذا اثنى عليه بالذكاء، و غزارة العلم لأنّه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذّب به ، ثمّ ليست لذّة العلم بالحرّاة والحياكة والخياطة كلذّة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق واللذّة العلم بالنحو والشعر كلذّة العلم بالله تعالى وصفاته و ملائكته و ملكوت السماوات والأرض ، بل لذّة العلم بقدر شرف العلم و شرف العلم بقدر شرف المعلوم حتّى أنّ الذي يعرف بواطن أحوال الناس ويتخبر بذلك يجد له لذّة وإن جهله يتقاضاه طبعه أنّ يتفحص عنه فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألدّّ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاّح أو حائك ، فإن اطّلع على أسرار الوزير و تدبيره و ما هو عازم عليه في أمر الوزارة فهي أشهى عنده وألدّّ من علمه بأسرار الرّئيس، و إن كان خبيراً بباطن أحوال الملك و السّلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألدّّ من علمه بباطن أمر الوزير وكان يمدحه بذلك و حرصه على البحث عنه أشدّ وحبّه له أكثر لأنّ لذّته فيه أعظم فهذا يستبان أنّ ألدّّ المعارف أشرفها و شرفها بحسب شرف المعلوم فإن كان في المعلومات ما هو

الأجلّ و الأكمل و الأشرف و الأعظم فالعلم به ألدّ العلوم لا محالة و أشرفها و أطيبها ، وليت شعري هل في الوجود شيء أجمل و أعلى و أشرف و أكمل من خالق الأشياء، كلّها و مكملها و مزينها و مبدئها و معيدها و مدبّرها و مرتبها و هل يتصور أن تكون حضرة في الملك و الكمال و البهاء و الجمال و الجلال أعظم من الحضرة الربّانية التي لا يحيط بمبادي جلالها و عجائب أحوالها و صف الواصفين فإن كنت لا تشكّ في ذلك فلا ينبغي أن تشكّ في أن الاطلاع على أسرار الربوبية و العلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكلّ الموجودات هو أعلى أنواع المعارف و الاطلاعات و ألدّها و أطيبها و أشهاها و أخرى ما يشتهي النفوس الاتّصاف بكمالها و جلالها و أجدد ما يعظم به الفرح و الارتياح و الاستبشار و بهذا يتبيّن أن العلم لذيد و أن ألدّ العلوم العلم بالله تعالى و صفاته و أفعاله و تدبيره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرض فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة و الغضب و لذة سائر الحواس الخمس فإن اللذات مختلفة بالنوع أوّلاً كمخالفة لذة الوقاع لذة السماع و لذة المعرفة لذة الرّئاسة وهي مختلفة بالضعف و القوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة إلى لذة القاتر للشهوة و كمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال بالاضافة إلى ما دونه في الجمال ، وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثّرة على غيرها فإن المخيرين النظر إلى صورة جميلة و التمتع بمشاهدتها و بين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصور الملاح علم به أن الصور الجميلة عنده ألدّ من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل و استمرّ اللّعب بالشطرنج على اللّعب و ترك الأكل فيعلم به أن لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل ، فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود و نقول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذّة الحواس الخمس و إلى باطنة كلذّة الرّياسة و الغلبة و الكرامة و العلم وغيرها إذ ليست هذه اللذات للعين و لا للأذن و لا للأنف و لا للمس و لا للدّوق و المعاني الباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرّجل بين لذة الهرسة و

الدجاج المسمن واللوزينج و بين لذّة الرّئاسة وقهر الأعداء و نيل درجة الاستيلاء ، فإن كان المخيّر خسيس الهمة ميّت القلب شديد النهمة اختار الهريسة والحلاوة و إن كان عليّ الهمة كامل العقل اختار الرّئاسة و هان عليه الجوع والصبر على ضرورة القوت أيّاماً كثيرة فاختياره للرّئاسة يدلّ على أنّها ألدّ عنده من الهريسة و المطعومات الطيّبة ، نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذّة المطعومات على لذّة الرّئاسة و كما أنّ لذّة الرّئاسة و الكرامة أغلب اللذّات على من جاوز نقصان الصبي والعنه فلذّة معرفة الله تعالى و مطالعة جمال الحضرة الرّبوبيّة و النظر إلى أسرار الأمور الإلهيّة ألدّ من الرّئاسة التي هي أعلى اللذّات الغالبة على الخلق ، و غاية العبارة عنه أن يقال : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين^(١) » و أنّه أعدّ لهم ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، و هذا لا يعرفه إلا من ذاق اللذّتين جميعاً فإنّه لا محالة يؤثر التبتّل و التفرّد و الفكر و الذّكر ، و ينغمس في بحار المعرفة و يترك الرّئاسة و يستحقّر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رئاسته و فناء من عليه رئاسته و كونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها و كونه مقطوعاً بالموت الذي لا بدّ من إتيانه مهما « أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أنّها أمرنا - الآية »^(٢) فيستعظم بالإضافة إليه لذّة معرفة الله تعالى و مطالعة صفاته و أفعاله و نظام مملكته من أعلى عليّين إلى أسفل السافلين ، فإنّها خالية عن المزاحمات و المكدّرات ، متّسعة للمتواردين عليها ، لا يضيق عنهم بكثرتهم دائماً و إنّما عرضها من حيث التقدير السماوات و الأرض ، و إذا خرج النظر عن المقدّرات فلا نهاية لعرضها ، فلا يزال العارف بمطالعتها في جنّة عرضها السماوات و الأرض ، يرتع في رياضها و يكرع في حياضها و يقطف من ثمارها و هو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنّة غير مقطوعة و لا ممنوعة بل هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محلّ معرفة الله تعالى إذ محلّها الرّوح الذي هو أمر ربّاني

سماويٌّ وإنّما الموت يغيّر أحوالها ويقطع شواغلها و عوائقها و يخليها من حبسها فأما أن يعدمها فلا قال الله تعالى : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون » فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية « (١) ولا تظننّ أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإنّ للعارف بكلّ نفس درجة ألف شهيد ، و في الخبر « إنّ الشهيد يتمنّى في الآخرة أن يردّ إلى الدنيا فيقتل مرّة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة و أنّ الشهداء يتمنّون لو كانوا علماء لما يرون من علوّ درجة العلماء » (٢) فإنّ جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان للعارف يتبوّء منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك فيها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنّة عرضها السموات والأرض وكلّ عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلاً إلا أنّهم يتفاوتون في سعة منزلّاتهم بقدر تفاوتهم في اتّساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أنّ لذّة الرّئاسة وهي باطنة أقوى عند ذوي الكمال من لذّات الحواسّ كلّها ، و أنّ هذه اللذّة لا تكون لبهيمة ولا لصبيّ ولا لعنوه وإنّ لذّة المحسوسات و الشهوات تكون لذوي الكمال مع لذّة الرّئاسة ولكن يؤثرون الرّئاسة فأما معنى كون معرفة الله وصفاته و أفعاله و ملكوت سماواته و أسرار ملكه أعظم لذّة من الرّئاسة فهذا يختصّ بمعرفة من نال رتبة المعرفة و ذاقها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأنّ القلب معدن هذه القوّة كما أنّه لا يثبت رجحان لذّة الوقاع على لذّة اللّعب بالوصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذّة شمّ البنفسج عند العنّين لأنّه قد فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذّة ، ولكن من سلم من آفة العنة و سلم حاسّة شمّه أدرك التفاوت بين اللذّتين و عندهذا لا يبقى إلا أن يقال : من ذاق عرف ، و لعمرى أن طلاب العلوم وإن لم يشغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهيّة فقد استنشقوا رائحة هذه اللذّة عند انكشاف المشكلات و انحلال الشبهات

(١) آل عمران : ١٦٣ و ١٦٤ .

(٢) متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

التي قوي حرصهم على طلبها فإنّها أيضاً معارف و علوم و إن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه و قد انكشف له من أسرار ملك الله و لو الشيء، اليسير فإنّه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته و احتماله لقوّة فرحه و سروره و هذا ممّا لا يدرك إلا بالذوق ، و الحكاية فيه قليلة الجدوى ، فهذا القدر ينبتك على أن معرفة الله سبحانه ألدّ الأشياء و أنّه لا لذّة فوقها ، و لذلك قال أبو سليمان : من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه و من كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغولاً بربه . و قيل لرابعة : ما حقيقة إيمانك قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ولا رجاء لجنّته فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبّاً له و شوقاً إليه ، و قالت في معنى المحبة نظماً :

أحبّك حبّين حبّ الهوى ☆ و حبّاً لأنك أهل لذلك
فأما الذي هو حبّ الهوى ☆ فشغلي بذكرك عمّن سواك
و أمّا الذي أنت أهل له ☆ فكشفك لي الحجب حتّى أراك
فلا الحمد في ذا و لا ذاك لي ☆ و لكن لك الحمد في ذا و ذاك

و لعلّها أرادت بحبّ الهوى حبّ الله تعالى لا حسانه إليها و إنعامه عليها بحفظ العاجلة ، و بحبّها لما هو أهل له الحبّ لجماله و جلاله الذي انكشف لها و هو أعلى الحبّين و أقواهما و لذّة مطالعة جمال الرّبّ بويّبة هي التي بنى عنها الله حبّ حيث قال حاكياً عن ربه تعالى : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» (١) و قد يتعجّل بعض هذه اللذات لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ، و لذلك قال بعضهم : إنّي لأقول : يا ربّ يا الله فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال لأنّ النداء يكون من وراء حجاب و حل رأيت جليساً ينادي جليسه ؟ و قال : إذا بلغ الرّجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة . أي يخرج كلامه عن حدّ عقولهم فيرون ما يقولون جنوناً و كفرأ ، فمقصد العارفين كلّهم وصله و لقاءه

(١) أخرجه البخارى ج ٤ ص ١٤٣ من حديث أبي هريرة و قد تقدم .

فهي قرّة العين التي لاتعلم نفس ما أخفي لها منها ، و إذا حصلت انمحقت الهموم و الشهوات كلّها فصار القلب مستغرقاً بنعيمها فلو أُلقي في النار لم يحسّ بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يانفت إليه ، لكمال نعيمه و بلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية ، ولبت شعري من لا يفهم إلاّ حبّ المحسوسات كيف يؤمن بلذّة النظر إلى وجه الله تعالى وما له شبه و صورة و شكل ، وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده و ذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أنّ اللذات المقرّنة بالشهوات المختلفة كلّها تنطوي تحت هذه اللذّة كما قال بعضهم :

كانت لقلبي أهواء مفرّقة ☆ فاستجمعت منذرأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده ☆ فصرت مولى الورى مذصرت مولائي
تركت للناس دنياهم و دينهم ☆ شغلاً بذكرك يا ديني و دنياي

و لذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من ناره ، و وصله أطيب من جنّته . و ما

أرادوا بهذا إلاّ إيثار لذّة القلب في معرفة الله تعالى على لذّة الأكل و الشرب و النكاح فإنّ الجنة معدن تمتع الحواسّ فأما القلب فلذّته في لقاء الله عزّ و جلّ فقط ، و مثال أطوار الخلق في لذّاتهم ما نذكره و هو أنّ الصبيّ في أوّل حرّ كنه و تمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذّ اللّعب و اللّهُو حتّى يكون ذلك عنده ألدّ من سائر الأشياء ، ثمّ تظهر بعده لذّة الزينة و لبس الثياب و ركوب الدوابّ فيستحقر معها لذّة اللّعب ثمّ تظهر بعده لذّة الوقاع و شهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثمّ تظهر له لذّة الرّئاسة و العلوّ و التكاثر و هي أحبّ لذّات الدّنيا و أغلبها و أقواها كما قال : « إعلموا أنّما الحياة الدّنيا لعبٌ و لهوٌ و زينة و تفاخر - الآية » (١) ثمّ بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذّة معرفة الله تعالى و معرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها و كلّ متأخّر فهو أقوى و هذا هو الأخير إذ يظهر حبّ اللّعب في سنّ الصبيّ و حبّ الزينة في سنّ التمييز و حبّ النساء في سنّ البلوغ و حبّ الرّئاسة بعد العشرين و حبّ العلوم بقرب الأربعين و هي الغاية العليا و كما أنّ

الصبيّ يضحك على من يترك اللّعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرّثاسة فكذلك الرّؤساء يضحكون على من يترك الرّثاسة و يشتغل بمعرفة الله تعالى و العارفين يقولون « إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون » .

﴿ بيان السبب في زيادة لذّة النظر في الآخرة على المعرفة في الدّنيا ﴾

إعلم أنّ المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور المختلفة المتخيّلة و الأجسام المتلوّنة المتشكّلة في أشخاص الحيوان و النبات ، و إلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله سبحانه و كلّ ما ليس بجسم كالعلم و القدرة و الإرادة و غيرها و من رأي إنساناً ثمّ غضّ بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنّه ينظر إليها ولكن إذا فتح العين و أبصر أدرك تفرقة بينهما و لا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأنّ الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيّلة و إنّما الافتراق بمزيد الوضوح و الكشف فإنّ صورة المرئي صارت بالرؤية أتمّ انكشافاً و وضوحاً وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثمّ رأي بعد تمام الضوء فإنّه لا يفارق إحدى الحاليتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف فإنّ الخيال أوّل الإدراك و الرؤية هي الاستكمال لإدراك الخيال وهي غاية الكشف وسمّي ذلك رؤية لأنّه غاية الكشف لأنّه في العين ، بل لو خلق الله هذا الإدراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصد مثلاً استحقّ أن يسمّى رؤية ، وإذا فهمت هذا في المتخيّلات فاعلم أنّ المعلومات التي لا تتشكّل في الخيال أيضاً لمعرفتها و إدراكها درجتان إحداهما أولى و الثانية استكمال لها و بين الثانية والأولى من التفاوت في مزيد الكشف و الايضاح ما بين المتخيّل و المرئي فيسمّى الثاني أيضاً بالإضافة إلى الأوّل مشاهدة و لقاء و رؤية و هذه التسمية حقّ لأنّ الرؤية سمّيت رؤية لأنّها غاية الكشف و كما أنّ سنة الله تعالى جارية بأنّ تطبيق الأحفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية و يكون حجاباً بين البصر و المرئي و لا بدّ من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية و ما لم يرتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيّل فكذلك مقتضى سنة الله أنّ النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن و مقتضى الشهوات و ما غلب عليها من الصفات البشريّة فإنّها لا تنتهي إلى

المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجنان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجاباً يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام: «لن تراني»^(١) وقال تعالى: «لاتدر كه الأبصار»^(٢) أي في الدنيا . و الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله «ما رأى الله عز وجل ليلة المعراج»^(٣).

أقول: بل التحقيق أنه لافرق في الرؤية بين الدنيا والآخرة فكما أنه لايجوز رؤيته سبحانه في الدنيا بالعين والبصر فكذلك لايجوز رؤيته في الآخرة بالعين والبصر، وكما أنه يجوز رؤيته في الآخرة بالقلب والبصيرة لأهل البصائر أعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث يتأذى إلى المشاهدة واللقاء كذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس إلا الجهل وقلة المعرفة دون البدن ، فإن أولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع أحوالهم ومتصرفاتهم ليلهم ونهارهم كما قال تعالى : والشهداء عند ربهم»^(٤) وقال : «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم»^(٥) وقال : «الأمّن شهد بالحق وهم يعلمون»^(٦) فسمّاهم شهداء لمشاهدتهم له في جميع أحوالهم كما ذكر بقوله : «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله»^(٧) وقال : «هو الأوّل والآخِر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم»^(٨) وقال : «ما يكون من نجوى ثلاثة - الآية»^(٩) وقال : «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»^(١٠) فلمّا تحقّق أولياء الله بمعاني هذه الآيات شاهدوه بأعين قلوبهم ، سئل أمير المؤمنين عليه السلام «هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال : ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره ، قيل : وكيف رأيتَه؟ قال : ويلك

(١) الاعراف : ١٤٠ . (٢) الانعام : ١٠٣ .

(٣) قال العراقي : هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة ففى الصحيحين أنها قالت

«من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب» .

(٤) الحديد : ١٩ . (٥) آل عمران : ١٦ .

(٦) الزخرف : ٨٦ . (٧) البقرة : ١١٠ .

(٨) الحديد : ٣ . (٩) المجادلة : ٨ .

(١٠) ق : ١٦ .

لا تدرّكه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» (١) و قال ابنه الحسين سيّد الشهداء: «كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفقود إليك ، أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً ، و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً» وقال أيضاً « تعرّف لكلّ شيء ، فما جهلك شيء ،» وقال : « تعرّف إليّ في كلّ شيء ،» (٢) إلى غير ذلك ممّا ورد عنهم عليهم السلام في هذا المعنى ، نعم يمكن أن يزيد الانكشاف في الآخرة بقدر زيادة صفاء القلوب و زكائها .

قال أبو حامد : فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكليّة وإن كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل ، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربّهم أبد الآباد نعوذ بالله منه ، ومنها ما لم ينسأ إلى حدّ الرّين و الطبع ولم يخرج عن قبول التزكية و التصقيل فيعرض على النار عرضاً يجمع منها الخبث الذي هو متدنّس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية و أقلّها لحظة خفيفة و أقصاها في حقّ المؤمن كما وردت به الأخبار سبعة آلاف سنة ولم ترتحل نفس عن هذا العالم إلا وتصحبها غبرة و كدورة ما و إن قلت ، و لذلك قال تعالى : « و إن منكم إلا و اردّها كان على ربك حنماً مقضياً » ثمّ نجّي الذين اتّقوا و نذر الظالمين فيها جيّماً» (٣) فكلّ نفس مستيقنة الورد على النار و غير مستيقنة الصدور عنها فإذا أكمل الله عزّ وجلّ تطهيرها و تزكيتها بلغ الكتاب أجله و وقع الفراغ عن جملة ما ورد به الشرع من العرض و الحساب وغيره وكان له استحقاق الجنّة و ذلك وقت مبهم لم يطّلع الله عليه أحداً من خلقه

(١) الكافي ج ١ ص ٩٧ تحت رقم ٦ .

(٢) راجع دعاءه عليه السلام في يوم عرفة في كتاب اقبال الاعمال للسيد بن الطاوس (ره) .

(٣) مريم : ٧٢ و ٧٣ .

فإنّه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه و نقائه عن الكدورات حيث لا ترهق وجهه غبرة ولا قتره لأن يتجلّى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلّى له تجلياً يكون انكشاف تجليّه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيّلوه وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فإذن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيّل متصور وخصوصاً بجهة ومكان فإن ذلك ممّا يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامّة من غير تخيّل وتصوّر و تقدير شكل و صورة فتراه في الآخرة كذلك ، بل أقول : المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والبوضوح و تنقلب مشاهدة و لا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والبوضوح كما ضربنا المثل في استكمال الخيال بالرؤية فإذا لم يكن في معرفة الله إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في البوضوح إلى غاية الكشف أيضاً جهة وصورة لأنّها هي بعينها لا تنفرد منها إلا في زيادة الكشف كما أنّ الصورة المرئية هي المتخيّلة بعينها إلا في زيادة الكشف ، و على الجملة فالله سبحانه بذاته و جميع صفاته كما وصفه في كتابه وأخبر عنه نبيّه منزّه مقدّس عن الشبه والمثل و مشاكلة رسوم الحدّثان ، لا يشبه ذاته سائر الذوات ولا صفاته جميع الصفات وأنسى يشبهه ربّ أزلّي حيّ قيّومٌ أبديٌّ فردٌ وترٌ أحديٌّ لم يزل متّصفاً بصفاته العليا متسمياً بأسمائه الحسنى إلهاً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً و من أين يماثل مخلوقاً عاجزاً محدثاً مكوّنناً لم يكن في الأصل شيئاً فخلقّه بقدرته و أنشأه كما شاء بحكمته ، و أحدث فيه صفات ناقصة منزلة غير مستقيمة فوكلّ به أنواع الآفات و فنون النقائص والعاهات من البلايا المنوّعة والفتن والمحن المنغصنة كالجوع والعطش والغلق والشبق والحيرة والصنجر والقلق والأدواء والأمراض والعلل والأسقام إلى ما لا يتناهى ثمّ أرهقه ورود مورد الممات وجرّعه مرارة كوؤس الوفاة . وجعله على أثر ذلك رهين الجدث والتراب إلى وقت العرض والحساب ، ثمّ يبعثه في يوم يكلّ اللسان عن وصف أحواله ، و يعجز

البيان دون حصر أحواله لمواقف ومقامات يفرغ عنها معشر الصديقين والأولياء بل خيار الرّسل والأنبياء ، وهلمّ جرّاً إلى أن يسكنه بجموحة الجنان مع الرّوح والرّيحان والرّاحة والرّضوان أو يحبسّه في حصر جهنّم وأركان النيران بالخزي والهوان والشقاء والخذلان ، فليت شعري من أين يتصوّر رهنها مماثلة أو كيف يمكن بين خالق وصفناه ومخلوق ذكرناه مشاكلة عند عمر غافل وسفيه جاهل فضلاً عن ذوي العقول وأرباب الأبواب تعالَى اللهُ عمّا يقول الظالمون والمشركون والمشبّهة والممثّلة والمعطلون علواً كبيراً .

نعم اقتضت الحكمة الأزليّة والإرادة الأحدثيّة الإيجاد والإبداع والإنشاء والاختراع فأنشأ أصناف الخليقة وأوجد أنواع البريّة على وفق مراده ومشيئته دون سابقة مثال في تكوين الكون وفطرته وقسم إذ ذاك بني آدم من بينهم قسمين وذراًهم من قبل الطاعة والمعصية فرقتين أشقياء وسعداء ومهتدين وأغوياء فنوّر أهل السعادة في هذه الحياة بنور المعرفة والإيمان وترك أهل الشقاوة في غمرات ظلمة الكفر والطغيان ثمّ غدا في دار البقاء ومقام الرّؤية واللقاء يتمّ لهم ذلك النور الضياء وإليه الإشارة بقوله تعالى : « نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا » (١) إذ تمام النور لا يؤثر إلّا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة الرّؤية والنظر إلّا العارفون في الدنّيا لأنّ المعرفة هي البذر التي تنقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذر زرعاً ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر كيف يحصل الزرع وكذلك من لم يعرف الله عزّ وجلّ في الدنّيا فكيف يراه في الآخرة ، ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلّي أيضاً على درجات متفاوتة فاختلف التجلّي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر إذ تختلف لامحالة بكثرتها وقلّتها وحسنها ورديتها وقوتها وضعفها وكما أنّك ترى في الدنّيا من يؤثر لذّة الرّئاسة على المنكوح والمطعموم وترى من يؤثر لذّة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السماوات والأرض وسائر الأمور الإلهية

على الرثاسة وعلى المنكوح والمشروب جميعاً فكذلك يكون في الآخرة قومٌ يؤثرون لذّة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنّة إذ يرجع نعيمها إلى المنكوح والمطعموم وهؤلاء، بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من إثارة لذّة المعرفة والعلم والإطلاع على أسرار الرّب بوبيّة على لذّة المنكوح والمشروب وسائر الخلق، مشغولون به، وذلك لما قيل لرابعة: ما تقولين في الجنّة؟ فقالت: الجار، ثمّ الدار. فبيّنت أنّه ليس في قلبها التفات إلى الجنّة بل إلى ربّ الجنّة فكلّ من لم يعرف الله عزّ وجلّ في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكلّ من لم يجد لذّة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذّة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه في الدنيا فلا يحصد أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعّم به بعينه فقط إلا أنّه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضاعف اللذّة به كما تتضاعف لذّة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإنّ ذلك هو منتهى لذّته وإنّما طيبة الجنّة أنّ لكلّ واحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله عزّ وجلّ فلا لذّة له في غيره بل ربّما يتأذى به فإن نعيم الجنّة بقدر حبّ الله تعالى وحبّ الله تعالى بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبّر الشرع عنها بالإيمان، فإن قلت: فلذّة الرؤية إن كانت لها نسبة إلى لذّة المعرفة فهي قليلة وإن كانت أضعافها لأنّ لذّة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حدّ قريب لا ينتهي في القوّة إلى أن يستحقر في جنبه سائر لذّات الجنّة، فأعلم أنّ هذا الاستحقر للذّة المعرفة مصدره الخلوّ عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذّتها وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذّتها فللمعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله عزّ وجلّ لذّات لو عرضت عليهم الجنّة في الدنيا بدلاً عنها لم يستبدلوا بها لذّة الجنّة ثمّ هذه اللذّة مع كمالها لا نسبة لها أصلاً إلى لذّة اللّقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذّة خيال المعشوق إلى رؤيته ولا للذّة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ولا للذّة التمس باليد إلى لذّة الوجود وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول: لذّة النظر إلى

وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها جمال المعشوق و نقصانه فإنّ اللذة في النظر إلى الأجل أكمل لا محالة . والثاني كمال قوّة الحبّ والشهوة والعشق فليست لذّة من اشتدّ عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبّه . والثالث كمال الإدراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذاذ بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء . ولإدراك لذّة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المدعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهمّ من المهمّات فقدّر عاشقاً ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب و زنابير تؤذيه وتلدغه و تشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو من لذّة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك به السنر وأشرق به الضوء . و اندفع عنه المؤذيات وبقي سليماً فارغاً وهجمت عليه الشهوة القويّة والعشق المفرط حتّى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذّة حتّى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتدّ بها ، وكذلك فافهم نسبة لذّة النظر إلى لذّة المعرفة فالستر الرقيق مثال للبدن والاشتغال به ، والعقارب والزنابير مثال للشهوات المسلّطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغمّ والحزن ، وضعف الشهوة و الحبّ مثال لقصور النّفس في الدنيا و نقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى وإلتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصّبي عن ملاحظة لذّة الرّئاسة وإلتفاتنه إلى اللّعب بالعصفور ، فالعارف إن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها البتّة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يدهش العقل ويعظم لذّته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلّما يدوم بل يعرض من الشواغل والأفكار و الخواطر ما يشوشه وينغصّه وهذه الضرورة قائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذّة منغصّة إلى الموت و إنّما الحيوة الطيّبة بعدالموت و إنّما العيش عيش الآخرة فإنّ الدار

الآخرة لبي الحيوان لو كانوا يعلمون» وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله عز وجل فيحب الموت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فإن المعرفة بالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والإحاطة بكنهه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله عز وجل وبصفاته وبأفعاله وبأسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثير الزرع وحسن ، ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا زرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة، ولذلك قال النبي ﷺ: «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله عز وجل» (١) لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على الذكر وطول المجاهدة والانتقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب وسندعي ذلك زماناً لا محالة فمن أحب الموت أحبته لا محالة لأنه رأى نفسه واثقاً في المعرفة بالغاً إلى منتهى ما يسر له. ومن كره الموت كرهه لأنه كان يأمل مزيد معرفة يحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصراً عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبّه عند أهل المعرفة ، و أما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت اختاروا البقاء، وإن ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة ، فالجهل والغفلة مفرس كل خطيئة وشقاوة ، و العلم والمعرفة أساس كل سعادة ، فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القويّة ، ومعنى لذّة المعرفة ، ومعنى الرؤية ، ومعنى كونها ألد من سائر اللذات عند ذوي العقول والكمال وإن لم يكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم تكن الرثاسة ألد من المطعومات والملاعب عند الصبيان .

فإن قلت : فهذه الرؤية محلها العين أو القلب في الآخرة ، فاعلم أن الناس اختلفوا فيه وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى

(١) رواء القضاعي في الشهاب والديلمي في الفردوس من حديث ابن عمر ، هكذا
 « السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله » وسنده حسن كما في الجامع الصغير.

أن رؤيته تتخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء بالعين أو غيرها فإن العين محلٌّ وظرف لانظر إليه ولا حكم له و الحقُّ فيه أن القدرة الأزليّة واسعة فلا يحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين هذا في حكم الجواز ، وأمّا الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع والحقُّ ما ظهر لأهل السنّة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهرها إذ لا يجوز إزالة الظاهر إلا بضرورة ، والله أعلم .

أقول: بل الحقُّ فيهما أشرنا إليه وصحّت روايته عن أهل البيت عليهم السلام العارفين بأسرار النبوة الذين هم مهبط الوحي ومختلف الملائكة وهو أن ذلك إنّما يكون بالقلب فحسب دون العين وأن رؤية العين في حق الله تعالى محالٌ سواء في الدنيا والآخرة ، رؤى شيخنا ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله ^(١) وشيخنا الصدوق محمد بن عليّ بن بابويه طاب ثراه ^(٢) بإسنادهما الصحيح ، عن الصادق عليه السلام أنه سئل عمّا يروون من الرؤية فقال : « الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، و الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ، فإن كانوا صادقين فليملاً وأعينهم من الشمس ليس دونها سحاب .»

و بإسنادهما عن أحمد بن إسحاق قال : « كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس ، فكتب « لا يجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينقذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمستبان .» و بإسناد الصدوق رحمه الله - عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام قال : قلت له : « أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم و قد رأوه قبل يوم القيامة ، فقلت : متى ؟ قال : حين قال لهم : ألسن بربكم قالوا : بلى ، ثم سكت

(١) راجع الكافي ج ١ باب ابطال الرؤية .

(٢) راجع التوحيد باب ماجاء في الرؤية .

ساعة ، ثمّ قال : و إنّ المؤمنين ليرونه في الدّنيا قبل يوم القيامة ألسنت تراه في وقتك هذا ، قال أبو بصير : فقلت له : جعلت فداك فأحدث بهذا عنك ؟ فقال : لا فإنا نك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهلٌ بمعنى ما تقول ثمّ قدر أنّ ذلك تشبيهه وكفر وليست الرّؤية بالقلب كالرّؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون .

﴿ بيان الاسباب المقوية لحبّ الله تعالى ﴾

إعلم أنّ أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقوامهم حبباً لله فإنّ الآخرة معناها القدوم على الله عزّ وجلّ و درك سعادة لقاءه و ما أعظم نعيم المحبّ إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكّن من دوام مشاهدته أبداً من غير منغّس ومكدر ومن غير رقيب و مزاحم و من غير خوف انقطاع إلّا أنّ هذا النعيم على قدر قوّة الحبّ فكلّما ازداد الحبّ ازدادت اللذّة و إنّما يكتسب العبد حبّ الله عزّ وجلّ في الدّنيا وأصل الحبّ لا ينفك عنه مؤمن لأنّه لا ينفك عن أصل المعرفة و أمّا قوّة الحبّ و استيلاؤه حتّى ينتهي إلى الاستهتار الذي يسمّى عشقاً فذلك ينفك عنه الأثرون و إنّما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدّنيا و إخراج حبّ غير الله من القلب فإنّ القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخلل مثلاً ما لم يخرج منه الماء و ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه و كمال الحبّ في أن يحبّ الله عزّ وجلّ بكلّ قلبه و ما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فيقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حبّ الله و يقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخلل المصبوب فيه و إلى هذا التفريد و التجريد الإشارة بقوله تعالى : « قل الله ثمّ ذرهم » (١) و بقوله « إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا » (٢) بل هو معنى قولك « لا إله إلّا الله » أي لا معبود ولا محبوب سواه ، و كلّ محبوب فإنّه معبود فإنّ العبد هو المتعبّد والمعبود هو المتعبّد له و كلّ محبّ فهو يعبد لما يحبّه و لذلك قال تعالى : « أفرايت

من اتخذ إلهه هواه» (١) وقال عليه السلام: «أبغض إله عبد في الأرض الهوى» (٢) ولذلك قال عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» (٣) ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله عزّ وجلّ فلا يبقى فيه شرّكة لغير الله فيكون الله محبوب قلبه و معبود قلبه و مقصود قلبه فقطّ ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنّها مانعة له عن مشاهدة محبوبه و موته خلاص من السجن و قدوم على المحبوب ، فما حال من ليس له إلا المحبوب واحدٌ و قد طال إليه شوقه و تمادى عنه حبسه فخلّى من السجن و مكّن من المحبوب و روح بالأنس أبد الآباد ، فإنّ أحد أسباب ضعف حبّ الله في القلوب قوّة حبّ الدنيا و منه حبّ الأهل و المال و الولد و الأقارب و العقارب و الدوابّ و البساتين و المتغزّيات حتّى أنّ المتفرّج بطيب أصوات الطيور و روح نسيم الأبحار ملتفت إلى نعيم الدنيا و متعرّض لنقصان حبّ الله بسببه فبقدر ما أنس بالدنيا ينقص أنسه بالله فلا يؤتى أحدٌ شيئاً من الدنيا إلاّ و ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة ، كما أنّه لا يقرب الإنسان من المشرق إلاّ و يبعد بالضرورة من المغرب بقدره ، ولا يطيب قلب امرأة إلاّ و يضيّق به قلب ضرتها فالدنيا و الآخرة ضرّتان و هما كالمشرق و المغرب ، وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافاً أوضح من الابصار بالعين و سبيل قلع حبّ الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد و ملازمة الصبر و الانقياد إليهما بزمام الخوف و الرجاء فما ذكرناه من المقامات كالنوبة و الصبر و الزهد و الخوف و الرجاء هي مقدّمات ليكتسب بها أحد ركني المحبّة و هو تخلية القلب عن غير الله و أوّله الإيمان بالله و اليوم الآخر و الجنة و النار ، ثمّ يتشعب منه الخوف و الرجاء و ينشعب منهما التوبة و الصبر عليهما ثمّ ينجرّ ذلك إلى الزهد في الدنيا و في المال و الجاه و كلّ حظوظ الدنيا حتّى تحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقطّ حتّى يتسع بعده لنزول معرفة الله عزّ وجلّ و حبّه فيه و كلّ ذلك مقدّمات تطهير

(١) الجانية : ٢٢ .

(٢) أخرجه الطبراني على ما في كنوز الحقائق هكذا «أبغض إله عبد عند الله في الأرض

الهوى» .

(٣) رواه الصدوق في التوحيد باب نواب الموحدين والعارفين .

القلب وهو أحد ركني المحبّة وإليه الإشارة بقوله ﷺ : «الطهور شرط الإيمان»^(١) كما ذكرناه في أوّل كتاب الطهارة .

السبب الثاني : لقوّة المحبّة قوّة معرفة الله واتّساعها واستيلاؤها على القلب ، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدّنيا وعلائقها وذلك يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشرط الثاني ، ثمّ يتولّد من هذا البذر شجرة المحبّة والمعرفة وهي الكلمة الطيّبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال : ومثل « كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء »^(٢) وإليها الإشارة بقوله تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب (أي المعرفة) والعمل الصالح يرفعه »^(٣) فالعمل الصالح كالحمّال لها و كالخادم وإنّما العمل الصالح كلّ في تطهير القلب أوّلاً من الدّنيا ثمّ في إدامة طهارته ، فلا يراد العمل إلّا لهذه المعرفة وأمّا العلم بكيفيّة العمل فيراد للعمل ، فالعلم هو الأوّل وهو الآخر وإنّما الأوّل علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتمّضح فيه جليّة الحقّ ويتزيّن بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبّة بالضرورة كما أنّ من كان معتدلاً المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبّه ومال إليه ومهما أحبّه حصلت اللذّة فاللذّة تتبع المحبّة بالضرورة والمحبّة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدّنيا من القلب إلّا بالفكر الصافي والدّكر الدائم والجدّ البالغ في الطلب والنظر المستمرّ في الله وفي صفاته وملكوته سماواته وسائر مخلوقاته ، والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى أقوياء ويكون أوّل معرفتهم بالله تعالى ثمّ به يعرفون غيره وإلى ضعفاء فيكون أوّل معرفتهم بالأفعال ثمّ يترقّون منها إلى الفاعل وإلى الأوّل الإشارة بقوله تعالى : « أو لم يكف بربك أنّه على كلّ شيء شهيد »^(٤) وبقوله :

(١) أخرجه مسلم ج ١ ص ١٤٠ وقد تقدم .

(٢) إبراهيم : ٢٩ . (٣) فاطر : ١١ .

(٤) فصلت : ٥٣ .

« شهد الله أنّه لا إله إلّا هو » (١) و منه نظر بعضهم حيث قيل له : بم عرفت ربك؟ فقال : عرفتُ ربّي بربّي ، ولولا ربّي لما عرفتُ ربّي ، وإلى الثاني الإشارة بقوله : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » (٢) وبقوله : « أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض » (٣) وبقوله : « قل انظروا ما ذا في السموات والأرض » (٤) وبقوله : « الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير» (٥) وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبّر والتدكّر والتفكّر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر .

فإن قلت : كلا الطريقين مشكلٌ فأوضح لنا منهما ما يتوصّل به إلى تحصيل المعرفة و التوصل به إلى المحبّة . فاعلم أنّ الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحقّ سبحانه على سائر الخلق فهو غامضٌ والكلام فيه خارج عن حدّ فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيرادها في الكتب . وأمّا الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حدّ الافهام وإنما قصرت الأفهام عنها لإعراضها عن التدبّر و اشتغالها بشهوات الدنّيا و حظوظ النّفس و المانع من ذكر هذا اتّساعه و كثرته و انشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر و النهاية إذ ما من ذرّة من أعلى السماوات إلى تخوم الأرضين إلّا وفيها عجائب و آيات تدلّ على كمال قدرة الله عزّ و جلّ و كمال حكمته و منتهى جلاله و عظّمته و ذلك ممّا لا يتناهي « قل لو كان البحر مِداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي » فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة فلا يمكن أن يتفكّل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرّض من إليه بمثال واحد على الإيجاز ليقع التنبية لجنسه فنقول : أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال فلننتكلم فيها ولنترك الأعلى ، ثمّ

(١) آل عمران : ١٦ .

(٢) فصلت : ٥٣ .

(٣) الاعراف : ١٨٤ .

(٤) يونس : ١٠١ .

(٥) الملك : ٣ و ٤ .

الأفعال الإلهية كثيرة فنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها فأقل مخلوقات هو الأرض وما عليها أعني بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السموات فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها مثل الأرض مائة ونيّفاً وستين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إلى الشمس ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فللكها الذي هي مركوزة فيه فإنه لا نسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات ، ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة . والكرسي في العرش كذلك ، فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار فقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض » ^(١) وصادق ذلك عرف بالمشاهدة والتجربة .

واعلم أن المكشوف من الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراها فانظر في البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف ، وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطوماً مثل خرطومه ، وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين ، وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحيه وأخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في بطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبّره في سائر الحيوانات وركّب فيها من القوى الغذائية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركّب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ، ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الإنسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه إلى المصاص من مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه

(١) قال العراقي: لم أجد له أصلاً .

في واحد منها ، ثمّ كيف قوّاه حتّى يغرز فيه الخرطوم و كيف علّمه المصّ والتجرّع
للدّم و كيف خلق الخرطوم مع دقّته مجوّفاً حتّى يجري فيه الدّم الصافي الرقيق
و ينتهي إلى باطنه و ينتشر في سائر أجزائه و معدته ، ثمّ كيف عرفّه أنّ الإنسان
يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب و استعمال آله ، و خلق له السمع الذي يسمع به
خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المصّ و يهرب ، ثمّ إذا سكنت اليد
عاد ثمّ انظر كيف خلق له حدقتين حتّى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه
انظر إلى أنّ حدقة كلّ حيوان صغير لمّا لم تحتمل حدقته الأجنان لصغره و كانت الأجنان
مصقلة لمراة الحدقة عن القذى و الغبار خلق للبعوض و الذباب يدين فتنظر إلى
الذباب فتراه على الدوام يسمح حدقتيه بيديه وأمّا الإنسان والحيوان الكبير فخلق
لحدقتيه الأجنان حتّى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الغبار
الذي يلحق الحدقة و يرميها إلى أطراف الأهداب ، وخلق الأهداب السود لتجمع
ضوء العين و تعين على الإبصار و تحسن صورة العين و لتشبّكها عند هيجان الغبار
فينظر من وراء شبك الأهداب و اشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار ، و
أمّا البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجنان و علّمه كيفية التصقيل
باليدين و لأجل ضعف أبصارها تراه تنهافت على السراج لأنّ بصره ضعيف فهو
يطلب ضوء النهار فإذا رأى المسكين ضوء السراج باللّيل ظنّ أنّه في بيت مظلم وأنّ
السراج كوة في البيت المظلم إلى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء و يرمي بنفسه
إلى الكوة فإذا جاوزه و رأى الظلام ظنّ أنّه لم تصب الكوة و لم يقصدها على
السداد فيعود إليه مرّة أخرى ، إلى أن يحترق فلعلّك تظنّ أن هذا لتقصانها و
جهلها ، فاعلم أنّ جهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الإكباب على
شبهات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار إذ يلوح للآدمي أنوار الشهبان
من الدنيا من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أنّ تحتملها السمّ الناقع القاتل فلا يزال
يرمي نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها و يتقيّد بها و يهلك هلاكاً مؤبداً فليت كان
جهل الآدمي كجهل الفراش فإنّها باعترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلّصت في

الحال و الآدمي يبقى في النار أباد أو مدّة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله ﷺ الناس ويقول : «إنكم تنهافون على النار تنهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم» (١) فهذه لمعة عجيبة من عجائب صنع الله عز وجل في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الألوّن والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جليّة من ظاهر صورته فأما خفايا معانيه فلا يطلع عليه إلا الله تعالى ، ثم في كلّ حيوان و نبات أعجوبة و عجائب تخصّها لا يشار كها غيرها فانظر إلى النحل وعجائبه فكيف أوحى الله عز وجل إليه حتى اتخذت من الجبال بيوتاً و من الشجر ومما يعرشون ، وكيف استخرج من لعبها الشمع و العسل وجعل أحدهما ضياء و الآخر شفاء ، ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار و الأنوار و احترازها عن النجاسات و الأقدار و طاعتها لواحد من جملتهم هو أكبرهم شخصاً و هو أميرهم ثم ما سخر الله له أميرهم من العدل و الإنصاف بينهم حتى أنه ليقول علي باب المنفذ كلّ ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها عجباً آخر العجب إن كنت بصيراً في نفسك و فارغاً من مهمّ بطنك و فرجك و شهوات نفسك و معاداة أقرانك و موالاتهم إخوانك ، ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع و اختيارها من جملة الأشكال المسدّس فلا تبني بيتها مستديراً ولا مربعاً ولا خمّساً بل مسدّساً لخاصيّة في الشكل المسدّس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها المستدير وما يقرب منه فإن المربع يخرج منها زوايا ضائعة و شكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا يضيع الزوايا فتبقى فارغة ، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدّس فهذه خاصيّة هذا الشكل ، فانظر كيف ألهم الله عز وجل النحل على صغر جرمه و لطافة قدّه لطفاً به و عناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليهنأ عيشه ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه و امتنانه ،

(١) متفق عليه في الصحيحين باختلاف في اللفظ من حديث أبي هريرة وجابر وقد تقدم .

فاعتبر بهذه اللّمة اليسيرة من محقّرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات فإنّ القدر الذي بلغه فهما القاصر منه تنقضي الأعمار دون إيضاحه ولا نسبة لما أحاط به علمنا إلى ما أحاط به علم العلماء، والأنبيا، ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلّهم إلى ما استأثر الله عزّ وجلّ بعلمه بل كلّ ما عرفه الخلق لا يستحقّ أن يسمّى علماً في جنب علم الله تعالى، فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقتين و بزيادة المعرفة يزداد المحبّة فإن كنت طالباً سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدّنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الفكر الدائم والذّكر اللّازم ففساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك القدر اليسير ملكاً عظيماً لا آخر له.

﴿بيان السبب في تفاوت الناس في الحب﴾

إعلم أنّ المؤمنين مشتركون في أصل المحبّة لاشتراكهم في أصل الإيمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة و في حبّ الدّنيا إذ الأشياء إنّما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من معرفة الله إلا الصفات والأسماء التي قرعت أسماعهم فتلقوها وحفظوها وربّما تخيلوها معاني يتعالى عنها ربّ الأرباب وربّما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوها لها معنى فاسداً بل آمنوا بها إيمان تسليم و تصديق و اشتغلوا بالعمل و تركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين و المتخيّلون هم الضالّون و العارفون بالحقائق هم المقرّبون وقد ذكر الله عزّ وجلّ حال الأصناف الثلاثة في قوله : « فأما إن كان من المقرّبين ﴿١﴾ فروح و ريحان و جنة نعيم - الآيات » (١) و إذا كنت لا تفهم الأمور إلاّ بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحبّ مثلاً فنقول : أصحاب إمام مثلاً يشتركون في حبّ ذلك الإمام ، العلماء منهم والعوام لأنهم يشتركون في معرفة فضله و دينه و حسن سيرته و محامد خصاله ولكنّ العامّي يعرف علمه جملاً و الفقيه يعرفه مفصلاً فيكون معرفة الفقيه به أتمّ و إعجابه به و حبّه له أشدّ فمن رأى تصنيف مصنّف فاستحسنه و عرف به فضله أحبّه لا محالة و مال إليه قلبه ، فإن رأى تصنيفاً آخر أحسن منه و أعجب تضاعف لا محالة حبّه و

مال إليه قلبه أكثر من ميله الأوّل لأنّه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرّجل في الشاعر أنّه حسن الشعر فيحبّه ، فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعتة ازداد به معرفة وازداد له حبّاً وكذا سائر الصناعات والفضائل فالعالمي قد يسمع أن فلاناً مصنّف وأنّه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجتملة و يكون له بحسبه ميل مجمل ، والبصير إذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبّه لا محالة لأنّ عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدلّ على كمال صفات الفاعل والمصنّف ، والعالم بجملته صنع الله وتصنيفه والعالمي يعلم ذلك ويعتقده ، وأمّا البصير فإنّه يطالب تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلاً من عجائب صنعه وما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبّه فيزداد بسببه لاحالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبّاً فكلّما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعاً استدلّ به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبّاً وبحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحبّ لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحبّ أيضاً اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحبّ فإنّ من يحبّ الله مثلاً لكونه محسناً إليه ومنعماً عليه وله حبّه لذاته ضعفت محبته إذ تتغيّر بتغيّر الإحسان فلا يكون حبّه في حالة البلاء كحبّه في حالة الرّخاء والنعماء ، وأمّا من يحبّه لذاته أولاً أنّه مستحقّ للحبّ بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنّه لا يتفاوت حبّه بتفاوت الإحسان إليه فهذا و أمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى: «وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً» (١).

﴿بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله عزّ وجلّ﴾

إعلم أنّ أظهر الموجودات وأجلاها هو الله عزّ وجلّ وكان هذا يقتضي أن يكون معرفته أوّل المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالصدّ من ذلك فلا بدّ من بيان السبب فيه ، وإنّما قلنا: إنّ أظهر الموجودات وأجلاها

هو الله تعالى طبعني لانفهمه إلا بمثال وهو أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخطي مثلاً كان كونه حياً عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للكتابة والخطابة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وحلمه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه و صفاته الظاهرة لانعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طولهِ واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أمّا حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً فإنه جليٌّ عندنا من غير أن يتعلّق حسُّ البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لانحسُّ بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحر كته فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواء لم نعرف به صفاته فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جليٌّ واضح وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجرٍ ومدّرٍ ونباتٍ وشجرٍ وحيوانٍ وسماٍ وما و أرضٍ وكوكبٍ وبرٍّ وبحرٍ ونارٍ وهواءٍ وجوهرٍ وعرضٍ ، بل أوّل شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلّب أحوالنا وتغيّر قلوبنا وجميع أطوارنا في حر كاتنا سكناتنا وأشهر الأشياء في علمنا أنفسنا ، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالبصيرة والعقل وكل واحد من هذه المدركات لها مدرك واحد وشاهد واحدٌ ودليلٌ واحدٌ ، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها ، فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلا شاهد واحدٌ وهو ما أحسنا به من حر كة يده فكيف لا يظهر عندنا من لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حر كتها بذاتها وأنّها تحتاج إلى موجدٍ ومحركٍ لها يشهد بذلك أو لا تر كيب أعضائنا و ائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكّل أطرافنا وسائر أجزاءنا الظاهرة والباطنة فإننا نعلم أنّها لم تأتلف بنفسها كما نعلم أنّ يد الكاتب لم تتحرّك بنفسها ولكن لما لم يق

في الوجود مدركٌ ومحسوسٌ ومعقولٌ وحاضرٌ وغائبٌ إلا وهو شاهدٌ ومعرّفٌ لوجوده وعظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه فإذن ما تنقصر عن فهمه عقولنا له سببان أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله ، والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفّاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لاختفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفّاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع إبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الظلام بالضوء، وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنادة وفي غاية الاستغراق و الشمول حتى لم يشدّ عن ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه ، فسبحان من احتجب بإشراق نوره واخفى عن البصائر والأبصار بظهوره ، ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان بأضدادها . وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر إدراكه . فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ، ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإننا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها لكننا نظن أن لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما ، فإننا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدر كنا تفرقة بين الحالتين فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوءه وانصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعده وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد ، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور ، هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به يدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره ، انظر كيف تصوّر استبهاهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده ، فإن الرب تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغيير لاندت السماوات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدركت به التفرقة بين

الحالتين ، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به و بعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالته عامّة في الأشياء على نسق واحد و وجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه ، فلا جرم أورثت شدّة الظهور خفاء ، فهذا هو السبب في قصور الأفهام ، و أمّا من قويت بصيرته ولم تضعف منته فأنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلّا الله ولا يعرف غيره و يعلم أنه ليس في الوجود إلّا الله و أفعاله ، و أفعاله أثر من آثار قدرته ، فهي تابعة له فلا جرم لا وجود لها بالحقيقة دونه و إنّما الوجود الواحد الحقّ الذي به وجود الأفعال كلّها ، و من هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلّا ويرى فيه الفاعل و يذهل عن الفعل من حيث إنّه سماء و أرض و حيوان و شجر بل ينظر فيه من حيث إنّه صنع الواحد الحقّ ، فلا يكون نظره مجاوزاً إلى غيره ، كمن نظر في شعر إنسان أو خطّه أو تصنيفه و رأى آثاره من حيث إنّها آثاره لا من حيث إنّها حبر و عقص و زاج مرقوم على بياض ، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنّف ، فكلّ العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنّ فعل الله و عرفه من حيث إنّ فعل الله و أحبه من حيث إنّ فعل الله لم يكن ناظراً إلّا في الله و لاعارفاً إلّا بالله ولا محبباً إلّا له ، و كان هو الموحد الحقّ الذي لا يرى إلّا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنّ عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه إنّ فنى في التوحيد و أنّه فنى من نفسه و إليه الإشارة بقول من قال: كُنّا بنا ففنيْنَا عَنّا فبقينا بلا نحن . فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشكلت على ضعفاء الأفهام و إشكالها إنّما لضعف الأفهام أو لاشتغالهم بأنفسهم و اعتقادهم أنّ بيان ذلك لغيرهم ممّا لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ، و انضمّ إليه أنّ المدركات كلّها التي هي شاهدة على الله إنّما يدرّكها الإنسان في الصبى عند فقد العقل ثمّ تبدّو فيه غريزة العقل قليلاً و هو مستغرق الهمّ بشهواته ، وقد أنس بمدركاته و محسوساته و ألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأُنس و لذلك إذا رأى على سبيل الفجاءة حيواناً غريباً أو نباتاً غريباً أو فعلاً من أفعال الله خارقاً للعادة عجبياً انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً فقال : سبحان الله ، وهو يرى طول النهار نفسه و أعضائه و سائر الحيوانات المألوفة

وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ، ولو فرض أكمه بلغ عاقلاً
ثم انقضت غشارة عن عينه فامتدّ بصره إلى السماء و الأرض و الأشجار و النباتات
والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة يخاف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبهم من
مشاهدة هذه العجائب على خالقها فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات
هي التي سدّت على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة و السباحة في بحارها الواسعة ،
فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذ كان راكباً لجماره
وهو يطلب جماره و الجليّات إذا صارت مطلوبة صارت معنّاة^(١) فهذا سرّ هذا الأمر
فليتحقّق ولذلك قيل :

فقد ظهرت فلا تخفى على أحدٍ ☆ إلا على أكمه لا يعرف القمر
لكن بظنت بما أظهرت محتجباً ☆ وكيف يعرف من بالعرف قدسترا

❖ (بيان معنى الشوق إلى الله عزّ وجلّ) ❖

إعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بدّ وأن ينكر حقيقة الشوق
إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب و نحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى و كون
العارف مضطراً إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر و بطريق الأخبار والآثار
أما الاعتبار فيكفي في إثباته ما سبق في إثبات الحبّ و كلّ محبوب فهو مشتاق إليه
في غيبته فإنّ الحاصل الحاضر فلا يشاق إليه ، فإنّ الشوق طلب و تشوّف إلى نيل
أمر ، و الموجود لا يطلب و لكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من
وجه ولم يدرك من وجه فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشاق إليه ، فمن لم ير شخصاً ولم
يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق إليه و ما أدرك بكماله لا يشاق إليه ، و كمال
الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوماً للنظر إليه لا يتصور أن
يكون له شوق ، و لكن الشوق إنّما يتعلّق بما أدرك من وجه و لم يدرك من
وجه و هو من وجهين : الأوّل هو أن يتضح الشيء اتّضحاً تاماً و لكنّه يحتاج إلى
استكمال ولا ينكشف إلا بمثال من المشاهدات فمن غاب عنه معشوقه و بقي في قلبه
(١) اعتناص يعتناصاً الأمر عليه اشتد و امتنع و التناص عليه فلم يهتد إلى وجه الصواب.

خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فلوانمحي عن قلبه ذكره وخياله ومعرفة حتى نسينه لم يتصور أن يشناق إليه ولورآه لم يتصور أن يشناق إلى معرفته في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوف نفسه إلى استكمال خياله ، ولذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته ، وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه ، والثاني أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره ولا سائر محاسنه مثلاً ولا سائر أعضائه فيشتاق إلى رؤيته ولولم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً وأعضاء جميلة و لم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعاً متصوّران في حقّ الله بل هما لازمان بالضرورة لكلّ العارفين فإنّ ما اتّضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنّه من وراء ستر رقيق فلا يكون متّضحاً غاية الاتّضح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فإنّ الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للعارف و منعصات ، وكذلك يضاف إليها شواغل الدنيا فانّما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلّا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنّه منتهى محبوب العارفين فهذا هو أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتّضح اتّضحاً ما ، الثاني أن الأمور الإلهية لانهاية لها وإنّما ينكشف لكلّ عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة ، و العارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله ويعلم أنّها غاب عن علمه من المعلومات أكثر ممّا حضر فلا يزال متشوّفاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل له ممّا بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلاً لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة و الشوق الأوّل ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمّى رؤية و لقاء و مشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا و قد كان إبراهيم بن أدهم من المشناقين فقال : قلت ذات يوم : ياربّ إن أعطيت أحداً من المحبّين لك ما يسكن به قلبه قبل لقاءك فأعطني ذلك فقد أضرب بي القلق ، قال : فرأيت في النوم كأنّه أوقفني بين يديه وقال : يا إبراهيم أما استحييت منّي أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل

لقائي و هل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ، فقلت : يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول فقال: قل : «اللهم رضني بقضاءك وصبّرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك» فإذن هذا الشوق يسكن في الآخرة ، وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية في الدنيا و لا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله وصفاته وأحكامه وأفعاله ما هو معلوم لله و هو محال لأن ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالماً بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة لأنه يتشوّف إلى استكمال الوضوح مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقاً لذيذاً لا يظهر فيه ألم و لا يعد أن تكون ألطاف الكشف و النظر متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة مزايداً أبد الآباد و يكون لذّة ما يتجدّد من لطائف النعيم شاغلة عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل و هذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً فإن ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرّاً على الدوام وقوله تعالى : «نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا»^(١) محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه باتمام النور مهما تزوّد من الدنيا أصل النور ، و يحتمل أن يكون المراد به إنتمام النور في عين ما استنار في الآخرة استنارة محتاجة إلى زيادة الاستكمال و الإشراق ليكون هذا هو المراد بتمامه ، وقوله تعالى : «انظرونا نقنّبس من نوركم قيل إرجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً»^(٢) يدل على أن الأنوار لا بد أن يتزوّد أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقاً ، فأما أن يتجدّد نور يتلألاً فلا و الحكم في هذا برجم الظنون مخطر ، ولم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً ورشداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق و معانيه .

وأما شواهد الأخبار والآثار فهي أكثر من أن تحصى فمنها ما اشتهر من دعاء رسول الله ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش

بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك الكريم ، و شوقاً إلى لقاءك » (١) وقد قال أبو الدرداء، لكعب الأخبار : أخبرني عن أخص آية في التوراة فقال : يقول الله عز وجل : طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم لأشد شوقاً. قال : و مكتوب إلى جانبها من طلبني وجدني و من طلب غيري لم يجدني ، فقال أبو الدرداء : أشهد أنني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا . و في أخبار داود عليه السلام « إن الله عز وجل قال : ياداود أبلغ أهل أرضي أنني حبيب لمن أحببني ، و جليس لمن جالسني ، و مونس لمن أنس بذكري ، و صاحب لمن صاحبني ، و مختار لمن اختارني ، و مطيع لمن أطاعني ، ما أحببني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلته لنفسي و أحببته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي ، من طلبني بالحق وجدني ، و من طلب غيري لم يجدني ، فارضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها و هلموا إلى كرامتي و مصاحبتي و مجالسني و انسوا بي أو أنسكم و أسارع إلى محبتكم فإنني خلقت طينة أحبائي من طينة إبراهيم خليلي، من موسى كليمي (٢) و محمد صفيي ، إنني خلقت قلوب المشتاقين من نوري و نعمتها بجلالي، و روي عن بعض السلف إن الله عز وجل أوحى إلى بعض الصديقين ان لي عباداً من عبادي يحبونني و أحبهم ويشتاقون إلي و أشتاق إليهم و يذكرونني و أذكروهم و ينظرون إلي و أنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك و إن عدت عنهم مقتك ، قال : يا رب و ما علامتهم ؟ قال عز وجل : يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه و يحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطير إلى أوكارها عند الغروب ، فإذا جنهم الليل و اختلط الظلام و فرشت الفرش و نصبت الأسترة و خلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم و افترشوا لي وجوههم و ناجوني بكلامي و تملقوني بانعامي ، فبين صارخ و باك و متأوه و شك ، و بين قائم و قاعد ، و بين راع و ساجد ، بعيني ما يتحملون من أجلي ، و بسمعي ما يشتمكون من حبي ،

(١) أخرجه أحمد و الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٥٢٤ في دعاء من حديث عبارين

ياسر - رحمه الله - .

(٢) في بعض النسخ [نجي] .

أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، و الثانية لو كانت السماوات والأرض و ما فيهما في موازينهم لاستقلتها لهم ، و الثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحداً ما أريد أن أعطيه ؟

و في أخبار داود عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيْهِ : يا داود إلى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق إليّ قال : يا رب من المشتاقون إليك ؟ قال : إن المشتاقين إليّ الذين صفيتهم من كل كدر و أنبهتهم بالحد و خرقت من قلوبهم إليّ خرقاً ينظرون إليّ ، و إنني لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي ثم أدعون نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا سجدوا لي فأقول : إنني لم أجمعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إليّ و أباهي بكم أهل الشوق إليّ ، و إن قلوبهم لنضي في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض ، يا داود إنني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني و نعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدّثين و جعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض و قطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إليّ يزادون في كل يوم شوقاً ، قال داود : يا رب أرني أهل محبتك ، فقال : يا داود أئت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفساً فيهم شبان و فيهم كهول و فيهم مشايخ فإذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام و قل لهم : إن ربكم يقرئكم السلام و يقول لكم : ألا تسألوني حاجة فإنكم أحبائي و أصفياي و أوليائي ، افرح لفرحكم و أسارع إلى محبتكم فأتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله تعالى و ملكوته فلمّا نظر و إلى داود نهضوا ليتفرّقوا عنه فقال لهم داود : إنني رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه و ألقوا أسماعهم نحو قوله ، و ألقوا أبصارهم إلى الأرض ، فقال داود : إنني رسول الله إليكم وهو يقرئكم السلام و يقول لكم : ألا تسألوني حاجة ألا تادوني فأسمع صوتكم و كلامكم فإنكم أحبائي و أصفياي و أوليائي أفرح لفرحكم و أسارع إلى محبتكم و أنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة ، قال : فجرت الدموع على خدودهم ، فقال شيخهم : سبحانك سبحانك سبحانك و بنوعبيدك و بنوعبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا ، و قال

الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك ، وقال الآخر : سبحانك سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجتره على الدُّعاء ، وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء ، من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق إليك وأتمم بذلك المنة علينا ، وقال الآخر : نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بجودك ، وقال الآخر : ألا من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفنجتره على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدُّنو من نورك ، و قال الآخر : كلت أسمنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك ، وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك ، وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إذما هي النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجتره العبد على سيده فإذا أمرتنا بالدُّعاء بجودك فهب لنا نوراً نهتدي به في الظلمات بين أطباق السماوات ، وقال الآخر : ندعوك أن تقبل علينا وتديمه علينا ، وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا ، وقال الآخر : لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر : أسألك من بينهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة ، وقال الآخر : قد عرفنا أنك تباركت وتعاليت تحب أوليائك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك ، فأوحى الله تعالى إلى داود قل لهم : قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتهم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سرباً فانني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي ، فقال داود : يا ربِّ بهم نالوا منك بهذا ؟ قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي ، وإن هذا منزل لايناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي ، فعند ذلك أعطف عليه فأفرغ نفسه له وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إليّ نظر الناظر بعينه إلى الشيء ، وأرهبه كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي ، إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وإن

عش أرويته وأذقته طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عزفت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لئلا تصدّه عن الاشتغال بي يستعجلني بالقدوم عليّ وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سماواتي تزداد خوفاً وعبادةً ، وعزّي وجلالي يا داود لأقعدته في الفردوس ولأشقين صدره من النظر إليّ حتى يرضى وفوق الرضا .
وفي أخبار داود أيضاً قل لعبادي المتوجهين إليّ بمحبتتي ماضٍ كم إذا احتجبتم عن خلقي إذ رفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إليّ بعيون قلوبكم ، وما ضرّكم ما زويت عنكم من الدنيا إذ بسطت ديني لكم ، وما ضرّكم مسخطة الخلق إذا التمستم رضاي .

وفي أخبار داود إن الله تعالى أوحى إليه : يا داود أنك تزعم أنك تحببني فإن كنت تحببني فأخرج حب الدنيا عن قلبك فإن حببي وحبها لا يجتمعان في قلب ، يا داود خالص محبتي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما استبان لك مما يوافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقاً عليّ أن أتولى سياستك وتقويمك وأكون قائدك و دليلك ، أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد فإنني قد آليت على نفسي ألا أئيب إلا عبداً هرب عن طلبته وإرادته وألقى نفسه بين يدي فإنه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعته الوحشة والذلة عنك وأسكنت الأنس والحلاوة قلبك فإنني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمن عبدي لي إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها. أضف الأشياء إليّ لأنضاد عملك فتكون متعنتاً ولا ينفع بك من يصحبك ولا تحدّ لمعرفتي حدّاً فليس لها نهاية ومتى طلبت منّي الزيادة أعطيك ، ولا تجد لزيادتك منّي حدّاً ، ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبيع لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ضعني بين عينيك وانظر إليّ ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم

عني فامر جوهها و سمحت بانقطاع ثوابي عنها فانني حلفت بعزتي وجلالي لا ابيع ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة و التسوية . تواضع لمن تعلمه و لا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها ، يا داود لأن تخرج مریداً من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيداً و من كتبته جهيداً لا يكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين ، يا داود تمسك بكلامي و خذ من نفسك لنفسك و لا تؤمن منها فتحجب عن محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي أقطع شهوتك لي فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ، ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلوة مناجاتي و إنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب قلوبهم عني فانني لم أرض الدنيا لحبيبي و نزهته عنها ، يا داود لا تجعل بيني و بينك عالماً يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين ، استعن على ترك الشهوات بامان الصوم وإيائك و التجربة في الإفطار فانني يعجبني من الصوم إيمانه ، يا داود تحبب إلي بمعادة نفسك بمنها الشهوات أنظر إليك و ترى الحجب بيني و بينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت به عليك و إنني أخفيه عنك و أنت متمسك بطاعتي . وأوحى الله إلى داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم و رفتي بهم و شوقي إلى ترك معاصيهم لما اتوا شوقاً إلي و تقطعت أوصالهم من محبتي ، يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي ، يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني و أرحم ما أكون بعبي إذا أدبر عني و أجل ما يكون عبي إذا رجع إلي . فهذه الأخبار و نظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة و الشوق والأنس و أمّا تحقيق معناها فينكشف بما سبق .

أقول : و في مباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال : «المشتاق لا يشتهي طعاماً لا يلتذ شراباً ولا يستطيع رقاداً و لا يأنس حميماً ولا يأوي داراً ولا يسكن عمراناً ولا يلبس ليناً ولا يقر قراراً ، و يعبد الله ليلاً و نهاراً راجياً بأن يصل إلى ما يشاق إليه و يناجيه بلسان شوقه معبراً عما في سريره كما أخبر الله عن موسى بن عمران عليه السلام»

في معياد ربّه بقوله : « وعجلت إليك ربّ لترضى »^(١) وفسّر النبي ﷺ عن حاله أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه ، فإذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا ودع المآلوفات و احرم عن سوى مشوّقك ، ولبّ بين حياتك و موتك لبيك اللهم لبيك وأعظم الله تعالى أجرك ، و مثل المشتاق مثل الغريق ليس له همّة إلا خلاصه و قد نسي كلّ شيء دونه^(٢).

﴿ بيان محبة الله عزّ وجلّ للعبد ومعناها ﴾

إعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله عزّ وجلّ يحبّ عبده فلا بدّ من معرفة معناه ولتقدّم الشواهد على محبته و قد قال تعالى : « يحبّهم و يحبّونه »^(٣) وقال : « إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً »^(٤) وقد قال تعالى : « إن الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين »^(٥) ولذلك ردّ سبحانه و تعالى على من ادّعى أنّه حبيب الله فقال : « قل فلم يعذبكم بذنوبكم »^(٦).

و قد روي عن النبي ﷺ أنّه قال : « إذا أحبّ الله عبداً لم يضرّه ذنب ، و التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ثمّ تلا : « إن الله يحبّ التوّابين »^(٧) ومعناه أنّه إذا أحبّه تاب عليه قبل الموت فلم تضرّه الذنوب الماضية و إن كثرت كما لا يضرّ الكفر الماضي بعد الاسلام و قد اشترط الله للمحبة غفران الذنب فقال : « قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم »^(٨).

و قال رسول الله ﷺ : « إن الله يعطي الدنيا من يحبّ و من لا يحبّ ولا يعطي

(١) طه : ٨٦ . (٢) المصدر الباب الثامن والتسعون .

(٣) المائدة : ٥٩ . (٤) الصف : ٤

(٥) البقرة : ٢٢٢ . (٦) المائدة : ٢١ .

(٧) رواه صاحب الفردوس و لم يخرجّه ولده في مسنده كما في المغني و روى

ابن ماجه شطره الثاني من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

(٨) آل عمران : ٢٩ .

الإيمان إلا من يحب» (١).

و قال عليه السلام : من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبّه الله» (٢).

و قال عليه السلام إخباراً عن ربّه « لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به - الحديث » (٣) وقال زيد بن أسلم : إنّ الله ليحبّ العبد حتّى يبلغ من حبّه له أن يقول : إعمل ما شئت فقد غفرت لك ، وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا أنّ محبة العبد لله عزّ وجلّ حقيقة وليست بمجاز إذ المحبة في وضع اللسان عبادة عن الميل إلى الشيء ، الموافق والعشق عبارة عن الميل المفرط الغالب ، وقد بيّنا أنّ الإحسان موافق للنفس و الجمال موافق أيضاً وإنّ الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة ، و الحبّ يتبع كلّ واحد منهما فلا يختصّ بالبصر ، فأما حبّ الله تعالى للعبد فلا تدرّك حقيقته بعقولنا وأفهامنا أصلاً فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً ، بل الأسمي كلّها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق بمعنى واحد عليهما أصلاً حتّى أنّ اسم الوجود الذي هو أعمّ الأسماء اشتراكاً لا يشمل الخالق و الخلق على وجه واحد بل كلّ ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله فالوجود التابع لا يكون مساوياً للوجود المتبوع ، وإنّما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم إذ معنى الجسم و حقيقته متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلاً ، فليست الجسميّة لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله عزّ وجلّ ولا لخلقته وهذا التباعد في سائر الأسمي أظهر كالعلم والإرادة والقدرة وغيرها فكلّ ذلك لا يشبه فيه الخلق الخالق فإنّ الخالق في ذاته وفي جميع صفاته منزّه مقدّس عن مشابهة مخلوق ما من ذرّة العرش إلى منتهى الفرش ، و واضح اللّغة

(١) أخرجه العاظم في المستدرک ج ١ ص ٣٣ و ج ٤ ص ١٦٥ وقد تقدم .

(٢) أخرجه ابن ماجه وقد تقدم .

(٣) تقدم كرراً عن الكافي والبخارى ومسلم وغيرهم .

إنما وضع هذه الأسماء أو^١لاً للخلق فإنَّ الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق وكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوُّز والنقل ، والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها ويستفيد بنيله كما لا فتستلذُّ بنيله وهذا محال على الله عزَّ وجلَّ ، فإنَّ كلَّ كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن من الإلهية فهو حاضرٌ وحاصلٌ وواجب الحصول أبداً وأزلاً ولا يتصور تجدُّده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظرٌ من حيث أنه غيره بل نظره إلى ذاته وإلى أفعاله فقطً وليس في الوجود إلا ذاته و أفعاله ، ولذلك قال شيخ أبو سعيد الميهني - رحمه الله - لما قرى عليه قوله تعالى : «يحبهم و يحبونه» فقال: بحقَّ يحبهم فإنَّه ليس يحبُّ إلا نفسه على معنى أنه الكلُّ وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحبُّ إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلِّقة بذاته ، فهو إذن لا يحبُّ إلا نفسه وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مأوَّل فيرجع معناها إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل وإلى تطهير باطنه من حلول الغير به وإلى تفرُّغه وتخليته عن علائق وعوائق تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع إلا بالحقِّ ومن الحقِّ ولا يبصر إلا به ولا ينطق إلا به كما قال ﷺ حكاية عن ربه سبحانه «لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبته فاذا أحببته كنت سمعه - الحديث » فحبه لمن أحبَّه أذلُّ مهما أضيف إليه الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق القرب إذا أضيف إلى فعله الذي ينكشف به الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المتقضي له كما قال تعالى : « لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبته » فيكون تقربُه به بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكلُّ ذلك فضل الله عزَّ وجلَّ ولطفه به فهو معنى محبته ولا يفهم هذا إلا بمثال ، وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كلِّ وقت في حضوره بساطه لميل الملك إليه إما لينتصر بقوته أو لتستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه

أو ليهيَّء له أسباب شرا به وطعامه فيقال : إن الملك يحبّه ويكون معناه ميله إليهما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبداً ولا يمنعه من الدخول عليه لالانتفاع به والالاستنجا دبه بل لكون العبد في نفسه موصوفاً بالأخلاق الرضيّة والخصال الحميدة وما يليق به أن يكون قريباً من حضرة الملك وافر الحظّ من قر به منه أن الملك لاغرض له فيه أصلاً فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبّه ، وإذا اكتسب من الخصال المحمودّة ما اقتضى دفع الحجاب يقال قد توصّل إليه وحبّب نفسه إلى الملك فحبّ الله للعبد إنّما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأوّل وإنّما يصحّ تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهم عبد دخول تغيير عليه عند تجدّد القرب فإنّ الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلّق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهيّة فهو قريب بالصفة لا بالمكان ، ومن لم يكن قريباً فصار قريباً فقد تغيير فرما يظنّ بهذا أن القرب لما تجدّد فقد تغيير وصف العبد والرّبّ جميعاً إذ صار قريباً بعد أن لم يكن وهو محالٌ في حقّ الله إذ التغيير عليه محالٌ بل لا يزال في نعوت الكمال والجمال على ما كان عليه في أزل الآزال، ولا ينكشف هذا إلا بمثال في القرب بين الأشخاص فإنّ الشّخصين قد يتقاربان بتحرّكهما جميعاً وقد يكون أحدهما ثابتاً فمتحرّك الآخر فيحصل القرب بتغيير في أحدهما من غير تغيير في الآخر بل القرب في الصفات أيضاً كذلك فإنّ التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرّك بالنزول إلى درجة تلميذه والتلميذ متحرّك مترقٍ من حضيض الجهل إلى يفاع العلم فلا يزال دائماً في التغيير والترقيّ إلى أن يقرب من أستاذه والأساد ثابت غير متغيّر فكذلك ينبغي أن يفهم ترقيّ العبد في درجات القرب فكلمة صاراً كمل صفة وأتمّ علماً وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوّة في قهر الشياطين وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرّذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كلّ واحد من الله تعالى بقدر كماله ، نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حقّ الله تعالى محالٌ فإنّه لانهاية لكمال وسلوك العبد في درجات

الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حدٍّ محدود فلا مطمع له في المساواة ثمّ درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لا نهاية له أصلاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فإذن محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه ، و تطهير باطنه من كدورات الدنيا ، ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه ، وأمّا محبة العبد لله تعالى فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشاق إلى مافاتهِ وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به ، والشوق والمحبة بهذا المعنى مجال على الله تعالى .

فإن قلت: فمحبة الله تعالى للعبد أمرٌ ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله فأقول: يستدلُّ عليه بعلاماته وقد قال ﷺ: «إذا أحبَّ الله تعالى عبداً ابتلاه فإن أحبَّه الحبُّ البالغ اقتناه ، قيل : وما اقتناؤه ؟ قال : لم يترك له مالاً ولا أهلاً» (١) فعلمة محبة الله تعالى للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره ، وقيل لعيسى ﷺ: ألا تستشري حماراً فتركه ؟ فقال : أنا أعزُّ على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار ، وفي الخبر « إذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه » (٢) وقال بعض العلماء: إذا رأيتك تحبّه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك ، وقال بعض المريدين لأستاذه : قد طولعت بشيء من المحبة فقال : يا بني هل ابتلاك بمحسوبٍ سواه فأثرت عليه إياه ؟ قال : لا قال : فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه ، وقال ﷺ: «إذا أحبَّ الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه» (٣) . وقال : «إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه» (٤) وأخصُّ علاماته حبُّه الله فإن ذلك يدلُّ على حبِّ الله عزَّ وجلَّ له ، وأمّا الفعل الدالُّ على كونه محبوباً فهو أن يتولَّى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سرّه وجهره ، فيكون هو المشير عليه ، والمدبّر

(١) تقدم عن الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني .

(٢) ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يخبره ولده في مسنده .

(٣) ذكره صاحب الفردوس من حديث أم سلمة بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٤) رواه البيهقي في الشعب من حديث أنس عن محمد بن كعب مرسل .

لأمره، والمزِين لأخلاقه، والمستعمل لجوارحه والمسدّد لظاهره وباطنه، والجاعل لهوممه همماً واحداً، والمبغض للدنيا في قلبه، والموحش له من غيره، والمونس له بلدة المناجاة في خلواته، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته، فهذا وأمثاله هي علامة حبّ الله تعالى للعبد، ولنذكر الآن علامة محبة الله تعالى فإنها أيضاً علامة حبّ الله عزّ وجلّ للعبد.

❖ (القول في علامات محبة العبد لله عزّ وجلّ) ❖

إعلم أن المحبة يدعيها كلُّ أحد وما أسهل الدّعوى وما أعزّ المعنى فلا ينبغي أن يغترّ الإنسان بتلبيس الشيطان و خدع النفس مهما ادّعت محبة الله عزّ وجلّ ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء و ثمارها تظهر على القلب واللّسان والجوارح وتدلّ تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار، فهي كثيرة فمنها حبّ لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، ولا يتصور أن يحبّ القلب محبوباً إلّا ويحبّ مشاهدته ولقائه، وإذ علم أنه لا وصول إلّا بالارتحال من الدنيا بالموت فينبغي أن يكون محبباً للموت غير فارّ منه، فإنّ المحبّ لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقرّ محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللّقاء و باب الدخول إلى المشاهدة، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: « من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه » (١).

فان قلت : فمن لا يحبّ الموت فهل يتصور أن يكون محبباً لله، فأقول : كراهة الموت قد تكون لحبّ الدنيا والتأسّف على فراق الأهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حبّ الله تعالى لأنّ الحبّ الكامل هو الذي يستغرق كلّ القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حبّ الأهل والولد شائبة من حبّ الله تعالى ضئيلة فإنّ الناس متفاوتون في الحبّ فمنهم من لا يحبّ الله بكلّ قلبه فيحبّه و يحبّ غيره

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة راجع صحيح البخارى ج ٨ ص ١٣٢.

أيضاً فلا جرم يكون فرحه بقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه و عذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .

و أما السبب الثاني للكراهة فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة فليس يكره الموت و إنما يكره عجلته قبل أن يستعدّ للقاء الله فذلك لا يدلُّ على ضعف الحبِّ و هو كالمحبِّ الذي وصل إليه الخبر بقدوم حبيبه عليه فأحبُّ أن يتأخّر قدومه ساعة لعمارة داره و تهيئة أسبابها فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحبِّ أصلاً و علامته الحدُّ في العمل و استغراق الهمِّ في الاستعداد .

ومنها أن يكون مؤثراً ما أحبه الله عزُّ و جلُّ على ما يحبه في ظاهره و باطنه فيجتنب اتباع الشهوات و يعرض عن دعة الكسل فلا يزال مواظباً على طاعة الله تعالى و متقرِّباً إليه بالنوافل و طالباً عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحبُّ مزيد القرب في قلب محبوبه و قد وصف الله تعالى المحبِّين بالإيثار فقال : « يحبُّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم » (١) و من بقي مستمرّاً على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحبُّ هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل :

أريد وصاله و يريد هجري ☆ فأترك ما أريد لما يريد

بل الحبُّ إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب ، فإن من أحبُّ الله لا يعصيه ، ولذلك قال ابن المبارك فيه :

تعصي الإله و أنت تظهر حبه ☆ هذا لعمرى في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ☆ إن المحبُّ لمن يحبُّ مطيع

وقيل :

و أترك ما أهوى لما قد هويته ☆ و أرضى بما ترضى و إن سخطت نفسي

و قال سهل : علامة المحبِّ إثارة من أحبه على نفسه ، وليس كلُّ من عمل

بطاعة الله صار حبيباً وإنّما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال: لأنّ محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى: «يحبّهم ويحبّونه»^(١) وإذا أحبّه الله تعالى تولّاه ونصره على أعدائه وإنّما عدوّه نفسه وشهواته فلا يخذله الله تعالى ولا يكله إلى نفسه وهواه وشهواته ولذلك قال تعالى: «والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً»^(٢)

فان قلت: فالعصيان هل يصادُ أصل المحبّة؟ فأقول: لا إنّما يصادُ كما لها ولا يصادُ أصلها فكم من إنسان يحبُّ نفسه وهو مريضٌ وهو يحبُّ الصحةً فيأكل ما يضرُّه مع العلم بأنّه يضرُّه وذلك لا يدلُّ على عدم حبّه لنفسه ولكنّ المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحقّ المحبّة، ويدلُّ عليه ما روي أنّ نعيمان الأنصاري كان يؤتى به رسول الله ﷺ في كلِّ قليل فيحدّه في معصية يرتكبها إلى أن أتى به يوماً فحدّه فلغنه رجلٌ وقال: ما أكره ما يؤتى به رسول الله ﷺ فقال: **عَلَيْكَ بِمَا تَكُونُ** «لا تلغنه فإنّه يحبُّ الله ورسوله»^(٣) فلم يخرج به بالمعصية عن المحبّة، نعم تخرجه المعصية عن كمال الحبِّ، وقد قال بعض العلماء: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحبُّ الله تعالى حبّاً متوسّطاً، وإذا دخل سويداء القلب أحبُّ الله الحبُّ البالغ وترك المعاصي، وبالجملة في دعوى المحبّة خطر ولذلك قال الفضيل: إذا قيل لك أتحبُّ الله فاسكت فإنّك إن قلت: لا، كفرت، وإن قلت: نعم وليس وصفك وصف المحبّين فاحذر المقت، ولقد قال بعض العلماء: ليس في الجنّة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبّة، ولا في جهنّم عذاب أشدّ من عذاب من ادّعى المعرفة والمحبّة ولم يتحقّق بشيء من ذلك.

ومنها أن يكون مستهتراً بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحبّ شيئاً أكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلّق به، فعلامة حبّ الله تعالى حبُّ ذكره، وحبُّ القرآن الذي هو كلامه، وحبُّ رسوله ﷺ، وحبُّ كلِّ من

(١) المائدة: ٥٧ . (٢) النساء: ٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٩٧ وكان اسم الرجل عبدالله وكان يلقب حماداً .

ينسب إليه ، فإن من يحب إنساناً يحب كلب حبيبه ، فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه ، وذلك ليس شركة في الحب فإن من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله ، وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هودليل على كمال حبه ، و من غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين ، وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الأخوة والصحة ولذلك قال الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (١) وقال النبي ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى » (٢) وقيل : من أحب من يحب الله فإنما أحب الله عز وجل ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله عز وجل .

ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هذه الليل و صفاء الوقت بانقطاع العوائق ، وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب و التنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألدّ عنده وأطيب من مناجاة الله عز وجل كيف تصحّ محبته ، ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشاً من الله ساقطاً عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى ﷺ إن الله عز وجل قال لموسى : إن برخاً نعم العبد هولي إلا أن فيه عيباً ، قال : يا رب وما عيبه ؟ قال : يعجبه نسيم الأسفار فيسكن إليه و من أحبني لا يسكن إلى شيء .

وروي أن عبداً عبد الله في غيضة (٣) دهر أطويلاً فنظريوماً إلى طائر وقد عشش في شجرة يأوي إليها ويصفر عندها فقال : لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت أنس بصوت هذا الطائر ، ففعل فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه قل لفلان العابد : استأنست بمخلوق لأحطمتك عن درجة لا تنالها بشيء ، من عمك أبدأ . فعلامة المحبة

(١) آل عمران : ٣٠ .

(٢) تقدم في باب شواهد الشرع في باب حب العبد لله تعالى .

(٣) الغيضة : الاجمة مجتمع الشجر في مغيض الماء .

كمال الأُنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاء من كل ما ينغص عليه الخلوة و يعوق عن لذّة المناجاة .

و علامة الأُنس بالله أن يصير العقل والفهم كلّهُ مستغرقاً بلذّة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه و يناجيه ، و قد انتهت هذه اللذّة ببعضهم حتّى أنّه كان في صلاته و وقع الحريق في داره فلم يشعر به ، و قطعت رجل بعضهم بسبب علّة أصابته و هوني الصلاة فلم يشعر به ، و مهما غلب الحبّ و الأُنس صارت الخلوة و المناجاة قرّة عينه تدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الأُنس و الحبّ قلبه حتّى لا يفهم أمور الدنيا لما لم تكررّ رعى سمعه مراراً مثل العاشق الولهان فإنّه يكلم الناس بلسانه و أنسه في الباطن بذكر حبيبه و المحبّ من لا يطمئنّ إلاّ إلى محبوبه و أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبّتي إذا جنّه الليل نام عنيّ أليس كلّ محبوب يحبّ لقاء حبيبه ؟ فما أنا ذا موجود لمن طلبني . وقال موسى عليه السلام : يا ربّ أين أنت فأقصدك ؟ فقال : إذا قصدتني فقد وصلت .

ومنها أن لا يتأسّف على ما يفوته ممّا سوى الله و يعظم تأسّفه على فوت كلّ ساعة خلت عن ذكر الله و طاعته فيكون رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف و الاستعاب و الاستغفار و التوبة إليه قال بعض العارفين : إنّ الله عزّ و جلّ عبداً أحبّوه و اطمانوا إليه فذهب عنهم التأسّف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم إذ كان قلبهم شاكراً راضياً ، و ملك مليكهم تامّاً ، و ما شاء كان ، فما كان لهم فهو واصل إليهم و ما فاتهم فلحسن تدبيره لهم ، و حقّ المحبّ إذا رجع من غفلته في لحظته أن يقبل على محبوبه و يشتغل بالعتاب و يسأله و يقول : يا ربّ بأيّ ذنب قطعت برّك عنيّ و أبعدتني عن حضرتك و شغلتنني بنفسي و بمتابعتي الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر و رقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة و تكون هفوته سبباً لتجدد ذكره و صفاء قلبه و مهما لم ير المحبّ إلاّ المحبوب و لم ير شيئاً إلاّ منه لم يتأسّف و لم يشك و استقبل الكلّ بالرّضا و علم أن المحبوب لم يقدر له إلاّ ما فيه خيرته و يذكر قوله تعالى : « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » (١) و منها أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها و يسقط

منه تعبها وكل هذا مثاله موجود في المشاهدات فإن العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وإن كان شاقاً على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله عز وجل فإن كل حب صار غالباً قهراً لِمَحَالَةٍ ما دونه فمن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته ومن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه . وقيل لبعض المحبّين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء : ما كان سبب حالك هذه في المحبة ؟ فقال : سمعت يوماً محباً ظفر بمحبوبه وهو يقول له : أنا والله أحب بك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله ، فقال له المحبوب : إن كنت تحبني فأيش تنفقه علي ؟ فقال : يا سيدي أملكك ما أملك ، ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك ، فقلت : هذا حب خلق لخلق و عبد لعبد فكيف بعد لمعبود ، فكل هذا بسببه .

ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله ، رحيماً بهم ، شديداً على جميع أعداء الله و على كل من يقارف شيئاً ممّا يكرهه الله عز وجل كما قال الله تعالى : **وَأَشَدُّ** على الكفار رحماً بينهم^(١) ولاتأخذه في الله لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف ، و به وصف الله تعالى أوليائه إذ قال في بعض الكتب : الذين يكلّفون بحبّي كما يكلّف الصبي بالشئ ، و يأوون إلى ذكري كما يأوي النسر إلى وكره و يغضبون لمحارمي كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أم كثروا ، فانظر إلى هذا المثال فإن الصبي إذ اكلف بالشئ لم يفارقه أصلاً فإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فإذا نام أخذه معه في ثيابه فإذا اتبّه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده فرح وضحك ومن نازعه فيه أبغضه معه ومن أعطاه أحبه ، وأمّا النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أن يهلك نفسه ، فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه وصفا في الآخرة شرابه و عذب مشربه ومن امتزج بحبه

حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه، إذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقرَّبين كما قال تعالى في حق الأبرار: «إن الأبرار لفي نعيم» على الأرائك ينظرون في جوههم نصرة النعيم في يسقون من رحيق مختوم في ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون في مزاجه من تسنيم في عينا يشرب بها المقرَّبون»^(١) وإنما طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الصرف الذي هو للمقرَّبين، و الشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما أن الكتاب عبَّر به عن جميع الأعمال فقال: «إن كتاب الأبرار لفي عليين»^(٢) ثم قال: «يشهده المقرَّبون»^(٣) فكانت أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقرَّبون، وكما أن الأبرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفهم بقرَّبهم من المقرَّبين ومشاهدتهم لهم كذلك يكون حالهم في الآخرة «ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة»^(٤) و«كما بدأنا أول خلق نعيده»^(٥) وقال: «جزاء وفاقاً»^(٦) أي وافق الجزاء أعمالهم فقبول الخالص بالصرف من الشراب و قبول المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» و من يعمل مثقال ذرة شراً يره»^(٧) و «إن الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم»^(٨) و «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها»^(٩) «إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»^(١٠) فمن كان حبه في الدنيا رجاؤه لنعيم الجنة والحدور والقصور يمكن في الجنة ليتبوّء منها حيث يشاء فيكون مع الولدان ويتمتع بالنسوان و من كان مقصده رب الأرباب ومالك الملك ولم يغلب عليه الأجابة فالأخلاص والصدق ينزلانه في مقعد صدق عند ملك مقتدر، فالأبرار يرتعون في البستان ويتنعمون في الجنان مع الحدور والولدان و

(١) المطففين : ٢٢ - الى - ٢٩ . (٢) المطففين : ١٨ .

(٣) المطففين : ٢١ : (٤) لقمان ٢٨ .

(٥) الانبياء : ١٠٤ . (٦) النبأ : ٢٦ .

(٧) الزلزال : ٨٧ : (٨) الرعد : ١٢ .

(٩) النساء : ٤٢ . (١٠) الانبياء : ٤٨ .

المقرَّبون يلازمون الحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة أقوام آخرون و لذلك قال ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله»^(١) وعليّون لذوي الأبواب ولما قصرت الألفهام عن إدراك معنى عليّين عظم أمره فقال: «وما أدريك ما عليّون»^(٢) كما قال: «القارعة» ما القارعة و ما أدريك ما القارعة»^(٣).

و منها أن يكون في حبه خائفاً متضائلاً تحت الهيبة والتعظيم و قديظناً أن الخوف يصاد الحب و ليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب و لخصوص المحبّين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم و بعض مخاوفهم أشدّ من بعض فأولها خوف الإعراض و أشدّ منه خوف الحجاب و أشدّ منه خوف الإبعاد وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيّد المحبّين إذ سمع قوله: «الأبعاد عاد قوم هود»^(٤)، «الأبعاد لثمود»^(٥) «الأبعاد لمدين كما بعدت ثمود»^(٦) و إنّما تعظيم هيبة البعد و خوفه في قلب من ألف الحب و التقرب و ذاقه و تنعم به فحديث البعد في حقّ المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب و لا يحنّ إلى القرب من ألف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف و سلب المزيد فإنّنا قدّمنا أن درجات القرب لا نهاية لها و حقّ العبد أن يجتهد في كلّ نفس حتّى يزداد فيه قرباً ، و لذلك قال ﷺ: «من استوى يوماء فهو مغبون» و من كان يومه شراً من أمسّه فهو ملعون»^(٧) و كذلك قال ﷺ: «إنّه ليغان على قلبي و إنّي لاستغفر الله في اليوم و الليلة سبعين مرّة»^(٨) و إنّما كان استغفاره من القدم الأولى فإنّها كانت بُعداً بالإضافة إلى القدم الثانية و يكون

(١) تقدم مراراً .

(٢) المطففين : ١٩ . (٣) القارعة ٢٠١ و ٣ .

(٤) و (٥) و (٦) السورة : ٦٣ و ٧١ و ٩٧ .

(٧) رواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٢٤٢ من حديث الصادق عليه السلام .

(٨) تقدم كراراً من حديث الاغر .

ذلك عقوبة لهم على العثور في الطريق و الالتفات إلى غير المحبوب كما روي في بعض الكتب « إن الله يقول : إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوة الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي»^(١) فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم ، وأما بخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدُّعوى والعجب والرُّكون إلى ما ظهر من مبادي اللّطف ، وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذووا الأقدام الرّاسخة في العلم ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته ثم خوف السلو عنه فإنّ المحبّ يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلّى إلا بلطف جديد فإنّ تسلّى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعه والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحبّ عليه من حيث لا يشعر فإنّ هذه التقلّبات في القلب لها أسباب خفيّة سماوية ليس في قوّة البشر الاطلاع عليها وإذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرّجاء و يفترّ بحسن الظنّ وبغلبة الغفلة و الهوى و النسيان وكلّ ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكور و الثبات ، و كما أنّ من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحبّ و هي أوصاف اللّطف و الرّحمة والحكمة فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبريّة والعزّة والاستغناء ، وذلك من مقدّمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حبّ غيره ، وذلك هو الملقّ والسلو عنه مقدّمه هذا المقام و الاعراض و الحجاب مقدّمه السلو وضيق الصدر بالبرّ وانقباضه عن دوام الذكر و ملالته لوظائف الأوراد أسباب هذه المعاني و مقدّمات فظهور هذه الأسباب دليل على النقل من مقام الحبّ إلى مقام الملقّ ، نعوز بالله منه ، و ملازمة الخوف لهذه الأمور و شدّة الحذر منه بصفاء المراقبة دليل صدق الحبّ فإنّ من أحبّ شيئاً خاف لاحالة فقدّه ، فلا يخلو المحبّ عن خوف إذا كان المحبوب ممّا يمكن فواته ، و قد قال بعض العارفين : من عبد الله بمحض المحبّة من غير خوف هلك بالبسط و الإدلال و من عبده من طريق الخوف من غير محبّة انقطع عنه بالبعد و

(١) تقدم في المجلد الاول ص ١٣١ عن كتاب العمل للصدوق رحمه الله

لاستبحاش و من عبده من طريق المحبة و الخوف أحبه الله فقرّ به و مكّنه و علّمه المحبّ لا يخلو من خوف و الخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة غنى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة و يعدّ من المحبّين و كان شوب الخوف يسكن قليلاً من سكر الحبّ فلو غلب الحبّ و استولت المعرفة تثبت لها طاقة البشر فأنما الخوف يعدله و يخفّف و وقع على القلب ، و أمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشارك الناس فيها و لا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي عمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلّهم الحلال أربعين يوماً لخربت الدنيا لزهدهم فيها و بطلت الأسواق و المعاش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم و لو قفت الألسنة و الأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن الله فيما هو سرّ في الظاهر أسرار و حكم كما أن له في الخير أسراراً و حكماً و لا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرتة .

و منها كتمان الحبّ و اجتناب الدّعوى و التوقّي من إظهار الوجد و المحبة عظيماً للمحبوب و إجلالاً له و هيبه منه و غيره على سرّه فإنّ الحبّ سرّ من أسرار الحبيب . و لأنّه قد يدخل في الدّعوى ما يتجاوز حدّ المعنى و يزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء و تعظم العقوبة عليه في العقبي و يتعجّل عليه البلوي في الدنيا . ثم قد يكون للمحبّ سكرة في حبه حتّى يدهش فيها و تضطرب أحواله فيظهر عليه حبه فإن وقع ذلك من غير تمحلّ أو اكتساب فهو معذور لأنّه مقهور و ربما تشتعل من الحبّ نيرانه ، فلا يطاق سلطانه و قد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه .

فإن قلت : المحبة منتهى المقامات و إظهارها إظهار للخير فلما ذابستنكر؟ فأعلم أنّ المحبة محمودة و إظهارها أيضاً محمود وإنّما المذموم النظار به لما يدخل فيها من الدّعوى و الاستكبار ، و حقّ المحبّ أن يتمّ على حبه الخفي أحواله دون أقواله و أفعاله فإن ظهر فينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحبّ و لا إلى إظهار الفعل الدّالّ على الحبّ بل ينبغي أن يكون قصد المحبّ اطلاع الحبيب

فقط فأما إرادته اطمئنان غيره فشارك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل: إذ تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك ، فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية ، و إذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب القلب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه ، مما يكره التظاهر بالحب بسببه أن المحب إن كان عارفاً و عرف أحوال الملائكة في حبهم الدائم و شوقهم اللزوم الذي به « يسبحون الليل و النهار ولا يقترنون ولا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » لاستنكف من نفسه و من إظهار حبه و علم قطعاً أنه أحسن المحبين في مملكته و إن حبه أنقص من حب كل محب لله فهذه مجامع علامات الحب و ثمراته .

و منها الأنس و الرضا كما سيأتي ، و بالجملة جميع محاسن الدين و مكارم الأخلاق ثمرة الحب و ما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى و هو من رذائل الأخلاق ، نعم قد يحب الله لا حسانه إليه و قد يحبه لجلاله و جماله و إن لم يحسن إليه و المحبون لا يخرجون عن هذين القسمين و لذلك قال الجنيد : الناس في حبة الله عام و خاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه و كثرة نعمه فلم ينمالكوا أن أحبوه إلا أنه تقل محبتهم و تكثر على قدر النعم و الإحسان ، و أما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر و القدرة و العلم و الحكمة و التفرّد بالملك ، فلما عرفوا صفاته الكلمة و أسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم بذلك المحبة لأنه أهل لها ، ولو أزال عنهم جميع النعم ، نعم من الناس من يحب هواه و عدو الله إبليس و هو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور و الجهل و يظن أنه محب لله و هو الذي لا يجد من نفسه هذه العلامات أو يلبس بها نقاقاً و رثاء و سمعة ، و غرضه عاجل حظ الدنيا و هو يظهر من نفسه خلافه كعلماء السوء و قراء السوء أولئك بغضا لله في أرضه ، و قد قال أبو التراب النخشي في علامات المحب أبياتاً :

لا تخدعن فللمحب دلائل ☆ و لديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ☆ و سروره في كل ما هو فاعل

- فالمنع منه عطية مبدولة ☆ و الفقر إكرام و برٌ عاجل
 و من الدلائل أن يرى من عزمه ☆ طوع الحبيب و إن ألح العاذل
 و من الدلائل أن يرى متبسماً ☆ و القلب فيه من الحبيب بلا بل
 و من الدلائل أن يرى متفهماً ☆ لكلام من يحظي لديه السائل
 و من الدلائل أن يرى متقشفاً ☆ متحفظاً من كل ما هو قائل

أقول: و مما يضح أن يجعل دليلاً ما نقله أبو حامد عن بعضهم في جملة ما تركناه في أواخر هذا الكتاب في معنى المحبة: أنها محو الإرادات و احتراق الصفات و الحاجات . و نقل من آخر: أن المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن إدراكه و تمنع الألسن عن عبارته فإن من يجد في قلبه ذلك لله فهو محب له .

(بيان معنى الانس بالله عز و جل)

قد ذكرنا أن الأنس و الخوف و الشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره و ما يغلب عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال و استشعر قصوره عن الإطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب و انزعج له و هاج إليه فسميت هذه الحالة في الانزعاج شوقاً وهو بالإضافة إلى أمر غائب و إذا غلب عليه الفرح بالقرب و مشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف و كان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدر كه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً و إن كان نظره إلى صفات العز و الاستغناء و عدم المبالاة و خطر إمكان الزوال و البعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً ، وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات و الملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها ، فالأنس معناه استبشار القلب و فرحه بمطالعة الجمال حتى أنه إذا غلب و تجرد عن ملاحظة ما غاب عنه و ما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه و لذته ، و من هنا نظر بعضهم حيث قيل له : أنت مشتاق فقال : لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضراً فإلى من يشاق ؟ و هذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألفاف ، و من

غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته إلا في الانفراد و الخلوة ، و ذلك لأن الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله تعالى ، بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب كما روي أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرأ لا يسمع كلام أحد من الخلق إلا أخذه الغشيان لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب و عذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه . وقال الله تعالى لداود عليه السلام : كن بي مستأنساً ومن سواي مستوحشاً . و قال عبدالواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له : ياراهب لقد أعجبتك الوحدة فقال : يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لا ستوحشت إليها من نفسك، الوحدة رأس العبادة ، قلت : ياراهب ما أقل ما تجد في الخلوة ؟ قال : الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم ، قلت : ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله عز وجل ؟ قال : إذا صفا الود وخلصت المعاملة ، قلت : ومتى يصفو الود ؟ قال : إذا اجتمعت الهموم فصارت همأ واحداً في الطاعة . وقال بعض الحكماء ، عجباً للخلائق كيف أرادوا لك بدلاً ، عجباً للقلوب كيف استأنست بسواك عنك .

فان قلت : فما علامة الانس بالله ؟ فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر عن معاشرة الخلق والتبرؤ بهم واستهتاره بعذوبة الذكرفان خالط فهو كمنقر في جماعة ومجتمع في خلوة و غريب في حضر وحاضر في سفر و شاهد في غيبة و غائب في حضور و مخالط بالبدن منقر بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر ، قال علي عليه السلام في وصفهم : « هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين و استلنا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه و الدعاة إلى دينه » (١) فهذا معنى الانس بالله و هذه علامته و هذه شواهدة ، و قد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الانس و الحب و الشوق لظنه أن ذلك يدل على التشبيه و جهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل لذة من جمال المبصرات و لذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ، حتى أنكروا

(١) اورده الشريف الرضى في النهج قسم الحكم و المواعظ تحت رقم ١٤٧ .

بعضهم مقام الرضا وقال : ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع قائله من مقامات الدين إلا على القشور و ظن أنه لا وجود إلا للقشر ، فإن المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين قشر مجرد ووراء اللب المطلوب ، فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحال عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عنده غير مقبول ، وقد قيل :

الأنس بالله لا يحويه بطال ☆ وليس يدرکه بالحول محتمل
والآنسون رجال كلهم نجب ☆ وكلهم صفوة لله عمال

﴿بيان معنى الانبساط و الادلال الذي تفره غلبة الأنس﴾

إعلم أن الأنس إذا دام و غلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ، ولم ينغصه خوف البعد و الحجاب فإنه يثمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة طافيه من الجرأة و قلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس و من لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل و الكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين ، وخرج موسى ليستسقى لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه : كيف أستجيب لهم و قد أظلمت عليهم ذنوبهم ، سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ، ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف ، فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله ، بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه ، فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه فقال : ما اسمك ؟ قال : اسمي برخ ، قال : فأنت طلبتنا منذ حين أخرج فاستسقى لنا ، فخرج فقال في كلامه : « ما هذا من فعالك ، ولا هذا من حلمك ، و ما الذي بدالك أتعصت عليك غيومك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نقد ما عندك أم اشتد

غضبك على المذنبين ألسنت كنت غفاراً قبل خلق الخطائين خلقت الرِّحمة وأمرت بالعطف أم تريناً أنك ممتنع أم تخشى القوت فتعجل بالعقوبة ؟ قال : فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر و أنبت الله عزّ وجلّ العشب في نصف يوم حتى بلغ الرُّكْب قال : فرجع برخ فاستقبله موسى فقال : كيف رأيت حين خاصمت ربّي كيف أنصفتني فهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ به فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن برخاً يضحكني كلّ يوم ثلاث مرّات .

و عن الحسن قال : احترقت أخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خصّ لم يحترق وأبو موسى الأشعريّ يومئذ أمير البصرة فأخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخصّ فأتي بشيخ فقال : يا شيخ ما بال خصّك لم يحترق فقال : إنّي أقسمت على ربّي ألا يحرقه ، فقال أبو موسى : إنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول : « يكون في أمّتي قوم شئنة رؤوسهم ، دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرههم » (١) .

وقيل : وقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبدة الخوَّاص فجعل يتخطّى النار فقال له أمير البصرة : انظر لا تحترق بالنار فقال : إنّي أقسمت على ربّي ألا يحرقني بالنار ، قال : فاعزم عليه أن تطفئ ، قال : فعزم عليه فطفئت .

و كان أبو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقيّ مدهوش فقال له أبو حفص : ما أصابك ؟ فقال : ضلّ حماري ولا أمملك غيره ، قال : فوقف أبو حفص وقال : وعزّك لأخطو خطوة ما لم تردّ عليه حماره ، قال : فظهر الحمار في الوقت ومرّ أبو حفص . فهذا وأمثاله يجري لذوي الأُنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم .

قال الجنيد : أهل الأُنس يقولون في كلامهم و مناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامّة و قال مرّة لو سمعها العوامّ لكفروهم وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم و يليق بهم وإليه أشار القائل :

قومٌ يخالجهم زهوٌ لسيدهم ☆ والعبد يزهو على مقدار مولاة

تاهو برؤيته عما سواه له ☆ يا حسن رؤيتهم في عزّ ما تاهو

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء و فيه انقطاع وجهالة كما في المغنى .

وقال الشبلي :

إن المحبة للرحمن أسكرني ☆ وهدرأيت محباً غير سكران

ولاستبعدن رضاه عن العبد بما يعضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت لها وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولي البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها بعين الاعتبار وإنما هي عند ذوي الأغترار من الأسرار فأول القصص قصة آدم عليه السلام وإبليس أما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتناء والعصمة أمّا إبليس فأبلس عن رحمة الله وقيل : إنه من المبعدين ، و أمّا آدم فقيل فيه « وعصى آدم ربه فغوى » ثم اجتنبه ربه فتاب عليه وهدى» (١) ولذلك الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام : « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء » (٢) وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له : « اذهب إلى فرعون إنه طغى » (٣) فقال : « و لهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون » (٤) وقوله : « و يضيق صدري » (٥) وقوله : « إننا نخاف أن يقرط علينا أو أن يطغى » (٦) وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأنّ الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث فنودي عليه إلى يوم المحشر « لولا أن تداركه نعمه من ربه لنبد بالعراء وهو مذموم » (٧) ونهى نبينا عليه السلام أن يقتدي به فقال له : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم » (٨).

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » (٩) وقال : « منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » (١٠) وكان

(١) طه : ١٢٠ و ١٢١ .

(٢) طه : ٢٥ .

(٣) طه : ٤٦ .

(٤) الإسراء : ٥٧ .

(٥) الاعراف : ١٥٤ .

(٦) الشعراء : ١٣ و ١٢ .

(٧) والقلم : ٤٩ و ٤٨ .

(٨) البقرة : ٢٥٤ .

عيسى عليه السلام من المفضلين ولا دلالة سلّم على نفسه فقال : « و السلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » (١) وهذا انبساط منه لما شاهد منه من اللطف في مقام الأنس ، وأمّا يحيى بن زكريّا فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتّى سلّم عليه خالقه فقال : « وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » (٢) وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض العلماء : قد عدّدت من أوّل قوله تعالى : « إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلىّ أبينا منا » (٣) إلى رأس العشرين آية من إخباره تعالى عن زهدهم فيه نيّفاً وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ، فغفر لهم و عفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتّى قيل لئن عاد محي عن ديوان النبوة ، وكذلك بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدّين فلم يحتمل له ذلك ، وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه ، وقد روي أنّ الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين ويا موضح حجّة الزّاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرّة بعد مرّة فوعزّتي وجلالي لئن أخذته غضبة من غضباني عليه لأتركنه مثله لمن معه ونكالا لمن بعده ، فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتّى علا كثيراً من رمل ، ثم رفع رأسه ومدّ يديه إلى السماء ، وقال : إلهي وسيدي أنت أنت وأنا فكيف أتوب إن لم تتب عليّ؟ وكيف أستعصم إن لم تعصمني؟ أغثنني وإلا لأعودنّ ولأعودنّ ولأعودنّ ، فأوحى الله تعالى إليه أن قد صدقت يا آصف أنا أنا وأنت أنت استقبل التوبة إليّ فقد تبت عليك وأنا التوّاب الرحيم ، وهذا كلام مدلّ به وهارب منه إليه وناظر به إليه . وفي الخبر إنّ الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن أشفى على الهلكة : يا عبدي كم من ذنب واجهتني به غفرتك لك قد أهلكت بدونك أمة من الأمم . فهذه سنّته في عبادته بالفضل والتقديم والتأخير على ما سبقت به مشيئته

(٢) مريم : ١٥ .

(١) مريم : ٣٤ .

(٣) يوسف : ٨ .

الأزليّة وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنّة الله تعالى في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه فإذ يتعرف إليهم بالتقديس فيقول: « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد ولم يكن له كفواً أحد »^(١) وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول: « الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر »^(٢) وتارة يتعرف إليهم بأفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنّته في أنبيائه وأعدائه فيقول: « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إذ رم ذات العماد »^(٣) « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل »^(٤) ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الارشاد إلى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنّته مع عباده وطباً اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها النبي ﷺ بثلاث القرآن فقال: « من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن »^(٥) لأنّ منتهى التقديس أن يكون واحداً في ثلاثة أمور لا يكون حاصلًا منه من هو من نوعه وشبهه و دلّ عليه قوله: « لم يلد » ، ولا يكون حاصلًا ممّن هو نظيره وشبهه و دلّ عليه قوله: « و لم يولد » ولا يكون في درجته و إن لم يكن أصلاً له و لا فرعاً من هو مثله و دلّ عليه قوله: « ولم يكن له كفواً أحد » و يجمع جميع ذلك قوله: « قل هو الله أحد » وجملته تفصيل قولك: « لا إله إلا الله » فهذه أسرار القرآن و لا تتناهى أمثال هذه الأسرار في القرآن فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين . و لذلك قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : ثوّر روا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأوّلين والآخريين « وهو كما قال ولا يعرفه إلا من طال فكره في آحاد كلماته و صفا له فهمه حتّى تشهد له كل كلمة منه بأنّه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وأنّه خارج عن حدّ استطاعة البشر وأكثروا

(١) تمام سورة الاخلاص . (٢) الحشر: ٢٣ .

(٣) الفجر: ٦٥ . (٤) الفيل: ٢ .

(٥) أخرجه أحمد من حديث أبي بن كعب والبخارى نحوه ج ٦ ص ٢٢٢ من حديث

أسرار القرآن معبأة في طيِّ القصص والأخبار فكن حريصاً على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرقة الخارجة عنها فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس و الانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه .

❖ (القول في معنى الرضا بقضاء الله و حقيقةه وما ورد في فضيلته) ❖

إعلم أن الرضا ثمرة من ثمرات المحبة و هو من أعلى مقامات المقرِّين و حقيقته غامضة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه و الابهام غير منكشف إلا لمن علمه الله التأويل و فقَّهه في الدِّين فقد أنكر منكرون تصوُّر الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا : إن أمكن الرضا بكلِّ شيء، لأنَّه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر و المعاصي ، وانخدع به قوم فرأوا الرضا بالفجور و الفسوق و ترك الاعتراض و الإنكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى و لو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لمادعا النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنه - حيث قال: «اللهم فقَّهه في الدِّين و علمه التأويل» (١) فلنبداً أولاً ببيان فضيلة الرضا ، ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا و كيفية تصوُّره فيما يخالف الهوى ، ثم نذكر ما يظنُّ أنه من تمام الرضا و ليس منه كترك الدعاء و السكوت على المعاصي .

❖ (بيان فضيلة الرضا) ❖

أمَّا من الآيات فقولته تعالى : « رضي الله عنهم و رضوا عنه » (٢) و قد قال تعالى « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » (٣) و منتهى الإحسان رضا الله تعالى عن عبده و هو ثواب رضا العبد عنه و قد قال تعالى : « و مساكن طيبة في جنات عدن و رضوان من الله أكبر » (٤) فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة؛ حيث قال : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر » (٥) فكأن

(١) أخرجه أحمد في مسنده و قد تقدم في العلم .

(٢) المائدة : ١٢٠ . (٣) الرحمن : ٦٠ .

(٤) التوبة : ٧٣ . (٥) العنكبوت : ٤٥ .

مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان و في الحديث « إن الله عز و جل يتجلى للمؤمنين فقال : سلوني فيقولون : رضاك يا ربنا »^(١) فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل فلا رتبة فوق النظر إليه و إنما سألوه الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات و أقصى الأمانى لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه و علموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب و قال تعالى : « و لدينا مزيد »^(٢) و قال بعض المفسرين فيه : يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين ليس في الجنان مثلها إحداها هدية الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها و ذلك قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين »^(٣) و الثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهداية و هو قوله تعالى : « سلام قولاً من رب رحيم »^(٤) و الثالثة يقول الله تعالى : إنني عنكم راض . فيكون ذلك أفضل من الهدية و التسليم و ذلك قوله تعالى : « ورضوان من الله أكبر »^(٥) أي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى و هو ثمرة رضا العبد ومعناه يقرب بما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد و يجوز أن ينكشف عن حقيقته لقصور أفهام الخلق عن دركه و من قوي عليه فيستقل بما درا كه من نفسه و أمّا رضا الخلق فسند ذكر حقيقته .

وأمّا الأخبار في فضيلته فقد روي أن النبي ﷺ « سأل طائفة من أصحابه ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون فقال: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر عند البلاء و نشكر عند الرخاء، و نرضى بمواقع القضاء فقال: مؤمنون و رب الكعبة »^(٦) و في خبر آخر أنه قال: و حكماء علماء كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء »^(٧) و في الخبر « طوبى لمن هدى إلى الإسلام و كان رزقه كفافاً ، و رضي به »^(٨) و قال ﷺ : « من رضي من الله

(١) قال المراقى : أخرجه البزار والطبراني في الاوسط من حديث أنس بسند فيه لين .

(٢) ق : ٣٥ . (٣) السجدة : ١٧ .

(٤) يس : ٥٨ . (٥) التوبة : ٧٣ .

(٦) تقدم في كتاب الصبر والشكر ج ٧ ص ١٠٧ من حديث عطاء عن ابن عباس .

(٧) قد تقدم أيضاً . (٨) أخرجه الترمذى و قد تقدم .

عز وجل بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل» (١) وقال أيضاً: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه» (٢) وقال أيضاً: «إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة فيطرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فتقولون: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول لهم الملائكة: من أمة من أمتهم؟ فيقولون: من أمة محمد، فتقولون: ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا؟ فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته، فتقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحيى أن نعصيه، ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: فحق لكم هذا» (٣).

وقال ﷺ: «أعطوا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بثواب فقركم وإلا فلا» (٤). وفي أخبار موسى ﷺ: «إن بني إسرائيل لما قالوا له ﷺ سل لنا ربك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنا، فقال موسى ﷺ: إلهي قد سمعت ما قالوا، فقال: يا موسى قل لهم: يرضون عني حتى أرضى عنهم» ويشهد لهذا ما روي عن نبينا ﷺ أنه قال: «من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ما لله تعالى عنده فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه» (٥). وفي أخبار داود ﷺ: «مالاً وليائي والهم بالدنيا إن الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم، يادود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون. وسئل عيسى ﷺ ما أفضل الأعمال؟ فقال: الرضا عن الله والحب له.

(١) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ١٣٧ باب القناعة.

(٢) تقدم آنفاً.

(٣) واه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف.

(٤) قد تقدم.

(٥) أخرجه الحاكم من حديث جابر بأدنى اختلاف في اللفظ وصححه وقد تقدم.

و روي أن موسى عليه السلام قال : يا ربّ دلّني على أمر فيه رضاك حتّى أعمله فأوحى الله تعالى إليه : رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره ، فقال : يا ربّ دلّني عليه ؟ فقال : إن رضاي في رضاك بقضائي . و في مناجاة موسى عليه السلام أي ربّ أي خلقك أحبّ إليك ؟ قال : من إذا أخذت منه المحبوب سالمني ، قال : فأبي خلقك أنت عليه ساخطٌ ، قال : من يستخيرني في الأمر فاذا قضيت له كره قضائي . وقدر روي ما هو أشدّ منه وذلك أن الله تعالى قال : أنا الله لا إله إلا أنا لمن لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي ولم يشكر نعمائي فليمتخذ ربّاً سواي ^(١) ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا عليه السلام أنه قال الله تعالى : قدّرت المقادير ودبّرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا عنّي حتّى يلقاني ^(٢) ، ومن سخط فله السخط منّي حتّى يلقاني ^(٢) وفي الخبر المشهور « يقول الله عزّ وجلّ : خلقت الخير والشرّ فطوبى لمن خلقت له للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقت له للشرّ وأجريت الشرّ على يديه ، وويل ثمّ وويل لمن قال : لم وكيف ^(٣) وفي الأخبار السالفة أن نبياً من الأنبياء شكّا إلى الله عزّ وجلّ الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيبه ، ثمّ أوحى الله تعالى إليه كم تشكوني و لست أهلاً للدّمّ والشكوى وأنت أحقّ بالدّمّ والشكوى ، وهكذا كان بدوك عندي في أمّ الكتاب قبل أن أخلق السماوات والأرض ، وهكذا سبق لك منّي وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدّل ما قدّرته عليك فيكون ما تحبّ فوق ما أحبّ و يكون ما تريد فوق ما أريد ، وعزّتي وجلالي لئن اختلج هذا في صدرك مرّة أخرى لأحونّك من ديوان النبوة .

و روي أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه و ينزلون

(١) قال العراقي : رواه الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الدارقي مقتصرأ على قوله : « من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتمس ربّاً سواي » واسناده ضعيف . (٢) معاشرت على هذا اللفظ .

(٣) رواه ابن شاهين في شرح السنة عن أبي امامة باسناد ضعيف كما في المعنى ورواه الكلبيني في الكافي ج ١ ص ١٥٤ باب الخير والشر عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام

يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرّج فيصعد إلى رأسه ثمّ ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض أولاده الكبار : يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لونهيته عن هذا، فقال : يا بنيّ إنّي رأيت مالم تروا وعلمت مالم تعلموا إنّي تحرّكت حرّكة واحدة فاهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان و من دار النعيم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرّك حرّكة أخرى فيصيبني ما لا أعلم .

و يروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : تريد وأريد وإنّما يكون ما أريد فإن سلّمت لما أريد كفيتمك ما تريد ، وإن لم تسلّم لما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثمّ لا يكون إلّا ما أريد . وقال عليه السلام : « إن الله عزّ وجلّ جعل بحكمته و جلاله الرّوح و الفرح في الرّضا واليقين وجعل الغمّ والحزن في الشكّ والسخط » (١) .
أقول : وأمّا الآثار التي ذكرها أبو حامد في هذا المقام فلمّا لم يكن فيها مزيد فائدة تركتها ذكرها .

❖ (بيان حقيقة الرّضا وتصوره فيما يخالف الهوى) ❖

إعلم أنّ من قال : ليس فيما يخالف الهوى و أنواع البلاء إلّا الصبر فأما الرّضا فلا يتصوّر فإنّما أتى من ناحية إنكار المحبّة فأما إذا ثبت تصوّر الحبّ لله تعالى و استغراق الهمّ به فلا يخفى أنّ الحبّ يورث الرّضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين أحدهما أن يبطل الإحساس بالألم حتّى يجري عليه المؤلم ولا يحسّ به و تصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ، و مثاله الرّجل المحارب فإنّه في حال غضبه أو حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحسّ بها فإذا رأى الدّم استدلّ به على الجراحة بل الذي يعدوني شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحسّ بألمه لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كآلة يتألّم به فإن كان مشغول القلب بهمّ من مهمّاته فيفرغ المزبّن أو الحجّام و هو لا يشعر به و كل ذلك لأنّ القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه ، و كذا العاشق المستغرق الهمّ

(١) أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال : « جعل بقسطه » . (المعنى)

بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم لولا عشقه ، ثم لا يدرك
نمته وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه
من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصوّر هذا في ألم
يسير بسبب حب خفيف تصوّر في الألم العظيم بالحب العظيم فإنّ الحب أيضاً
يتصوّر تضاعفه في القوة كما يتصوّر تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة
المدرّكة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة و
جمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد
يهره بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحس بما يجري عليه فقد قيل : ضرب الحبيب
لا يوجع ، وأما وجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضياً به بل
راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارهاً له بطبعه كالذي يلتصق من الفصاد
الفصد والحجامة فإنه يدرك ألمه إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد و
الحجّام المنّنة فهذا حالة الرّاضي بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في
طلب الرّبح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمره سفره طيب عنده مشقة السفر
وجعله راضياً بها ومهما أصابته بليّة من الله عزّ وجلّ وكان له يقين بأنّ ثوابه الذي
ادّخر له فوق ما فاته رضي به وراغب فيه وأحبه وشكر الله تعالى عليه هذا إن كان
يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون
حظّ المحبّ في مراد حبيبه ورضاه لا معنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه
محبوباً عنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق ، وقد توافقت
المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصور الظاهرة المدركة
بالبصر ، فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد على لحم ودم مشحون بالأقدار و
الأخبار بدايته من نطفة مدرة ونهايته جيفة قدرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة وإن
نظر إلى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيراً فترى الصغير
كبيراً والكبير صغيراً والبعيد قريباً والقبيح جميلاً وإذا تصوّر فيه استيلاء هذا
الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله

المدرّك بعين البصيرة التي لا يعترّيبها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت
حيّة عند الله تعالى فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف وهذا
أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود و حكايات أحوال
المحبّين وأقوالهم .

قال بشر: قصدت عبّادان في بدايتي فاذا أنا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع
و النمل تأكل لحمه فرفعت رأسه و وضعت في حجره و أنا أردّد الكلام فلماً أفاق
قال : من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربّي لو قطعني إرباً إرباً ما ازدت له
إلا حباً ، قال بشر : فما رأيت بعد ذلك نعمة بين عبد و بين ربّه فأنكرتها ، و قال
أبو عمرو و محمد بن الأشعث : إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا
النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله
عن الإحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك و هو قطع النسوة
أيديهنّ لاستهتارهنّ بملاحظة جماله حتّى ما أحسن بذلك .

وقيل : إن يونس قال لجبرئيل عليه السلام : دلني على أعبد أهل الأرض فدله على
رجل قد قطع الجذام يديه و رجله و ذهب ببصره و سمعه وهو يقول : إلهي متعني
بها ماشئت أنت و سلبتني ما شئت أنت و أبقيت لي فيك الأمل بابر يا وصول .
و قال مسروق كان في بني إسرائيل رجلٌ بالبادية له كلبٌ و حمار و ديك
فالدّيك يوقظهم للصلاة و الحمار ينقلون عليه الماء و يحمل لهم خباء هم و الكلب
يحرّسهم قال: فجاء الثعلب و أخذ الدّيك فحزنوا له و كان الرّجل صالحاً فقال : بقدر
عسى أن يكون خيراً ، ثمّ أُصيب الكلب فقال : بقدر عسى أن يكون خيراً، ثمّ جا
ذئب فحرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه ، فقال : بقدر عسى أن يكون خيراً، ثمّ
أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من كان حولهم و بقوا هم ، قال : وإنما أخذوا
أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلب و الحمار والدّيك و كانت الخيرة في هلاك
هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فمن عرف خفيّ لطف الله رضي بفعله .

و يروى أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد ، مضروب الجنين

بفالج ، وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه ، فقال له عيسى عليه السلام : يا هذا أي شيء من البلاء تراه مصر وفأعنتك فقال : يا روح الله أنا خير ممّن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته ، فقال له : صدقت هات يدك فناولته يده فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبّد معه .

أقول: ثمّ ذكر أبو حامد حكايات وأقوالاً أُخر من هذا القبيل ثمّ قال : فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعاً أنّ الرّضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلاً بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدّين ومهما كان ذلك ممكناً في حبّ الخلق وحظوظهم كان ممكناً في حبّ الله عزّ وجلّ وحظوظ الآخرة قطعاً وإمكانه من وجهين أحدهما الرّضا بالألم لما يتوقّع من الثواب الموعود كالرّضا بالحجامة وشرب الدّواء انتظاراً للشفاء ، والثاني الرّضا به لا لحظّ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضى له فقد يغلب الحبّ بحيث ينغمر مراد المحبّ في مراد المحبوب فيكون الدّواء الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل : «فما لجرح إذا أرضاكم ألم» وهذا ممكن مع الإحساس بالألم وقد يستولى الحبّ بحيث يدّش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالّة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقدّه من نفسه لأنّه إنّما فقدّه لفقد سببه وهو فرط حبّه ومن لم يذوق طعم الحبّ لم يعرف عجائبه فللمحبّين عجائب أعظم ممّا وصفناه فقد روي عن عمرو بن الحارث الرّافعي قال : كنت في مجلس بالرّقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشّق جارية مغنّية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت :

علامة ذلّ الهوى على العاشقين البكاء ❖ ولا سيما عاشق إذا لم يجد مشتكى
فقال لها الفتى : أحسنت والله يا سيّدتي أفنأذنين لي أن أموت ؟ فقالت :
مت راشداً ، قال : فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحرق كناه فإذا
هو ميت . وقال الجنيد : رأيت رجلاً متعلّقاً بكمّ صبي وهو يتضرّع إليه ويظهر
له المحبّة فالتفت إليه الصبيّ وقال له : إلى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال : قد

علم الله أنني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال : إن كنت صادقاً فمت
قال : فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتاً . وقال سمنون المحب : كان في
حيرانا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح
لها حيساً فبينما هو يحرك ما في القدر إذ قالت الجارية : آه ، قال : فدهش الرجل
وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت أصابعه
فقال الجارية : ما هذا ؟ فقال الرجل هذا من أجل قولك : آه .

وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال : رأيت بالبصرة شاباً على سطح مرتفع
وقد أشرف على الناس وهو يقول هذا البيت :

من مات عشقاً فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت

ثم رمى بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتاً ، فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب
المخلوق فالتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة أصدق من البصر الظاهر
وجمال الحضرة الربوبية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من
حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور و من فقد السمع ينكر
لذة الألحان و النعمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد أن ينكر أيضاً هذه اللذات
التي لامطية لها سوى القلب .

﴿ بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا ﴾

وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها و حسم أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه ، وقد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين
وزعموا أن المعاصي و الفجور و الكفر من قضاء الله و قدره فيجب الرضا به وهذا
جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع ، فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت أدعية
النبي و سائر الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات و لقد كان عليه السلام في أعلى
مقامات الرضا و قد أثنى الله عز و جل على بعض عباده بقوله : « يدعوننا رغبا و
رهبا »^(١) و أما إنكار المعاصي و كراهتها وعدم الرضا فقد تعبد الله عز و جل به عباده

وذهبهم على الرضا بها فقال : « رضوا بالحيوة الدنيا واطمأننوا بها »^(١) وقال « رضوا بأن يكونوا مع الخوائف وطبع على قلوبهم »^(٢) وفي الخبر المشهور « من شهد منكرآ رضي به فكأنه قد فعله »^(٣) وفي الحديث « الدال على الشر كفاعله »^(٤) وعن ابن مسعود : إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه ، قيل : وكيف ذلك قال : فيبلغه فيرضى به . وفي الخبر « لو أن عبداً قتل بالمشرك ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله »^(٥) وقد أمر الله عز وجل بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقّي الشرور فقال تعالى : « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون »^(٦) وقال : النبي ﷺ : « لاحسد إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبدئها في الناس ويعلمها ، ورجل آتاه الله تعالى مالاً فسلطه علىهلكته في الحق »^(٧) وفي لفظ آخر « ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاء الليل والنهار فيقول الرجل : لو آتاني الله تعالى مثلما أوتي هذا لفعلت مثل ما يفعل »^(٨).

وأما بعض الكفار والفجّار و الإنكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين »^(٩) وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض »^(١٠) وقال « كذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً »^(١١) وفي الخبر « إن الله عز وجل أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق ، وعلى كل

(١) يونس : ٧٠ . (٢) التوبة ٨٨ .

(٣) ما عثرت على لفظه نعم ووردت أخبار كثيرة عن أمة أهل البيت عليهم السلام

في ذلك راجع وسایل الشيعة كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الباب الخامس

(٤) رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف .

(٥) رواه الصدوق في العيون والملل عن الرضا عليه السلام في حديث .

(٦) المطففين : ٢٦ .

(٧) قد تقدم في كتاب العلم . (٨) تقدم أيضاً نحوه .

(٩) آل عمران : ٢٨ . (١٠) المائدة : ٥٦ .

(١١) الانعام : ١٢٩ .

منافق أن يبغض كل مؤمن»^(١) وقال أيضاً : « المرء مع من أحب »^(٢) وقال عليه السلام : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله »^(٣) وقال عليه السلام : « أوثق عرى البغض في الله من كتاب آداب الصحبة ، وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيدها .

فإن قلت : فقد وردت الآيات والأخبار بالرّضا بقضاء الله تعالى فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد ، وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهيتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى فكيف السبيل إلى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرّضا والكراهة في شيء واحد فالعلم أنّ هذا ممّا يلتبس على الضعفاء القاصرين على الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض ، بل نقول : الرّضا والكراهة متضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قديموت عدوك الذي هو أيضاً عدوٌ بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث أنّه مات عدوٌ عدوك وترضاه من حيث أنّه مات عدوٌ وكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى الله عزّ وجلّ من حيث أنّها فعله واختياره وإرادته فترضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضاه بما يفعله فيه ووجه إلى العبد من حيث أنّها كسبه وصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله تعالى وبغضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكراً ومذمومٌ ، ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال : فلنفرض محبوباً من الخلق قال :

(١) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک وقد تقدم .

(٣) رواه الطبرانی والضياء المقدسی عن أبي قرصافة بسند صحيح كما في الجامع

الصغير . ورواه ابن عدی من حديث جابر بسند ضعيف كما في المغنی .

(٤) رواه احمد وقد تقدم في آداب الصحبة .

بن أيدي محبته إني أريد أن أميز بين من يحبني و يبغضني وأنصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أنني أقصد فلاناً بما يؤذيه و أضربه ضرباً يضطره في ذلك إلى الشتم حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدواً لي فكل من أحبه فأعلم أنه أيضاً عدوي و كل من أبغضه فأعلم أنه صديقي ومحبي، ثم فعل ذلك و حصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض و حصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته و عالم بشروط المحبة أن يقول : أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص و ضربه وإبعاده و تعريضك إياه للبغض و العداوة فأنا محب له و راض به فإنه رأيك و تدبيرك و فعلك و إرادتك ، و أما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر و لا يشتم ولكنه كان مرادك منه فإنه قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث أنه حصل على وفق مرادك و تدبيرك الذي دبرته فأنا راض به و لو لم يحصل لكان ذلك نقصاناً في تدبيرك و تعويقاً في مرادك و أنا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص و كسب له و عدوان و تهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب و لا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه و من حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك و مقتضى تدبيرك و أما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به و محب له لأنه مرادك و أنا على موافقتك أيضاً مبغض له لأن شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيباً و لعدوه عدواً و أما بغضه لك فإنه نسي أرضاه من حيث إنك أردت منه أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك و سلطت عليه دواعي البغض ولكنه أبغضه من حيث إنه وصف ذلك البغض و كسبه و فعله و أمقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته إياك و بغضه و مقته لك أيضاً مكروه عندي من حيث إنه وصف له و كل ذلك من حيث إنه مرادك مرضي و إنما التناقض أن يقول هو من حيث إنه مرادك مرضي و من حيث إنه مرادك مكروه ، فأما إذا كان مكروهاً لا من حيث إنه فعله و مراده بل من حيث إنه وصف غيره و كسبه فهذا لا تناقض فيه و يشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه و نظائر ذلك لا تحصى فإذن تسليط الله تعالى دواعي الشهوة و

المعصية عليه حتّى يجرّه ذلك إلى حبّ المعصية و يجرّه الحبّ إلى فعل المعصية
يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلاً ليجرّه الضرب إلى الغضب
والغضب إلى الشتم ومقت الله عزّ وجلّ لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره يشبه
بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنّما حصل بتدبيره واختياره لأسباب ذلك
وفعل الله ذلك بكلّ عبد من عبده أعني تسليط دواعي المعصية عليه يدلّ على أنّه
سبقت مشيئته بإبعاده ومقتته فواجبٌ على كلّ عبد محبّ لله عزّ وجلّ أن يبغض من
أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من أبغده عن حضرته وإن اضطرّه بقره وقدرته
إلى معاداته ومخالفته فإنّه بعيدٌ مطرودٌ ملعونٌ عن الحضرة وإن كان بعيداً بإبعاده
قهرًا ومطروداً و اضطراراً والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقيماً بغيضاً
إلى جميع المحبّين موافقةً للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب
عليه بإبعاده وبهذا يتقرّر جميع ما وردت به الأخبار في البغض في الله والحبّ في الله
والتشديد على الكفّار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرّضا بقضاء الله عزّ
وجلّ من حيث أنّه قضاء الله تعالى وهذا كلّه يستمدّ من سرّ القدر الذي لا رخصة
في إفشائه وهو أنّ الشرّ والخير كليهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكنّ الشرّ
مراد مكروه والخير مراد مرضيٌّ به فمن قال: ليس الشرّ من الله تعالى فهو جاهل
وكذا من قال: إنّهما جميعاً منه من غير افتراق في الرّضا والكرهه فهو أيضاً مقصّرٌ
وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه ، فالأولى السكوت والتأدّب بأدب الشرع فقد
قال عليه السلام: « القدر سرّ الله فلا تنفّسوه »^(١) وذلك يتعلّق بعلم المكشوفة وغرضنا الآن
بيان الإمكان فيما تعبدّ به جميع الخلق في الجمع بين الرّضا بقضاء الله ومقت المعاصي
مع أنّها من قضاء الله عزّ وجلّ وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السرّ فيه
وبهذا يعرف أيضاً أنّ الدّعاء للمغفرة والعصمة من المعاصي ولسائر الأسباب المعينة
على الدّين غير مناقض للرّضا بقضاء الله تعالى فإنّ الله عزّ وجلّ تعبدّ العباد
بالدّعاء ليستخرج الدّعاء منهم صفاء الذّكر وخشوع القلب و رقّة التضرّع ويكون

(١) أخرجه ابونعيم في الحلية من حديث ابن عمر ، وقد تقدم .

ذلك جلاء للقلب ومفتاحاً للكشف و سبباً لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز و شرب الماء ليس مناقضاً للرّضا بقضاء الله تعالى في العطش و شرب الماء طلب لإزالة العطش ومباشرة سبب رتبته مسبب الأسباب فكذلك الدّعاء سبب رتبته الله تعالى وأمر به .

وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جرياً على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيانه في كتاب التوكل فهو أيضاً لا يناقض الرّضا لأن الرّضا مقام ملاصق بالتوكل ويتصل به ، نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرّضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر و الكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض فيه وقد قال السلف : من حسن الرّضا بقضاء الله أن لا يقول : هذا يوم حارٌ أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف ، فأما في الشتاء فهو شكرٌ و الشكوى مناقض للرّضا بكلّ حال و ذمّ الأطعمة و عيبها يناقض الرّضا بقضاء الله لأنّ مذمّة الصنعة مذمّة الصانع والكلّ من صنع الله تعالى وقول القائل : الفقر بلاء و محنة ، و العيال همّ و تعبٌ و الاحتراف كدٌ و مشقّة ، كلّ ذلك قادحٌ في الرّضا بل ينبغي أن يسلمّ التدبير لمُدبّرهِ و المملِكة لمالكها و يقول ما قال بعض الصحابة : لا ابالي أصبحت غنياً أو فقيراً فإنّي لا أدري أيهما خيرٌ لي .

﴿بيان أنّ الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي﴾

﴿ومذممتها لا يقدح في الرّضا﴾

إعلم أنّ الضعيف قد يظنّ أنّ نهبي النبي ﷺ عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون^(١) يدلّ على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لأنّ كلّ واحد منهما فرارٌ من قضاء الله تعالى و ذلك محالٌ بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنّه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء و بقي فيه المرضى المطعونون مهملين لا متعمّدين لهم فيهلكون هزلاً و ضراراً ولذلك شبهه النبي ﷺ

(١) النهي عن الفرار من الطاعون أخرجه مسلم ج ٧ ص ٢٧ من حديث اسامة بن زيد .

في بعض الأخبار بالفرار من الزحف^(١) ولو كان ذلك من القضاء لما أذن لمن قارب البلد في الانصراف عنه وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل ، وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار منها ومن كل ما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة فمزال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفقت جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها .

فقال ابن المبارك : طفت الشرق والغرب فما رأيت بلداً شراً من بغداد قيل : و كيف ؟ قال : هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ، ولما قدم خراسان قيل له : كيف رأيت بغداد ؟ قال : ما رأيت به إلا شرطياً غضباناً أو تاجراً لهفاناً أو قارباً حيراناً ، ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به بل قصد بذلك تحذير الناس ، فهذا يدل على أن من سكن بلده تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر ، قال الله تعالى : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها »^(٢) فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئناً النفس إليه ، بل ينبغي أن يكون منزع القلب منها قائلاً على الدوام « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » .
وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين والعاصين قال الله تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »^(٣) فإذن ليس في شيء من أسباب نقصان الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله فأما هي في أنفسها فلا وجه للرضا بها بحال ، وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل مقامات ثلاثة : رجل يحب الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ، ورجل قال : لأختار شيئاً بل أرضى بما اختاره الله تعالى ، ورفعت هذه المسألة

(١) تقدم في كتاب آداب السفر ج ٤ ص ٥٢ . وأخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ١٤٥ .

(٢) الانفال : ٢٥ .

(٣) النساء : ٩٩ .

إلى بعض العارفين فقال : صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولاً .
أقول : ثم ذكر أبو حامد جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم و
كلمات متفرقة كما وعده في أول الكتاب ولما كان بعضها في معنى ما ذكر وبعضها
بما كرر وكان سائرها دعاوي لا وثوق بصحتها ولا بحال من ادعاهها وكان بعضها
ينافض بعضاً وبعضها ينتقض بعض ظواهر الشرع نقضاً ضربنا عنها صفحاً وطويناها
كشعاً إذ لا فائدة في سماع ما هو من قبيل الشطح والطامات وما صدر على سبيل
الزهو والرعونات وإن صححت فينال أمثالها من كان من أهلها ورجالها ولنختم
الكتاب بحديث أورده أبو حامد في جملة ما تركناه نقلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام
قال : سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن سنته فقال : المعرفة رأس مالي ، والعقل أصل ديني ، و
الحب أثاثي ، والشوق مركبي ، وذكر الله عز وجل أنيسي ، والثقة كنزي ، و
الحنن رفيقي ، والعمل سلاحي ، والصبر ردائي ، والرضا غنيمي ، والفقر فخري ،
والزهد حرفتي ، واليقين قوتي ، والصدق شفيعي ، والطاعة جنّتي ، والجهاد
خلقي ، وقرّة عيني في الصلاة»^(١) .

ثم كتاب المحبة وتوابعها من المحجة البيضاء، على يد مؤلفه محسن بن مرتضى
جعله الله من المحبين له المشتاقين إليه الآنين به الراضين بقضائه بمنه وكرمه .
ويتلوه كتاب النية والصدق والإخلاص إن شاء الله تعالى .



(١) قال العراقي : ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام ولم
أجد له اسناداً .

كتاب النية والصدق والأخلاص

وهو الكتاب السابع من ربيع المنجيات من المحجبة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله حمد الشاكرين ، ونؤمن به إيمان الموقنين ، ونقرُّ بوحدانيته إقرار الصادقين ، ونشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين ، وخالق السماوات والأرضين ، ومكلف الجن والإنس والملائكة المقرِّبين أن يعبدوه عبادة المخلصين . فقال : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ^(١) فما لله إلا الدين الخالص المتين فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشركين ، والصلاة على نبيه محمد سيّد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

أما بعد فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة ، والناس كلهم هلكت إلا العالمين ، والعالمون كلهم هلكت إلا العاملين ، والعاملون كلهم هلكت إلا المخلصين ، والمخلصون كلهم هلكت إلا المخلصين ، وهو اللئيق كفاً ، ومع العصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء ، وقد قال الله تعالى في كلِّ عمل كان بارادة غير الله مشوباً مغموراً « وقد منّا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » ^(٢) فليت شعري كيف يصحح النية من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص ؟ أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كلِّ عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق و

(١) البينة : ٥ .

(٢) الفرقان : ٢٥ .

الاحلاص اللذين هما وسيلتان للعبد إلى النجاة والاحلاص ، ونحن نذكر معاني النية والصدق والاحلاص في ثلاثة أبواب إن شاء الله : الباب الأوّل في حقيقة النية ومعناها ، الباب الثاني في الاحلاص وحقائقه ، الباب الثالث في الصدق وحقيقته .

الباب الأوّل في النية ، وفيه بيان فضيلة النية ، وبيان حقيقة النية ، وبيان كون النية خيراً من العمل ، و بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية و بيان خروج النية عن الاختيار .

﴿ بيان فضيلة النية ﴾

قال الله تعالى : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » (١) والمراد بتلك الإرادة هي النية . وقال عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات وكذا أمرى ، ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٢) وقال عليه السلام : « أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفيين الله أعلم بنيه » (٣) وقال عز وجل : « إن يريدوا إصلاحاً يوفّق الله بينهما » (٤) فجعل النية سبب التوفيق وقال عليه السلام : « إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٥) و إنما نظر إلى القلوب لأنّها مظنة النية . وقال عليه السلام : « إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فنلقى بين يدي الله عز وجل فيقول : ألقوا هذه الصحيفة فإنّه لم يرد بها فيها وجهي ، ثمّ ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا فتقولون يا ربنا إنّّه لم يعمل شيئاً من ذلك ، فيقول : إنّّه نواه إنّّه نواه » (٦) وقال عليه السلام : « الناس أربعة : رجل

(١) الانعام : ٥٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى الصحيح ج ١ ص ٢٢ وقد تقدم كرازا .

(٣) أخرجه احمد فى المسند ج ١ ص ٣٩٧ من حديث ابن مسعود .

(٤) النساء : ٣٤ . (٥) أخرجه مسلم وقد تقدم .

(٦) قال العراقى : أخرجه الدار قطنى من حديث أنس باسناد حسن .

آتاه الله تعالى علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله ، فيقول رجلٌ : لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالاً ولم يؤته علماً وهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجلٌ : لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء» (١) ألا ترى كيف شرکه بالنية في محاسن عمله مساويه ، ولما خرج النبي ﷺ في غزوة تبوك قال : « إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطناً موطئاً يغيب الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا خمصة إلا أشار كونا في ذلك وهم في المدينة : قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ فقال : حسبهم العذر فشر كونا بحسن النية» (٢) وفي الخبر « إن رجلاً قتل في سبيل الله وكان يدعى قنيل الحمار» (٣) لأنه قاتل رجلاً ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته . وهاجر آخر ليمتزوج امرأة فكان يسمى مهاجر أم قيس (٤) . وفي حديث عبادة عن النبي ﷺ « من غزا وهو لا ينوي إلا عقلاً فله مانوى» (٥) وقال أبي : « استعنت برجل ليغزو معي فقال : لا حتى تجعل لي جعلاً فجعلت له ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له» (٦) .

وروي في الإسرائيليات أن رجلاً مرَّ بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه : لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له :

(١) أخرجه ابن ماجه في باب النية تحت رقم ٤٢٢٨ . وفيه « مثل هذه الامة كمثل أربعة نفر - الخبر » من حديث ابي كبشة الانماري .

(٢) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٣١ مختصراً وأخرجه أبو داود هكذا « ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا انفقتم من نفقة ولا تطعم من واد الا وهم معكم ، قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حسبهم المرض» .

(٣) رواه أبو اسحاق الفراوي مرسلاً في السنن (المغنى)

(٤) أخرجه الطبراني باسناد جيد كما في المغنى .

(٥) أخرجه النسائي في السنن ج ٦ ص ٢٤ من حديث عبادة .

(٦) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وروى نحوه عن عوف بن مالك كما في مجمع الزوائد

إنَّ الله قد قبل صدقتك و شكر حسن نيّتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً فتصدّقت به وقد ورد في أخبار كثيرة « من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة »^(١) وفي حديث أمّ سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ ذكر جيشاً يخسف بهم بالبيداء فقلت : يا رسول الله يكون فيهم الصالح ؟ فقال : « يحشرون على نيّاتهم »^(٢) وقال ﷺ : « إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا ، فلان يقاتل للحمية ، فلان يقاتل للعصبية ألا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »^(٣)

و عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يبعث كل عبد على ما مات عليه »^(٤) وفي حديث الأحنف عن أبي بكر « إذا التقى المسلمان بسيفهما فقاتل والمقتول في النار ، قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : لأنّه أراد قتل صاحبه »^(٥) وفي الحديث « من تزوّج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ، ومن أدان ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق »^(٦)

وقال ﷺ : « من تطيّب لله تعالى جاء يوم القيامة و ريحه أطيب من المسك الأذفر ، ومن تطيّب لغير الله جاء يوم القيامة و ريحه أنتن من الجيفة »^(٧)
أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي بإسناده عن عليّ بن الحسين عليهما السلام

(١) متفق عليه وقد تقدم ، ورواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٤٢٨

(٢) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٤٢٣ و قد تقدم

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد موقوفاً على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع

في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ٨ ص ١٦٥

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح ج ٩ ص ٦٤

(٦) أخرجه أحمد ج ٤ ص ٣٢٢ من حديث صهيب بن سنان

(٧) قال العراقي : رواه أبو الوليد الصنفار في كتاب الصلاة من حديث اسحاق بن

قال : « لا عمل إلا بنية » (١).

وعن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله ، وكل عامل يعمل على نيته » (٢).

وعنه عليه السلام قال : « إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا رب أرزقني حتى أفلح كذا وكذا من البرِّ ووجوه الخير ، فإذا علم الله تعالى ذلك منه بصدق نية كتب له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله إن الله واسع كريم » (٣).
وعنه عليه السلام إنه سئل عن حدِّ العبادة التي إذا فعلها فاعلمها كان مؤدياً؟ فقال : « حسن النية بالطاعة » (٤).

وعنه عليه السلام قال : « إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله تعالى أبداً و إنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لوبقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » (٥) قال : يعني على نيته » (٦).
ثم ذكر أبو حامد الآثار ومما لم يكن فيها زيادة فائدة على ما ذكر تركناها .

❖ (بيان حقيقة النية) ❖

إعلم أن النية و الإرادة و القصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل فالعلم يتقدم لأنه أصله وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أعني كل حركة وسكون اختياري فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لم يعلمه فلا بد أن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه

(١) و (٢) المصدر ج ٢ ص ٨٤ تحت رقم ١ و ٢ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٨٥ تحت رقم ٣ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٨٥ تحت رقم ٤ .

(٥) الاسراء : ٨٤ .

(٦) الكافي ج ٢ ص ٨٥ تحت رقم ٥ .

موافقاً للغرض ، إمّا في الحال أو في المآل فقد خلق الإنسان بحيث يوافق بعض الأمور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الأمور فاحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ودفع المضارّ المنافي عن نفسه فإذن لا بدّ من معرفة وإدراك للشيء المضرّ و النافع حتى يطلب ويهرب فإنّ من لا يدرك الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناوله و من لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة و جعل لها أسباباً وهي الحواسّ الظاهرة والباطنة و ليس ذلك من غرضنا ، ثمّ لو أبصر الغذاء و عرف أنّه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إلى الغذاء و شهوة له باعثة عليه إذ المريض يرى الغذاء و يعلم أنّه موافق له و لا يمكنه تناول لعدم الرغبة و الميل و لفقد الدّاعية المحرّكة إليه فخلق الله تعالى له الميل و الرغبة و الإرادة و أعني بها نزوعاً في نفسه إليه و توجّهاً في قلبه إليه ، ثمّ ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاماً راغب فيه مرید تناوله عاجز عنه لكونه زمنياً ، فخلقت له القدرة و الأعضاء المتحرّكة حتّى يتمّ بها تناول و العضو لا يتحرّك إلّا بالقدرة و القدرة تنظر الدّاعية الباعثة و الدّاعية تنتظر العلم و المعرفة أو الظنّ و الاعتقاد و هو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقاً له و إذا جزمتم المعرفة بأنّ الشيء موافق و لا بدّ أن يفعل و سلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الإرادة و تحقّق الميل فاذا انبعثت الإرادة انتهت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة و الإرادة تابعة لحكم الاعتقاد و المعرفة ، فالنيّة عبارة عن الصفة المتوسّطة وهي الإرادة و انبعثت النفس بحكم الرغبة و الميل إلى ما هو موافق للغرض إمّا في الحال أو في المآل ، فالمحرّك الأوّل هو الغرض المطلوب وهو الباعث و الغرض الباعث هو المقصد المنويّ و الانبعث هو القصد و النيّة ، و انتهت القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلّا أنّ انتهت القدرة للعمل قديكون باعث واحد وقد يكون باعثن اجتماعاً في فعل واحد فاذا كان باعثن فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد كان ملياً بانهاض القدرة ، وقد يكون كل واحد قاصراً عنه إلّا بالاجتماع ، و قد يكون أحدهما كافياً لو لا الآخر لكن الآخر انتهز عاضداً له و معاوناً ، فيخرج من هذا التقسيم أربعة

أقسام فلنذكر لكل واحد مثلاً وإسماً ، أمّا الأوّل فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرّد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكُلّما رآه قام من موضعه فلا مزعج له إلاّ غرض الهرب من السبع فإنّه رأى السبع وعرفه ضارّاً فانبعث نفسه على الهرب وركبت فيه القدرة فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقيم لطلب الفرار من السبع لا نيّة له في القيام لغيره وهذه النيّة تسمّى خالصة و يسمّى العمل بموجبها إخلاصاً بالإضافة إلى الغرض الباعث ومعناه أنّه خلص عن مشاركة غيره وممازجته ، الثاني هو أن يجتمع باعثن كل واحد مستقلّ بالإنهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوّة كانت كافية من الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا أن من له قريب فقير يعرض حاجته فيقضيها لفقره و قرابته وعلم أنه لو لا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنّه لو لا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأن يحضره قريب غنيّ فيرغب في قضاء حاجته وفقير أجنبيّ فيرغب أيضاً فيه ، وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنّه لو لا عرفة لكان يترك الطعام حمية ولو لا الحمية لكان يترك لأجل أنّه عرفة وقد اجتمعا جميعاً فأقدم على الفعل و كان الباعث الثاني رقيق الأوّل فلنسمّ هذا موافقة البواعث ، الثالث أن لا يستقلّ كل واحد لو انفرد ولكن يقوى مجموعهما على إنهاض القدرة ، و مثاله من المحسوسات أن يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد به أحدهما ، ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه الغنيّ ليطلب درهماً فلا يعطيه ويقصده الأجنبيّ الفقير ليطلب منه درهماً فلا يعطيه ، ثمّ يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين هما القرابة والفقر ، وكذلك الرّجل يتصدّق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ، ويكون بحيث لو كان منفرداً لكان لا يعينه مجرد قصد الثواب على العطاء ، و لو كان الطالب فاسقاً لا ثواب في التصدّق عليه لكان لا يعينه مجرد الرّياء على العطاء ، ولما اجتمعا أورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسمّ هذا الجنس مشاركة ، والرّابع أن يكون أحد الباعثين مستقلّاً لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقلّ ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثيره بالا عانة والتسهيل

ومثاله من المحسوس أن يعاون الضعيف الرُّجل القويُّ على الحمل ولو انفرد القويُّ لاستقلَّ ولو انفرد الضعيف لم يستقلَّ فإنَّ ذلك بالجملة سهل العمل و يؤثّر في تخفيفه ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان وردُّ في الصلوات وعادة في الصدقات فاتّفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخفَّ عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنّه لو كان منفرداً خالياً لم يفتر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرِّياء، يحمله عليه فهو شوب تطرّق إلى النية ولنسمَّ هذا الجنس المعاونة، فالباء الثاني إنّما أن يكون رفيقاً أو شريكاً أو معيناً وسنذكر حكمها في باب الاخلاص وغرضنا الآن بيان أقسام النيات فإنَّ العمل تابعٌ للباء عليه فيكتسب الحكم منه فلذلك قيل: إنّما الأعمال بالنيات لأنّها تابعة لاحكام لها في نفسها وإنّما الحكم للمنبوع.

﴿بيان سرِّ قوله عليه السلام «نية المؤمن خير من عمله (١)»﴾

إعلم أنّه قد يظنُّ أن سبب هذا الترجيح أن النية سرٌّ لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر وفعل السرِّ أفضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنّه لو نوى أن يذكر الله تعالى بقلبه أو يتفكّر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نيته للتفكّر خيراً من التفكّر وقد يظنُّ أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف لأنَّ ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خيرٌ من القليل بل ليس كذلك فإنَّ نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم والعموم يقتضي أن يكون نيته خيراً من عمله، وقد يقال: معناه أن النية بمجردّها خيرٌ من العمل بمجردّه دون النية وهو كذلك ولكنّه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بلا نية بل على الغفلة لا خير فيه أصلاً والنية بمجردّها خيرٌ و ظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير بل المعنى به أن كلَّ طاعة ينتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات

(١) أخرجه الطبراني من حديث سهل بن سعد والبيهقي في الشعب من حديث أنس

بسند ضعيف كما في الجامع الصغير ورواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٨٤ .

ولكن النية من جملة الطاعات خيرٌ من العمل أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خيرٌ من عمله الذي هو من جملة طاعته ، والغرض أن للعبد اختياراً في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه .

أقول: للخبر معنى آخر وهو أن المؤمن ينوي أن يوقع عباداته على أحسن الوجوه ثم لما اشتغل بها فلا يتيسر له ذلك ويكسل عنها ولم يأت بها على ما ينبغي فالذي ينوي خيرٌ من الذي يعمل وأيضاً ينوي أبداً أن يأتي بالطاعات والقربات ويجتنب المعاصي والسيئات لا يمانه بالله واليوم الآخر ثم لا يوفق لذلك ولا يتأتى منه ما نواه ، وينوي إن آتاه الله مالاً ينفقه في سبيله ثم لما آتاه فربما ينحل به فنيته خيرٌ من عمله وإلى هذا المعنى أشار أبو جعفر الباقر عليه السلام حيث كان يقول « نية المؤمن خيرٌ من عمله ، وذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه ، ونية الكافر شرٌ من عمله وذلك لأن الكافر ينوي الشر ويؤمن من الشر ما لا يدركه » (١) وسئل الصادق عليه السلام عن معنى الحديث فقال : « لأن العمل رياء المخلوقين والنية خالصة لرب العالمين فيعطى عز وجل على النية ما لا يعطى على العمل » (٢) وقال : « إن العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فيغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلاته ويكتب نفسه تسبيحاً ويجعل نومه صدقة » (٣)

قال أبو حامد : وأما سبب كونها خيراً ومترجحة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال إلى المقصود وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود ، ومن قال : الخبز خيرٌ من الفالودج فإنما يعني به أنه خيرٌ بالإضافة إلى مقصود القوت والغذاء ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن للغذاء مقصداً وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية

(١) و (٢) رواهما الصدوق في كتاب علل الشرايع الاول من حديث الحسن بن

الحسين الانصارى عن رجل ، والثاني من حديث زيد الشحام .

(٣) أيضاً في العلل .

مختلفة الآثار فيهما ، وفهم أثر كل واحد وقاس البعض ببعض الطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله عز وجل والمقصود لذة السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى إلا من مات محباً لله عارفاً بالله ولن يحبّه إلا من عرفه و لن يأنس به إلا من طال ذكره له والانس يحصل بدوام الذّكر و المعرفة تحصل بدوام الفكر و المحبّة تتبع المعرفة بالضرورة ، ولن يفرغ القلب لدوام الذّكر و الفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عن شهواتها حتى يصير مائلاً إلى الخير مريداً له ناغراً عن الشرّ مبغضاً له وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوطه بهما كما يميل العاقل إلى القصد والحجامة لعلمه بأن سلامته فيهما وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل و المواظبة عليه فإن المواظبة على مقتضى صفات القلب و إرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى ترسخ الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرّئاسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفاً فإن اتّبع مقتضى الميل و اشتغل بالعلم و تربية الرّئاسة والأعمال المطلوبة لها تأكّد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع و إن خالف مقتضى ميله ضعف ميله و انكسر وربما زال و انهحق بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلاً فيميل إليه طبعه ميلاً ضعيفاً فلواتّبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمجاورة تأكّد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه و لو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى طبعه وميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل و يكون ذلك زجراً و دفعاً في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه أو ينقمع و ينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلّها هي التي تراد بها الآخرة والشروع كلّها تراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس إلى الخيرات الأخرى و انصرافها عن الدنيا هو الذي يفرغها للذّكر و الفكر ولن يتأكّد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح ، لأنّ بين الجوارح و بين القلب علاقة حتى أنّه يتأثر كل واحد منهما بالأخر فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها

القلب وترى القلب إذ أتألم بعلمه بموت عزيز من أعزّته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء و ارتعدت الفرائص وتغيّر اللون إلا أن القلب هو الأصل المتبوع فكأنه الأمير والرّاعي ، و الجوارح كالخدم والرّعاء و الاتباع ، فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيها فالقلب هو المقصود والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود ولذلك قال عنه : « إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد » ^(١) وقال عنه : « اللهم أصلح الرّاعي والرّعيّة » ^(٢) وأراد بالرّاعي القلب قال الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » ^(٣) وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النيّة من جملتها أفضل لأنّها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يعوّد القلب إرادة الخير ويؤكّد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكبّ على الذّكرو الفكر ، فبالضرورة يكون خيراً بالإضافة إلى الغرض لأنّه متمكّن من نفس المقصود وهذا كما أن المعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل إلى المعدة فالشرب خير من الطلاء للصدر لأنّ طلاء الصدر أيضاً إنّما أريد به أن يسري منه الاثر إلى المعدة فما يلاقي في عين المعدة فهو خير وأنقع فهكذا ينبغي أن يفهم تأثير الطاعات كلّها إذ المطلوب منها تغيّر القلوب وتبدّل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظننّ أن في وضع الجبهة على الأرض غرضنا من حيث إنّها جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنّها بحكم العادة يؤكّد صفة التواضع في القلب فإنّ من يجد في نفسه تواضعاً فاذا استعان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكّد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقّة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبّله تأكّدت الرّقّة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نيّة مفيداً أصلاً لأنّ من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظانّ أنّه يمسح

(١) متفق عليه من حديث نعمان بن بشير .

(٢) قال العراقي : لم أجده وقد تقدم .

(٣) الحجج : ٣٨ .

ثوباً لم يسر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقّة ، وكذلك من سجد غافلاً و هو مشغول بهمّ بأغراض الدُّنيا لم يسر من جبهته و وضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع و كان وجوده كعدمه و ما يساوي وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمّى باطلاً فيقال : العبادة بغير نيّة باطلة و هذا معناه إذا فعل عن غفلة فإن قصد به رياء، أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شراً فإنّه لم يؤكّد الصفة المطلوب تأكيدها بل أكد الصفة المطلوب قمعها و هي صفة الرِّياء التي هي من الميل إلى الدُّنيا فهذا وجه كون النيّة خيراً من العمل و بهذا يعرف معنى قوله ﷺ : « من همّ بحسنة و لم يعملها كتبت له حسنة » لأنّ همّ القلب هو ميله إلى الخير و انصرافه عن الهوى و حبّ الدُّنيا وهو غاية الحسنات و إنّما الإتمام بالعمل يزيدّها تأكيداً فليس المقصود من إرادته دم القربان الدّم و اللّحم بل ميل القلب عن حبّ الدُّنيا و بذلها إثارة لوجه الله عزّ و جلّ و هذه الصفة قد حصلت عند جزم النيّة و الهمة و إن عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، و التقوى هنا أعني في القلب و لذلك قال ﷺ : « إنّ قوماً بالمدينة و قد شاركونا في الجهاد » كما روينا لأنّ قلوبهم في صدق إرادة الخير و بذل المال و النفس و الرّغبة في طلب الشهادة و إعلاء كلمة الله عزّ و جلّ كقلوب الخارجين في الجهاد و إنّما فارقومهم بالأبدان لعوائق تخصّ الأسباب الخارجة عن القلب و ذلك غير مطلوب إلّا لتأكيد هذه الصفات و بهذا يفهم جميع الأحاديث التي أوردناها في فضيلة النيّة فأعرضها عليها لتنكشف لك أسرارها فلا تطول بالإعادة .

﴿بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنيّة﴾

إعلم أنّ الأعمال و إن انقسمت أقساماً كثيرة من فعل و قول و حركة و سكون و جلب نفع و دفع ضررّ و فكر و ذكر و غير ذلك ممّا لا يتصور إحصاؤه و استقصاؤه فهي ثلاثة أقسام معاصي و طاعات و مباحات .

القسم الأوّل المعاصي وهي لا يتغيّر موضوعاتها بالنيّة فلا ينبغي أن يفهم الجاهل

ذلك من عموم قوله ﷺ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ويظنُّ أن المعصية تنقلب طاعة بالنيّة كالذي يغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيراً من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجداً أو يربطاً بمال حرام و قصده الخير فهذا كلّ جهل و النيّة لا تؤثر في إخراجها عن كونها حراماً وظلماً وعدواناً ومعصية بل قصده الخير بالشرّ على خلاف مقتضى الشرع شرّ آخر فإن عرفه فهو معاند للشرع و إن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ، فالخيرات إنّما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشرّ خيراً هيئات بل المروّج لذلك على القلب خفي الشهوة و باطن الهوى فإنّ القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس و سائر حظوظ النفس توسّل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل ، و لذلك قال سهل : ما عصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل ففيل له : يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشدّ من الجهل قال : نعم الجهل بالجهل . وهو كما قال لأنّ الجهل بالجهل يسدّ بالكلية باب التعلّم فمن ظنّ بنفسه أنّه عالم كيف يتعلّم و كذلك أفضل ما أطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أنّ رأس الجهل الجهل بالجهل فإنّ من لا يعرف العلم النافع من العلم الضارّ اشتغل بما أكبّ الناس عليه من العلوم المزخرقة التي هي وسائلهم إلى الدنيا و ذلك هو مادة الجهل و منبع فساد العالم و المقصود أنّ من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلّا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة التعلّم وقد قال تعالى : « فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون »^(١) و قال ﷺ: « لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحلّ للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه »^(٢) و يقرب من تقرّب السلاطين ببناء المساجد و المدارس بالمال الحرام تقرّب علماء السوء بتعليم العلم السفهاء و الأشرار المعروفين

(١) النحل : ٤٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في الاوسط و ابن السني و ابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله : « لا يعذر الجاهل على الجهل » وفيه « لا ينبغي بدل » لا يعل « وقد تقدم في العلم .

بالفجور و القاصرين همّتهم على ممرّاة العلماء و مباراة السفهاء و استمالة وجوه الناس و جمع حطام الدّنيا و أخذ أموال السلاطين و المساكين و اليتامى فإنّ هؤلاء إذا تعلّموا كانوا قطعاً طريق الله و انتهض كل واحد في بلده نائباً عن الدّجال يتكالب على الدّنيا و يتبع الهوى و يتباعد عن التقوى و يستجرى، الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثمّ ينتشر ذلك العلم إلى مثله و أمثاله و يتخذونه أيضاً آلة و وسيلة في الشرّ و اتّباع الهوى و يتسلسل ذلك و وبال جميعه يرجع إلى المعلّم الذي علّمه العلم مع علمه بفساد نيّته و قصده و مشاهدته أنواع المعصية في أقواله و أفعاله و في مطعمه و ملبسه و مكسبه فيموت هذا العالم و تبقى آثار شرّه منتشرة في العالم ألف سنة و ألفي سنة مثلاً، و طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، ثمّ العجب من جهله حيث يقول : « الأعمال بالنيّات » و قد قصدت بذلك نشر علم الدّين فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا منّي و ما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير و إنّما حبّ الرّئاسة و الاستتباع و التفاخر بعلو العلم يحسّن ذلك في قلبه و الشيطان بواسطة حبّ الرّئاسة يلبس عليه و ليت شعري ما جوابه عمّن وهب سيفاً من قاطع طريق و أعدّه له خيلاً و أسباباً يستعين بها على مقصوده و يقول: إنّما أردت البذل و السخاء و التخلّق بأخلاق الله عزّ و جلّ و قصدت به أن يغزو بهذا السيف و الخيل في سبيل الله فإنّ إعداد الخيل للرّباط و القوة للغزاة من أقرب القربات فإن صرفه هو إلى قطع الطريق فهو العصي و قد أجمع الفقهاء على أنّ ذلك حرام مع أنّ السخاء هو أحبّ الأخلاق إلى الله تعالى حتّى قال ﷺ : « إنّ لله ثلاثمائة خلق من تقرّب إليه بواحد منها دخل الجنّة و أحبّها إليه السخاء » (١) فليت شعري لم حرّم هذا السخاء و لم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عادته أنّه يستعين بالسلاح على الشرّ فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا في أن يمدّه بغيره و العلم سلاح يقا تل به الشيطان و أعداء الله و قد يعاون به أعداء الله تعالى و هو الهوى فمن لا يزال مؤثراً لدنياه على دينه و لهواه على آخرته و هو عاجز عنها لقلّة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكّن

(١) أخرجه الطبراني في الاوسط من حديث أنس مرفوعاً باختلاف في اللفظ . (المنى)

به من الوصول إلى شهواته ، بل لم يزل علماء السلف يتفقّدون أحوال من يتردّد إليهم فلو رأوا من واحد منهم تقصيراً في نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا منه فجوراً أو استحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلاً عن تعليمه لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غير هافليس يطلب إلا آلة الشرّ وقد تعوّد جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وماتعوذوا من الفاجر الجاهل ، فهذا وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالة والأكماء الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر منها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فإذن قوله عليه السلام : «الأعمال بالنيّات» يختصّ من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً ، نعم النية داخله فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصود الخبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة .

القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيّات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها أمّا الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله لا غير فإن نوى الرّياء صارت معصية وأمّا تضاعف الفضل فبكثرة النيّات الحسنة وإنّ الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكلّ نية ثواب إذ كلّ واحدة منها حسنة فتضاعف كلّ حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر ومثالها القعود في المسجد فإنّه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيّات كثيرة حتّى يصير من فضائل أعمال المتّقين ويبلغ به درجات المؤمنين أوّلها أن يعتقد أنّه بيت الله وأنّ داخله زائر لله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده النبي عليه السلام حيث قال : « من دخل ^(١) المسجد فقد زار الله عزّ وجلّ وحقّ على المزور

(١) في الاحياء > من عمد .

إكرام زائره» (١) و ثانيها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون من جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى : « و رابطوا » (٢) و ثالثها الترهّب بكفّ السمع و البصر و سائر الأعضاء عن الحركات و التردّدات فإنّ الاعتكاف كفّ و هو في معنى الصوم وهو نوع ترهّب و لذلك قال عليه السلام : « رهبانة أمني القعود في المساجد » (٣) و رابعها عكوف الهمّ على الله تعالى و لزوم السرّ للمفكر في الآخرة و دفع الشواغل الصارفة عنه باعتزاله إلى المسجد ، و خامسها التجرّد لذكر الله أو الاستماع لذكره أو للتذكّر به كما روي « من غدا إلى المسجد ليذكر الله عزّ وجلّ أو يذكر به كان كالجاهد في سبيل الله » (٤) و سادسها أن يقصد إفادة علم الله عزّ وجلّ بأمر به معروف أو نهي عن منكر إذ المسجد لا يخلو عمّن يسيء صلاته أو يتعاطى ما لا يحلّ له فيأمره بالمعروف و يرشده إلى الدّين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يتعلّم منه فتضاعف خيراته ، و سابعها أن يستفيد أخافى الله فإنّها غنيمة و ذخيرة للدّار الآخرة ، و المسجد معشّش أهل الدّين المحبّين لله وفي الله تعالى ، و ثامنها أن يترك الذّنوب حياءً من الله عزّ وجلّ و حياءً من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة و قد قال الحسن بن عليّ عليه السلام : « من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال أخأ مستفاداً في الله أو رحمة منزلة أو علماً مستطرفاً أو كلمة تدلّه على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك الذّنوب خشية أو حياءً » (٥).

أقول: هذا الحديث روّيناه من طريق الخاصّة عن أمير المؤمنين عليه السلام (٦)

(١) أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان و للبيهقي في الشعب نحوه من رواية جماعة من الصحابة لم يسمّوا باسناد صحيح وقد تقدّم.

(٢) آل عمران : ٢٠٠ .

(٣) قال العراقي : لم اجد له أصلاً .

(٤) قال العراقي : هو معروف من قول كعب الاحبار و روّيناه في جزء ابن طوق .

(٥) رواه الحميري في قرب الاسناد بنحوه عن الحسين بن عليّ عن جده عليهم السلام

و أيضاً البرقي في المحاسن .

(٦) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٣٢٤ باب فضل المساجد .

هكذا قال : « من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان أخاً مستغداً في الله أو علماً مستطرفاً أو آية محكمة أو يسمع كلمة تدلّه على هدى أو كلمة تردّه عن ردى أو رحمة منتظرة أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً » .

قال أبو حامد : فهذا طريق تكثير النيّات وقس عليه سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتل نيّات كثيرة وإنّما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جدّه في طلب الخير وتشمّره له و تفكّرّه فيه فهذا تزكوا الأعمال وتتضاعف الحسنات .

القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات إلا ويحتل نيّة أو نيّات يصير بها من محاسن القربات وينال معالي الدّرجات فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطى البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحقّر العبد شيئاً من الخطرات واللحظات فكلّ ذلك يسأل عنها يوم القيامة أنّه لم فعلها وما الذي قصد بها هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ، ولذلك قال عليه السلام : « حلالها حساب وحرامها عذاب » ^(١) وفي الخبر « من تطيّب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيّب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة » ^(٢) واستعمال الطيب مباح ولكن لا بدّ فيه من نيّة . فإن قلت : فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيّب لله تعالى ؟ فاعلم أنّ من تطيّب مثلاً يوم الجمعة في سائر الأوقات يتصور أنّ يقصد التنعّم بلذات الدّنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويدكر بطيب الرائحة أو ليتودّد في قلوب النساء الأجنبية إذا كان متهيّباً للنظر إليهنّ أو لأمر آخر لا تحصى وكلّ ذلك يجعل التطيّب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة في القيامة لا بالقصد الأوّل وهو التلذذ والتنعّم فإنّ ذلك ليس بمعصية إلاّ أنّه يسأل عنه « ومن نوقش في الحساب عذب » ومن أوتي شيئاً من مباح الدّنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسراناً بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم يبقى وأمّا النيّات الحسنة فإنّه ينوي به اتباع سنّة النبي

(١) قد تقدم .

(٢) ما عثرت على أصل له .

يوم الجمعة ، وأن ينوي به تعظيم المسجد واحترام بيت الله عز وجل فلا يرى أن يدخله زائر الله عز وجل إلا طيب الرائحة وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحهم ، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤذي إلى إيذاء مخالطيه ، وأن يقصد به حسم باب الغيبة على المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله عز وجل بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل :

مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا * ألا تفارقهم فالرأحلون هم
وقال عز وجل : « ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » (١) أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر ، وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر ، وقد قيل : من طاب ريحه زاد عقله ، فهذا أو مثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالباً على قلبه وإذا لم يغلب على قلبه إلا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء ، والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس على هذا الواحد غيره ، ولهذا قال بعض السلف : إنني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتمى في أكله وشربي ونومي ودخولي الخلا ، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به وجه الله لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو عين على الدين ، فمن كان قصده من الأكل التقوي به على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطيب قلب أهله والتوصل به إلى ولد يعبد الله فيكثر به الأمة ثم ما كان مطيعاً بأكله ونكاحه ، وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ، وكذلك ينبغي أن يحسن نيته مهماضع له مال ويقول هو في سبيل الله ، وإذا بلغه اغتيا بغيره له فليطيب قلبه بأنه سيحمل عنه سيئاته وينقل إلى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن

الجواب ففي الخبر « إن العبد ليحاسب فيبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الأعمال الحسنة ما تستوجب به الجنة فيتعجب و يقول : يا رب هذه أعمال ما عملتها فيقال هي أعمال الذين اغتابوك و آذوك وظلموك (١) ، و في الخبر « إن العبد ليواني القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة و يأتي قد ظلم هذا و شتم هذا و ضرب هذا فيقتصه لهذا من حسناته ولهذه من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة : قد فنيت حسناته و بقي طالبون فيقول الله عز وجل : ألقوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكاً إلى النار (٢) ، وبالجملة فإياك ثم إياك أن تستعجر شيئاً من حركاتك فلا تحذر من غرورها و شرورها ولا تجد لها جواباً يوم السؤال و الحساب فإن الله مطلع عليك و شهيد « و ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » فإن كنت أولي الحزم والنهي ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن و دقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك و راقب أحوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل أولاً إنك لم تتحرك وماذا تقصد و ما الذي تنال به من الدنيا و ما الذي يفوتك به من الآخرة و بما ذا ترجح الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فامض عزمك و ما خطر ببالك و إلا فامسك ثم راقب قلبك أيضاً في إمساكك و امتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بد له من نيّة صحيحة ولا ينبغي أن يكون الداعي هوى خفياً لا تطلع عليه ولا يغرّك ظواهر الأمور و مشهورات الخيرات و انظر إلى الأغوار و الأسرار تخرج من حيز أهل الاعتزاز فقد روي عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل في حائط بالطين وكان أجير القوم فقدّموا له رغيقين إذ كان لا يأكل إلا من كسب يديه فدخل عليه قوم فلم يدعهم إلى

(١) أخرجه أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث شيث بن سعد البلوي مختصراً « ان العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منتشراً فينظر فيه فبرى حسنات لم يعملها فيقول : هذا لي ولم أعملها ؟ فيقال : بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر » و به أبو لهيعة (المغنى) .

(٢) تقدم مع اختلاف .

الطعام حتى فرغ منه فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا أن الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال : إنني أعمل لقوم بأجرة وقد موا إلي الرغيفين لأتقوي بهما على عملهم فلوأ كلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم. فالصير هكذا ينظر إلى البواطن بنور الله فإن ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض، فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار .

﴿ بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار ﴾

إعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله ﷺ: الأعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله : نويت أن أدرس لله تعالى أو أتجر أو أكل و يظن أن ذلك نية وهيات فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو فكرة و انتقال من خاطر إلى خاطر، والنية بمعزل عن جميع ذلك وإنما النية انبعث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً أو آجلاً والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه و اكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبان : نويت أن اشتهي الطعام و أميل إليه أو قول الفارغ : نويت إن أعشق فلاناً و أحبه وأعظمه بقلبي و ذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء، و ميله إليه و توجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه و إنما ينبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ومالم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين ، و إذا اعتقد فأنما يتوجه القلب إذا كان فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه و ذلك لا يمكن في كل وقت و الدواعي و الصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال و الأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح و لم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد دينياً و لادنياً يمكنه إن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية

هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح اتِّباعاً لرسول الله ﷺ يعظم فضلها لم يمكنه أن ينوي اتِّباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية ، نعم طريق اكتساب هذه النية مثلاً أن يقوى أولاً إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمة محمد ﷺ ويدفع عن نفسه جميع المنقّرات عن الولد من ثقل المؤونة وطول التعب وغيره وإذا فعل ذلك ، فربما انبعثت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحرّكته تلك الرغبة وتحرّك أعضاءه لمباشرة العقد وإذا انتهت القدرة المحرّكة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناوياً وإذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردّه في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنعت جماعة من جملة من الطاعات إذ لم تحضرم النية وكانوا يقولون ليس يحضرنى نية حتى أن ابن سيرين لم يصلّ على جنازة الحسن البصري وقال : ليس تحضرنى نية .

أقول : ولعلّه إنّما لم يصلّ على جنازته لأنّه كان يعرفه بالنفاق فتعلّل .

قال أبو حامد : وكانوا إذا سئلوا عملاً من أعمال البرّ قالوا : إن رزقنا الله تعالى نية فعلنا . وقال بعضهم : أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحّحت لي بعد . وقال عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرف فقال ابنه : ألا تعرض عليه العشاء ؟ فقال : ليس من نيتي .

أقول : روى البرقي بإسناده عن الصادق عليه السلام «أنه أتاه مولى له فسلم عليه وجلس فلما انصرف عليه انصرف معه الرجل فلما انتهى إلى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه إسماعيل : يا أبا عبد الله ألا كنت عرضت عليه الدخول ؟ فقال : لم يكن من شأنى إدخاله ، قال : فهو لم يكن يدخل ، قال : يا بنيّ إنني أكره أن يكتبني الله عرضاً » (١) .

قال أبو حامد : وهذا لأنّ النية يتبع النظر فإذا تغيّر النظر تغيّرت النية

فكانوا لا يرون أن يعملوا عملاً إلا بالنيّة لعلمهم بأنّ النيّة روح الأعمال وأنّ العمل بغير نيّة صادقة رياء، وتكلّف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا أنّ النيّة ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هي انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى قد يتيسّر في بعض الأوقات وقد يتعذّر نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدّين يتيسّر عليه في أكثر الأحوال إحضار النيّة للخيرات فإنّ قلبه مائل بالجمله إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالباً ومن مال قلبه إلى الدّنيا وغلبت عليه لم يتيسّر ذلك بل لا يتيسّر في الفرائض إلاّ بجهد جهيد و غايته أن يتذكّر النار و يحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنّة و يرغب نفسه فيها فرّما تنبعت له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيّته وأما الطاعة على نيّة إجلال الله عزّ وجلّ لاستحقاقه الطاعة و العبوديّة فلا يتيسّر للرّاعب في الدّنيا وهذه أعزّ النيّات و أعلاها ويعزّ من يفهمها فضلاً عمّن يتعاطاها و نيّات الناس في الطاعة أقسام إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنّه يتّقي النار، ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرّجاء و هو الرّغبة في الجنّة وهذا وإن كان نازلاً بالإضافة إلى قصد طاعة الله و تعظيمه لذاته و لجلاله لا لأمرسواه فهو من جملة النيّات الصحيحة لأنّه ميل إلى الموعود في الآخرة وإن كان من جنس المألوف في الدّنيا ، و أغلب البواعث باعث الفرج و البطن و موضع قضاء و طرهما الجنّة و العامل لأجل الجنّة عامل لبطنه و فرجه كالأجير السوء و درجته درجة البله و إنّّه لينالها بعلمه إذ أكثر أهل الجنّة البله و أمّا عبادة ذبي الألباب فلا تتجاوز ذكر الله تعالى و الفكر فيه حباً لجماله و جلاله و سائر الأعمال تكون مؤكّدات و روادف و هؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى المنكوح و المطعوم في الجنّة فإنّهم لم يقصدوها بل هم «الذين يدعون ربّهم بالغداة و العشيّ» يريدون وجهه فقط و ثواب الناس بقدر نيّاتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر إلى وجهه الكريم و يسخرون ممّن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى الحور العين ممّن يتنعم بالنظر إلى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشدّ ، فإنّ التفاوت بين جمال الحضرة الرّبوبيّة و جمال الحور العين أشدّ و أعظم كثيراً من التفاوت

بين جمال الحور العين و الصور المصنوعة من الطين ، بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان وإعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهاى استعظام الخنفساء لصاحبتها و ألقها لها و إعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء ، فعمى أكثر القلوب عن إِبصار جمال الله عزّ وجلّ و جلاله يضاهاى عمي الخنفساء عن إدراك جمال النساء ، فإنّها لا تشعر به أصلاً ولا تلتفت إليه ولو كان لها عقل و ذكرن لها لاستخفّ عقل من يلتفت إليهنّ و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، كلُّ حزب بما لديهم فرحون و لذلك خلقهم و الغرض أنّ هذه النيّات متفاوتة الدرجات و من غلب على قلبه واحدة منها ربّما لم يتيسّر له العدول إلى غيرها و معرفة هذه الحقائق تورث أعمالاً و أفعالاً يستنكرها الظاهريّون من الفقهاء ، فإنّا نقول من حضرت له نيّة في مباح و لم تحضر في فضيلة فالمباح أولى و انتقلت الفضيلة إليه و صارت الفضيلة في حقّه نقيصة لأنّ الأعمال بالنيّات و ذلك مثل العفو فإنّه أفضل من الانتصار في الظلم فإنّه ربّما تحضره نيّة في الانتصار دون العفو يكون ذلك أفضل و مثل أن يكون له نيّة في الشرب و الأكل و النوم ليريح نفسه و يتقوى على العبادة في المستقبل و ليس تنبعث نيّته في الحالين للصوم و الصلاة فالأكل و النوم هو الأفضل له بل لو ملّ العبادة لمواظبته عليها و سكن نشاطه و ضعف رغبته و علم أنّّه لو ترفّقه ساعة بلهو و حديث عاد نشاطه ، فاللهو و الحديث أفضل من الصلاة ، و قال أبو الدرداء : إنّي لأستجمّ نفسي بالله و فيكون ذلك عوناً لي على الحقّ . و قال عليّ عليه السلام : «رَوْ حُوا القلوب فإنّها إذا أكرهت عميت» (١) و هذه دقائق يدركها سمسرة العلماء و دن الحشويّة منهم بل الحاذق بالطبّ قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته و يستبعده القاصر في الطبّ و إنّما ينبغي به أن يعيد أو لا قوّته ليحتمل المعالجة بالصدّ ، و الحاذق في الشطر نج قد ينزل عن الرخ و الفرس مجّاناً ليتوصّل به إلى الغلبة و الضعيف البصيرة قد يضحك به و يتعجّب منه و كذلك الخبير بالقتال قد يرى من نفسه الهزيمة و يولّي الخصم دبره ليستجره إلى مضيق فيكره عليه فكذلك سلوكك طريق الله عزّ وجلّ

كلّه قتال مع الشيطان و معالجة للقلب ، و البصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد أن يضرر إنكاراً على ما يراه من شيخه و لا للمتعلم أن يعترض على أستاذه بل ينبغي أن يقف حدّ بصيرته و ما لا يفهمه من أحوالهما يسلمهما لهما إلى أن ينكشف له أسرارهما بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهم .

❖ (الباب الثاني) ❖

❖ (فى الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته) ❖

فضيلة الإخلاص قال الله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (١) و قال : « ألا لله الدين الخالص » (٢) و قال : « إلا الذين تابوا و أصلحوا و اعتصموا بالله و أخلصوا دينهم لله » (٣) و قال : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربه أحداً » (٤) نزلت فيمن يعمل لله و يحب أن يحمد عليه .

وقال ﷺ : : « ثلاث لا يغفلُ عليهنَّ قلبُ رجلٍ مسلمٍ : إخلاص العمل لله عزَّ وجلَّ » (٥) و عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : ظنَّ أبي أنَّهُ له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : « إنّما نصر الله هذه الأمة بضعفائها و دعوتهم و إخلاصهم و صلاتهم » (٦) و عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : الإخلاص سرٌّ من أسرارى أستودعه قلب من أحببته من عبادى » (٧) و قال عليُّ بن

(١) البينة : ٤ . (٢) الزمر : ٣ .

(٣) النساء : ١٤٥ . (٤) الكهف : ١١٠ .

(٥) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ١٢٥ من حديث عبدالله بن مسعود و رواه الصدوق فى الخصال باب الثلاثة عن الصادق ﷺ .

(٦) أخرجه النسائى ج ٦ ص ٤٥ كتاب الجهاد باب الاستنصار بالضعيف .

(٧) قال العراقى : رويناه فى جزءه من مسلسلات القزوينى يقول كل واحد من رواة

سألت فلاناً عن الاخلاص فقال : وهو من رواية احمد بن عطاء الهجيمى عن عبدالواحد بن زبد عن الحسن عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه و آله عن جبرئيل عن الله تعالى .

أبي طالب عليه السلام: « لا تهتموا القلة العمل اهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل اخلص العمل يجزك منه القليل » (١) وقال عليه السلام: « ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » (٢) وقال عليه السلام: « أول من يسأل يوم القيامة ثلاث : رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى: ما ذا صنعت فيما علمت؟ فيقول: يا رب كنت أقوم به آناه الليل والنهار، فيقول الله عز وجل: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت بل أردت أن يقال: فلان عالم، ألا فقد قيل ذلك، ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى: قد أنعمت عليك فما ذا صنعت؟ فيقول: يا رب كنت أتصدق به آناه الليل والنهار، فيقول الله عز وجل: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت أردت أن يقال: فلان جواد، ألا فقد قيل ذلك، ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى: ماذا صنعت؟ فيقول: أمرت بالجهاد فقاتلت في سبيلك حتى قتلت، فيقول الله عز وجل: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت بل أردت أن يقال: فلان شجاع، ألا فقد قيل ذلك » (٣).

و في الاسرائيليات أن عابداً كان يعبد الله دهرأ طويلاً فجاهه قوم فقالوا: إن ههنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فأخذ فاسه على عاتقه و قصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال: أين تريد رحمك الله قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة قال: وما أنت وذاك تركت عبادتك و اشتغالك بنفسك و تفرغت لغير ذلك، فقال: إن هذا من عبادتي قال: فانني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد و طرحه على الأرض و قعد على صدره فقال له: إبليس أطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له: إبليس يا هذا إن الله عز وجل قد أسقط عنك هذا و لم يفرضه عليك و ما تعبدها أنت و ما عليك من غيرك و لله تعالى أنبياء

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الاخلاص والحاكم في المستدرک بلفظ « اخلص نيتك » بسند صحيح من حديث معاذ كما في الجامع الصغير .

(٢) أخرجه ابو نعيم في الحلية بسند ضعيف وفيه « من اخلص لله ». وروى الكليني نحوه عن أبي جعفر عليه السلام في الكافي ج ٢ ص ١٦ و يأتي .

(٣) أخرجه الترمذی ج ٨ ص ٢٢٩ وقد تقدم .

في الأرض و لو شاء لبعثهم إلى أهلها و أمرهم بقطعها قال العابد : لا بد لي من قطعها فابذ للقتال فغلبه العابد و صرعه و قعد على صدره فعجز إبليس فقال : هل لك في أمر فصل بيني وبينك و هو خير لك و أنفع قال : وما هو ؟ قال : أطلقني حتى أقول لك ، فأطلقه فقال له إبليس : أنت رجلٌ فقير لاشيء لك إنما أنت كلٌّ على الناس يعولونك و لعلمك تحبُّ أن تنفضَّ على إخوانك و تواضي حيرانك و تشبع و تستغني عن الناس ؟ قال : نعم ، قال : فارجع عن هذا الأمر و لك عليّ أن أجعل عند رأسك في كلِّ ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقتهما على نفسك و عيالك و تصدّقت على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك و للمسلمين من قطع هذه الشجرة التي تغرس مكانها و لا يضرُّهم قطعها شيئاً و لا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إيّاها فتفكر العابد فيما قال ، وقال : صدق الشيخ لست بنبيّ فيلزمني قطع هذه الشجرة و لا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصياً بتركها و ما ذكره أكثر مننعة فاعده على الوفاء بذلك و حلفه فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما و كذلك من الغد ثم أصبح اليوم الثالث و ما بعده فلم يجد شيئاً فغضب و أخذ فاسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة الشيخ فقال له : إلى أين ؟ فقال : أقطع تلك الشجرة فقال : كذبت و الله ما أنت بقادر على ذلك و لا سبيل لك إليها فنأوله العابد ليأخذه كما فعل أوّل مرّة فقال : هيهات فأخذه إبليس و صرعه فاذا هو كالعصفور بين رجله و قعد إبليس على صدره فقال : لتنتهين عن هذا الأمر أو لأقتلنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به ، فقال : يا هذا غلبتني فخلّ عني و أخبرني كيف غلبتك أوّلاً و غلبتني الآن ، فقال : لأنك غضبت لله تعالى أوّل مرّة و كانت نيّتك الآخرة فسخرني الله لك و هذه الكرّة غضبت لنفسك و اللدّ يافصر عتك . و هذه الحكاية تصديق قوله تعالى : « إلاّ عبادك منهم المخلصين » (١) إذ لا تتخلص العبد عن الشيطان إلاّ بالاحلاص و لذلك كان المعروف الكرخي يضرب نفسه ويقول : يا نفس أخلصي تخلّصي ، وقال يعقوب المكفوف : المخلص من يكتّم حسناته

كما يكتفم سيئاته ، وقال أبو سليمان : طوبى لمن صحّت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله عزّ وجلّ ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له : أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل ، وقال أبو أيّوب السخيتاني : تخلص النيات على العمّال أشدّ عليهم من جميع الأعمال .

أقول: ثمّ ذكر أبو حامد أقاويل الناس في فضيلة الاخلاص وقد طويناها وفي الكافي عن الصادق عليه السلام « في قول الله عزّ وجلّ : « ليلبوكم أيكم أحسن عملاً » (٢) قال : ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة الحسنة ، ثمّ قال : الإبقاء على العمل حتّى تخلص أشدّ من العمل ؛ والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمّدك عليه أحدٌ إلا الله عزّ وجلّ » (٣) وعن الباقر عليه السلام قال : « ما أخلص العبد الإيمان بالله عزّ وجلّ أربعين يوماً إلا زهده الله في الدنيا وبصره داءها و دواها فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه » (٤) .

﴿ بيان حقيقة الخلوص ﴾

إعلم أن كلّ شيء يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمّي خالصاً وسمّي الفعل المصقّى المخلص إخلاصاً قال الله تعالى : « من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين » (٥) فإنّما خلوص اللّبن أن لا يكون فيه شوب من الدّم و الفرث ومن كلّ ما يمكن أن يمتزج به والاخلاص يضادّه الاشرّك فمن ليس مخلصاً فهو مشرّك إلا أن للشرك درجات والاخلاص في التوحيد يضادّه التشريك في الإلهية ، والشرك منه خفيٌّ ومنه جليٌّ وكذا الإخلاص فالإخلاص وضدّه يتواردان على القلب فمحلّهما القلب وإنّما يكون ذلك في القصد والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحداً على التجرّد سمّي الفعل الصادر عنه إخلاصاً بالإضافة إلى المنوي فمن صدّق وغرضه محض الرّياء فهو مخلص وإن كان غرضه

(٢) الملك : ٢ .

(٣) و(٤) المصدر ج ٢ ص ١٦ تحت رقم ٦٥٤ .

(٥) النحل : ٦٦ .

محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلصٌ ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع شوائبه كما أن الأحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعته مجرد الرياء فهو متعرض للمهلك ولسنا نتكلم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات وأقل أموره ما ورد في الخبر «إن المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يمارئي ياخادع يا مشرك يا كافر» (١) وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لتصد التقرب ولكن امنزج بهذا الباعث باعث آخر إما من الرياء وإما من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب، أو يعتق عبد ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه، أم يحج ليصح مزاجه بحرارة السفر، أو ليتخلص من شرّ يعرض له في بلده أو ليهرب عن عدو له في منزله أو يتبرم بأهله وولده أو لشغل هو فيه وأراد أن يستريح عنه أيّاماً، أو يغزو ويمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجربها، أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به و ليراقب رحله وأهله أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزاً بين العشيرة، أو ليكون عقاره وأمواله محروسة بعز العلم عن الأطماع، أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث أو تكفل بخدمة العلماء ليكون حرمة وافرة عندهم وعند الناس، أو لينال به رفقاً في الدنيا أو كتب مصحفاً ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو يحج ماشياً ليخفف عن نفسه مؤونة الكراء، أو توضعاً ليتنظف ويتبرّد أو اغتسل ليتطيب رائحته، أو روى الحديث ليعرف بعلو الأسناد، أو اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الأكل عنها أو يتصدق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه أو يعود مريضاً ليعاد إذا مرض ويشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار، فمهما كان باعته هو التقرب إلى الله عز وجل ولكن

انضافت إليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل عليه أخفّ بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حدّ الإخلاص وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى و تطرّق الشرك إليه و قد قال تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، و بالجملة كلّ حظّ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قلّ أم أكثر إذا تطرّق العمل تكدّر به صفوه و زال به إخلاصه و الإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلّما ينفكّ فعل من أفعاله و عبادة من عباداته عن حظوظ و أغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك قيل : من سلمت له في عمره خطوة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا و ذلك لعزّة الإخلاص و عسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلّا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبها وإنّما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقربّ و انضافت هذه الأمور إليه ، ثمّ هذه الشوائب إمّا أن تكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في النيّة ، و بالجملة فالما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الدّيني أو أقوى منه أو أضعف ولكلّ واحد حكم آخر كما سنذكره و إنّما الإخلاص تخلص العمل عن هذه الشوائب كلّها قليلها وكثيرها حتى يتجرّد فيه قصد التقربّ فلا يكون فيه باعث سواء و هذا لا يتصور إلّا من محبّ الله عزّ و جلّ مستهتر به ، مستغرق الهمّ بالأخرة بحيث لم يبق لحبّ الدنيا في قلبه قرار حتى لا يجبّ الأكل و الشرب أيضاً بل تكون رغبته فيه كرهته في قضاء الحاجة من حيث إنّّه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لأنّه طعام بل لأنّه يقوّيه على عبادة الله ويتمنّى أن لو كفى شرّ الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظّ من الفضول الزائدة على الضرورة و يكون قدر الضرورة مطلوباً عنده لأنّه ضرورة دينه فلا يكون له همّ إلّا لدينه ، فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النيّة في جميع حرركاته و سكناته ، فلو نام مثلاً ليريح نفسه ليقوّى على العبادة بعده كان نومه عبادة و كانت له درجة المخلصين فيه ، و من ليس كذلك فباب الإخلاص في العمل كالمسدود عليه إلّا على

الندور وكما أن من غلب عليه حبُّ الله عزُّ وجلُّ وحبُّ الآخرة اكتسبت حر كاته الاعتيادية صفة همّه وصارت إخلاصاً فالذي يغلب على نفسه حبُّ الدنيا والعلوُّ والرئاسة وبالجملة حبُّ غير الله اكتسب جميع حر كاته الاعتيادية تلك الصفة فلم تسلم له عباداته من صومه وصلاته وغير ذلك إلا نادراً ، فعلاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرُّد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا ذلك يتيسر الإخلاص ، وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظنُّ أنها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغروراً لأنه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم أنه قال : قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صلّيتها في المسجد جماعة في الصفِّ الأوَّل لأنني تأخّرت يوماً لعذر وصلّيت في الصفِّ الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصفِّ الثاني فعرفت أن نظر الناس إليَّ في الصفِّ الأوَّل كان يسرُّني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا أشعر ، وهذا دقيق غامض وقلّما تسلم الأعمال من أمثاله ، وقلُّ من يتنبّه له ، والغافلون عنه يرون حسناتهم كلّها في الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى : «وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»^(١) «وبدالهم سيئات ما عملوا»^(٢) و«قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»^(٣) وأشدُّ الخلق تعريضاً لهذه الفتنة العلماء فإنَّ الباعث للأكثرين على نشر العلم لذّة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول : غرضكم نشر دين الله والنضال عن شرع رسول الله ، وترى الواعظ يمنُّ على الله بنصيحته للخلق وعظه للسلطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يزعم أنه يفرح بما يتيسر له من نصره الدين ، ولو ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظاً وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساء ذلك وغمّه ولو كان باعته الدين لشكر الله عزُّ وجلُّ إذ كفاه هذا المهمُّ بغيره ، ثمُّ الشيطان مع ذلك لا يخليّه ويقول إنمّا غمّك لانقطاع

(٢) الجاثية: ٣٢.

(١) الزمر: ٤٨.

(٣) الكهف: ١٠٤ و ١٠٥.

الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس منك إذ لو اتعظوا بقولك لكننت أنت المطاب و اغتنامك لفوات الثواب محمودٌ، ولا يدري المسكين أن انقياده للحقّ وتسليمه الأمر للأفضل أجزل ثواباً وأعود عليه في الآخرة من انفراده. وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنّه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به ولاختره بذلك على نفسه وذلك قبل التجربة و الامتحان محض الجهل والغرور ، فإنّ النفس سهلة القيادة في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر بها ، ثمّ إذاهاها الأمر تغيرت و رجعت ولم تف بالوعد ، و ذلك لا يعرفه إلاّ من عرف مكائد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الإخلاص و العمل بها ببحر عميق يغرق فيه الجميع إلاّ الشاذّ النادر و الفرد الغدّه وهو المستثنى في قوله تعالى : « إلاّ عبادك منهم المخلصين »^(١) فليكن العبد شديد التفتّد و المراقبة لهذه الدقائق وإلاّ التحقّ باتباع الشيطان وهو لا يشعر به .

أقول: ثمّ ذكر أبو حامد أقاويل الشيوخ في الإخلاص ونقل عن بعضهم أنّ الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين قال : و هذه إشارة إلى أنّ حظوظ النفس آفة آجالاً و عاجلاً و العابد لأجل تنعمّ النفس بالشهوات في الجنّة معلول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلاّ وجه الله و هو إشارة إلى إخلاص الصديقين و هو الإخلاص المطلق ، فأما من يعمل لرجاء الجنّة أو خوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة و إلاّ فهو في طلب حظّ البطن و الفرج وإنّما المطلوب الحقّ لذوي الألباب وجه الله فقط و قول القائل لا يتحرك إلاّ إنسان إلاّ لحظّ و البراءة من الحظوظ صفة الإلهيّة و من ادّعاها فهو كافرٌ حقاً ، ولكنّ القوم إنّما أرادوا بها البراءة عمّا يسمّيه الناس حظوظاً وهي الشهوات الموصوفة في الجنّة فقط فأما التلذّد بمجرّد المعرفة و المناجاة والنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ فهذا حظّ هؤلاء و هذا لا يعدّه الناس حظّاً بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوّضوا عمّا هم فيه من لذّة الطاعة و المناجاة و ملازمة الشهود للحضرة الإلهيّة سرّاً و جهراً جميع نعيم الجنّة

لاسحقروها و لم يلتفتوا إليها فحزرتهم لحظاً و طاعتهم لحظاً و لكن حظهم معبودهم فقط دون غيره ، ثم قال : والأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة و إنما البيان الشافي بيان سيد الأولين والآخرين عليه السلام إذ سئل عن الإخلاص فقال : «هو أن تقول ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت»^(١) أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرك . وهذه إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقاً .

﴿بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص﴾

إعلم أن الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلّيٌ وبعضها خفيٌ وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قويٌ مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال وأظهر مشوشات الإخلاص الرّياء فلنذكر منه مثلاً فنقول : الشيطان يدخل الآفة على المصلّي مهما كان مخلصاً في صلواته حيث نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له : حسن صوتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يفتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلواته وهذا هو الرّياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين .

الدرجة الثانية أن يكون المرید قد فهم هذه الآفة فأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت إليه ويستمر في صلواته كما كان فيأتيه في معرض الخير و يقول : أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت و عليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه ففساه يقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الأوّل وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأوّل و هو أيضاً عين الرّياء ومبطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن تحت رقم ٣٩٧٢ . أن سفيان بن عبد الله الثقفى

قال : قلت : يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال : قل : « ربّي الله ثم استقم » . وروى

نحوه مسلم في الصحيح .

ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعزَّ عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه و أمَّا هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه مما ليس متصفاً به .

الدَّرَجَةُ الثالثة وهي أدقُّ مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان و يعلم أن مخالفته بين الخلوة و المشاهدة للغير محض الرياء و يعلم أن الاخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملاء ويستحي من نفسه ومن ربّه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلته على الوجه الذي يرتضيه في الملاء و يصلي في الملاء أيضاً كذلك ، فهذا أيضاً من الرياء الغامض لأنّه حسن صلته في الخلوة ليحسن في الملاء فلا يكون قد فرق بينهما فالنغاة في الخلوة و الملاء إلى الخلق بل الاخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته و مشاهدة الخلق على وطيرة واحدة فكأن نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرأين و يظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلته في الخلوة و الملاء و هيئات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلا و الملاء جميعاً وهذا الشخص مشغول بهم بالخلق في الملاء و الخلا جميعاً ، وهذا من المكائد الخفية للشيطان .

الدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ وهي أدقُّ وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه تقطن لذلك فيقول له الشيطان : تفكر في عظمة الله و جلاله و من أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله عزَّ وجلَّ إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه و تخشع جوارحه و يظن أن ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر و الخداع فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة و كان لا يختص بحضورها بحالة حضور غيره و علامة الأمان من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممَّا يألفه في الخلوة كما يألفه في الملاء ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور هذا الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سبباً فمادام

يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفوا الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرّياء وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر^(١) ولا يسلم من الشيطان إلا من دقّ نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للمتشمسين لعبادة الله عزّ وجلّ لا يغفل عنهم لحظة حتّى يحملهم على الرّياء في كلّ حركة من الحركات حتّى في كحل العين وقصّ الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فإنّ هذه سنن في أوقات مخصوصة وللتنفس فيها حظّ خفي لا يرتباط نظر الخلق بها ولا استيناس الطبع بها فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنّة لا ينبغي أن تتركها ويكون انبعاث القلب باطناً لها لأجل تلك الشهوات الخفية أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حدّ الإخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلّها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس إليه الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من ثواب الاعتكاف وقد يكون المحرّك الخفي في سرّه هو الأُنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ويتبيّن ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضوعين إذا كان أحسن من الآخر وكلّ ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس فيبطل حقيقة الإخلاص، لعمرى الغشّ الذي يمزج بخالص الذّهّب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقلّ ولكن يسهل إدراكه ومنها ما يدقّ بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير وغشّ القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أنقض من ذلك وأدقّ كثيراً ولهذا قيل: ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتّى يخلص عنها فإنّ الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة وغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدّينار المموّه واندارتته وهو زائف في نفسه وقيراط من خالص الذّهّب الذي يرتضيه الناقد خير من الدّينار الذي يرتضيه الغرّ الغبي فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشدّ وأعظم ومداخل الآفات المتطرّقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فما

(١) تقدم غير مرة في العلم وغيره .

ذكرناه مثال والفتن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضاً فلا فائدة في التفصيل .

﴿ بيان حكم العمل المشوب و استحقاق الثواب به ﴾

إعلم أنّ العمل إذالم يكن خالصاً لوجه الله عزّ وجلّ بل امتزج به شوب من الرّياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أنّ ذلك هل يقتضي ثواباً أم يقتضي عقاباً أم لا يقتضي شيئاً أصلاً فلا يكون له ولا عليه ، أمّا الذي لم يرد به إلا الرّياء فهو عليه قطعاً وهو سبب المقت والعقاب ، و أمّا الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في المشوب وظاهر الأخبار يدلّ على أنّه لا ثواب له و ليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه و الذي ينقذ لنا فيه والعلم عند الله أن ينظر إلى قدر قوّة الباعث فإن كان الباعث الدّيني مساوياً للباعث النفسي تقاوماً و تساقطاً و صار العمل لا له ولا عليه و إن كان باعث الرّياء أقوى وأغلب فليس بنافع بل هو مع ذلك مضرّ ومفض للعباب نعم العقاب الذي فيه أخفّ من عقاب العمل الذي تجرّد للرّياء ولم يمتزج به شائبة التقربّ و إن كان قصد التقربّ أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوّة الباعث الدّيني وهذا لقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شراً يره » (١) و لقوله : « إن الله لا يظلم مثقال ذرّة » (٢) فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير بل إن كان قصد التقربّ غالباً على قصد الرّياء حبط منه القدر الذي يساويه و بقيت زيادة ، و إن كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد و كشف الغطاء عن هذا أنّ الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرّياء من المهلكات وإنّما غذاء هذا المهلك و قوّته بالعمل على وفقه و داعية الخير من المنجيات وإنّما قوّتها بالعمل على وفقها فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادّتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرّياء فقد قويت تلك الصفة و إن عمل على وفق داعية الخير قويت أيضاً تلك الصفة وأحدهما مهلك و الآخر منجٍ فإن

كان تقويته لهذا بقدر تقويته للآخر فقد تقاوماً وكان كالمستضرّ بالحرارة إذا تناول ما يضرّه ثم تناول من المبرّات ما يقاوم قدر قوّته فيكون بعد تناوله كما كأنّه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالباً لم يحل الغالب عن أثر فكما لا يضيع مثقال ذرّة من الطعام و الشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله عزّ وجلّ فكذلك لا يضيع مثقال ذرّة من الخير والشرّ ولا ينفك عن تأثير في إنارة القلب أو تسويده وفي تقرّيبه من الله تعالى أو إبعاده فإذا جاء بما يقربه شبراً مع ما يبعده شبراً فقد عاد إلى ما كان لاله ولا عليه فإن كان الفعل ممّا يقربه شبرين والآخر يبعده شبراً واحداً فضل له لاحتماله شبرٌ وقد قال ﷺ: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (١) فإذا كان الرّياء المحض يحوه الإخلاص المحض عقبيه فإذا اجتمعا جميعاً فلا بدّ وأن يتدافعا بالضرورة و يشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجباً ومعه تجارة صحّ حجّه و أثيب عليه و قد امتزج به حظّ من حظوظ النفس ، نعم يمكن أن يقال إنّما يثاب على أعمال الحجّ عند انتهائه إلى مكّة و تجارته غير موقوفة عليه فهو خالص و إنّما المشترك طول المسافة و لاثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحجّ هو المحرّك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب .

أقول : بل الصواب أن يقال : أن التجارة تعرض للرّزق وهو أيضاً عبادة و ليس من حظوظ النفس وقد سبق أن نيّة الخيرات المتعدّدة موجبة لتضاعف الثواب . قال أبو حامد : و ما أظنّ أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفّار في جهة يكثّر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ، و يبعد أن يقال : إدراك هذه التفرقة يحبط بالكليّة ثواب جهادهم بل العدل أن يقال : إذا كان الباعث الأصليّ والمزج القوي هو إعلاء كلمة الله و إنّما الرّغبة في الغنيمة على سبيل التبعيّة فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلاً فإنّ هذا الالتفات نقصان لاحتماله ، فإن قلت : فالآيات والأخبار تدلّ على أن شوب الرّياء محبط للثواب وفي

(١) قد تقدم غير مرة في رياضة النفس وفي التوبة .

معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاؤوس وغيره من التابعين أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن يصدق المعروف أو قال: يتصدق فيجب أن يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله تعالى: « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١) وقد قصد الأجر والحمد جميعاً وروى أن أعرابياً أتاه فقال له: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال ﷺ: « من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٢) وقال النبي ﷺ: « من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له » (٣).

أقول: ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال لعباد ابن كثير البصري في المسجد: « ويلك يا عبداً إياك والرياء فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له » (٤).

وعنه عليه السلام قال: « كل رياء شرك، إنّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله » (٥).

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: « فمن كان يرجو لقاء ربه - الآية - » قال: « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه، ثم قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسرّ شرّاً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له شرّاً » (٦).

وعنه عليه السلام قال: قال الله تعالى: « أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً » (٧).

(١) الكهف: ١١١.

(٢) أخرجه النسائي ج ٦ ص ٢٣ بأدنى اختلاف من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) تقدم في الرياء.

(٤) و(٥) و(٦) المصدر ج ٢ ص ٢٩٣ تحت رقم ١ و ٣ و ٢٠.

(٧) المصدر ج ٢ ص ٢٩٥ تحت رقم ٩.

قال أبو حامد : فنقول : هذه الأحاديث لاتناقض ما ذكرناه بل المراد بهامن
لم يرد به إلا الدنيا كقوله : « من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له ، أو كان ذلك
أغلب على نيّته وقد ذكرنا أن ذلك عصيان و عدوان لا لأن طلب الدنيا حرامٌ
ولكن طلبها بأعمال الدّين حرامٌ لما فيه من الرّياء ، و تغيير العبادة عن وضعها ، و
أمّا لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي و قد بيّنا أنه إذا تساوى القصدان
تتأوماً ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ، ثمّ الإنسان عند الشركة
أبدأً في خطر فإنّه لا يدري أيّ الأمرين أغلب على قصده فربّما يكون عليه وبالاً
ولذلك قال الله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ، أي لا يرجى
اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط ، و يجوز أن يقال : أيضاً منصب
الشهادة أيضاً لا ينال إلا بالاحلاص في الغزو ، و بعيد أن يقال : من كانت داعيته
الدنيّة بحيث تزوجه إلى مجرد الغزو و إن لم تكن غنيمة و قدر على غزوطائفتين
من الكفّار إحديهما أغنياً و الأخرى فقراً ، فمال إلى جهة الأغنياً لا لعلاء كلمة الله
تعالى و الغنيمة أنّه لا ثواب له على غزوه البتّة و نعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك
فإنّ هذا حرج في الدّين و مدخل للباس على المسلمين لأنّ أمثال هذه الشوائب
التابعة قطّ لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب
فأمّا أن يكون في إحباطه فلا ، نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنّه ربّما يظنّ أنّ
الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله و يكون الأغلب على سرّه الحظّ النفسي و ذلك
مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالاحلاص و الاحلاص قلّما يستيقنه العبد
من نفسه و إن بالغ في الاحتياط ، فلذلك ينبغي أن يكون أبدأً بعد كمال الاجتهاد
منردداً بين الرّدّ و القبول خائفاً أن تكون في عباداته آفة يكون و بالها أكثر من
ثوابها فلا يقاومها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر ، وهكذا ينبغي أن يكون
كلّ ذي بصيرة ، و مع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة و الرّياء فإنّ
ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن يفوت الاحلاص ، و مهما ترك العمل
فقد ضيّع العمل و الاحلاص جميعاً ، و قد قيل : ترك العمل بسبب الخلق رثاء و فعله

لأجل الخلق شرك .

أقول: روى في الكافي بإسناده الحسن عن أبي جعفر عليه السلام « أنه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك فقال : لا بأس ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك » (١).

❖ (الباب الثالث) ❖

❖ (في الصدق وفضيلته وحقيقته) ❖

فضيلة الصدق قال الله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » (٢) وقال : النبي صلى الله عليه وآله : « إن الصدق يهدي إلى البرّ والبرّ يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليمدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (٣) و يكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى قد وصف به الأنبياء في معرض المدح والثناء فقال : « و اذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً » (٤) وقال : « و اذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً » (٥) .

أقول: ثم ذكر أبو حامد أقوال الناس في فضيلة الصدق و روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن الكمال فقال : « قول الحقّ و العمل بالصدق » (٦) .
و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال : « إن الرجل ليمدق حتى يكتبه الله صديقاً » (٧) .

و عن الصادق عليه السلام قال : « كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع » (٨) .

و عنه عليه السلام : « من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه :

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٩٧ تحت رقم ١٨ .

(٢) الاحزاب : ٢٣ . (٣) متفق عليه وقد تقدم .

(٤) مريم : ٤٢ . (٥) مريم : ٥٧ .

(٦) قال المراقى : لم أجده بهذا اللفظ .

(٧) و (٨) المصدر ج ٢ ص ١٠٥ تحت رقم ٨ و ١٠٥ .

ومن حسن برّه بأهل بيته مدّه له في عمره» (١).

وعنه عليه السلام « لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل و سجوده فإن ذلك شيء اعتاده ولو تركه استوحش لذلك ، ولكن انظروا إلى صدق حديثه و أداء أمانته» (٢)
وعنه عليه السلام قال لبعض أصحابه : « انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالزمه فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدق الحديث و أداء الأمانة» (٣) .

❖ (بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه) ❖

إعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية و الإرادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدّيق لأنه مبالغة من الصدق ، ثم هم أيضاً على درجات و من كان له حظّ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه .

الصدق الأوّل صدق اللسان و ذلك لا يكون إلا في الإخبار أو فيما يتضمّن الإخبار وينبئ عليه والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحقّ على كلّ عبدأن يحفظ ألفاظه فلا يتكلّم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها ، فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ، ولكن لهذا الصدق كما لان أحدهما الاحتراز عن المعارض وقد قيل : في المعارض لمندوحة عن الكذب و ذلك لأنّها تقزم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك ممّا تمس إليها الحاجة وتقضيته المصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان و من يجري مجراهم و في الحذر عن الظلمة وفي قتال الأعداء و الاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن انظر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله بما يأمره الحقّ به ويقضيته

(١) و (٢) الكافي ج ٢ ص ١٥٠ تحت رقم ١١ و ١٢ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ١٠٤ تحت رقم ٥ .

الدين فاذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهماً غير ماهو عليه لأن الصدق ما أريد به لذاته بل للدلالة على الحقّ والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه ، نعم في مثل هذا الموضوع ينبغي أن يعدل إلى المعاريض ما وجد إليه سبيلاً كان النبي ﷺ إذا توجه إلى سفر ورى غيره^(١) وذلك لئلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد ، و ليس هذا من الكذب في شيء وقال النبي ﷺ : « ليس بكذب أب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نعى خيراً »^(٢) و رخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع «من أصلح بين اثنين ومن كانت له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب»^(٣) والصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير فهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته كان صادقاً وصدقاً يقاً كيف ما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال: لزوجه خطبي باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي : ليس هو ههنا . واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقاً وأفهم الظالم أنه ليس في الدار فالكمال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضاً إلا عند الضرورة ، والكمال الثاني أن يراعى معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بهاربه كقوله «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض» فان قلبه إن كان منصرفاً عن الله تعالى مشغولاً بأمانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله «إياك نعبد» وقوله : «أنا عبد الله فانه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله عز وجل لم يكن كلامه صدقاً ولو طول يوم القيامة بالصدق في قوله «أنا عبد الله» لعجز عن تحقيقه فانه إن كان عبداً لنفسه أو عبداً لدنيا أو عبداً لشهواته لم يكن صادقاً في قوله وكل ما تقيّد به العبد فهو عبده كما قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا ، وقال نبينا ﷺ : «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم و عبد الحلة و عبد الخميصة»^(٤) وسمي كل من تقيّد

(١) في النهاية أي ستره وأخرجه البخارى و مسلم من حديث كعب بن مالك .

(٢) أخرجه البخارى ج ٣ ص ٢٢٧ و مسلم ج ٨ ص ٢٨ من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

(٣) روى مسلم ج ٨ ص ٢٨ والكليني نحوه عن الصادق عليه السلام في الكافي ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٤) أخرجه البخارى من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

قلبه بشيء عبداً له ، وإنما العبد الحقّ لله تعالى من اعتق أولاً من غير الله تعالى فصار حراً مطلقاً فاذا تقدّمت هذه الحرّيّة صار القلب فارغاً فحلّت فيه العبوديّة لله فنشغله بالله و بمحبّته و تقيّد باطنه و ظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى ثم قد يجاوز هذا إلى مقام أسنى منه يسمّى الحرّيّة و هو أن يعتق أيضاً عن إرادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله له من تقرب أو إبعاد فنقضى إرادته في إرادة الله عزّ وجلّ وهذا عبد عتق عن غير الله تعالى فصار حراً ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حراً و صار مفقوداً لنفسه و موجوداً لسيّده و مولاه ، إن حرّكه تحرّك وإن سكّنه سكن وإن ابتلاه رضي لم يبق فيه متمسّع لطلب و التماس و اعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبوديّة فالعبد الحقّ هو الذي وجوده لمولاه لالذات و هذه درجة الصّدّيقين ، و أمّا الحرّيّة عن غير الله فدرجات الصّادقين و بعد هذا يتحقّق العبوديّة لله و ما قبل هذا فلا يستحقّ صاحبه أن يسمّى صادقاً ولا صدّيقاً ، فهذا هو معنى الصدق في القول .

الصدق الثاني في النيّة والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله عزّ وجلّ فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النيّة و صاحبه يجوز أن يسمّى كاذباً كما روينا في فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة حين يُسأل العالم «ماذا عملت في ما علمت فقال : فعلت كذا و كذا فقال الله عزّ وجلّ : كذبت أردت أن يقال : فلان عالمٌ» فإنّه لم يكذب به ولم يقل له : لم تعمل ولكن كذب به في إرادته و نيّته ، و قال بعضهم : الصدق صحّة التوحيد في القصد و لذلك قال الله تعالى : « والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » (١) و قد قالوا : « إنك لرسول الله » (٢) وهذا صدق ولكن كذب بهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرّق إلى الخبر وهذا القول يتضمّن اخباراً بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أنّه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فإنّه كذب في ذلك و إن لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحدهما في الصدق

إلى خلوص النية و هو الإخلاص و كل صادق فلا بد وأن يكون مخلصاً .
الصدق الثالث صدق العزم فإن الإنسان قديقاً العزم على العمل فيقولني
نفسه : إن رزقني الله ما لا تصدقت بجميعة أو بشرطه ، و إذا لقيت عدواً في سبيل الله
قاتلته و لم أبال و إن قتلت ، و إن أعطاني الله ولاية عدلت فيها و لم أعص الله بظلم و
ميل إلى خلق ، فهذه العزيمة قد يصادفها في نفسه و هي عزيمة جازمة صادقة و قد
يكون في عزمه نوع ميل و تردد و ضعف يضاد الصدق في العزيمة فكان الصدق ههنا
عبارة عن التمام والقوة كما يقال : لفلان شهوة صادقة و يقال هذا المريض شهوته
كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد
به هذا المعنى فالصدق والصديق هو الذي تصادف عزمته في الخيرات كلها قويبة تامة
ليس فيها ميل و لا ضعف و لا تردد بل تسخو نفسه أبداً بالعزم المصمم الجازم على
الخيرات .

الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا
مشقة في الوعد والعزم والمؤونة فيه خفيفة فإذا حقت الحقائق و حصل التمكّن و
هاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة و لم يتفق الوفاء بالعزم و هذا يضاد
الصدق فيه ولذلك قال تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » (١) .

الصدق الخامس في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على
أمر في باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الأعمال و لكن بأن يستجر الباطن إلى
تصديق الظاهر ، و هذا يخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لأن المرابي هو الذي
يقصد ذلك لأجل الخلق ، و رب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به
مشاهدة غيره و لكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائماً بين يدي الله
عز وجل و هو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب
بلسان الحال عن الباطن إعراباً هو فيه كاذب و هو مطالب بالصدق في الأعمال و
كذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفاً بذلك فهنا

غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتاً إلى الخلق ولا مرأياً إليهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره فإذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص وإن كانت عن غير قصد يفوت بها الصدق ولذلك قال عليه السلام: «اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي واجعل علانيتي سالحة» (١) وقيل: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور، فإذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق.

أقول: وذلك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إني والله ما أحسنكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها ولا أنها كم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها» (٢).

الصدق السادس - وهو أعلى الدرجات وأعزها - الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها، وإذا غلب الشيء، وتمت حقيقته يسمي صاحبها صادقاً كما يقال فلان صدق القتال، ويقال: هذا هو الخوف الصادق، وهذه هي الشهوة الصادقة، وقال تعالى: «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون» (٣) وقال تعالى: «ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - ثم قال - - والصابرين في البأساء والضراء - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا» (٤).

وسئل أبوذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقبل له: سألتك عن الإيمان فقال: سألت رسول الله عن الإيمان فقرأ هذه الآية (٥) ولنضرب للخوف مثلاً فما من عبد

(١) قال العراقي: لم أجده . (٢) النهج قسم الخطب تحت رقم ١٧٣ .

(٣) الحجرات: ١٥ . (٤) البقرة: ١٧٧ .

(٥) أخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده، وعبد بن حميد، وابن مردويه عن القاسم

ابن عبد الرحمن كما في الدر المنثور ج ١ ص ١٦٩ .

يؤمن بالله إلا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم ولكنّه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع طريق في سفره كيف يصفرّ لونه وترتعد فرائضه و يتنصص عليه عيشه ويتعدّر عليه أكله ونومه ويتقسمم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله و ولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار كل ذلك خوفاً من درك المحذور ثم إنّه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصيته عليه ولذلك قال ﷺ: « لم أرمثل النار نام هاربها و لم أر مثل الجنة نام طالبها »^(١) فالتحقيق في هذه الأمور عزيزٌ جداً و لا غاية لهذه المقامات حتى ينال غايتها ولكن لكلّ عبد منها حظٌ بحسب حاله إما ضعيف و إما قويٌّ فإذا قوي سمي صادقاً فيه فمعرفة الله عزّ وجلّ و تعظيمه و الخوف منه لا نهاية له و لهذا قال رسول الله ﷺ لجبرئيل ﷺ: « أحبُّ أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال: لا تطيق ذلك، قال: بلى أرني قال: فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر إليه فإذا هو به قد سدّ الأفق يعني جوانب السماء فوقع ﷺ مغشياً عليه فأفاق وقد عاد جبرئيل ﷺ إلى صورته الأولى فقال: ما ظننت أن أحداً من خلق الله عزّ وجلّ هكذا، قال: كيف ولو رأيت إسرائيل أن العرش لعلّى كاهله و أنّ رجله قد مرقتا تخوم الأرضين السفلى وأنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع يعني كالعصفور الصغير »^(٢) فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحدّ وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم .

وقال جابر: قال ﷺ: « مررت ليلة أسري بي أنا وجبرئيل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله عزّ وجلّ »^(٣) يعني الكساء الذي يلتقى على ظهر

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ج ١٠ ص ٦٥ من حديث ابى هريرة والطبرانى فى

الوسط من حديث أنس .

(٢) تقدم فى كتاب الرجاء والخوف أنه رأى جبرئيل فى صورته مرتين .

(٣) رواه محمد بن نصر فى كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقى فى دلائل النبوة من

حديث أنس (المغنى) .

البعير ولذلك قال عليه السلام : « لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان حتى يرى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير » (١) والصادق إذن في جميع هذه المقامات عزيز ، ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للمعبد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً وقال سعد بن معاذ : ثلاثة أنا فيهن قوي وفيهما سواهن ضعيف ما صلّيت صلاة منذ أسلمت فحدّثت نفسي بأن أعيش حتى أفرغ منها ، وما شيعت جنازة فحدّثت نفسي بغير ما هي قائله وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها ، وما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قولاً إلا علمت أنه حق ، فقال ابن المسيّب لما سمع هذا الحديث : ما ظننت أن هذه الخصال تجتمع إلا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فهذا صدق في هذه الأمور وكم من جملة الصحابة قوم قد أدوا الصلاة وشيعوا الجنائز و لم يبلغوا هذا المبلغ ، فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا يتعرّض فيها إلا لأحد هذه المعاني ، نعم قد قال أبو بكر الورّاق : الصدق ثلاثة : صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى : « والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون » (٢) وصدق الطاعة لأهل العلم وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض . وكلّ هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنّه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضاً غير محيط بجميع الأقسام . وقال جعفر الصادق عليه السلام : الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غير الله كما لم يختار عليك غيرك فقال تعالى : « هو اجتبيكم » (٣) . وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أنني إذا أحببت عبداً ابتليته ببلاء لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه فإن وجدته صابراً أخذته ولياً وحبیباً ، وإن وجدته جزوعاً يشكوني إلى خلقي خذلته ولم أبال . فإن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعاً وكرهه اطلاع الخلق عليها . أقول : وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أردت أن تعلم أصدق

(١) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) الحديد : ١٩ .

أنت أم كاذب فانظر في قصدمعناك وغور دعواك وعيّرهما بقسطاس من الله عز وجل
 كأنك في القيامة قال الله عز وجل : «الوزن يومئذ الحق» (١) فإذا اعتدل معنالك
 بغور دعواك ثبت لك الصدق ، وأدنى حد الصدق أن لا يخالف اللسان القلب ولا القلب
 اللسان ، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثّل النازع لروحه إن لم ينزع فماذا
 يصنع» (٢) .

تم كتاب النيّة و الصدق و الإخلاص من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء،
 والله الحمد والمنّة على يد أفقر العباد إلى الله محسن بن مرتضى القاساني جعله الله
 من المخلصين الصادقين بمنّته وكرمه ، ويتلوه كتاب المراقبة و المحاسبة إن شاء الله
 تعالى والحمد لله وحده وحده .



(١) الاعراف : ٧ .

(٢) المصدرالباب الرابع والسبعون .

كتاب المراقبة والمحاسبة

وهو الكتاب الثامن من ربيع المنجيات من المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على كل جارحة بما
 اجتاحت ، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست ، الحسيب عباده على الخواطر
 إذا اختلجت ، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض تحركت
 أو سكنت ، المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت ،
 المنفصل بقبول طاعات العباد وإن صغرت ، المتطوّل بالعبو عن معاصيهم وإن
 كثرت ، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت و تنظر في ما قدمت و أخّرت
 فنعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت
 وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت و
 خسرت ، فسبحان من عمّت نعمه كافة العباد ، و شملت واستغرقت رحمته الخلائق
 في الدنيا والآخرة وغمرت ، فبنفحات فضله اتسعت القلوب للإيمان وانشرحت ، وبيمن
 توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت ، و بحسن هدايته انجلت عن القلوب
 ظلمات الجهل و انقشعت ، و بتأييده و نصرته انقطعت مكائد الشيطان و اندفعت ، و
 بلطف عنايته تترجّح كافة الحسنات إذا ثقلت ، و بتيسيره تيسرت من الطاعات ما
 تيسرت ، فمنه العطاء والجزاء و بحكمه الإبعاد والإدناء و الإيسار والإشقاء .
 و الصلاة على محمد سيّد الأنبياء ، وعلى آله سادة الأصفياء وقادة الأتقياء وسلم
 كثيراً .

أما بعد فقد قال الله تعالى : « و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم

نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسمين» (١). وقال:

« و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً» (٢)

وقال: « يوم يعثمهم الله جميعاً فيذبذبهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد» (٣) وقال: « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (٤) وقال: « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» (٥) وقال تعالى: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه» (٦) وقال تعالى: «واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفورٌ رحيم» (٧) فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله عز وجل لهم بالمرصاد وإنهم سيناقشون في الحساب ، و يطالبون بمناقب الذر من الخطرات واللحظات ، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته ، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيه منه إلا طاعة الله عز وجل وقد أمرهم بالصبر والمراقبة فقال: « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» (٨) فربطوا أولاً أنفسهم بالمشاركة ، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ، ثم بالمعاقبة ، فكانت لهم في المراقبة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصلها المحاسبة ولكن كل حساب فيبعد مشاركة و مراقبة و يتبعه عند الحساب معاقبة و معاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات .

- | | |
|---------------------|---------------------------|
| (١) الانبياء : ٤٧ . | (٢) الكهف : ٥٠ . |
| (٣) المجادلة : ٦ . | (٤) الزلزال : ٦ و ٧ و ٨ . |
| (٥) البقرة : ٢٨١ . | (٦) آل عمران : ٣٠ . |
| (٧) البقرة : ٢٣٥ . | (٨) آل عمران : ٢٠٠ . |

﴿المقام الاول من المراقبة المشاركة﴾

إعلم أن مطلب المتعاملين في التجارات المشتركون في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس إذ به فلاحها قال الله تعالى : «قد أفلح من زكّيتها ﴿١﴾ وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة ، و العقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكّيها كما يستعين التاجر بشريكه وعلامة الذي يتجر في ماله و كما أن الشريك يصير خصماً منازعاً يحاذيه في الربح فيحتاج إلى أن يشارفه أولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاتبه أو يعاقبه رابعاً فكذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس أولاً فيوظف عليها الوظائف و يشترط عليها الشروط و يرشدها إلى طريق الفلاح و يجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطريق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة ، فإنه لو أهملها لم يرمها إلا بالخيانة و تضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطلبها بالوفاء بما شرط عليها ، فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدة المنتهى مع الأنبياء و الشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيراً في تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محترقة بالإضافة إلى نعيم العقبي ، ثم كيف ما كانت فمصيورها إلى التصرّم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائماً و قد انقضى الشر ، و الخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائماً و قد انقطع الخير ولذلك قيل :

أشد الغمّ عندي في سرور * تيقنّ عنه صاحبه انتقالاً

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله و اليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه و التضيق عليها في حرّاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنزاً من الكنوز لا تتناهى نعيمه

أبد الآباد فانقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا يسمح به عاقل فإذا أصبح العبد و فرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشاركة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس : مالي بضاعة إلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال و وقع اليأس عن التجارة و طلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله عز وجل فيه وأنسا في أجلي وأنعم به عليّ و لو توفاني لكنت أتمني أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً فأحسبي أنك توقيت ثم رددت فأياك أن تضيعني هذا اليوم فإن كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها ، واعلمي أن اليوم و الليلة أربع و عشرون ساعة و قد ورد في الخبر ، « إنه ينشر للعبد كل يوم و ليلة أربع و عشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة فينالها من الفرح و الاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار مالو ورّع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الإحساس بألم النار ، ثم يفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتمها و يتغشاها ظلامها و هي الساعة التي عصي الله فيها فينالها من الهول و الفزع مالو قسم على أهل الجنة لتنعص عليهم نعيمها ، و يفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره و لاما يسوؤه » (١) و هي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسّر على خلوها و يناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير و الملك الكبير إذا أهمله و تساهل فيه حتى فاتته و ناهيك به حسرة و غمناً وهكذا يعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه : اجتهد في اليوم في أن تعمري خزائنك و لا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك و لا تركني إلى الكسل و الدعة و الاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدر كه غيرك و تبقى عندك حسراتها لا تفارقك و إن دخلت الجنة ، و ألم الغبن و الحسرة لا يطاق و إن كان دون ألم النار ، و قال بعضهم : هب أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاتته ثواب المحسنين . أشار به

(١) أورده العلامة المجلسي في البحار ج ٣ ص ٢٦٧ في الهامش من كتاب عدة الداعي.

إلى الغبن والحسرة وقد قال تعالى : «يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن»^(١) فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم يستأنف لها وصية في أعضائه السبعة : العين و الأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها إليها^(٢) فإنها رعايا خادمة لها في التجارة و بها تتم أعمال هذه التجارة و إنَّ لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم و إنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أمَّا العين فيحفظها عن النظر إلى عورة مسلم و وجه من ليس بمحرم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتمار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإنَّ الله يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ، ثمَّ إذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتَّى يشغلها بما فيه تجارتها و ربحها وهي التي خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله عزَّ وجلَّ بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء و النظر في كتاب الله و سنة رسوله و مطالعة كتب الحكمة للاتعاظ و الاستفادة و هكذا ينبغي أن يفصل عليها الأمر في عضو عضو لا سيَّما اللسان و البطن ، أمَّا اللسان فلا نَه منطلق بالطبع و لا مؤونة عليه في الحركة و جنايته عظيمة بالغيبة و الكذب و النميمة و تزكية النفس و مذممة الخلق و الأطعمة و الطعن و اللعن و الدُّعاء على الأعداء و المماراة في الكلام و غير ذلك ممَّا ذكرناه في آفات اللسان فهي بصدد ذلك كلَّه مع أنَّها خلقت للذكر و التذكير و تكرار العلم و التعليم و إرشاد عباد الله إلى طريق الله و إصلاح ذات البين و سائر خيراته فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان إلَّا في الذكر طول نهاره فنطق المؤمن ذكر و نظره عبرة و صمته فكرة « و ما يلفظ من قول إلَّا لديه رقيب عتيدُ » ، و أمَّا البطن فيكلفه ترك الشره و تقليل الأكل من الحلال و اجتناب الشبهات و يمنعه من الشهوات و يقتصر على قدر الضرورة و يشترط عليها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالمنع من شهواته فيفوتها أكثر ممَّا نالته بشهواتها ، وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء و استقصاء ذلك يطول ولا يخفى معاصي الأعضاء و طاعاتها ثمَّ يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم و الليلة ثمَّ في النوافل التي يقدر

(٢) أى تسليم الاعضاء الى النفس .

(١) التغابن : ٩ .

عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها و كفيّتها و كفيّتها الاستعداد لها بأسبابها ، و هذه شروط يفتقر إليها كلُّ يوم ولكن إذا تَعَوَّد الإنسان بأن شرط ذلك على نفسه أيّاماً و طوعته نفسه في الوفاء بحقّها استغنى عن المشاركة فيها و إن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشاركة فيما بقي ولكن لا يخلو كلُّ يوم من مهمّ جديد و واقعة حادثة لها حكم جديدٌ و لله عليه فيه حقٌّ و يكثر هذا على من يشغل بشيء من أعمال الدُّنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلّما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضي حقَّ الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة عليها و الانقياد للحقِّ في مجاريها و يحدِّثها مغبّة الإهمال و يعظها كما يوعظ العبد المتمرّد الآبق ، فإنَّ النفس بالطبع متمرّدة عن الطاعات مستعصية عن العبوديّة ولكن الوعظ و التاديب يؤثّر فيها « و ذكر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين » فهذا و ما يجري مجراه هو أوّل مقام المرابطة مع النفس و هي المحاسبة قبل العمل ، و المحاسبة تارة تكون قبله للتخدير قال الله تعالى : « و اعلموا أنّ الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » (١) و هذا للمستقبل و كلُّ نظر في كمّيّة و مقدار لمعرفة زيادة و نقصان فإنّه يسمّى محاسبة ، فانظر فيما بين العبد و الرّبّ في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة و قد قال تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا » (٢) و قال تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » (٣) و قال تعالى : « و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه » (٤) ذكر ذلك تنبيهاً و تحذيراً للاحتراز منه في المستقبل .

و روى عبادة بن الصامت أنّه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه و يعظه : « إذا أردت أمراً فتدبّر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه و إن كان غيباً فانتبه عنه » (٥).

(١) البقرة : ٢٣٥ .

(٢) النساء : ٩٣ .

(٣) الحجرات : ٦ .

(٤) ق : ١٦ .

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد عن أبي جعفر بن مسور الهاشمي مرسلًا بسند ضعيف

كما في الجامع الصغير .

وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالباً للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر إلى العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة ، و قال لقمان : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . و روى شداد بن أوس عنه عليه السلام أنه قال : « الكيِّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و الأحمق من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأمانى » ^(١) دان نفسه أي حاسب نفسه ، و يوم الدين هو يوم الحساب . و قوله تعالى : « إنا لمدينون » ^(٢) أي لمحاسبون . و قال بعض الصحابة : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، و زنوها قبل أن توزنوا ، و تهبئوا للعرض الأكبر » وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال : من دان نفسه و عمل لما بعد الموت معناه وزن الأمور أولاً و قدرها و نظر فيها و تدبرها ثم أقدم عليها فباشرها .

❖ (المراقبة الثانية المراقبة) ❖

إذا أوصي الإنسان نفسه و شرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال و ملاحظتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت و فسدت ، و لنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها .

أمَّا الفضيلة فقد سأل جبرئيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه » ^(٣) و قال أيضاً : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ^(٤) و قد قال تعالى : « أقمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » ^(٥) و قال تعالى : « ألم يعلم بأن الله يرى » ^(٦) ، و قال تعالى : « إن الله كان عليكم رقيباً » ^(٧) و قال تعالى : « و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون ❖ و الذين هم بشهاداتهم قائمون » ^(٨) .

(١) تقدم غير مرة . (٢) الصفات : ٥٣ .

(٣) و (٤) أخرجهما النسائي ج ٨ ص ٩٨ في حديث و قد تقدما .

(٥) الرعد : ٣٥ . (٦) العلق : ١٤ .

(٧) النساء : ١ . (٨) المعارج : ٣٢ و ٣٣ .

وحكي أن زليخا لما خلت بيوسف فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف : مالك أتستحين من مراقبة جهاد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار ؟ و حكي عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها ليلاً فقالت : ألا تستحي ؟ فقال : ممن أستحي و ما يرانا إلا الكواكب ، فقالت : وأين مكوكبها ؟ وقال رجلٌ للجنيدين أستعين على غضّ البصر قال : بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه . وقال الجنيد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عزّ وجلّ . و قيل : وفي الحديث القدسي : إنما يسكن جنّات عدن الذين إذا همّوا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني ، والذين انحنّت أصلابهم من خشيتي ، و عزّتي وجلالي إنني لأهمُّ بعداب أهل الأرض فاذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتني صرفت عنهم العذاب . و يروى أن الله عزّ وجلّ قال للملائكة : أتم موكلون بالظواهر و أنا رقيب على البواطن .

✽ (بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها) ✽

إعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمّ إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال : إنّه راقب فلاناً و راعى جانبه ، و نعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح و في القلب أمّا الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب و اشتغاله به و التفاته إليه و ملاحظته إيّاه و انصرافه إليه ، وأمّا المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي العلم بأنّ الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كلّ نفس بما كسبت و أنّ سرّ القلب في حقه مكشوف كما أنّ ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشدّ من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً يعني أنّها إذا خلت عن الشكّ ، ثمّ استولت بعد ذلك على القلب و قهرته فربّ علم لاشكّ فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعات جانب الرقيب و صرف الهمّة إليه و الموقنون بهذه المعرفة هم المقربون و هم ينقسمون إلى الصديقين و إلى أصحاب اليمين و مراقبتهم على درجتين .

الدَّرَجَةُ الْأُولَى مِرَاقِبَةُ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَهِيَ مِرَاقِبَةُ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَهِيَ أَنْ يَصِيرَ الْقَلْبُ مُسْتَعْرِقاً بِمِلَاحِظَةِ ذَلِكَ الْجَلَالِ وَمُنْكَسِراً تَحْتَ الْهَيْبَةِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ مَتَسَّعٌ لِلْإِنْفِاتِحِ إِلَى الْغَيْرِ أَصْلاً ، وَهَذِهِ مِرَاقِبَةُ لَا نَطْوُلُ النُّظْرَ فِي تَفْصِيلِ أَعْمَالِهَا فَإِنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْقَلْبِ ، أَمَّا الْجَوَارِحُ فَإِنَّهَا تَتَعَطَّلُ عَنِ التَّلَفُّتِ إِلَى الْمُبَاحَاثِ فَضْلاً عَنِ الْمَحْظُورَاتِ فَإِذَا تَحَرَّكَتْ بِالطَّاعَاتِ كَانَتْ كَالْمُسْتَعْمَلَةِ بِهَا فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَدَبُّرٍ وَتَثَبُّتٍ فِي حِفْظِهَا عَلَى سَنَنِ السَّدَادِ بَلْ تَشْتَدُّ الرَّغْبَةُ بِسَدَادِ الرَّاعِي فَإِذَا صَارَ مُسْتَوْفَى بِالْمَعْبُودِ صَارَ الْجَوَارِحُ مُسْتَعْمَلَةً جَارِيَةً عَلَى السَّدَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَهَذَا هُوَ الَّذِي صَارَ هَمُّهُ هَمّاً وَاحِداً وَكَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى سَائِرَ الْهَمُومِ وَمَنْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ فَقَدْ يَغْفُلُ عَنِ الْخَلْقِ حَتَّى لَا يَبْصُرُ مَنْ يَحْضُرُ عِنْدَهُ وَهُوَ فَاتِحٌ عَيْنَيْهِ وَلَا يَسْمَعُ مَا يُقَالُ لَهُ مَعَ أَنَّهُ لِاصْصَمٍ بِهِ وَقَدِيمٍ عَلَى ابْنِهِ مِثْلاً فَلَا يَكْلِمُهُ حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَجْرِي عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ لِمَنْ عَاتَبَهُ : إِذَا مَرَرْتُ بِبَيْ فَحَرِّ كُنِي ، وَلَا تَسْتَبْعِدْ هَذَا فَإِنَّكَ تَجِدُ نَظِيرَ هَذَا فِي الْقُلُوبِ الْمَعْظَمَةِ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ حَتَّى أَنْ خَدِمَ الْمُلُوكُ قَدْ لَا يَحْسُبُونَ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ لَشِدَّةِ اسْتِعْرَاقِهِمْ بِهِمْ ، بَلْ قَدْ يَشْتَغَلُ الْقَلْبُ بِمَهْمٍ حَقِيرٍ مِنْ مَهْمَاتِ الدُّنْيَا فَيَغْوِصُ الرَّجُلُ فِي الْفِكْرِ فِيهِ وَيَمْشِي فَرَبِّمَا يَخْطِي الْمَوْضِعَ الَّذِي قَصَدَهُ وَيَنْسَى الشُّغْلَ الَّذِي نَهَضَ لَهُ ، وَحَكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : مَرَرْتُ بِجَمَاعَةٍ يَتَرَاقِبُونَ^(١) وَوَاحِدٌ جَالِسٌ بَعِيداً مِنْهُمْ فَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْلِمَهُ فَقَالَ : ذَكَرَ اللَّهُ أَشْهَى لِقَلْبِي ، فَقُلْتُ : إِنَّكَ وَحْدَكَ؟ فَقَالَ : مَا أَنَا وَحْدِي مَعِيَ رَبِّي وَمَلَكِي ، فَقُلْتُ : مَنْ سَبَقَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ : مَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ الطَّرِيقُ؟ فَأَشَارَ نَحْوَ السَّمَاءِ وَوَقَامَ وَمَشَى ، وَقَالَ : أَكْثَرَ خَلْقِكَ شَاغِلٌ عَنْكَ . فَهَذَا كَلَامٌ مُسْتَعْرِقٌ بِمُشَاهَدَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مَعَهُ وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مِنْهُ فَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِرَاقِبَةٍ لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ فَإِنَّهَا لَا تَتَحَرَّكُ إِلَّا بِمَا هُوَ فِيهِ ، وَقِيلَ : عَلَيْكَ بِصَحْبَةٍ مِنْ يَذْكُرُكَ اللَّهُ رُؤْيَيْتَهُ وَيَقَعُ هَيْبَتَهُ عَلَى قَلْبِكَ وَيَعْظُكَ بِلِسَانِ فَعَلِهِ وَلَا يَعْظُكَ بِلِسَانِ قَوْلِهِ . فَهَذِهِ دَرَجَةُ الْمُرَاقِبِينَ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْإِجْلَالُ وَالتَّعْظِيمُ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ مَتَسَّعٌ لِغَيْرِ ذَلِكَ .

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ مِرَاقِبَةُ الْوَرَعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ قَوْمٌ غَلَبَ يَقِينُ اطِّلَاعِ اللَّهِ

(١) فِي الْإِحْيَاءِ «بِتْرَامُونَ» .

على ظواهرهم وبواطنهم و على قلوبهم و لكن لم تدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة فيها ، نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون و لا يجمعون إلا بعد التثبيت فيه و يمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله تعالى في الدنيا مطعماً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات ، فإنك في خلواتك قد تتعاطى أعمالاً فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك لاعتدال وإجلال و تعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته و إن كانت لا تدهشك ولا تستعرك فإنها تهيج الحياء منك و قد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستعرك التعميم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلاً به لحياء منه ، فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى و من كان في هذه الدرجة فيحتاج إلى أن يراقب جميع حر كاته و سكناته و خطراته و لحظاته و بالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرّك لفعله خاطره أهو لله تعالى خاصة أهو في هوى النفس ومتابعة الشيطان ؟ فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله أمضاء و إن كان لغير الله استحيا من الله و انكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه و همها به و ميلها إليه و عزمها على سوء فعلها و سعيها في فضيحتها فإنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته ، و هذا التوقف في بداية الأمور إلى حدّ البيان واجب محتوم لا محيص لأحد عنه فإن في الخبر « أنه ينشر للعبد في كل حركة من حر كاته و إن صغرت ثلاثة دواوين الديوان الأول لم ، و الثاني كيف ، و الثالث لمن » فمعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاه أوملت إليه بشهوتك وهواك ، فإن سلم عنه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني كيف فعلت فإن لله في كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك قدره و وقته و صفته إلا بعلم فيقال : كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهد و ظن ، فإن سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالآخلاص فيقال :

لمن عملت ألوجه الله خالصاً ؟ وفاء بقولك « لا إله إلا الله » فيكون أجرك على الله
أولاً ، ثم خلق مثلك فخذ أجرك منه ، أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفينا نصيبك من
الدنيا ، أم عملته بسهو وعفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملت
لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي إذ كنت عبداً لي تأكل رزقي وتترقه بنعمتي ثم
تعمل لغيري أما سمعني أقول : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » (١)
« إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق و
اعبدوه » (٢) ويحك أما سمعني أقول « ألا لله الدين الخالص » (٣) وإذا عرف
العبد أنه بصد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال
جواباً وليكن الجواب صواباً فلا يبدى ولا يعيد إلا بعد التثبت ولا يحرّك جفنأ ولا
أنملة إلا بعد التأمل

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ : « إن العبد ليسأل عن كحل عينيه وعن فته الطين
بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه » (٤) وقيل : كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة
نظر وتثبت فإن كان لله أمضاها ، وفي حديث سعد حين أوصاه ، ندان « اتق الله عند
هملك إذاهممت » وقال محمد بن علي : « إن المؤمن وقاف متأن » (٥) عند همه ليس بحاطب
ليل . فهذا هو النظر الأول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة
الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكائد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربّه
وعدوه وهو الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله
تعالى ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحر كته فلا يسلم في هذه المراقبة بل
الأكثر من يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله عز وجل وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً ، فلا تظن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر بالجهل هيهات بل طلب
العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير
عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكائد الشيطان ومواقع الغرور فيتمتقيها والجاهل

(١) الاعراف : ١٩٣ . (٢) العنكبوت : ١٧ . (٣) الزمر : ٣ .

(٤) لم أجده . (٥) أي لا يستعجل في أمور

لا يعرفها فكيف يحترز منها فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة ، فهما رأس كل شقاوة و أساس كل خسرة فحكّم الله على كل عبد أن يراقب نفسه عند همّه بالفعل وسعيه بالجراحة فيتوقّف عن الهمّ وعن السعي حتّى ينكشف له بنور العلم أنّه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقّيه ويزجر القلب عن الفكر فيه و عن الهمّ به فإنّ الخطرة الأولى في الباطل إذا لم تدفع أورثت الرّغبة و الرّغبة تورث الهمّ والهمّ يورث جزم القصد و القصد يورث الفعل و الفعل يورث العقاب والمقت ، فينبغي أن تحسم مادّة الشرّ من منبعه الأوّل وهو الخاطر فإنّ جميع ماوراه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكّر فيه بنور العلم ويستعين بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فإن عجز عن الاجتهاد و الفكر فيه بنفسه فليستضيء بنور علماء الدّين و ليفرّ من العلماء المضلّين المقبلين على الدّنيا فراره من الأسد بل أشدّ فقد أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام : « يا داود لا تسأل عنّي عالماً أسكره حبّ الدّنيا فيقطعك عنّي و عن محبّتي أو ائتمك قطاع طريق عبادي » فالقلوب المظلمة بحبّ الدّنيا وشدّة الشرّ بها و التكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فإنّ مستضاء أنوار القلوب حضرة الرّبوبيّة و كيف يستضيء بها من استدبرها و أقبل على عدوّها وعشق ضدّها وهي شهوات الدّنيا فلتنكح همّة المرید أوّلاً في أحكام العلم و في طلب عالم معرض عن الدّنيا أو ضعيف الرّغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرّغبة فيها و قد قال عليه السلام : « إنّ الله يحبّ البصير الناقد عند ورود الشبهات » (١) و العقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الأمرين و هما متلازمان حقّاً فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصير ناقد في الشبهات ، و لذلك قال عليه السلام : « من قارف ذنباً فارقه عقل لا يرجع إليه أبداً » (٢) فما قدر العقل الضعيف الذي يتصفّ الآدمي به حتّى يعتمد إلى محوه و محقه بمقارفة الذّنوب و معرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين بن عمر العدني ضعفه

الجمهور كما في المعنى . (٢) قد تقدم .

الأعصار فإنَّ الناس كلَّهم قد هجروا هذه العلوم و اشتغلوا بالتوسُّط بين الخلق في الخصومات الثائرة من اتِّباع الشهوات وقالوا : هذا هو الفقه وأخر جواهر العلم الذي هو فقه الدِّين من جملة العلوم وتجردوا لفقه الدُّنيا الذي ما قصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرَّغ لفقه الدِّين وكان فقه الدُّنيا من الدِّين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر « أنتم اليوم في زمان خير كم فيه المسارع و سيأتي عليكم زمان خير كم فيه المنتبِّت » (١) فمن لم يتوقَّف عند الاشتباه كان متبَّعاً لهواه معجباً برأيه . و كان ممن وصفه النبي ﷺ إذ قال : « فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهو متبَّعاً و إعجاب كلِّ ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك » (٢) و كلُّ من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى : « و لا تقف ما ليس لك به علم » (٣) و قوله ﷺ : « إيَّاكم و الظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث » (٤) و أراد به ظنّاً بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبَّع ظنّه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء بعض الصحابة « اللهم أرني الحقَّ حقاً و أرزقني اتِّباعه ، و أرني الباطل باطلاً و أرزقني اجتنابه و لا تجعله متشابهاً عليّ فأتبَّع الهوى » وقال عيسى ﷺ : « الأمور ثلاثة أمر استبان لك رشده فاتبَّعه و أمر استبان غيِّة فاجتنبه و أمر أشكل عليك فكله إلى عالمه » (٥) . و قد كان من دعاء النبي ﷺ « اللهم إني أعوذ بك من أن أقول في الدِّين بغير علم » (٦) فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم و كشف الحقِّ و الإيمان عبارة عن نوع كشف و علم و لذلك قال تعالى إمتناناً على عبده : « و كان فضل الله عليك عظيماً » (٧) و أراد به العلم و قال تعالى : « فاسئلو أهل الذِّكر إن كنتم لا

(١) قال العراقي : لم أجده .

(٢) قد تقدم . (٣) الاسراء : ٣٦ .

(٤) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٧ والترمذي من حديث أبي هريرة . وقد تقدم .

(٥) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس باسناد ضعيف و رواه الصدوق في الخصال

أبواب الثلاثة من حديث الصادق ﷺ عن النبي صلى الله عليه وآله .

(٦) قال العراقي : لم أجده . (٧) النساء : ١١٢ .

تعلمون»^(١) وقال : « إن علينا للمهدى »^(٢) وقال : « ثم إن علينا بيانه »^(٣) وقال : « وعلى الله قصد السبيل »^(٤).

قال علي عليه السلام : « الهوى شريك العمى ، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة »^(٥) فاذن النظر الأول للمراقب نظره في الهمة والحركة أهى لله تعالى أو للهوى وقد قال عليه السلام : « ثلاث من كن فيه فقد استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يرأى بشيء من عمله ، و إذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخرة أثر الآخرة على الدنيا »^(٦) وأقل^(٧) ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحاً ولكنه لا يعنيه فيتركه لقوله عليه السلام : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »^(٨).

﴿ النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل ﴾

و ذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله تعالى فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله عز وجل في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب فإن كان قاعداً مثلاً فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله عليه السلام « خير المجالس ما استقبل به القبلة »^(٩) ولا يجلس متربّعاً إذ لا يجالس عند الملوك كذلك و ملك الملوك مطلع عليه . وإن كان

(١) النحل : ٤٣ . (٢) الليل : ١٢ .

(٣) القيامة : ١٩ . (٤) النحل : ٩ .

(٥) شطره الاول في النهج كتابه عليه السلام الى ابنه الحسن (ع) وفيه « الهوى شريك العناء » وفي بعض نسخه كما في المتن . ولم أجد شطره الثاني .

(٦) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة . (المعنى)

(٧) وفي بعض نسخ الاحياء « وأكثر » .

(٨) تقدم في آفات اللسان .

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٢٧٠ من حديث ابن عباس هكذا » ان

أكل شيء شرفاً و أشرف المجالس ما استقبل به القبلة » .

ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها ، فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمرعاته لآدابه وفاء بالمراقبة ، فإذن لا يخلو العبد إمّا أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير ، وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ، ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بليّة لا بد له من الصبر عليها أو نعمة لا بد له من الشكر عليها ، وكل ذلك من المراقبة ، بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض الله تعالى عليه إمّا فل يلزمه مباشرته ، أو محذور يلزمه تركه ، أو نذّب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله ويسابق به عباده ، أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ، ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة « ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه » فينبغي أن يتفقّد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة ، فإذا كان فارغاً من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تنال بمنزلة من الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » (١) وكل ذلك إنّما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث : ساعة مضت لاتعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة أو في رفاهة ، وساعة مستقبله لم تأت بعد ولا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ، ولا يدري ما يقضي الله فيها ، وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربّه ، فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحسّر على فوات هذه الساعة ، وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمّله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته وكأنّه في آخر أنفاسه فلعلّه آخر أنفاسه وهو لا يدري ، وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة

ويكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبوذر من قوله ﷺ: « لا يكون المؤمن ظاعناً إلا في ثلاث تزويدٍ لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم^(١) وما روي أيضاً عنه في معناه « على العاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه ، و ساعة يحاسب فيها نفسه ، و ساعة يتفكر فيها في صنع الله ، و ساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فإن في هذه الساعة عوناً له على بقيّة الساعات^(٢) ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن يخلو فيها عن عمل هو أفضل الأعمال و هو الذّكر و الفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه و فطن له لكان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح و الناس فيه أقسام قسم ينظرون بعين التبصّر و الاعتبار فينظرون في عجائب صنعها و كيفية ارتباط قوام الحيوانات بها و كيفية تقدير الله لأسبابها و خلق الشهوة الباعثة عليها و خلق الآلات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر و هذا مقام ذوي الألباب و قسم ينظرون فيه بعين المقت و الكراهة و يلاحظون وجه الاضطرار إليه و بودّهم لو استغنوا عنه و لكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته و هذا مقام الزاهدين ، و قسم يرون في الصنعة الصانع و يترقون منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكّر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه و هو أعلى مقامات العارفين و علامات المحبّين إذ المحبّ إذا رأى صنعة حبيبه و كتابه و تصنيفه نسي الصنعة و اشتغل قلبه بالصانع و كل ما يتردد العبد فيه هو صنع الله تعالى فله في النظر منها إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت و ذلك عزيز جداً ، و قسم رابع ينظرون فيه بعين الرغبة و الحرص فيتناسفون على ما فاتهم منه و يفرحون بما حضرهم من

(١) رواه الصدوق في الفقيه ص ٢٢١ وفي الخصال أبواب الثلاثة عن الصادق عليه السلام

و فيهما في حكمة آل داود عليه السلام و قد تقدم و أخرجه ابن حبان و أحمد و الحاكم و صححه أنه قال صلى الله عليه وآله : انه في صحف موسى عليه السلام .

(٢) هذا تنمة حديث أبي ذر المتقدم ، و روى الصدوق في معاني الاخبار و كمال الدين

جملته و يذمّون منه ما لا يوافق هواهم و يعيبونه و يذمّون فاعله فيذمّون الطبيخ و
 والطبخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطبخ ولقدرته و علمه هو الله تعالى وإن
 من ذمّ شيئاً من خلق الله بغير إذن الله فقد ذمّ الله ولذلك قال ﷺ : « لاتسبوا الدهر
 فإن الله هو الدهر »^(١) فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال
 و شرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيهه على المنهاج لمن أحكم الأصول .

❦ (المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل) ❦

و لندكر فيها فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها أمّا الفضيلة فقد قال تعالى : « يا
 أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد »^(٢) وهذه إشارة إلى المحاسبة
 مامضى من الأعمال ولذلك قيل : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل
 زنوا »^(٣) و في الخبر أنه ﷺ جاءه رجل فقال : يا رسول الله أوصني فقال :
 أمسوص أنت ؟ قال : نعم ، قال : « إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه
 وإن كان غيماً فانته عنه »^(٤) و في الخبر « ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات :
 ساعة يحاسب فيها نفسه » وقال الله عز وجل : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون »^(٥)
 و التوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال ﷺ : « إنني لأستغفر الله
 عز وجل وأتوب إليه في اليوم مائة مرة »^(٦) و قال تعالى : « إن الذين اتقوا
 إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »^(٧) و عن ميمون بن
 مهران أنه قال : لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أتم من محاسبة

(١) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٤٥ من حديث أبي هريرة بسند صحيح

(٢) الحشر : ١٨

(٣) رواه الكليني في الروضة ص ١٤٣ دون قوله « وزنوها قبل ان توزنوا »
 و ذكره المجلسي في الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر من البحار ص ٤٢ بتمامه و
 زيادة عن كتاب محاسبة النفس عن النبي صلى الله عليه وآله مرسلًا

(٤) تقدم ص ١٥٤ (٥) النور : ٣١

(٦) تقدم غير مرة (٧) الاعراف ٢٠٠

شريكه و الشريكان إنّما يتحاسبان بعد العمل ^(١) ، وقال بعضهم : المؤمن قوأم على نفسه يحاسبها الله و إنّما خفّ الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا و إنّما شقّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة ثمّ فسّر المحاسبة فقال : إنّ المؤمن يفجأ بالشيء يعجبه فيقول : و الله إنّك لتعجبني و إنّك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثمّ قال : ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول : ما ذا أردت بهذا و الله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله .

أقول: و معاني أكثر هذه الأخبار واردة من طريق الخاصة أيضاً وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام « ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم فإن عمل حسناً استزاد الله تعالى و إن عمل سيئاً استغفر الله منه و تاب إليه » ^(٢) و عن الصادق عليه السلام « أقصر نفسك عمّا يضركها من قبل أن تفارقك واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فإنّ نفسك رهينة بعملك » ^(٣) و في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال : « لو لم يكن للحساب مهولة الأحياء للعرض على الله عزّ و جلّ و فضيحة هنك الستر على المخفيات لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلاّ عن اضطرار متصل بالتلف و مثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها و شدائدّها قائمة في كلّ نفس و يعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنّه إلى عرصاتها مدعوّ و في غمراتها مسؤول قال الله عزّ و جلّ : « إنّ كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين » ^(٤) و قال بعض الأئمة

(١) في المجلد الخامس عشر من البحار الجزء الثاني منه ص ٤٢ نقل عن يحيى بن الحسين بن هارون الحسنى فى كتاب أماليه باسناده عن الحسن بن على عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله « لا يكون العبد - الخ » و أما ميمون بن مهران كان من الذين غنوتهم الشعرانى فى الطبقات الكبرى المسمى بلواحق الانوار فى طبقات الاخيار . وكان من عاصر الحسن البصرى ، و قيل : لقى علياً عليه السلام و لم يثبت .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٥٣ تحت رقم ٢ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٥٥ تحت رقم ٨ . (٤) الانبياء : ٤٧ .

وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم بميزان الحياء قبل أن توزنوا، وقال أبوذر - رحمه الله - : ذكر الجنة موت و ذكر النار موت فواعجبا لنفس تحيي بين موتين و روى عن يحيى بن زكريا عليه السلام أنه كان يفكر في طول الليل في أمر الجنة والنار فيسهر ليلته ولا يأخذه النوم ثم يقول عند الصباح : اللهم أين المفر وأين المستقر اللهم إلا إليك ، (١).

﴿ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل ﴾

إعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارف فيها نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب النفس فيها ويحاسبها على جميع حرركاتها و سكناتها وكذلك يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لوفاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته و لو حصل ذلك لهم لكان لا يبقى إلا أياماً قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة و السعادة أبد الآباد ، ما هذه المساهلة إلا من الغفلة و الخذلان و قلة التوفيق نعوذ بالله منه . و معنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال و في الربح و الخسران ليتبين له الزيادة و النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه و شكره و إن كان من خسران طالبه بضمانه و كلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض و ربحه النوافل و الفضائل و خسارانه المعاصي و موسم هذه التجارة جملة النهار و معاملته نفسه الأمارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض أولاً فإن أدتها على وجهها شكر الله عز وجل عليه و رغبها في مثلها و إن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء فإن أدتها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل و إن ارتكبت معصية اشتغل بعتابها و تعذيبها و معاقبتها و استوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه و كما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبّة و القيراط فيحفظ مداخل الزيادة و النقصان حتى لا يغبن شيء منها فينبغي أن يتقي غائلة النفس و مكرها فإنها خداعة ملبسة مكارة

فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره و ليتكفّل بنفسه من الحساب ما سيتولّاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره و أفكاره و قيامه و قعوده و أكله و شربه و نومه حتّى عن سكوته أنّه لم سكت و عن سكونه أنّه لم سكن فإذا عرف مجموع الواجب على النفس و صحّ عنده قدر ما أذى الحقّ فيه كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر له الباقي عليه فلينبته عليه و ليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي هو على شريكه على قلبه و على جريدته ثمّ النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الدّيون أمّا بعضها فبالغرامة و الضمان و بعضها بردّ عينه و بعضها بالعقوبة لها على ذلك و لا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب و تمييز الباقي من الحقّ الواجب عليه فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة و الاستيفاء و ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر على يوم و يوم و ساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة و الباطنة و عن معصيته بالقلب و الجوارح في كلّ ساعة و لورمي بكلّ معصية حجراً في صحن داره لامتلائت داره في مدّة قريبة من عمره ولكن يتساهل في حفظ المعاصي و الملكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله و نسوه .

﴿المرابطة الرابعة معاقبة النفس على تقصيرها﴾

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية و ارتكاب تقصير في حقّ الله فلا ينبغي أن يهملها فإنّه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي و أنس بها و عسر عليه فطامها و كان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع و إذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر و كذلك يعاقب كلّ طرف من أطراف بدنه بمنعه من شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة . و عن طلحة قال : انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه و تمرّخ في الرّمضاء و كان يقول لنفسه ذوقني و عذاب جهنّم أشدّ حرّاً أجيفةً باللّيل بطّالة بالنهار قال : فبينما هو كذلك إذ أبصر النبيّ ﷺ في ظلّ شجرة فأتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبيّ ﷺ : ألم يكن لك بدّ من الذي صنعته أما لقد فتحت لك أبواب السماء و باهى الله عزّ و جلّ بك الملائكة ثمّ قال لأصحابه : تزودوا من

أخبركم فجعل الرجل يقول له : يا فلان ادع لي : يا فلان ادع لي فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : عمّهم
 قال : اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم . فجعل النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول :
 اللهم سدّده فقال الرجل : اللهم اجعل الجنة ما بهم^(١) .

أقول : قد مضى هذا الحديث من طريق الخاصّة في كتاب الخوف على اختلاف
 في ألفاظه^(٢) .

قال أبو حامد : « و عن وهب بن منبه أن رجلاً تعبد زماناً ثمّ بدت له إلى
 الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتاً يأكل في كلّ سبت إحدى عشرة ثمرة ثمّ سأل حاجته
 فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال : منك أتيت لوفيك خير لا أعطيت فنزل إليه ملك
 وقال : يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك ،
 فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم لأنفسهم .

و العجب أنك تعاقب عبدك و أمتك و أهلك و ولدك على ما يصدر منهم من
 سوء خلق و تقصير في أمر و تخاف أنك لو تجاوزت عنهم خرج أمرهم من يدك و بغوا
 عليك ثمّ تهمل نفسك وهي أعظم عداوة لك و ضراوة ، و أشدّ طغياناً عليك و ضررك
 من طغيانها أعظم ضرراً من طغيان أهلك فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا
 ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة و أن نعيم الجنة هو النعيم المقيم الذي
 لا آخر له و نفسك هي التي تنغصص عليك عيش الآخرة فهي أولى بالمعاقبة من غيرها .

﴿ المراقبة الخامسة المجاهدة ﴾

وهي أنّه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها بالعقوبات
 التي مضت و إن رآها تتواني بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد
 فينبغي أن يؤدّبها بتثقيل الأوراد عليها و يلزمها فنوناً من الوظائف جبراً لما فات

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن أبي سليم عنه (ص) وهذا

منقطع أو مرسل (المعنى) ورواه الصدوق بإسناده عن ليث بن أبي سليم قال : سمعت رجلاً
 من الانصار يقول راجع مجالس الصدوق المجلس الرابع والخمسين .

(٢) ص ٣٠٨ ج ٧ .

منه وتداركاً لما فرط فهكذا كان يعمل عمّال الله تعالى فقد عاقب بعضهم نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدّق بأرض قيمتها ماثة ألف درهم ، و كان بعضهم إذا فاتته صلاة في جماعة أحيى تلك الليلة ، و آخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفات من ابن ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة ، و كان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحجّ ماشياً أو التصدّق بجمع ماله كل ذلك مرابطة للنفس و مؤاخذه لها بما فيه نجاتها .

أقول : وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال : « طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه ، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله ، و من جاوز عقله نفسه الأمانة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد و بين الله تعالى من النفس و الهوى ، و ليس لقتلها في قطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل فإن مات صاحبه مات شهيداً و إن عاش واستقام أدّاه عاقبته إلى الرضوان الأكبر قال الله عز وجل : « و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين » ^(١) و إذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في الاجتهاد فوبّخ نفسك و لها و عيّر ها تحثيثاً على الازدياد عليه واجعل لها زماماً من الأمر و عناناً من النهي وسقها كالرأض للفارة الذي لا يذهب عليه خطوة من خطواتها إلا و قد صحّح أوّلها و آخرها و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي حتى يتورّم قدماه ويقول : « أفلا أكون عبداً شكوراً ، أراد أن يعتبر به أمته فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبّد والرّياضة بحال إلا و إنك لو وجدت حلالة عبادة الله ورأيت بر كاتها و استضأت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قطعت إرباً إرباً فما أعرض من أعرض إلا بحرمان فوائد السلف من العصمة و التوفيق ، قيل لربيع بن خثيم : مالك لاتنام بالليل ؟ قال : لأنني أخاف البيات ، ^(٢) .

قال أبو حامد : فإن قلت : إن كانت نفسي لا تطاوعني على الاجتهاد والمرابطة على الأوراد فما سبيل معالجتها ؟ فأقول : علاجها أن تسمعها ما ورد في الأخبار من

فضل المجتهدين و من أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أحواله و تقتدي به ، فكان بعضهم يقول : إذا عترتني فترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع و إلى اجتهاده في العبادة فعملت على ذلك أسبوعاً . إلا أن هذا العلاج قد تعدد إذ فقد في عباد الله من يجتهد في عبادة الله اجتهاداً أولياً فينبغي أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم و مطالعة أخبارهم و ما كانوا فيه من الجهد الجهد و قد انقضى تعبهم و بقي ثوابهم و نعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم و ما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فتمتّع نفسه أياماً قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت و يحال بينه و بين كل ما يشتهيهِ أبدأً بادنعود بالله منه ، ونحن نورد من أوصاف المجتهدين و فضائلهم ما يحرر كُرْبَةَ المرئيين في الاجتهاد اقتداءً بهم فقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى و ما هم بمرضى » (١) قيل : أجهدتهم العبادة ، قال الله تعالى : « و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجله » (٢) قيل : يعملون ما عملوا من أعمال البرّ و يخافون أن لا يقبل و أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله ، و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « طوبى لمن طال عمره و حسن عمله » (٣) و يروى أن الله عزّ و جل يقول لملائكته : « ما بال عبادي مجتهدين فيقولون : إلهنا خوفتهم شيئاً فخافوه و شوقتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تعالى : فكيف لو رأني عبادي لكانوا أشد اجتهاداً . و قال بعض السلف : أدركت أقواماً و صحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ، و لهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم ليعيش عمره كلّه ما طوي له ثوب و لا أمر أهله بصنعة طعام قطّ و لا جعل بينه و بين الأرض شيئاً قطّ و أدركتهم عاملين بكتاب ربهم و سنة نبيهم إذا جنّهم الليل فقيام على أقدامهم يفترون

(١) لم أجده بهذا اللفظ و في كلام أمير المؤمنين عَفَى خطبته التي وصف فيها المتقين

لهم « ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى و ما بالقوم من مرض » .

(٢) المؤمنون : ٦١ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير و أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر .

وجوهم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فلك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها^(١) وسألوا الله أن يتقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم و سألوا الله أن يغفرها لهم ما زالوا كذلك و على ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة . و يحكى أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه و إذا فيهم شابٌ ناحل الجسم فقال له عمر : يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال : يا أمير المؤمنين أسقام و أمراض فقال : سألتك بالله إلا صدقتني فقال : يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرّةً وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها و كأنني أنظر إلى عرش ربي بارزاً والساس ساقون إلى الجنة والنار فأظمأت لذلك نهاري و أسهرت له ليلي و قليلٌ كلُّ ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت العيش يوماً واحداً : الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجاسة أقوام ينتقون أطائب الكلام كما ينتقى أطائب النمر . و قيل : إن قوماً أرادوا سفراً فحادوا عن الطريق فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم من صومعته فقالوا : يا راهب إننا قد أخطأنا الطريق فكيفهو فأوماً برأسه إلى السماء فلم يعلم الناس ما أراد ، فقالوا : يا راهب إننا سائلوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال : سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث ، فتعجب القوم من كلامه فقالوا : يا راهب على م يحشر الخلق غدأ عندمليكهم فقال : على نياتهم ، فقالوا : أوصنا فقال : تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية ثم أُرشدهم إلى الطريق و أدخل رأسه في صومعته . و قال عبدالواحد ابن زيد : مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجب فناديته الثالثة فأشرف عليّ وقال : يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه و صبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه و شكره على نعمائه و تواضع لعظمته و ذلّ لعزته واستسلم لقدرته و خضع لطهائبه و فكر في حسابه و عقابه فنهاره صائم و ليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة

(١) أي جدوا و تعبوا واستمروا عليه .

الجبار فذاك هو الرأهب فأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس
لئلا أعقرهم ، فقلت : يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد إذ عرفوه ؟ فقال : يا
أخي لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل المعاصي والدنوب
فالعاقل من رمى بها عن قلبه و تاب إلى الله من ذنبه و أقبل على ما يقر به من ربه .
وكان أويس القرني يقول : هذه ليلة الرُّكوع فيحیی اللیلة کلها فی ركعة وإذا
كانت اللیلة الآتية قال : هذه ليلة السجود فيحیی اللیلة کلها فی سجدة ، و يروى عن
رجل من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : « صليت خلف علي بن أبي طالب
عليه السلام العجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طاعت الشمس ثم قلب
يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصبحون شعثاً
غبراً أصفرأ قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله عز وجل يراو حون بين أقدامهم
وجباهم فكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الریح وهملت أعينهم
حتى ابتل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله . وقال علي بن أبي طالب
عليه السلام : « سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر و عمش العيون من البكاء و ذبول
الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين » (١) و قيل بعض السلف : ما بال المهتجدین
أحسن الناس وجوهاً ؟ فقال : إنهم خلوا بالرَّحمن فألبسهم نوراً من نوره . و كان
عامر بن عبد قيس يقول : إلهي خلقتني ولم تؤامرني و تميتني ولا تعلمني و خلقت
معي عدواً و جعلته يجري مني مجرى الدَّم و جعلته يراني و لا أراه ثم قلت لي
استمسك ، إلهي كيف استمسك إن لم تمسكني ، إلهي في الدنيا الهموم والأحزان و في
الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح ، وقال بعض الحكماء : إن لله عز وجل
عباداً أنعم عليهم فعرفوه و شرح صدورهم فأطاعوه و توكلوا عليه فسلموا الخلق و
الأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين و بيوتاً للحكمة و توابيت للعظمة و
خزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون و قلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ
بحجب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصفاً أن يصفه

(١) روى الكليني في الكافي ج ٢ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ نحوه .

فهم في باطن أمورهم كالدِّيباج حسناً وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعاً. وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتیه من يشاء، و قال بعض الصالحين: بينا أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى وادٍ هنالك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دويٌّ عال فأتبعته الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتفٌ، وإذا أنا برجل قائم يردد هذه الآية «يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضراً - إلى قوله: - ويحدّزكُم الله نفسه»^(١) قال: فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحةً خرّ بها مغشياً عليه قلت: وا أسفاه هذا لشقائي، ثمّ انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعتة وهو يقول: أعوذ بك من مقام الكذّابين، أعوذ بك من أعمال البطّالين، أعوذ بك من إعراض الغافلين، ثمّ قال: لك خشعت قلوب الخائفين وإليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين، ثمّ نفض يديه فقال: مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعيمك إلى محبّيك فاذهبي وإيهاهم فاخضعي ثمّ قال: أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى مرّ الزمان يفنون، فناديتها عبدالله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال: وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهب آيامه وبقيت آثامه، ثمّ قال: أين أنت لها ولكلّ شدة أتوقّع نزولها، ثمّ لهي عني ساعة وقرأ «وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» ثمّ صاح صيحةً أخرى أشدّ من الأولى وخرّ مغشياً عليه منها فقلت: قد خرجت نفسه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثمّ أفاق وهو يقول: ما أنا ما خطري هب لي إساءتي بفضلك وجلّلتني بسترِكَ واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك. فقلت له: بالذّي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتني فقال: عليك بكلام من ينعمك ككلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه إنني لفي هذا الموضع منذ ما شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجدعونا عليّ ليخرجنني ممّا أنا فيه غيرك فأليك عني ياخذوع فقد عطّلت عليّ لساني ومالت إلى حديثك شعبة من قلبي فأنا أعوذ بالله

من شرك ثم أرجو أن يعيدني من سخطه ويتفضل عليّ برحمته قال : فقلت هذا ولي الله أخاف أن أشغله فأعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتر كتمه . وقال بعض الصالحين : بينما أنا أسير في مسير لي إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف عليّ فقال : يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام علي وجهه فأتبعته فسمعته وهو يقول : « كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت » فقلت : وفيما بعد الموت فقال : من أيقن بما بعد الموت شمّر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ، ثم قال : يا من لوجهه غنت الوجوه بيّض وجهي بالنظر إليك واملأ قلبي من المحبة لك وأجرني من ذلّة التوبيخ غداً عندك فقد آن لي الحياء منك وحن لي الرجوع عن الأعراض عنك ، ثم قال : لولا حلمك لم يسعني أجلي ، و لولا عفوك لم ينبسط فيما عندك ألمي ، ثم مضى وتر كني وقد أنشدوا في هذا المعنى :

نحيل الجسم مكثب الفؤاد	☆	تراه بقمّة أو بطن واد
ينوح على معاصي فادحات	☆	يكدر ثقلها صفو الرقاد
فإن هاجت مخاوفه و زادت	☆	فدعوته أغمني يا عمادي
فأنت بما الأقية عليم	☆	كثير الصفح عن زلل العباد

فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مراعاة النفس ومراقبتها فمهما تمرّت نفسك عليك و امتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء . فإنه قد عزّ الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء ، فليس الخبر كالمعاينة ، وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم يكن إبل فمعزى ، وخير نفسك بين الاقتداء بهم و الكون في غمارهم وهم العقلاء و الحكماء و ذوو البصائر في الدّين و بين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تنخرط في سلك الحمقى وتقع بالتشبه بالاغبياء . وتؤثر مخالفة العقلاء فإن حدّثت نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهديات وقل لها : ألا تستنكفين يا نفس أن تكوني أقلّ من امرأة فأخس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها و دنياها و لندكر الآن نبذة من أحوال المجتهديات

فقد روي عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلّت العتمة قامت على سطح لها وشدّت عليها درعها وخمارها ثم قالت : إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوكة أبوابها وخلا كلُّ حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ، ثم أقبلت على صلاتها فإذا كان السحر وطلع الفجر قالت : إلهي هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهناً أو رددتها عليّ فأعزي و عزّتك لهذا دأبي و دأبك ما أبقيتني وعزّتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك .

و يروى عن عجرة أنها كانت تحبى الليل و كانت مكفوفة البصر فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون : إليك قطع العابدون دجى الليالي ، يستبقون إلى رحمتك و فضل مغفرتك ، فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أوّل زمرة السابقين و أن ترفعني لديك في عليّين في درجة المقرّبين و أن تلحقني بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرّحماء و أعظم العظماء و أكرم الكرماء يا كريم ، فخرت ساجدة فسمعت لها و جبة ثم لاتزال تدعو وتبكي إلى الفجر .

و قال يحيى بن بسطام : كنت أشهد مجلس شعوانة ^(١) فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرّفق بنفسها قال أنت و ذاك قال : فأتيناها فقلت لها : لو رفقت بنفسك و أقصرت عن هذا البكاء شيئاً لكان ذلك أقوى على ما تريد فبكيت ثم قالت : والله لو ددت أن أبكي حتى تنقد دموعي ثم أبكي دماً حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي ، وأنى لي بالبكاء و أنى لي بالبكاء ، فلم تزل تردّد « و أنى لي بالبكاء ، حتى غشي عليها .

وقال محمد بن معاذ : حدّثتني امرأة من المتعبّدات قالت : رأيت في منامي كأنّي أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابها فقلت : ما شأن أهل الجنة قياماً؟ فقال لي قائل : خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت : ومن هذه المرأة؟ قيل : أمة سوداء من أهل الأيلة يقال لها شعوانة قالت : فقلت : أخني

(١) في طبقات الشعرائي بنديسير من حالاتها فراجع .

والله فبيننا أنا كذلك إذ أقبل بها على نجية تطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديتها يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحقني بك ، قالت : فتبسّمت إليّ وقالت : لم يأن لقدومك ولكن احفظي عنّي اثنتين ألزمني الحزن قلبك وقدّمي محبة الله على هواك ، ولا يضرك متى مت .

وقال عبد الله بن الحسن : كانت لي جارية رومية و كنت بها معجباً و كانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبي فانتهت فالتمستها فلم أجدها ففقت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول : بحبك لي إلا غفرت لي ذنوبي ، فقلت لها : لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبّي لك ، فقالت : لا يا مولاي بحبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام و بحبه لي أيقظ عيني و كثير من خلقه نيام .

وقال أبو هاشم القرشي : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال : فكنت أسمع لها من الليل أنيناً و شهيقاً ، فقلت يوماً لخدم لي أشرف على هذه المرأة فانظر ما ذا تصنع ، فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة تقول : خلقت سرية ثم عذبتني بنعمتك من حال إلى حال و كل أحوالك لها حسنة و كل بلائك عندها جميل ، وهي مع ذلك متعرّضة لسخطك بالتوثب على معاصيها فلته بعد فلتة ، أتراها تظن أنك لا ترى سوء فعالها و أنت عليمٌ خبيرٌ و أنت على كل شيء قدير .

وقال ذو النّون المصري : خرجت ليلة من وادي كنعان فلمّا علوت الوادي إذا سواد مقبل عليّ وهو يقول : « و بدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » و يبكي فلمّا قرب منّي السواد إذا هو امرأة عليها حبة صوف و بيدها ركوة فقالت لي : من أنت ؟ غير فرجة منّي قلت : رجلٌ غريبٌ ، فقالت : يا هذا وهل يوجد مع الله غربة ؟ قال : فبكيت لقولها فقالت : ما الذي أبكاك ؟ قلت : وقع الدّواء على داء قد قرح فأسرع في نجاحه ، قالت : فإن كنت صادقاً فلم بكيت ؟ قلت : يرحمك الله والصادق لا يبكي ؟ قالت : لا ، قلت : و لم ذاك ؟ قالت : لأنّ البكاء راحة للقلب ، فسكت منعجباً من قولها .

وقال بعض الصالحين: خرجت يوماً إلى السوق ومعني جارية حبشية فاحتسبتها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت: لا تبرحي من مكانك حتى أنصرف إليك قال: فانصرفت فلم أجدتها في الموضع وانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها فلما رأته عرفت الغضب في وجهي فقالت لي: يا مولاي لا تعجل علي إنك أجلسني في موضع لم أر فيه ذا كراً لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها: أنت حرّة فقالت: لي ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما .

وقال ابن العلاء السعديّ: كانت لي ابنة عمّ يقال لها: بريرة وتعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلّما أتت علي آية فيها ذكر النار بكت ، فلم تنزل تبكي حتى ذهبت عينها من البكاء فقال بنو عمّها: انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نغذّلها في كثرة البكاء ، قال: فدخلنا عليها فقلنا: يا بريرة كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحنا أضيفاً منيخين بأرض غربة ننظر متى ندعى فنجيب ، فقلنا لها: إلى كم هذا البكاء قد ذهبت عينك منه؟ فقالت: إن يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وإن كان لهما عند الله شرٌّ فبين أيديهما بقاء أطول من هذا وأعرضت ، قال: فقال القوم: قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه .

وكانت معاذة العدويّة إذا جاء النهار تقول: هذا يومي الذي أموت فيه فما تطعم حتى تمسي وإذا جاء الليل تقول: هذه الليلة التي أموت فيها فتصلي حتى تصبح .

وقال أبو سليمان الداراني: بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محرابها وقمت أنا إلى ناحية من البيت فلم تنزل قائمة إلى السحر فلمّا كان السحر قلت: ما جزاء من قوّا على قيام هذه الليلة قالت: جزاؤه أن نصوم له غداً .

و كانت شعوانة تقول في دعائها: إلهي ما أشوقني إلى لقاءك وأعظم رجائي لجزائك وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين ، إلهي إن كان دنا منك أجلي ولم يقرّ بني منك عملٌ فقد جعلت الاعتران

بالذنب وسائل علمي ، فإن عفوت فمن أولى بذلك منك ، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك ، إلهي قد جرتُ على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها ، إلهي إنك لم تنزل لي برّاً أيام حياتي فلا تقطع عني برّك بعد مماتي و لقد رجوت ممن تولّاني في حياتي باحسانه أن يسعفني عند مماتي بغفرانه إلهي كيف أبأس من حسن نظرك بعد مماتي و لم تولّني إلا الجميل في حياتي . إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن محبّتي لك قد أجاتني فتولّ من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غرّه جهله ، إلهي لو أردت إهانتني لما هديتني و لو أردت فضيحتني لم تسترني فمتّعني بما له هديتني و آدم لي ما به سترتني ، إلهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري ، إلهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك .

و قال الخوّاص دخلنا على رحلة العابدة و كانت صامت حتى اسودّت وبكت حتى عميت وصلت حتى أقعدت فكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفوليهون عليها الأمر قال : فشبهت ثم قالت : علمي بنفسي قرح فؤادي و كلم كبدي ، والله لوددت أن الله لم يخلقني و لم أك شيئاً مذكوراً ، ثم أقبلت على صلاتها .

فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرّجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك و يزيد حرصك ، وإيّاك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، و حكايات المجتهدين غير محصورة و فيما ذكرناه كفاية للمريد ، و إن أردت مزيداً فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعدها أهل عصرك من أهل الدّين فإن حدثتكَ نفسك بالنظر إلى أهل زمانك و قالت : إنّما تيسر الخير في ذلك الزّمان لكثرة الأعوان ، والآن فإن خالفت أهل زمانك رأوك مجنوناً و سخرُوا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجري عليك إلا ما يجري عليهم والمصيبة إذا عمّت

طابت ، فأياك أن تتدلى بحبل غرورها وتمخضع بتزويرها و قل لها : أ رأيت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد و ثبتوا على مواضعهم و لم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال و قدرت على أن تفارقهم و تركبي سفينة تنجوبها من الغرق فهل يخلج في نفسك أن المصيبة إذا عمّت طابت أم تتركين موافقتهم وتستجلبهم في صنيعهم وتأخذين حذرهم مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفاً من الغرق وعذاب الغرق لا يكون إلا ساعة فكيف لاتهربين من عذاب الأبد و أنت متعرضة له في كل حال و من أين تطيب المصيبة إذا عمّت ولأهل النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص و لم يهلك الكفار إلا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا : « إننا وجدنا آباءنا على أمة و إننا على آثارهم مقتدون » فعليك إذا اشتغلت بمعاينة نفسك أن تعتمد على الاجتهاد و إن استعصت فلا تتحرك معاتبها و توبيخها و تقرعها و تعريفها سوء نظرها لنفسها فعاها تنزجر عن طغيانها .

﴿ المراقبة السادسة في توبيخ النفس و معاتبها ﴾

إعلم أن أعدى عدوك نفسك التي هي بين جنبيك و قد خلقت أمارة بالسوء، ميالة إلى الشرّ فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها و تقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها و خالقها و بمنعها عن شهواتها و فطامها عن لذاتها فان أهملتها شردت و جهت و لم تظفر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاينة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها و معاتبها ولا تشتغلن بوعظ غيرك مالم تشتغلن أولاً بوعظ نفسك .

أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني » و قال تعالى : « و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (١) و سبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها و غباوتها فانها أبدأ تتعزز بفطنتها و هدايتها و تشتد أنفتها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك

تدعِين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشدُّ الناس غباوة وحقاً أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة إلى إحداهما على القرب فما لك تفرحين وضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غداً فأراك ترين الموت بعيداً ويراه الله تعالى قريباً أما تعلمين أن كلَّ ما هو آت قريب وأنَّ البعيد ما ليس بآت ، أما تعلمين أنَّ الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول و من غير مواعدة ومواطأة ، و أنَّه لا يأتي في شتاء دون صيف ، ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ، ولا في ليل دون نهار ، ولا يأتي في سنَّ الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبَّ بل كلُّ نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فإن لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثمَّ يفضي إلى الموت فما لك لا تستعدِّين للموت و هو أقرب إليك من كلِّ قريب أما تتدبَّرين قوله تعالى : « اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴿١﴾ ما يأتيهم من ذكر من ربِّهم محدث إلاَّ استمعوه وهم يلعبون ﴿٢﴾ لاهية قلوبهم » (١) ويحك يا نفس جرأتك على معصية الله إن كانت لا اعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك وإن كانت مع علمك باطلاعه عليك فما أشدَّ وقاحتك وأقلَّ حياءك ويحك لو واجهك أخ من إخوانك بل عبد من عبادك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأيَّ جسارة تتعرَّضين لقلت الله تعالى و غضبه و شديد عقابه أفتظنَّين أنَّك تطيقين عذابه هيهات هيهات جرَّ بي نفسك إن ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قرَّ بي أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أم تغترين بكرم الله عزَّ وجلَّ و فضله و استغناؤه عن طاعتك و عبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله في مهمَّات دنياك فاذا صدك عدوُّ فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلمينه إلى كرم الله عزَّ وجلَّ ، وإذا أرهقك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا ممَّا لا ينقضي إلاَّ بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الرُّوح في طلبه و تحصيله من وجوه الحيل ؟ فلم لا تعولين على كرم الله عزَّ وجلَّ حتَّى يعينك على ذلك أو يستخرَّ عبداً من عبده ليحمل إليك حاجتك من غير سعيك و طلبك أفتحسبين

أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا تبدل لها وأن ربّ الدنيا والآخرة واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ويحك يانفس ما أعجب نفاقك و كثرة دعاويك الباطلة فإنك تدّعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيّدك ومولاك : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها »^(١) وقال في أمر الآخرة : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »^(٢) فقد تكفّل لك بأمر الدنيا خاصّة و صرفك عن السعي لها فكذبته بأفعالك وأصبحت تمكلمين علي طلبها تكالب المدهوش المستهتر و كلّ أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان فلو كان الايمان باللسان فلما ذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار . ويحك كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب و تظنين أنك إذا مت أنفكت و تخلّصت و هيهات أتحسبين أن تتركي سدى ، ألم تكوني نطفة من مني يمني ، ثم كنت علقة فخلق فسوئى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ، فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك و أجهلك أما تتفكرين أنه مما داخلتك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ، ثم أماتك فأقبرك أفنكذ بينه في قوله « ثم إذا شاء أنشرك » ؟ فإن لم تكوني مكذّبة فما بالك لا تأخذين حذرک ولو أن يهودياً أخبرك في الدّ أطمعتك بأنّه يضرك في بدنك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات و قول الله عزّ وجلّ في كتبه المنزلة أقلّ عندك تأثيراً من قول يهودي يخبرك عن حدس و تخمين و ظنّ مع نقصان عقل و قصور علم؟! و العجب أنّه لو أخبرك طفل بعقرب في ثوبك نزعتك في الحال من غير مطالبة له ببرهان و دليل أكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء و كافة الأولياء أقلّ عندك من قول صبيّ من جملة الأغبياء؟ أو صار حرّ جهنّم و صديدها و أغلالها و أنكالها و زقومها و مقامعها و حديدتها و أفاعيها و عقاربها أحقر عندك من لدغ عقرب لا تحسّين بألمه إلا يوماً أو أقلّ؟ ما هذا من أفعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لصحكوا منك و سخرُوا من عقلك . فإن كنت قد عرفت جميع ذلك و آمنت به فما لك تسوّفين العمل

والموت لك بالمرصاد ولعلّهُ يَخْتِطُّكَ من غير مهل فبماذا أمنت استعجال الأجل . وهب
 إنك وعدت الإمهال ألف سنة أفْتَظَنِّين أن من لا يعلم الدّابة في حضيض العقبة يفلح
 ويقدر على قطع العقبة بها ؟ إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك ، أرايت لو سافر رجل
 لينفقّه في الغربة فأقام فيها سنين متعطّلاً بطّالاً يعد نفسه بالنفقّه في السنة الأخيرة
 من رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله و ظنّه أن تفقيّه النفس ممّا يطمع
 فيه بمدّة قريبة ، أو حسبانته أن منازل الفقهاء تنال من غير تفقّه اعتماداً على كرم
 الله سبحانه ، ثم هب أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرّجات العلى
 فلعلّ اليوم آخر عمرك فلم لاتشتغلين به فان أوحى إليك بالإمهال فما المانع لك
 من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهوتك
 لما فيه من التعب و الشقّة أفنتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا
 يوم لم يخلقه الله ولا يخلقه ولا يتكون الجنّة قطّ إلا محفوفة بالمكاره ، ولا يكون المكاره
 قطّ خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده ، أما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين:
 غداً غداً ، فقد جاء الغد و صار يوماً فكيف وجدته ، أما علمت أن الغد الذي جاء و
 صار يوماً كان له حكم الأمس لابل ما تعجزين عنه اليوم فأنت غداً عنه أعجز وأعجز
 لأنّ الشهوة كالشجرة الرّأسخة التي تُعبّد الرّجل على قلبها فاذا عجز عن قلبها
 للضعف وأخربها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخربها إلى سنة أخرى
 مع العلم بأن طول المدّة يزيد الشجرة قوّة ورسوخاً ويزيد القالع ضعفاً ووهناً فما
 لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قطّ في المشيب ، بل من العناء رياضة الهرم ، و
 من التعذيب تهذيب الذّئب ، والقضيب الرّطب سهل الإنجناء فاذا جفّ و طال عليه
 الزّمان لم يقبله ، فاذا كنت لاتفهمين هذه الأمور الجليّة و تركنين إلى التسويف
 فمالك تدّعين الحكمة وأيّة حماقة تزيد على هذه الحماقة و لعلّك تقولين ما يمنعني
 عن الاستقامة إلا حرصي على لذّة الشهوات وقلة صبري على الآلام و المشقّات فما
 أحقّك وأقبح اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التّنعّم بالشهوات الصافية عن
 الكدورات أبد الآباد ولاطمع في ذلك إلا في الجنّة فان كنت ناظرة لنفسك فالنظر

لها في مخالفتها قرباً أكلته تمنع أكالات ، و ما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصحّ و يتهنأ لشربه طول العمر و أخبر أنه إن شربه مرضاً مرضاً مزمناً و امتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حقّ الشهوة أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضي شهوته في الحال خوفاً من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم المخالفة ثلاثمائة يوم و ثلاثة آلاف يوم و جميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدّة نعيم أهل الجنّة و عذاب أهل النار أقلّ من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر و إن طالّت مدّته ، و ليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدّة و أطول مدّة أو ألم النار في دركات جهنّم؟! فمن لا يطبق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطبق ألم عذاب الله؟ . ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر خفي أو لحقّ جليّ أمّا الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب و عظم قدر الثواب و العقاب و أمّا الحقّ الجليّ فاعتمادك على كرم الله تعالى و عفوه من غير التفات إلى مكروه و استدراجه و استغناؤه عن عبادتك مع أنّك لاتعتمدون على كرمه في لقمة من الخبز و حبة من المال و كلمة واحدة تسمعيها من الخلق ، بل تتوصّلون إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل و بهذا الجهل تستحقّين لقب حماقة من النبي ﷺ حيث قال:

« الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت ، و الأحمق من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأمانى »^(١) و يحك يا نفس لا ينبغي أن تغرّ نك الحياة الدنيا و لا يغرنك بالله الغرور ، فانظري لنفسك فيما أمرك و لاتضيّعي أوقاتك فإنّ الأنفاس معدودة و إذا مضى نفس منك فقد مضى بعضك ، فاعتمني الصحّة قبل السقم ، و الفراغ قبل الشغل ، و الغنى قبل الفقر و الشباب قبل الهرم ، و الحياة قبل الموت ، و استعدّي للأخرة على قدر بقائك فيها أما تستعدّين للمشاء بقدر طول مدّته فتجمعين له القوت و الكسوة و الحطب و اللبّد و العجبة و لاتتّكلين في ذلك على فضل الله و كرمه حتى يدفع البرد عنك من غير جبّة و لبّد و حطب فأنه قادر على ذلك ، أفتنظّنين أن زهير يرجهنّ أخفّ برداً أو أقصر مدّة من زهير السناء أم تنظّنين أن العبد ينجو منها بغير سمي

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن و تقدم غير مرة .

هيئات كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجبهة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردتها إلا بحصن التوحيد وخذق الطاعات وإنما كرم الله عز وجل في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لاني أن يدفع عنك العذاب دون حصنه كما أن كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك للطريق استخراجها من بين حديدة و حجر حتمي تدفعي بها برد الشتاء عن نفسك و كما أن شرى الحطب والجبهة مما يستغنى عنه خالك ومولاك وإنما تشتريه لنفسك إذ جعله سبباً لاسراحتك وطاعتك ومجاهدتك أيضاً هو مستغن عنها وإنما هي طريقك إلى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غني عن العالمين ، و يحك انزعج عن جهلك و قيسي آخرتك بدنياك «فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة و كما بدأكم تعودون» وسنة الله لن تجدلها تبديلاً ولا تحويلاً ، وما أراك إلا ألفت الدنيا وأنست بها فعمسرت عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين نفسك مودتها ، فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله و ثوابه وعن أهوال يوم القيامة وأحوالها فما أنت موقنة بالموت المفروق بينك وبين محابك ، أفترى أن من دخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة إلى مفارقتها أهو معدود من العقلاء أم من الحمقاء ، أما تعلمين أن الدنيا دار ملك الملوك وما أنت فيها إلا مجتاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت و لذلك قال سيد البشر ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقه ، و عش ما شئت فانك ميّت ، و اعمل ما شئت فانك مجزي به (١) » أما تعلمين أن كل من التفت إلى ملاذ الدنيا وأنس بها مع أن الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وإنما يتزوّد من السم المهلك و هو لا يدري ، أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا و علوا ثم ذهبوا و خلوا ، و كيف أورت الله أرضهم و ديارهم أعداءهم ، أما تراهم كيف يجمعون ما لا يأكلون و يبنون ما لا يسكنون و يأمّلون ما لا يدركون ، يبني كل واحد قصرأ

(١) تقدم في العلم وغيره .

مرفوعاً إلى جهة السماء و مقره قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق و انتكاس أعظم من هذا يعمر الواحد دنياه و هو مرتجل عنها يقيناً و يخرب آخرته و هو صائر إليها قطعاً ، أما تستحين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم و احسبي أنك لست ذات بدسيرة تهتدين إلى هذه الأمور وإنما تميلين بالطبع إلى التشبه والافتداء ، فقيسي عقل الأنبياء و الحكماء و العلماء بعقل هؤلاء المكبتين على الدنيا و اقتدى بين الفريقين بمن هو أعدل عندك إن كنت تعتمدين في نفسك العقل والدك يا نفس ما أعجب أمرك و أشد جهلك و أظهر طغيانك ، عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية فلعلك أسكرك حب الجاه و أدهشك عن فهمها أو ما تنفكرين في أن الجاه لا معنى له إلا ميل قلوب الناس إليك فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجدوا لك و أطاعوك أفما تعرفين أن بعد خمسين سنة لا تبقى أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك و سجد لك و سيأتي زمان لا يبقى ذكرك و ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً . فكيف تبيعين ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة لو بقي هذا إن كنت ملكاً من ملوك الأرض سلم لك الشرق و الغرب حتى أذغت لك الرقاب و انتظمت لك الأسباب كيف و يأبى إيدارك و شقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلاً عن محلتك فإن كنت لاتر كين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك و عمى بصيرتك فما لك لاتر كينها ترفعاً عن حسنة شركائها ، و تنزهاً عن كثرة عنائها ، و توقياً من سرعة فنائها أم مالك لاتزهدين في قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها ، و مالك تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من يهود أو مجوس يسبقونك بها و يزيدون عليك في نعيمها و زينتها فأف الدنيا سبقك بها هؤلاء الأخساء فما أجهلك و أخس هممتك و أسقط رأيك إذ رغبت عن أن تكوني في زمرة المقر بين من الصديقين و النبيين في جوار رب العالمين أبدأ بدين لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياماً قلائل ، فيا حسرة عليك إذ خسرت الدنيا والدن ، فبادري ويحك فقد أشرفت على الهلاك و اقترب الموت وورد النذير

فمن ذا يصلّي عنك بعد الموت و من ذا يصوم عنك بعد الموت و من ذا يرضى ربك بعد الموت ، مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن اتّجرت فيها و قد ضيّعت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيّعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيّعت البقية و أصرت على عادتك ، أما تعلمين أن الموت موعدك و القبر بيتك و التراب فراشك و الدود أنيسك و الفزع الأكبر بين يديك . أما علمت أن عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك و قد آلوا كلهم^(١) على أنفسهم بالإيمان المغلظة أنهم لا يرحون من مكانهم ما لم يأخذوك إلى أنفسهم . أما تعلمين أنهم يتمنون الرجعة إلى الدنيا يوماً ليستغلوا بتدارك ما فرط منهم فأنت في أمنيّتهم و يوم من عمرك لوبيع منهم بالدنيا بحدافيرها لا شتره لو قدروا عليه و أنت تضيّعين أيامك في الغفلة و البطالة ، و يحك أما تستحين تزيّنين ظاهره للحلق و تبارزين الله تعالى بالعظام أفستحين من الخلق ولا تستحين من الخالق ، و يحك أهو أهون الناظرين إليك و يحك أتأمرين الناس بالخير و أنت متلطّخة بالردّائل تدعين إلى الله و أنت منه فارة و تذكّرين الله و أنت له ناسية ، أما تعلمين أن المذنب أنتن من العذرة و أن العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطيب غيرك و أنت غير طيبة في نفسك و يحك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس لا يصيبهم بلاء إلا لشؤمك ، و يحك و قد جعلت نفسك حماراً لا إبليس يقودك إلى حيث يريد و يسخر بك و مع هذا فتعجبين بعملك و فيه من الآفات ما لو نجوت منه رأساً برأس لربحت فكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك . و قد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن كان عبده مائتي ألف سنة و أخرج آدم من الجنّة بخطيئة واحدة مع كونه نبيّه و صفيّه . و يحك يا نفس ما أعذرك ، و يحك يا نفس ما أوقحك ، و يحك يا نفس ما أجهلك و ما أجراك على المعاصي و يحك كم تعقدين فتنقضين ، و يحك كم تعهدين فتغدرين ، و يحك أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها ، أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا قد جمعوا كثيراً و بنوا شديداً و أملوا بعيداً فأصبح جمعهم بوراً و بنياهم قبوراً و

(١) أي أقسموا و حلفوا على أنفسهم .

أملهم غروراً ، أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أتظنّين أنّهم دعوا إلى الآخرة و
أنت من الخالدين هيهات هيهات ساء ما تتوهّمين ما أنت إلا في هدم عمرك منذسقت
من بطن أمك فابني على ظهر الأرض قصرك فإنّ بطنها عن قليل يكون قبرك ، أما
تخافين إذا بلغت النفس منك التراقي أن تبدو رسلك منحدرة إليك بسواد الألوان
و كلع الوجوه و بشّروك بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن
أو يرحم منك البكاء ، و العجب كلّ العجب منك أنّك مع هذا تدّعين البصيرة و
الفطنة و من فطنتك أنّك تفرحين كلّ يوم بزيادة مالك و لاتحزين بنقصان عمرك
و ما نفع مال يزيد و عمر ينقص . ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة و هي مقبلة
عليك و تقبلين على الدنيا و هي معرضة عنك ، فكم من مستقبل يوماً لم يستكمله
و كم من مؤمّل لغدلم يبلغه و أنت تشاهدين ذلك في إخوانك و أقاربك و جيرانك و ترين
تحسّرهم عند الموت ثمّ لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوماً آلى الله
تعالى فيه على نفسه أن لا يترك فيه عبداً أمره في الدُّنيا و نهاء حتّى يسأله عن عمله
دقيقه و جليله سرّهُ و علانيته ، فانظري بأيّ بدن تقفين بين يديه و بأيّ لسان
تجيبين و أعدّي للسؤال جواباً و للجواب صواباً و اعلمي بقيّة عمرك في أيام قصار
لأيام طوال و في دار زوال لدار مقامة ، و في دار حزن و نصب لدار نعيم و خلود ،
و اعلمي قبل أن لا تعملني و اخرجني من الدُّنيا اختياراً خروج الأحرار قبل أن
تخرجني منها على الاضطرار ، و لا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدُّنيا فربّ
مسرور مغبون و ربّ مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثمّ لا يشعر ، يضحك و يفرح
و يمرح و يأكل و يشرب و يلهو ، و قدحقّ له في كتاب الله أنّه من وقود النار ، فليكن
نظرك يا نفس إلى الدُّنيا اعتباراً و سعيك لها اضطراراً و رفضك لها اختياراً و طلبك
للآخرة ابتداراً و لا تكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي و يبتغي الزيادة فيما
بقي و ينهى النَّاس و لا ينتهي ، و اعلمي أنّه ليس للدِّين عوض و لا للإيمان بدل
و لا للجسد خلف و من كانت مطيئته الليل و النهار فأنّه يسار به و إن لم يسر ،
فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة و اقبلي هذه النصيحة فإنّ من أعرض عن الموعظة

فقد رضي بالنار وما أراك بها راضية وللهذه الموعظة واعية وإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام ، فإن لم تنزل فبالمواظبة على الصيام ، فإن لم تنزل فبقلة المخالطة والكلام فإن لم تنزل فبصلة الأرحام واللطف بالإيتام ، فإن لم تنزل فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك وأقل عليه وأنه قد تراكت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً وكل ميسر لما خلق له ، فإن لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوز بالله منها ، فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فإن ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغِيثي بأرحم الراحمين واشتكي إلى أكرم الأكرمين وأدمني الاستغاثة ولا تملّي طول الشكاية لعلّه أن يرحم ضعفك ويغيثك فإن مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل فالامذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجأ إلا إلى مولاك ، فافزعي إليه بالتضرّع واجزعي في تضرّعك على قدر عظم جرمك وكثرة ذنوبك فإنه يرحم المتضرّع الدليل ويغيث الطالب المنتهف ويوجب دعوة المضطرّ الدليل وقد أصبحت إليه مضطرةً وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبخ فالمللوب منه كريم ، والمسؤول عنه جواد ، والمستغاث به برؤوف ، والرحمة واسعة ، والكرم فائض ، والعفو شامل وقولي : يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حلِيم يا كريم أنا المذنب المصّر أنا الجري، الذي لأقلع ، أنا المتمددي الذي لا استحي ، هذا المقام مقام المتضرّع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل إغاثتي وفرحي وأرني آثار رحمتك

و أدقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوّة عصمتك يا أرحم الراحمين ، اقتداءً بأبيك آدم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه : لما أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض من الجنّة مكث لا ترقاً له دمة فأطلع الله عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس الرأس فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما هذا الجهد الذي أرى بك قال : يا ربّ عظمت مصيبتني وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربّي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الرّاحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزّوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي ؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحلمتلك داري وخصصتك بكرامتي وحدّرتك سخطي ؟ ألم أخلقتك بيدي و نفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرّضت لسخطي فوعزّتي وجلالي لوملات الأرض رجالاً كلّهم مثلك يعبدونني ويسبّحونني ثمّ عصوني لأنزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلاثمائة عام .

و كان عبید الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول الليلة : إلهي أنا الذي كلّما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلّما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى ، و اعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى ، و اعبيداه إن كانت النار لك مقبلاً و مأوى ، و اعبيداه إن كانت المقامع لرأسك تهيماً ، و اعبيداه قضيت حاجة الطالبين و لعلّ حاجتك لاتقضى .

و قال منصور بن عمّار : سمعت بعض اللّيالي بالكوفة عابداً يناحي ربّه عزّ وجلّ و هو يقول : يا ربّ و عزّتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك و لا عصيتك إذ عصيتك و أنا بمكانك جاهل و لا لعقوبتك متعرّض و لا لنظرك مستخفّ و لكن سوّلت لي نفسي و أعانني على ذلك شقوتي و غرّني سترك المرخى عليّ فأقدمت على معصيتك بجهلي و خالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو يحبل من أعتم من إن قطعت حبلك عنّي و اسوأته من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفّين جوزوا ، وللمثقلين : حطّوا ، أمع المخفّين أجوز أم مع المثقلين أحطّ ، ويلي كلّما

كبرت سنّي كثرت ذنوبي ، ويلي كلّما طال عمري كثرت معاصي ، فإلى متى أتوب
وفي كم أعود أما آن لي أن أستحي من ربّي .

فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم و في معاتبة نفوسهم و إنّما مطلبهم من
المناجاة الاسترضاء و مقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة و المناجاة
لم يكن لنفسه مراعيأ و يوشك أن لا يكون الله عنه راضيأ .

تمّ كتاب المحاسبة و المراقبة من ربع المنجيات من المحجّة البيضاء و لله
الحمد و المنّة ، و يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب التفكّر و الحمد لله ربّ العالمين و
الصلوة و السلام على أنبيائه و أوليائه أجمعين سيّما أفضلهم و أكرمهم محمّد و آله
الطاهرين آمين .



كتاب التفكر

وهو الكتاب التاسع من ربيع المنجيات من المحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاه عزته نحواً ولا فطراً ، ولم يجعل لمراقبي أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته مجرى ، وترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى ، كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسراً ، وإذا هممت بالانصراف آئسة نوديت من سرادقات الجمال صبراً صبراً ، ثم قيل لها أجيلي في ذلّ العبوديّة منك فكري الآنك لو تفكّرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدراً ، وإن طلبت وراء التفكر في صفاتك أمراً فانظري في نعم الله وأياديه كيف توالى عليك تترى ، وجددي لكلّ نعمة منها ذكراً وشكراً ، وتأملّي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيراً وشرّاً ، ونفعاً وضرّاً ، وعسراً ويسراً ، وربحاً وخسراً ، وحبراً وكسراً ، وطيباً ونشراً ، وإيماناً وكفراً ، وعرفاناً ونكراً ، وإن جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمراً إمرأ^(١) وخاطرت بنفسك مجاوزة حدّ طاقة البشر ظلماً وجوراً ، فقد انبهرت العقول دون مبادي إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطراراً وقهراً .

و الصلاة على محمد المصطفى إذ كان سيّد ولد آدم ولم يعدّ سيادته فخراً صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدّة وذخراً ، وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كلّ واحد منهم في سماء الدّين بدرّاً ولطوائف المسلمين صدراً وسلم .

(١) اي امرأ منكراً .

أما بعد فقد وردت السنّة بأنّ تفكّر ساعة خير من عبادة سنة (١) و كثر الحثّ في كتاب الله عزّ وجلّ على التدبّر والاعتبار والنظر والافتكار ، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدء الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم ، و أكثر الناس قد عرفوا فضيلته ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته و مصدره و مورده و مجراه و مسرحه و طريقه و كيفيته ، و لم يعلم أنّه كيف يتفكّر و فيما ذا يتفكّر و لما ذا يتفكّر و ما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أو لثمره تستفاد منه و إن كان ثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعاً و كشف جميع ذلك مهمّ و نحن نذكر أوّلاً فضيلة التفكّر ، ثمّ حقيقة التفكّر و ثمرته ، ثمّ مجاري الفكر و مسارحه إن شاء الله .

﴿ فضيلة التفكر ﴾

قد أمر الله تعالى بالتفكّر و التدبّر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى و أنى على المتفكرين فقال تعالى : « و يتفكّرون في خلق السموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً (٢) » و قد قال ابن عباس : إنّ قوماً تفكّروا في الله عزّ وجلّ فقال النبي ﷺ : « تفكّروا في خلق الله و لا تمفكّروا في الله فإنّكم لن تقدروا قدره » (٣) و عن النبي ﷺ « أنّه خرج على قوم ذات يوم و هم يتفكّرون فقال ما لكم لا تتكلّمون ؟ فقالوا : نتفكّر في خلق الله عزّ وجلّ ، قال : فكذلك فافعلوا تفكّروا في خلقه و لا تتفكّروا فيه فإنّ بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها و

(١) رواه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ «ستين سنة» ورواه

أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس بلفظ «ثمانين سنة» ورواه أبو - الشيخ في كتاب العظمة من قول ابن عباس (المعنى) أقول : ورواه بلفظه العياشي في تفسيره من حديث جعفر بن محمد عليهما السلام كما في البعاز الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر ص ١٩٥ .

(٢) آل عمران : ١٩١ .

(٣) رواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس كما في الجامع الصغير .

بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفه عين ، قالوا : يا رسول الله فأين الشيطان عنهم قال : ما يدرون خلق الشيطان أملاً ، قالوا : من ولد آدم قال : لا يدرون خلق آدم أم لا^(١) ، و « عن عطاء قال : انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة وبيننا وبينها حجاب فقالت : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا فقال قول النبي ﷺ : « زرغباً تزدد حباً » فقال ابن عمير : أخبرنا بأعجب شيء رأيت من رسول الله ﷺ قال : فبكت وقالت : كل أمره كان عجباً أتاني في ليلتي حتى مس جلدي جلده ثم قال : ذرني أتعبد لربي عز وجل فقام إلى القرية فنوضاً منها ثم قام يصلي فبكي حتى بل لحينه ، ثم سجد حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال : يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : ويحك يا بلال ما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبصار »^(٢) ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها »^(٣) .

وقيل للأوزاعي : ما غاية التفكر فيهن ؟ قال : تقرأهن وتعلمهن .

أقول : ومن طريق الخاصة عن أمير المؤمنين عليه السلام « التفكر يدعو إلى البر والعمل به »^(٤) .

وعن الصادق عليه السلام « أفضل العبادة إيمان التفكر في الله وفي قدرته »^(٥) .
وعنه عن علي عليه السلام « نبه بالتفكر قلبك ، وجاف عن الليل جنبك ، واتق الله ربك »^(٦) .

(١) أخرج صدره ابن أبي حاتم والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عباس كما في الدر المنثور ج ٢ ص ١١٠ وقال العراقي رويناه في جزء من حديث عبد الله بن سلام .
(٢) آل عمران : ١٩٠ .

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في التفكير وقد تقدم في كتاب الصبر والشكر .

(٤) و (٥) الكافي ج ٢ ص ٥٥ تحت رقم ٥ و ٣ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٥٤ تحت رقم ١ .

وعن الرضا عليه السلام « ليس العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله تعالى ^(١) » .

قال أبو حامد : وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذرّ بعد موت أبي ذرّ فسألها عن عبادة أبي ذرّ فقالت : كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . وقال بعض السلف : تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، وقال آخر : الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقال آخر : الفكرة مخ العقل وقد قيل : إذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شيء له عبرة

وروي أن الحواريين قالوا لعيسى ابن مريم عليه السلام : هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال : نعم من كان منطقته ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي وقال بعض السلف : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو . وفي قول الله عز وجل : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ^(٢) » قال : أمنع قلوبهم من التفكر في أمري .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، قالوا : وما حظها من العبادة يا رسول الله ؟ قال : النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه ^(٣) » .

وعن امرأة كانت تسكن البادية قريباً من مكة أنها قالت لوططالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد ادّخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقرّ لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمرّ به مولاه فيقول : يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس لكان أنس لك ، فيقول

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٥ تحت رقم ٤ .

(٢) الاعراف : ١٤٥ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر ، و من طريقه ابو الشيخ ابن حبان في

كتاب العظمة كما في المعنى .

لقمان : إن طول الوحدة أفهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة ، وقال وهب بن منبه : «ما طالت فكرة امرئ قط إلا أعلم وما علم امرؤ قط إلا عمل ، وعن ابن عباس ركعتان مقتصرتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب ، وقال بعضهم : الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلب ، وقال آخر : من العبرة يزيد العلم ومن الذكركر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف ، وقال ابن عباس - رضي الله عنه - : التفكر في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه ، ويروى أن الله عز وجل قال في بعض كتبه : إنني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى هممه وهواه فإذا كان هممه وهواه لي جعلت صمته تفكراً وكلامه حمداً وإن لم يتكلم . وقال بعض السلف : إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكركر على الفكر وبالفكر على الذكركر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة ، وقال آخر : أشرف المجالس وأعلىها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسّم بنسيم المعرفة ، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد ، والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال : يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما أذنه طوبى لمن رزقه ، قال بعض السلف : استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة ، وقال أيضاً : صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور ، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفتنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ، ففكر قبل أن تعزم ، وتدبر قبل أن تهجم ، وشاور قبل أن تندم ، وقال أيضاً : الفضائل أربع إحداها الحكمة وقوامها الفكرة ، والثانية العفة وقوامها في الشهوة ، والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس . فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها .

﴿ بيان حقيقة الفكر وثمرته ﴾

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في النفس ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف

أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتماداً على مجرد قوله وهذا يسمى تقليداً ولا يسمى معرفة والطريق الثاني أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهي أن الآخرة أولى بالإيثار ، ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكراً واعتباراً وتذكراً ونظراً وتأملاً وتدبيراً . أما التأمل والتدبير والتفكير فعبارات مترادفة على معنى واحد ليست تحتها معان مختلفة ، فأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل المسمى واحداً كما أن اسم الصارم والسيف والمهنت يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهنت يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه ، والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث إنه يعبر منهما إلى معرفة ثالثة فإن لم يقع العبور ولم يكن إلا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار ، فأما النظر والتفكير فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة ، فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظراً فكل منفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكراً وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبيت ولا تنمحي عن القلب ، وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصله فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكير والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فإذا حصلت معرفة وازدوجت مع معرفة أخرى حصل منها نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية وإنما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت أو العوائق ، هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي إلى طريق زيادة المعارف وطريق التفكير ، فأما أكثر الناس فأنما منعوا الزيادة في العلوم

لقد هم رأس المال وهو المعارف التي منها تستثمر العلوم كالذي لبضاعة له فإنه لا يقدر على الربح ، وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح ، فكذلك قد يكون له من المعارف ما هو رأس العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج المفضي إلى النتائج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للأنبيا وآلهم وذلك عزيز جداً وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر ، ثم المتفكر قد تحضر له هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنه لقلّة ممارسته لصناعة التدبير في الأيراد فكم من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإنثار علماً حقيقياً ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراد والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفة إلا عن المعرفتين السابقتين وهو أن الأبقى أولى بالإنثار وأن الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهي أن الآخرة أولى بالإنثار فرجع حاصل حقيقة التفكر إلى إحصاء معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة ، وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرتها الخاصة العلم لا غير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغيير حال القلب وإذا تغيير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال ، والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر والفكر إذن هو المبدء والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأن في الفكر ذكراً وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكركر فإذن التفكر أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل : تفكر ساعة خير من عبادة سنة . وقيل : هو الذي ينقل من المكاء إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ، وقيل : هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى : « لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ^(١) » وإن أردت أن تفهم كيفية تغيير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالإنثار فإذا رسخت هذه المعرفة يقيناً في

قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته ثم أثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح في إطراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات أولها المذكور وهو إحضار المعرفتين في القلب ، وثانيها التفكير وهو طلب المعرفة المقصودة منهما ، والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها ، والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة ، والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحالة ، فكما تضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فيصير العين بها مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة و تنتهض الأعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة^(١) هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفاً مخصوصاً كما يضرب الحجر على الحديد ضرباً مخصوصاً فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى مالم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى مالم يكن يراه ، ثم تنتهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر مالم يكن يبصره فإذن ثمرة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لانهاية لها والأحوال التي تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ، فلماذا لو أراد مرید أن يحصى فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية ، نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطاً جملياً فإن تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فإنها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة فلنشر إلى ضبط المجامع فيه ليحصل الوقوف على مجاري الفكر فيه .

(١) الزند هو العود الذي تقدح به النار جمعه زناد .

* (بيان مجارى الفكر) *

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدِّين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدِّين وإِنَّمَا غرضنا ما يتعلق بالدِّين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدِّين المعاملة التي بين العبد وبين الرَّبِّ تعالى فجميع أفكار العبد إمَّا أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله وإمَّا أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله ولا يمكن أن يخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد إمَّا أن يكون نظراً فيما هو محبوبٌ عند الرَّبِّ تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرَّبِّ تعالى إمَّا أن يكون نظراً في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى .

وإمَّا أن يكون نظراً في أفعاله وملكوته وملكوته وجميع ما في السموات والأرضين وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثال وهو أن حال السائرين إلى الله والمشتاقين إلى لقاءه يضاھي حال العشاق فلننخذ العاشق المستهتر مثلاً فنقول : العاشق المستغرق الهمَّ بعشقه لا يعدو فكره من أن يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه ، فإن تفكَّر في معشوقه فإمَّا أن يتفكَّر في جماله وحسن صورته ليتنعم بالفكر فيه ومشاهدته ، وإمَّا أن يتفكَّر في أعماله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفاً لذاته ومقويماً لمحبتته وإن تفكَّر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى ينزّه عنها أو في الصفات التي تقرُّ به منه وتحبِّبه إليه حتى يتصّف بها فإن تفكَّر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حدِّ العشق وهو نقصان فيه لأنَّ العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستولى على القلب حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره ، فمحبُّ الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكُّره محبوبه ومهما كان تفكُّره محصوراً في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبَّة فلنبدأ بالقسم الأول وهو تفكُّره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليميّز المحبوب منها عن المكروه ، فإن هذا القسم هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب ، وأمَّا القسم الآخر فيتعلّق بعلم المكاشفة ، ثمَّ كلُّ واحدٍ مما هو مكروهٌ عند الله أو محبوبٌ ينقسم

إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي وإلى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربيع المنجيات والمهلكات . والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالفرار عن الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام و يجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور : الأول التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا ، فرب شيء لا يظهر كونه مكروهاً بل يدرك بدقيق النظر ، والثاني التفكر في أنه إن كان مكروهاً فما طريق الاحتراز عنه ، والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من هذه المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاري الفكر في هذه الأقسام على مائة ، والعبء مدفوع إلى التفكر إما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الأقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم أعني قسم المعاملة في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات المنجيات والمهلكات ، فلنذكر في كل نوع مثلاً ليقيس به المريد سائرهما ويفتح له باب الفكر ويتسع له طريقه .

النوع الأول المعاصي وينبغي أن يفتش العبد صبيحة كل يوم عن جميع أعضائه السبعة تفصيلاً ثم عن بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس طعصية بها فيتركها أو لا يلبسها بالأمس فيتداركها بالترك والتندم ، أو هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول : إنه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والممارسة والممازحة والخوض فيما لا يعني إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أولاً في نفسه أنها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ، ثم يتفكر أنه كيف يحترز منها ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد أو بأن لا يجالس إلا صالحاً تقياً ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والأبيض حجرة في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً له فهكذا يكون الفكر

في حيلة الاحتراز ويتفكّر في سمعه أنّه يصغي به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللّهُو والبدعة وأنّ ذلك إنّما يسمعه من زيد ومن عمرو وأنّه كيف ينبغي أن يحترز عنهم بالاعتزال أو بالنّهي عن المنكر مهما سمع ذلك ، ويتفكّر في بطنه أنّه إنّما يعصي الله فيه بالأكل والشرب . إمّا بكثرة الأكل من الحلال فإنّ ذلك مكروه عند الله عزّ وجلّ ومقوّ للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدوّ الله ، وإمّا بأكل الحرام والشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه . ويتفكّر في طرق الحلال ومدخله ثمّ يتفكّر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرّر على نفسه أنّ العبادات كلّها ضائعة عند الله مع أكل الحرام وأنّ أكل الحلال هو أساس العبادات كلّها وأنّ الله لا يقبل صلاة عبده في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به ^(١) فهكذا يتفكّر في أعضائه . وفي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء ، فمهما حصلت بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمرآة طول النهار حتّى يحفظ الأعضاء عنها .

وأما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر أولاً في الفرائض المكتوبة عليه أنّه كيف يؤدّيها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ، ثمّ يرجع إلى عضو عضو فيتفكّر في الأفعال التي تتعلق بها ممّا كتبه الله عزّ وجلّ عليه فيقول مثلاً : إنّ العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنّة رسوله وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنّة فلم لأفعله وأنا قادرٌ على أن أنظر إلى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل السرورَ على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء وأزجره بذلك عن معصيته فلم لأفعله ، وكذلك يقول في سمعه : إنّني قادرٌ على استماع كلام الله أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر ، فمالي أعطله وقد أنعم الله عزّ وجلّ عليّ به وأودعني لأشكره ، فمالي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه

(١) أخرج أحمد في مسنده ج ٢ ص ٩٨ من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه

وآله قال : «من اشترى ثوباً بمشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه» .

وتعطيله ، وكذلك يتفكر في اللسان ويقول : إنني قادر على أن أتقرب إلى الله تعالى بالوعظ وبالتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح و عمر والعالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فإنها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول : أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإنني مستغن عنه ومهما احتجت إليه رزقني الله مثله وإن كنت محتاجاً الآن فأنا إلى ثواب الأثيار أحوج مني إلى ذلك المال ، وهكذا يفتش عن أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه وغلماه وأولاده فإن كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله عز وجل بها ويستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يدعوه إلى البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها و يطلب لها مظان الاستحقات حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات .

وأما النوع الثالث فهو الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها بما ذكرناه في ربيع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فإن ظن أن قلبه منزّه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فإن النفس أبداً تعده الخير من نفسها وتكذب فإذا ادّعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي أن يجرب نفسه بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الأولون يجربون به أنفسهم ، وإذا ادّعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجرب بها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات ، وهذا تفكر في أنه هل هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا ، ولها علامات ذكرناها في ربيع المهلكات فإذا دلت العلامات على وجودها ففكر في الأسباب التي تقبح تلك الصفات عنده ويتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة^(١) كما لورأى في نفسه عجباً بالعمل فيتفكر ويقول : إنما عملي بدني وجارحتي وبقدرتي وإرادتي وكل ذلك ليس مني ولا إلي وإنما هو من خلق الله عز وجل وفضله علي فهو الذي خلقتني وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرّك

(١) دخلة الرجل - مثانة - ودخيلته نيته ومدبه وجميع أمره .

أعضائي بقدرته فكيف أُعجب بعملِي أو بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي ، وإذا أحسَّ في نفسه بالكبر قرَّر على نفسه ما فيها من حماقة ويقول لها : لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت ، وكم من كافر في الحال يموت متقرِّباً إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيماً بتغيُّر حاله عند الموت بسوء الخاتمة ، فإذا عرف أنَّ الكبر مهلك وأنَّ أصله حماقة فيتفكَّر في علاج إزالته بأن يتعاطى أفعال المتواضعين ، وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكَّر في أنَّ هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقوع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتَّصف بهما البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المتمرِّبين أبعد ، وكذلك يقرَّر على نفسه في الغضب ثمَّ يتفكَّر في طريق العلاج وكلُّ ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتَّسع له طريق الفكر فلا بدَّ له من تحصيل ما في هذه الكتب .

وأما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرَّجاء والزُّهد في الدُّنيا والإخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله عزَّ وجلَّ وتعظيمه والرِّضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له ، وكلُّ ذلك ذكرناه في هذا الرَّبِّع و ذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكَّر العبد كلَّ يوم وليلة في قلبه وما الذي يُعوِّزه^(١) من هذه الصفات التي هي المقرِّبة إلى الله عزَّ وجلَّ ، فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنَّها أحوال لا يثمرها إلاَّ علوم وأنَّ العلوم لا يثمرها إلاَّ أفكار ، فإذا أراد أن يكتبَ لنفسه حال التوبة والندم فليفتش عن ذنوبه أوَّلًا وليتفكَّر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ، ثمَّ لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليحقِّق عند نفسه أنَّه متعرِّض لمقت الله عزَّ وجلَّ به حتَّى ينبعث له حال الندم ، وإذا أراد أن يستشير من قلبه حال الشكر فليُنظر في إحسان الله تعالى إليه وأياديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك ، وإذا أراد حال المحبَّة والشوق

(١) أعوز الرجل اعوازا افتقر ، وأعوزه الدهر أفقره .

فليتكّر في جلال الله عزّ وجلّ وجماله وعظمته وكبريائه ، وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سرّز إلى طرف يسير منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فليُنظر أولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثمّ لينظر في الموت وسكراته ثمّ فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثمّ في هول النداء عند نفخة الصور ، ثمّ في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ، ثمّ في المناقشة في الحساب والمضائق في النقيير والقطمير ، ثمّ في الصراط ورقته وحدته ، ثمّ في خطر الأمر عنده أنّه يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى اليمين وينزل دار القرار ، ثمّ ليحضر أهوال القيامة في قلبه من صورة جهنّم ودركانها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكّنين بها وأنهم كلّما فضجت جلودهم بدّلوا جلوداً غيرها وأنهم كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيّدوا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا زفيرها وتغيظها وهلمّ جرّاً إلى جميع ماورد في القرآن من شرحها ، وإذا أراد أن يستجلب حال الرّجاء فليُنظر إلى الجنّة ونعيمها وأشجارها وأثمارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكيها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تتمر الاتّصاف بأحوال محبوبة أو التنزّه عن الصفات المذمومة وقد ذكرنا في كلّ واحدة من هذه الأفعال كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر ، أمّا بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكّر فانه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرّجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يزرع عن سائر الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأ العبد ويردّ الآية التي هو محتاج إلى التفكّر فيها مرّة بعد أخرى ولو مائة مرّة فقراءة آية بتفكّر وفهم خيرٌ من ختمه بغير تدبّر وفهم وليتوقّف في التأمّل فيها ولو في ليلة واحدة فإن تحت كلّ كلمة منها أسرار لا تنحصر ولا يوقف عليها إلاّ بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار النبي ﷺ « فقد بي جوامع الكلم ^(١) » وكلّ كلمة من كلامه بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم

حقاً تأمله لم يقطع فيها نظره طول عمره، وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول فانظر إلى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إن روح القدس نفث في روعي : أحب من أحببت فانك مفارقة وعش ماشئت فانك ميتة واعمل ما شئت فانك مجزي به » ^(١) فان هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخريين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر إذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله أو مكروهة والمبتدي ينبغي أن يكون مستغرق الهم في هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزهه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحجوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فإنه لا يتفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصول فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقية الحسين بن منصور وقال له : فيم أنت ؟ قال : أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل قال : أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد . فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح والاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات يجري مجرى تهئية المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها ، فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجاباً لها عن لقاء زوجها فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالعبد

السوء لا يتحرك إلا خوفاً من الضرب وطمعاً في الأجر ، فدونك و إتعاب البدن بالأعمال الظاهرة فإن بينك وبين القلب حجاباً كثيفاً فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة قوم آخرون ، فإذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك و ديدنك في كل صباح و مساء ، فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة عن الله عز وجل و أحوالك المقرّبة إليه تعالى بل كل مرید فينبغي أن يكون له جريدة يكتب فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي و الطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم و يكفيه من المهلكات النظر في عشرة فإنه إن سلم منها سلم من غيرها و هي البخل و الكبر و العجب و الرياء و الحسد و شدة الغضب و شره الطعام و شره الوقاع و حب المال و حب الجاه . و من المنجيات عشرة و هي الندم على الذنوب و الصبر على البلاء و الرضا بالقضاء و الشكر على النعماء و اعتدال الخوف و الرجاء و الزهد في الدنيا و الإخلاص في العمل و حسن الخلق مع الخلق و حب الله و الخشوع له . فهذه عشرون خصلة عشر منها مذمومة و عشر محمودة . فمهما كفي عن المذمومات واحدة فيخطئ عليها في جريدته و يدع الفكر فيها و يشكر الله عز وجل على كفايته إياها و تنزيه قلبه عنها و يعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله و عونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على محو أول الرذائل عن نفسه فيقبل على التسع البواقى وهكذا يفعل حتى يخطئ على الجميع و كذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فإذا اتصفت بواحدة منها كالنوبة و الندم مثلاً خطئ عليها و اشتغل بالبواقى و هذا يحتاج إليه المرید الملتزم فأمّا أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي أن يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كالأكل بالشبهة و إطلاق اللسان بالغيبة و النميمة و المراء و الشناء على النفس و الإفراط في معاداة الأعداء و موالاتة الأولياء و المداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فإن أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه و بما لم يطهر الجوارح من الآثام لا يمكنه الاشتغال بعمارة القلب و تطهيره بل كل فريق من

الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي أن يكون تفقدهم لها و تفكرهم فيها لا في معاصهم بمعزل عنها ، مثاله العالم الورع فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم و طلب الشهرة و انتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ و من فعل ذلك تصدّى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصّدّيقون فإنه إن كان كلامه مقبولاً حسن الوقع في القلوب لن ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزيين والتصنع وذلك من المهلكات وإن ردّ كلامه لم ينفك عن أنفة وغيظ وحقده على من رده وهو أكثر من غيظه على من يردّ عليه كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول : إن غيظك من حيث إنّه ردّ الحقّ و أنكروه ، فإن وجد تفرقة بين أن يردّ عليه كلامه أو يردّ على عالم آخر فهو مغرورٌ وضحكة للشيطان ، ثمّ مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء و استنكاف من الرّدّ و الاعراض لم يخل عن تكلف و تصنع لتحسين اللفظ و الايراد حرصاً على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلمين ، والشيطان قد يلبس عليه و يقول : إنّما حرصك على تحسين الألفاظ و التكلف فيها لينتشر الحقّ و يحسن موقعه في القلب إعلاء لدين الله عزّ وجلّ ، فإن كان فرحه بحسن الألفاظ وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وإنّما يدندن حول طلب الجاه و هو يظنّ أنّ مطلبه : الدين و مهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك ، حتّى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراماً و يكون بقلائه أشدّ استبشاراً ممّن يغلو في موالاته غيره و إن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاتة ، و ربّما ينتمهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغيروا و تغاير النساء فيشقّ على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره و إن كان يعلم أنّه منتفع بغيره و مستفيد منه في دينه و كلّه هذا رشح الصفات المهلكة المستكنة في سرّ القلب التي قد يظنّ العالم النجاة منها و هو مغرور فيها و إنّما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة و هو إمّا مالك و إمّا هالك و لا مطمع له في سلامة العوام ، فمن أحسن في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد و العزلة و طلب الخمول و المدافعة للفتاوي مهما سئل فقد كان المسجد يهوى جمعاً من أصحاب النبي ﷺ كلّهم مفتون و

كانوا يتدافعون الفتوى فكل من كان يفتي كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الإنس إذ قالوا لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندست العلوم من بين الخلق و ليقبل لهم إن دين الإسلام مستغن عني فإنه كان معموراً قبلي و كذلك يكون بعدي و لومت لم تنهدم أركان الإسلام فالدّين مستغن عني و أمّا أنا فلست بمستغن عن إصلاح قلبي و أمّا إفضاء ذلك إلى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فإنّ الناس لو حبسوا في السجن و قيّدوا بالقيود و توعّدوا بالنار على طلب العلم لكان حبّ العلوّ والرئاسة يحملهم على كسر القيود و هدم حيطان الحصون و الخروج منها و الاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يجبب إلى الخلق الرئاسة و الشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة بل ينتهز لنشره أقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال ﷺ: « إن الله يؤيد هذا الدّين بأقوام لاخلاق لهم ^(١) » و « إن الله يؤيد هذا الدّين بالرّجل الفاجر ^(٢) » فلا ينبغي أن يفتر العالم بهذه التلبسات و يشتغل بمخالطة الخلق حتّى يتربّس في قلبه حبّ الجاه و الثناء و التعظيم فإنّ ذلك بندر النفاق قال النبي ﷺ: « حبّ المال و الجاه يثبت النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل ^(٣) » و قال ﷺ: « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً فيها من حبّ الجاه و المال في دين المرء المسلم ^(٤) » و لا ينقلع حبّ الجاه من القلب إلاّ بالاعتزال عن الناس و الهرب من مخالطتهم و ترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في النطقن لخفايا هذه الصفات من قلبه و في استنباط طريق الخلاص منه و هذه وظيفة العالم المتقي ، فأما أمثالنا فينبغي أن يكون تفكّرنا فيما يقوّم أيّماننا بيوم الحساب إذ لو رأنا السلف الصالحون لتألموا قطعاً إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة و النار فإنّ من خاف شيئاً هرب منه و من رجا شيئاً طلبه ، و قد علمنا أنّ الهرب من

(١) و(٢) تقد ما عن البخارى فى صحيحه و ابى عوانة فى مسنده .

(٣) تقدم فى المجلد السادس ص ٤٠ .

(٤) رواه أحمد و الترمذى وقد تقدم فى المجلد السادس ص ٤١ .

النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي و نحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات و نحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا و التكالب عليها ويقال : لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فيها ففسأل الله عز وجل أن يصلحنا و يصلح بنا و يوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم و ارتقوا منها إلى التفكير في جلال الله وعظمته والنعيم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات و الاتصاف بجميع المنجيات و إن ظهر منه شيء قبل ذلك كان مدخولاً معلولاً مكدراً مقطوعاً و كان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد أخرى فيتنعص عليه لذّة المشاهدة ولا طريق له في إكمال النعم إلا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه .

القسم الثاني الفكري في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامات :

المقام الأول وهو الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله ^(١) » وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطبق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطبقون دوام النظر إليه بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطبقه البتة بل يخفي نهاراً وإنما يتردد دليلاً لينظر في بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الإنسان بالنظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولكن لا يطبق دوامه ويخشى على بصره لو

(١) تقدم في باب فضيلة التفكير .

أدام النظر إليها ونظره المختطف إليها يورث العمش وتضعف البصر وكذلك النظر إلى ذات الله عز وجل يورث الحيرة والدَّهش واضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتعرَّض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فإن أكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرَّح به بعض العلماء ، وهو أن الله عز وجل مقدَّس عن المكان ، منزَّه عن الأقطار والجهات ، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه ، قد حيرَّ عقول أقوام حتَّى أنكروه إذ لم يطيقوا إسماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم : إنَّه يتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو ، وأن يكون جسماً مشخَّصاً له حجم ومقدار فأنكروا هذا فظنَّوا أن ذلك قدح في عظمتهم وجلاله حتَّى قال بعض الحمقى من العوام : إنَّ هذا وصف بطيخ هندي لا وصف إلا له فظنَّ المسكين أن الجلالة والعظمة في هذه الأعضاء وهذا لأنَّ الإنسان لا يعرف إلا نفسه ولا يستعظم إلا نفسه ، فكلُّ ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالساً على سريره وبين يديه غلمان يمثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدُّس حتَّى يفهم العظمة بل لو كان للذُّباب عقل وقيل له : ليس لخالقك جناح ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك ، وقال : كيف يكون خالقي انقص منِّي أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمناً لا يقدر على الطيران ، أو يكون لي آلة وقدرة ولا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوِّري وعقول أكثر الخلق قريبة من هذا العقل ، وإنَّ الإنسان جهول ظلوم كفار ولذلك أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن أخبرهم عنِّي بما يفهمون وطما كان النظر في ذات الله عز وجل وصفاته مخطراً من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصالح الخلق بأن لا يتعرَّض لمجاري الفكر فيه لكننا نعدل إلى المقام الثاني وهو النظر إلى أفعاله وعجائب صنعته وبدائع أمره في خلقه فانَّها تدلُّ على جلاله وكبريائه وتقدُّسه وتعالیه وتدلُّ على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فننظر إلى صفاته من آثار صفاته فانَّنا لانطبق النظر إلى صفاته كما أننا [لا] نطبق النظر

إلى الأرض مهما استنار بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر في الأثر يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنواره بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الأجسام بنور الشمس المضئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة يغض قليلاً من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها وكذلك الأفعال واسطة يشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا نور الذات بعد أن تباعدنا عنه بواسطة الأفعال ، فهذا سر قوله ﷺ «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله».

❖ (بيان كيفية التفكر في خلق الله عز وجل) ❖

اعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله فعل الله عز وجل وخلقته وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي بل عشر عشر ذلك ولكننا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عدها . فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها ، وكم من الموجودات التي لانعلمها كما قال تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون^(١) » وقال « وننشئكم فيما لا تعلمون^(٢) » وإلى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما أدر كناه بحسب البصر وإلى ما لا ندر كنهه بالبصر أمّا ما لا ندر كنهه بالبصر فكل الملائكة والجن والشياطين وأمّا المدركات بحسب البصر فهي السماوات السبع والأرضون وما بينهما والسماوات

(١) يس : ٣٦ .

(٢) الواقعة : ٦١ .

مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحر كبتها ودورانها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجوُّ مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها ، فهذه هي الأجناس المشاهدة من السماوات والأرض وما بينهما ، وكلُّ جنس منها ينقسم إلى أنواع وكلُّ نوع ينقسم إلى أقسام وينشعب كلُّ قسم إلى أصناف ولا نهاية لانشعب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاتها وميَّاتها ومعانيتها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجالي الفكر فلا تتحرك ذرة في السماوات والأرض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب إلا ومحركها هو الله عزُّ وجلُّ وفي حر كبتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كلُّ ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودالُّ على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالَّة عليه وقد ورد القرآن بالحثِّ على التفكر في هذه الآيات كما قال : « إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب^(١) » وكما قال « ومن آياته » و « من آياته » من أوَّل القرآن إلى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات .

فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب الدالَّة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشره وأنت غافل عنها فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرها وقد أمرك الله تعالى بالتدبُّر في نفسك في كتابه العزيز فقال : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »^(٢) وذكر أنك مخلوق من نطفة قدرة ، فقال تعالى : « قتل الإنسان ما أكفره » من أيِّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدَّره ثمَّ السبيل يسره ثمَّ أماته فأقبره ثمَّ إذا شاء أنشره^(٣) وقال تعالى : « ومن آياته أن خلقكم من ترابٍ ثمَّ إذا أنتم بشر تنتشرون^(٤) » وقال : « ألم يك نطفةً من منيَّ يمنيَّ ثمَّ كان علقةً فخلق فسوى^(٥) » وقال : « ألم نخلقكم من ماء مهين ثمَّ فجعلنا منيَّ في قرار

(١) آل عمران : ١٩٥ .

(٢) الذاريات : ٢١ .

(٣) عبس : ١٧ - إلى - ٢٢ .

(٤) الروم : ٢٠ .

(٥) القيامة : ٢٧ و٢٨ .

مكنين^(١)» وقال : « أو لم ير الإنسان أننا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين^(٢) »
وقال : « إننا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه^(٣) » .

ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظماً وقال تعالى :
« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين^١ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين^٢ ثم خلقنا
النطفة علقة - الآية^(٤) » فتكرار ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظها
ويترك التأمل في معناها فانظر الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قدرة ولو تركت
ساعة يضر بها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها ربُّ الأرباب من الصلب والثرائب
وكيف جمع بين الذكر والانثى؟ وألقى الالف والمحببة في قلبهما؟ وكيف قادهما
بسلسلة المحببة والمشهورة إلى الاجتماع؟ وكيف استخرج النطفة من الرّجل بحركة
الوقاع؟ وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الأرحام؟ ثم كيف
خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه وربّاه وكيف جعل النطفة وهي
بيضاء مشرقة علقة حمراء ، ثم كيف جعلها مضغة ، ثم كيف قسم أجزاء النطفة
وهي متشابهة متساوية إلى العظم والأعصاب والعروق والأوتار واللحم ، ثم كيف
ركب من اللّحوم والأعصاب والعروق الأعضاء الظاهرة فدوّر الرأس وشقّ السمع والبصر
والأنف والفم وسائر المنافذ، ثم مدّ اليدين والرّجل وقسم رؤوسها بالأصابع وقسم الأصابع
بالأنامل ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرّية
والرّحم والمثانة والأمعاء كلُّ واحد على شكل مخصوص ، بمقدار مخصوص لعمل
مخصوص ، ثم كيف قسم كلَّ عضو من هذه الأعضاء بأقسام آخر فركب العين من
سبع طبقات لكلّ طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أوزالت
صفة من صفاتها لتعطّلت العين عن الإبصار ولو ذهبنا إلى نصف ما في آحاد هذه الأعضاء،
من العجائب والآيات لا نقضت فيه الأعمار ، فانظر الآن إلى العظام وهي أجسام
قويّة صلبة كيف خلقها من نطفة سخيّفة رقيقة ثم جعلها قواماً للبدن وعماداً له ،

(١) المرسلات : ٢٠ و ٢١ . (٢) يس : ٧٧ .

(٣) الدهر : ٢ . (٤) المؤمنون : ١٢ و ١٣ و ١٤ .

ثم قدّرها بمقادير مختلفة و أشكال متفاوتة فمنها صغيرٌ و كبيرٌ و طويلٌ و مستديرٌ و مجوّفٌ و مصمتٌ و عريضٌ و دقيقٌ ، و لما كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة بجملته بدنه و ببعض أعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظماً واحداً بل عظماً كثيرة بينهما مفاصل حتى يتيسر بها الحركة و قدّر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها و ربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم و أصق بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرًا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها و تنطبق عليها فصار العبد إن أراد حركة جزء من بدنه لم يمنع عليه ولو لالمفاصل لتعذر عليه ذلك ، ثم انظر كيف خلق عظام الرأس و كيف جمعها و ركبها و قد ركبها من خمسة و خمسين عظماً مختلفة الأشكال و الصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوت به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف (١) و أربعة عشر للحي الأعلى و الاثنان للحي الأسفل و البقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن و بعضها حادة تصلح للقطع و هي الأنياب و الأضراس و الثنايا ، ثم جعل الرقبة مركباً للرأس و ركبها من سبع خرزات (٢) مجوّفات مستديرات فيها تجويفات و زيادات و نقصانات لينطبق بعضها على البعض و يطول ذكروجه الحكمة فيها ، ثم ركب الرقبة على الظهر .

و ركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع و عشرين خرزة و ركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة و يتصل به من أسفله عظم العصعص (٣) وهو أيضاً مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدور و عظام الكتف و عظام اليدين و عظام العانة و عظام العجز ثم عظام الفخذين و الساقين و أصابع الرجلين و لانطول بذكر عدده ، و مجموع العظام في بدن الإنسان مائتا عظم و ثمانية

(١) القحف - بالكسر - : العظم فوق الدماغ .

(٢) يعنى بها فقرات الظهر .

(٣) العصعص - كقنفذ - : عجب الذنب أى أصله .

و أربعون عظماً سوى العظام الصغيرة التي حشى بها خلل المفصلات فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة و ليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فإن هذا علم قريب يعرفه الأطباء والمشرّحون وإنما الغرض منها أن ينظر في مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها و أقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص ، لأنه لو زاد عليها واحداً لكان وبالاً على الإنسان و يحتاج إلى قلعه ، و لو نقص منها واحداً لكان نقصاناً يحتاج إلى جبره ، فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلّوا بها على جلاله خالقها ومصوّرها ، فشتان ما بين النظرين ، ثم انظر كيف خلق الله آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الإنسان خمسمائة عضلة وتسعاً وعشرين عضلة و العضلة هي المرّبة من اللحم والعصب والرّبط والأغشية وهي مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين و أجفانها و لو نقصت واحدة من جملتها لاختلّ أمر العين وهكذا لكلّ عضو عضلات بعدد مخصوص و قدر مخصوص و أمر الأعصاب و العروق و الأوردة و الشرايين و عددها و منابتها و انشعاباتها أعجب من هذا كله ، و شرحه يطول و للتفكير مجال في آحاد هذه الأجزاء ، ثم في آحاد هذا الأعضاء ، ثم في جملة البدن و كل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن ، و عجائب المعاني والصفات التي لاتدرك بالحواس أعظم فانظر الآن إلى ظاهر الإنسان و باطنه و إلى بدنه و صفاته لترى فيها من الصنعة ما يقضي به العجب و كل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ماء قدرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السماوات و كواكبها و ما حكمته في أوضاعها وأشكالها و مقاديرها و أعدادها و اجتماع بعضها و تفرّق بعضها و اختلاف صورها و تفاوت مشارقها و مغاربها ، و لا تظنّ أن ذرّة من ملكوت السماوات تتفكّ من حكمة و حكم بل هي أحكم خلقاً و أتقن صنعاً و أجمع للعجائب من بدن الإنسان بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السماوات و لذلك قال تعالى : «أنتم

أشدُّ خلقاً أم السماء بناها (١) « فارجع الآن إلى النظفة و تأمل حالها أولاً و ما صارت إليه ثانياً و تأمل أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يخلقوا للنظفة سمعاً أو بصرأ أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً أو يخلقوا فيها عظماً أو عرقاً أو عصباً أو جلدأ أو شعراً هل يقدرن عليها بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته و كيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنها فالعجب منك لو نظرت إلى صورة إنسان مصوراً على حائط تأنق النقاش (٢) في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان و قال الناظر إليها كأنه إنسان عظم تعجبك من صنعة النقاش و حذقه و خفة يده و تمام فطنته و لعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ و القلم و الحائط و اليد و القدرة و العلم و الإرادة ، و شيء من ذلك ليس من فعل النقاش و لا خلقه بل هو من خلق غيره و إنما منتهى فعله الجمع بين الصبغ و الحائط على ترتيب مخصوص ، فيكثر تعجبك منه و تستعظمه و أنت ترى النظفة القدرة التي كانت معدومة فخلقها خالقها في الأصلاب و الترائب ثم أخرجها منها و شكلها و أحسن تشكيلها و قدرها فأحسن تقديرها و صورها فأحسن تصويرها و قسم أجزائها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها و حسن أشكال أعضائها و زين ظاهرها و باطنها و رتب عروقها و أعصابها و جعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبباً لبقائها و جعلها سمياً بصيراً عالماً ناطقاً ، فخلق لها الظهر أساساً لبدنها و البطن حاوياً لآلات غذائها و الرأس جامعاً لحواسها ففتح العين و رتب طبقاتها و أحسن شكلها و لونها و هيأتها ثم سماها بأجفان لتسترها و تحفظها و تصقلها و تدفع الأقداء عنها ، ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السماء مع اتساع أكنافها و تباعد أقطارها فهو ينظر إليها و شق أذنيه و أودعها ماءً مرراً لحفظ سمعها و يدفع الهوام عنها و حوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فتردها إلى صماخها و لتحس بدبيب الهوام إليها و جعل فيها تجويفات و اعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها و يطول طريقها

(١) النازعات : ٢٧ .

(٢) تأنق في عمله أى عمله باتقان .

فينتبه عن النوم صاحبها إذا قصده الدابة في نوم ، ثم رفع الأنف من وسط الوجه و أحسن شكله و فتح منخريه وأودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه و أغذيته و ليستشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه و ترويحاً لحرارة باطنه ، و فتح الفم وأودعه اللسان ناطقاً و ترجماناً و معرباً عمماً في القلب و زين الفم بالأسنان و لتكون آلة للطحن و الكسر والقطع ، فأحكم أصولها وحدد رؤوسها و حسن لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم ، و خلق الشفتين و حسن لونهما وشكلهما لتنطبقا على الفم و تسد منافذه و ليمت بها حروف الكلام ، ثم خلق الحنجرة و هيأها لخروج الأصوات ، و خلق اللسان قدرة للمحركات و التقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ، ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق و السعة و الخشونة و الملاسة و صلابة الجوهر و رخاوته و الطول و القصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ، ثم زين الرأس بالشعور و الأصداع^(١) ، و زين الوجه باللحية و الحاجبين ، و زين الحاجبين بدقة الشعر و استقواس الشكل و زين العينين بالأهداب^(٢) ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص ، فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم و الطحال والمرارة والكلى لخدمة الكبد ، فالطحال يخدمه بجذب السوداء عنها والمرارة تخدمه لجذب الصفراء عنه ، والكلى تخدمه لجذب المائية عنها ، والطحانة تخدم الكلى بقبول الماء عنها ، ثم تخرجه عن طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ، ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد إلى المقاصد و عرض الكف و قسم الأصابع الخمس و قسم كل أصبع بثلاث أنامل و وضع الأربع في جانب و الإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع و لو اجتمع

(١) هي الشعور المتدلية على الصدغين والصدغ ما بين العين والاذن .

(٢) جمع هدبة وآن بفارسي مره چشم است .

الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجهاً آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربعة وتفاوت الأربعة في الطول و ترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا الترتيب صلحت إليه للمقبض والإعطاء، فإن بسطها كانت له طبقاً يضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت آلة للضرب وإن ضمها ضمماً غير تام كانت مغرفة (١) وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له (٢)، ثم خلق الأظفار على رؤوسها زينة للأنامل و عماداً لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لاتتناولها الأنامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أحسن الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهرت به حكة لكن أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقدروا على القيام به في حكة بدنه، ثم هدى اليد إلى موضع الحكة حتى تمتد إليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحكة إلا بعد تعب طويل، ثم خلق هذا كله في النظفة وهي في جوف الرحمة في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئاً فشيئاً ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصوراً أوفاعلاً لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيها، فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه، ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته فإنه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه، ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى النقام الشدي، ثم لما كان بدنه سخيلاً لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبّر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم خالصاً سائغاً، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأنبت لهما الحلمة (٣) على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي، ثم فتح في حلمة الثدي ثقباً ضيقاً جداً حتى لا يخرج اللبن إلا بعد المص

(١) مغرفة هي ما يقال لها بالفارسية «چمچه» .

(٢) جرف بالفارسي «كاويدن» ومجرفة بمعنى بيل است .

(٣) الحلمة - محرمة - الثؤلول في وسط الثدي وهو الحبة على رأسه .

تدرجاً فإنَّ الطفل لا يطيق منه إلا القليل ، ثمَّ كيف هداه إلى الامتصاص حتّى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدّة الجوع ، ثمَّ انظر إلى عطفه و رأفته كيف أحرَّ خلق الأسنان إلى تمام الحولين لأنّه في الحولين لا يتعدّى إلا باللبن فيستغني عن السنّ و إذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف و يحتاج إلى الطعام الغليظ و يحتاج الطعام إلى المضغ و الطحن فأثبت له الأسنان عند الحاجة لاقبلها و لا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة من اللثات اللينة ثمَّ حمّن قلوب الوالدين عليه للمقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزاً عن تدبير نفسه فلو لم يسلم الله سبحانه الرّحمة على قلبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثمَّ انظر كيف رزقه القدرة و التمييز و العقل و الهداية تدرجاً حتّى بلغ و تكامل فصار مرهاقاً ثمَّ شاباً ثمَّ كهلاً ثمَّ شيخاً إمّا كفوراً أو شكوراً ، مطيعاً أو عاصياً ، مؤمناً أو كافرآ تصديقاً لقوله تعالى : «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴿١﴾ إنّنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبثليه فجعلناه سمياً بصيراً ﴿٢﴾ إنّنا هديناه السبيل إمّا شاكراً أو إمّا كفوراً ﴿١﴾ ، فانظر إلى اللطف و الكرم ثمَّ إلى القدرة و الحكمة تبهرك ﴿٢﴾ عجائب الحضرة الرّبوبيّة ، و العجب كلُّ العجب ممّن يرى خطأ حسناً أو نقشاً حسناً على حائط فيستحسنه فينصرف جميع همّه إلى التفكر في الخطأ و النقش و أنّه كيف خطّه و نقشه و كيف اقتدر عليه ، و لا يزال يستعظمه و يقول ما أحذقه و ما أجل صنعته و أحسن قدرته ، ثمَّ ينظر إلى هذه العجائب في نفسه و في غيره و يغفل عن صانعه و مصوّره ، فلا تدهشه عظمته و لا يحيره جلاله و حكمته ، فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها ، وهي أقرب مجال لفكرك و أجلى شاهد على عظمة خالقك و أنت غافل عنها مشغول ببطنك و فركك و لا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل و تشبع فتنام و تشتهي فتجامع و تغضب فتقاتل و تشاركك في معرفة ذلك البهائم و السباع كلّها و إنّما خاصيّة الإنسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله عزّ و جلّ بالنظر في ملكوت السّموات و الأرض

(١) الدهر : ١ إلى ٣ .

(٢) بهر القمر غلب ضوء الكواكب .

وعجائب الآفاق والأَنْفَسِ إِذْ بَهَا يَدْخُلُ الْعَبْدُ فِي زِمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَيَحْشُرُ فِي زِمْرَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ مُقَرَّباً مِنْ حَضْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرَّتْبَةُ لِلْبَهَائِمِ وَلَا لِلْإِنْسَانِ إِذَا رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِشَهْوَاتِ الْبَهَائِمِ فَإِنَّهُ شَرٌّ مِنَ الْبَهِيمَةِ بِكَثِيرٍ إِذْ لَا قُدْرَةَ لِلْبَهِيمَةِ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَقَتْ لَهُ الْقُدْرَةَ ثُمَّ عَظَّمَهَا وَكَفَّرَ نِعْمَةَ اللَّهِ فِيهَا ، فَأَوْلَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ، وَإِذَا عَرَفْتَ طَرِيقَ الْفِكْرِ فِي نَفْسِكَ فَتَتَفَكَّرْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مُقَرَّبَةٌ ثُمَّ لِي أَنْهَارَهَا وَبِحَارَهَا وَجِبَالَهَا وَمَعَادِنَهَا ثُمَّ ارْتَفِعْ مِنْهَا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ .

أما الارض فمن آياته أن خلق الأرض فراشاً ومهاداً وسلك فيها سبلاً فجاءاً وجعلها ذلولاً لتمشوا في مناكبها وجعلها وقوراً لا تتحرك وأرسي فيها الجبال أو تاداً لها تمنعها من أن تميد ، ثم وسَّع أكنافها حتى عجز الأدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى : « والسَّمَاءُ بَنِينَاهَا بِأَيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ^(١) ، وقال تعالى : « هو الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَامشوا فِي مَنَاكِبِهَا ^(٢) » ، وقال : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَاشاً ^(٣) » وقد أكثر في كتابه العزيز ذكر الأرض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقرراً للأحياء وبطنها للأموات ، و لذلك قال تعالى : « ألم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء و أمواتاً ^(٤) » فانظر إلى الأرض وهي ميمّة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النّبات وخرجت منها أصناف الحيوان ، ثم أنظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الرّاسيات الشوامخ الصّم الصلاب ، و كيف أودع المياه تحتها ففجّر العيون و أسال الأنهار تجري على وجهها وإنّما أخرج من الحجارة اليابسة

(١) الذاريات : ٤٨ . (٢) الملك : ١٥

(٣) البقرة : ٢٢ .

(٤) المرسلات : ٢٥ و ٢٦ . وقوله تعالى « كفاتاً » قال البيضاوي : أي كافتة ، اسم لما

يكفت أي يضم ويجمع ، كالضمام والجماع لما يضم ويجمع ، أو مصدر نمت به أو جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوهاه أجرى على الأرض باعتبار إقطارها .

ومن التراب الكدر ماء رقيقاً عذباً صافياً زلالاً وجعل به كل شيء حياً^(١) فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حبّ وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمّان وفواكه كثيرة لاتحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والارائيح ففضل بعضها على بعض في الأكل تسقى جميعاً بماء واحد وتخرج من أرض واحدة ، فإن قلت : إن اختلافها لاختلاف بذورها وأصولها فمتى كانت في النواة نخلة مطوّقة بعناقيد^(٢) الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كلّ سنبله مائة حبة ، ثمّ انظر إلى أراضي البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتري بها تراباً متشابهاً فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج ألواناً مختلفة ونباتاً متشابهاً وغير متشابه ، لكلّ واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر ، فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ، ثمّ اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف أودع الله العقاقير المنافع الغربية فهذا النبات يغذي ، وهذا يقوي ، وهذا يحيي ، وهذا يقتل ، وهذا يبرد ، وهذا يسخن ، وهذا إذا حصل في المعدة قمع الصفراء من أمقاق العروق ، وهذا يستحيل إلى الصفراء ، وهذا يقمع البلغم والسوداء ، وهذا يستحيل إليهما ، وهذا يستحيل دماً ، وهذا يصفى الدم ، وهذا يفرّج ، وهذا ينوم ، وهذا يقوي ؛ وهذا يضعف فلم ينبت من الأرض ورقة ولا نبتة إلا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكلّ واحد منها يحتاج الفلاح في تربيته إلى عمل مخصوص فالنخيل تؤبّر^(٣) والكرم يقطع والزّرع ينقّى منه الحشيش والدّغل^(٤)

(١) لعله مأخوذ من قوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حى » ولا يخفى ان معنى الآية أن الله تعالى جعل كل شيء حى من الماء لا كل شيء حياً من الماء . وفي الاجزاء طبعاته المختلفة بايران و مصر والهند كلها « وجعل به كل شيء حى » وهو الصواب .

(٢) جمع عنقود بمعنى خوشه .

(٣) الابار - بالكسر - هو ادخال شيء من طلع النخل الذكر فى طلع الاثى

فيملق باذن الله . أبر النخلة وأبره - بالتشديد - أى لقمه وأصلحه .

(٤) الدغل - محرّكة - : الشجر الكثير الملتف ، واشتباك النبات .

وبعضها يستنبت ببثّ البذر في الأرض و بعضها بغرس الأغصان وبعضها يركب في الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعها ومنافعها وأحوالها وعجائبها لانقضت الأيام في وصفها فيكفيك من كلّ جنس نبذة يسيرة تدلّك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات

ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الأرض ففي الأرض قطع متجاوزات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والنحاس والفضة والفيروزج واللؤلؤ وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق ^(١) كالذهب والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللؤلؤ ، وكيف هدى الله تعالى الناس إلى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الأواني والآلات والنقود والحليّ منها ، ثمّ انظر إلى معادن الأرض من النقط والكبريت والقيز وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا لتطيب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك عليها ، فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصّافي من المطر فيصير ملحاً مالحاً محرّقاً بحيث لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطيباً لطعامك إذا أكلته فيتهدأ عيشك ، وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثاً ولا لعباً ولا ضائعاً ولا هزلاً بل خلق الكلّ بالحقّ كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ، ولذلك قال تعالى : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ❦ ما خلقناهما إلا بالحقّ ^(٢) . »

ومن آياته أصناف الحيوانات وانقسامها إلى ما يطير وإلى ما يمشي ، وانقسام ما يمشي إلى ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع وعلى عشر وعلى مائة ويشاهد ذلك في بعض الحشرات والديدان وانقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجوّ وإلى وحوش البرّ وإلى

(١) المطرقة آلة الحدادين ، جمعها مطارق .

(٢) الدخان : ٣٩ و ٤٠ .

البهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشكُّ معها في عظمة خالقها وقدرة مقدِّرها وحكمة مصوِّرها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك ، بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقَّة^(١) أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي إلفها الزوجها وفي أدِّ خارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم نقدر ، فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أوَّلاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتَّى يمكنه أن يصل بالخيوط بين طرفيه ، ثمَّ يبتيدي فيلقِي اللَّعاب الَّذِي هو خيطه على جانب ليلتصق به فيعدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ، ثمَّ يحكم كذلك ثانياً وثالثاً ويجعل بعد ما بينها متناسباً تناسباً هندسياً حتَّى إذا أحكم معاقد القمط^(٢) ورتب الخيوط كاللحمة فيشتغل بالتسدية فيلصق السدى إلى اللَّحمة ويحكم العقد على موضع التقاء السدى^(٣) باللحمة ويرعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البقُّ والذباب ويقعد في زاوية مترصداً لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع فيها بادر إلى أخذه وأكله فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصله بين طرفي الزاوية بخيط ثمَّ علَّق نفسه منها بخيط آخر وبقي متنكِّساً في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت ذبابة رمى بنفسه إليها فأخذها وأحكم خيطه على رجلها وأحكمها ثمَّ أكلها ، وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى افترى أنَّه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علِّمه إذ لا هادي له ولا معلِّم أيشكُّ ذو - بصيرة في أنَّه مسكين عاجز ضعيف بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوَّته عاجز عن أمر نفسه فكيف بهذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بنفسه وشكله وصورته وحر كنه

(١) هي ما يقال له بالفارسية < بشه > .

(٢) القمط - بكسر القاف - : حبل تشد به قوائم الشاة للذبح .

(٣) السدى - بفتح السين - : ضد اللحمة وهو ما يمد طولاً في النسج واسديت الثوب

بالالف اقلت سداه ، ولحمة الثوب ما ينسج عرضاً .

وهديته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم ، فالصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ماتتحيّر فيه الألباب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات ، وهذا الباب أيضاً لا حصر له فإنّ الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطبائعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنّها بكثرة المشاهدة ، نعم إذا رأى حيواناً غريباً ولو دوداً تجدّد تعجّب وقال : سبحان الله ما أعجبه والإنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألقها ونظر إلى أشكالها وصورها ، ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباساً لخلقها وأكناً لهم في ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوناً لأقدامهم ، وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ، ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبراري والمفازيات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصوّرها فإنّه ما خلقها إلاّ يعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إيّاها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير ولقد استخرج بأقلّ القليل ممّا خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلاّ الإذعان لقهرة وقدرته والاعتراف برؤيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته ، فنسأل الله عزّ وجلّ أن يكرّمنا بهديته بمنّته ورأفته .

وهن آياته البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأخضر المحيط بجميع الأرض حتى أن جميع المكشوف من البوادي والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء قال النبي ﷺ : « الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض ^(١) » فانسب اصطبلًا إلى جميع الأرض ، واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب -

(١) قال العراقي : لم أجد له أصلاً وقد تقدم .

الأرض وما فيها فتأمل الآن عجائب البحر فإن عجائب ما فيه من الحيوان و
الجواهر أضعاف عجائب ما نشاهده على وجه الأرض كما أن سعته أضعاف سعته
ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما يرى ظهورها في البحر فيظن أنها
جزيرة فينزل الركبان عليها فربما يحس بالنيران إذا اشتعلت فيتحرك فيعلم
أنها حيوان ، وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان
إلا وفي البحر أمثالها وأصنافها ، وفيه أجناس لا يعهد لها نظير في البر قد ذكرت
أوصافها في مجلدات وجمعها أقوام بر كوب البحر وجمع عجائبه ، ثم انظر كيف
خلق الله اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور
تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجرة تنبت من الحجر ، ثم تأمل ما عدها من
العنبر وأصناف النفائس التي يقدفها البحر ويستخرج منها ، ثم انظر إلى عجائب
السنن كيف أمسكها الله عز وجل على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال
وسخر لهم الفلك ليحمل أثقالهم ، ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ، ثم عرف
الملاحين موارد الرياح ومهابتها ومواقبتها ، ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع
الله في البحر في مجلدات ، وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو
كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الأجزاء كأنه شيء
واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل مسخر للتصرف وقابل
للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج
العبد إلى شربة ومنع لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم إذا شربها
ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض في إخراجها فالعجب من الآدمي أن يستعظم
الدنيا والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله عز وجل في شربة ماء إذا احتاج إلى
شربها وإخراجها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار
ففيها متنوع للفكر ومجال وكل هذا شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة
بلسان حالها ، مفصحة عن جلالة بارئها ، معرفة عن كمال حكمته فيها ، منادية أرباب
القلوب بنغماتها ، قائلة : أما تراني وما ترى صورتني و تر كيبني و صفاتي و منافعني و

اختلاف حالاني و كثرة فوائدي أنظن أنني تكوّنت بنفسي أو خلقني أحدٌ من جنسي أو ما تستحي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنّها صنعة آدمي يريد عالم قادر متكلم ، ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته ولا حر كته ولا اتّصاله بمحلّ الحظّ ، ثمّ ينفك قلبك عن جلالة صانعد ، و تقول النطفة لأرباب السمع للذين هم عن السمع طمعز ولون : توهموني في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقّاش حدقتي وأجفاني ووجهي وخدّي وشفتي فترى النقوش تظهر شيئاً فشيئاً ولا ترى داخل النطفة نقاشاً ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خبر منها للأب واللام والالمنطفة والالمرحم أمّا هذا النقّاش بأعجب ممّن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر على أن تعلم هذا الجنس من النقش الذي يعمّ ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة و من غير اتّصال بها لا من داخل و لا من خارج فإن كنت لاتتعجب من هذه العجائب لاتنهم بها أن الذي صورّ ونقش وقدر لا نظير له و لا يساويه نقّاش و مصوّر كما أن نقشه و صنعه لا يساويه نقش و صنع ، فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفاعلين ، و إن كنت لاتتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فإنّه أعجب من كلّ عجب فإن الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبيّن مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه فسبحان من هدى وأضلّ و أغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبائه فشاهده في جميع ذرّات العالم و أجزائه و أعمى قلوب أعدائه واحتجبت عنهم بعزّه و علائته فله الخلق والأمر و الامتنان والفضل واللطف والقهر ، لاراد لحكمه ولامعقب لقضائه .

ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السّماء و محدّب الأرض يدرك بحسّ اللمس عند هبوب الرّيح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلّقة في جوّ السّماء مسفة سباحة فيها بأجنحتها كما تسبح حيوانات

البحر في الماء و تضطرب جوانبه و أمواجه عند هبوب الرِّيح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرَّك الله الهواء و جعله ريحاً هابّةً فإن شاء جعله بشرى بين يدي رحمته كما قال : « و أرسلنا الرِّيح لواقع^(١) » فيصل بحر كتمه روح الهواء إلى الحيوانات و النباتات فتستعدُّ للنماء و إن شاء جعله عذاباً على العصاة من خليقته كما قال : « إننا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ ✽ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر^(٢) » ثمَّ انظر إلى لطف الهواء ثمَّ شدّته و قوّته مهما ضغط في الماء فالزَّقُّ المنفوخ يتحامل عليه الرُّجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه و الحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوّته مع لطافته و بهذه الحكمة أمسك الله عزَّ وجلَّ السفن على وجه الماء و كذلك كلَّ مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لأنَّ الهواء ينقبض عن الغوص في الماء و لا ينفصل عن السطح الدّاخِل في السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوّتها و صلابتها معلقة في الهواء اللّطيف كالذي يقع في البئر فيتعلّق بذيل رجل قويّ ممتنع عن الهويّ في البئر و السفينة بمقرها تتشبّث بأذيال الهواء القويّ حتّى يمتنع عن الهويّ و الغوص في الماء فسبحان من علّق المركب الثقيل من هواء لطيف من غير علاقة تشاهد و عقدة تشدُّ، ثمَّ انظر إلى عجائب الجوّ وما يظهر فيها من الغيوم والرُّعود والبروق و الأمطار و الثلوج و الشهب و الصواعق و هي عجائب ما بين السماء و الأرض و قد أشار القرآن إلى جملته في قوله تعالى : « وما خلقنا السموات و الأرض وما بينهما لاعبين^(٣) » و السحاب هو اللّذي بينهما و أشار إلى تفصيله في مواضع شتى حيث قال : « و السحاب المسخر بين السماء و الأرض^(٤) » و حيث تعرّض للرُّعد و البرق و السحاب و المطر . فإذا لم يكن لك حظٌّ من هذه الجملة إلّا أن ترى المطر بعينك و تسمع الرُّعد بأذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم

(١) الحجر : ٢٢ .

(٢) القمر : ١٩ و ٢٠ . (٣) الدخان : ٣٨ .

(٤) البقرة : ١٦٤ .

البهائم إلى عالم الملائة الأعلى فقد فتحت عينيك فأدر كت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضاً باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في استيفائه ، فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه تجمع في جو صاف لاكدورة فيه وكيف يخلقه الله عز وجل إذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك في جو السماء إلى أن يأذن الله عز وجل في إرساله الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراه الله عز وجل وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها أخرى ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه ولا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة واحدة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والأنس عنه فلا يعلم عددها إلا الذي أوجدها ، ثم كل قطرة منها عيبت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدود الفلانية الذي هو في ناحية الجبل الفلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي لاتحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ، ما لأحد فيه شركة ولا مدخل بل ليس للمؤمن من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله و عظمه وللعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور : إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه ، وإنما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له : ما معنى الطبع ؟ وما الذي خلقه ؟ وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقيل ؟ وما الذي يرقى الماء المصبوب في أسفل الأشجار إلى أعالي الأغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوت إلى أسفل ثم اتفقت إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد

حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذى كل جزء من كل ورق ويجري إليه في تجاويف عروق شعريّة صغار يروّي منها العرق الذي هو أصل الورق ، ثمّ ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة عروق صغار فكان الكبير نهر ينشعب عنه جداول ثمّ ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثمّ ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويربيها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه ، فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك يجذب فما الذي سخّر ذلك الجاذب فإن كان ينتهي بالآخرة إلى خالق السماوات والأرض وحيّار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل .

ومن آياته ملكوت السماوات وما فيها من الكواكب ، وهو الأمر كلّه ومن أدرك الكلّ وفاتته عجائب السماوات فقد فاتته الكلّ تحقيقاً ، فالأرض والبحار والهواء وكلّ جسم سوى السماوات بالإضافة إلى السماوات كقطرة في بحر أو أصغر ، فانظر كيف عظم الله أمر السماوات والنجوم في كتابه فما من سورة إلاّ وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن بها كقوله تعالى : « و السما ذات البروج ^(١) » « و السماء و الطارق » و ما أدريك ما الطارق » النجم الثاقب ^(٢) « و السماء ذات الحجب ^(٣) » « و السماء و ما بناها ^(٤) » و قوله : « و الشمس و ضحيتها ^(٥) » « فلا أقسم بالخنس » الجوار الكنس ^(٦) » « والنجم إذا هوى ^(٧) » « فلا أقسم بمواقع النجوم » و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم ^(٨) » وقد علمت أن عجائب النظفة القنطرة عجز عن معرفتها الألوان والآخرون و ما أقسم الله

(١) البروج : ١ .

(٢) الطارق : ١ و ٢ و ٣ .

(٣) الذاريات : ٧ .

(٤) و (٥) الشمس : ١ و ٥ .

(٦) التكوير : ١٥ و ١٦ .

(٧) النجم : ١ .

(٨) الواقعة : ٧٦ و ٧٧ .

عز وجل بها فكيف ظنك بما أقسم الله عز وجل به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال : « وفي السماء رزقكم وما توعدون ^(١) » وأثنى على المتفكرين فيه فقال : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض ^(٢) » وقال النبي ﷺ : « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ^(٣) » أي تجاوزها من غير فكرة . وذم المعرضين عنها فقال : « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ^(٤) » فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات شداد صلاب محفوظات عن التغيير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله عز وجل محفوظاً فقال : « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ^(٥) » وقال : « وبنينا فوقكم سبعاً شداداً ^(٦) » وقال : « أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ؟ رفعت سمكها فسويها ^(٧) » فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقه السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن الهائم تشاركك في هذا النظر فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله إبراهيم بقوله : وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ^(٨) ، لا بل كل ما تدركه بجاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة ، وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت ، والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب « فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » فأطل أيها الغافل فكرك في الملكوت فحسى أن يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة من قال : « رأى قلبي ربي » وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى ، وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض

(٢) آل عمران : ١٩١ .

(١) الذاريات : ٢٢ .

(٤) و(٥) الانبياء : ٣٢ .

(٣) قد تقدم .

(٧) النازعات : ٢٧ و ٢٨ .

(٦) النبأ : ١٢ .

(٨) الانعام : ٧٥ .

التي هي مقرّك ، ثمّ الهواء المكتنف لك ، ثمّ النبات و الحيوان و ما على وجه الأرض ، ثمّ عجائب الجوّ و هو ما بين السّماء و الأرض ، ثمّ السماوات السبع بكواكبها ثمّ الكرسيّ ثمّ العرش ثمّ الملائكة الذين هم حملة العرش و خزّان السماوات ثمّ منه تجاوز النظر إلى ربّ العرش والكرسيّ و السماوات والأرض و ما بينهما فيبينك و بينه هذه المفاوز الفيح^(١) و المسافات الشاسعة و العقبات الشاهقة^(٢) و أنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة ، و هي معرفة ظاهر نفسك ، ثمّ صرت تطلق اللسان بوقاحتك و تدّعي معرفة ربّك و نقول : قد عرفته و عرفت خلقه ففيمًا ذا أتفكّر و إلى ما ذا أتطلّع ؟ فارفع الآن رأسك إلى السماء و انظر فيها و في كواكبها و في دورانها و طلوعها و غروبها و شمسها و قمرها و اختلاف مشارقها و مغاربها و دوؤها في الحركة^(٣) على الدوام من غير فتور في حرّكتها و من غير تغيير في سيرها بل يجري جميعها في منازل مرتّبة بحساب مقدّر لا يزيد و لا ينقص إلى أن يطويها الله عزّ و جلّ طيّ السجّل للكتب ، فتدبّر عدد كواكبها و كثرتها و اختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة ، و بعضها إلى البياض ، و بعضها إلى اللون الرصاصي ، ثمّ انظر إلى كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب و بعضها على صورة الحمل و الثور و الأسد و الإنسان ، و ما من صورة في الأرض إلّا و لها تمثال في السماء ، ثمّ انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدّة سنة ثمّ هي تطلع كلّ يوم و تغرب بسير آخر سخّرها لها خالقها و لو لاطلوعها و غروبها لما اختلف الليل و النهار و لم تعرف المواقيت و لأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام و كان لا يتميّز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباساً و النوم سباتاً و النهار معاشاً ، و انظر إلى إيلاجه اللّيل في النهار و النهار في اللّيل و إدخاله الزيادة و النقصان عليهما على ترتيب مخصوص و انظر إلى إمانته مسير الشمس عن وسط السماء حتّى اختلف بسببه الصّيف و الشّتاء و الرّبيع و الخريف

(١) مفازة فيحاء أي واسعة . و الجمع فيح .

(٢) الشاسعة البعيدة ، و الشاهقة : المرتفعة (الصحاح) .

(٣) الدوّب الجد و الحركة .

فإذا انخفضت الشمس عن وسط السماء في مسيره برد الهواء فظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشدُّ القَيْظ وإن كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السماوات لا مَطْمَع في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق التفكير واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا والله تعالى حكيم كثيرة في خلقه، ثم في مقداره، ثم في شكله، ثم في لونه، ثم في وضعه في السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجانبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء، لافي كبر جسمه ولا في كثرة معانيه، وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدور بجوانبها وقد اتفق المهندسون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيِّفًا وستين مرة^(١)، وفي الأخبار ما يدل على عظيمها والكواكب التي تراها أصغرها هي مثل الأرض ثماني مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها فللبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها فقال: «رفع سمكها فسويها»^(٢) وفي الأخبار أن «بين كلِّ سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام»^(٣) فإذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الأرض فانظر إلى كثرة الكواكب ثم

(١) هذا على مذهب بطليموس و أتباعه و أما قبله يعني عصره هيرقلس الفيلسوف اعتقدوا بأن جرم الشمس لا يزيد عما نشاهدهه بالابصار كما في كتاب مشهد الكائنات ص ٨٣ و أما اليوم فزعموا أن جسامة الشمس بالنسبة الى الارض تزيد من ألف ألف مرة الى ١٣٠٠٠٠٠٠ مرة والله أعلم .

(٢) النزاعات : ٢٨ .

(٣) أخرجه الترمذى من رواية الحسن عن أبي هريرة و قال : غريب . و قال العراقي : ويروى عن أيوب و يونس بن عبيد و على بن زيد قالوا : و لم يسمع الحسن من أبي هريرة ، و رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من رواية أبي نصره عن أبي ذر و رجاله ثقات إلا انه لا يعرف لابي نصره سماع من أبي ذر .

انظر إلى السماء التي الكواكب مر كوزة فيها وإلى عظمتها ، ثم انظر إلى سرعة حر كتمها وأنت لا تحسُّ بحر كتمها فضلاً من أن تدرك سرعتها لكن لا تشكُّ في أنه في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة ، فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه ، وانظر كيف عبّر جبرئيل عليه السلام عن سرعة حر كتمه إذ قال له النبي ﷺ : « هل زالت الشمس ؟ فقال : لا ، نعم ، فقال كيف تقول : لانعم فقال : من حيث قلت « لا » إلى أن قلت « نعم » سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام^(١) » فانظر إلى عظم شخصتها ثم إلى خفة حر كتمها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينك نحوها فتري جميعها فهذه السماء لعظمتها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها تتدلى بها فكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك إنك تدخل بيت غني فتراه مزوقاً^(٢) بالصبغ موهماً بالذهب فلا ينقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبداً تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ، ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضاً جزء من الأرض التي هي أحسن أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر إليه ، ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انقرد ببنائه وتزيينه وأنت قد نسيت نفسك وربك واشتغلت بطنك وفرجك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تتقد على أن تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقفون بلسانهم بين يديك

(١) قال العراقي : لم أجده أصلاً .

(٢) أى منقشاً .

ويضرون خبائث الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حيوةً ولا نشوراً وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذه الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم غنمت عن التمتع بالنظر إلى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثّل النملة تخرج من الجحر الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجوارى والعلمان وأنواع الذخائر والنفائس وإنها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا من بيتها وغذائها وكيفية إخراجها فأما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضاً عن سكّانه فأنت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكّان سماواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه النملة منك ومن سكّان بيتك نعم ليس للنملة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه فأما أنت فلك قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنها ، ولتقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال آخر له ولو استقصينا أعماراً طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله عزّ وجلّ علينا بمعرفته وكلّ ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة الأولياء والعلماء ، وما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه نبيّنا ﷺ وما عرفه نبيّنا قليل بالإضافة إلى ما عرفته الملائكة المقرّبون كجبرئيل وإسرافيل وغيرهما صلوات الله عليهم ثم جميع علوم الملائكة والجنّ والانس إذا أُضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمّى علماً ، هو إلى أن يسمّى دهشاً وحيرة وقصوراً وعجزاً أقرب ، فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم قال مخاطباً جميعهم : « وما اوتيتهم من العلم إلا قليلاً ^(١) »

فهذا بيان معاهد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله عز وجل وليس فيها فكر في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لاحالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما أنك تعظم عالماً بسبب معرفتك بعلمه فلا يزال تطلع على غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيراً وتعظيماً واحتراماً حتى أن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيد محلاً في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك . فهكذا تأمل في خلق الله وتصنيفه وتأليفه . وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه فالنظر والفكر فيه لا يتناهى أبداً . وإنما لكل عبد منها بقدر ما رزق ، فلنقتصر على ما ذكرناه ولنصف إلى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فإننا نظرنا في ذلك الكتاب إلى فعل الله من حيث هو إحسان إلينا وإنعام علينا ، وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث أنه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فإن الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله تعالى فيه حكم يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء ومن نظر في هذه الأمور من حيث أنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصراً للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لامن حيث ارتباطها بمسبب الأسباب فقد شقي وتردئ فعوز بالله من الضلال ونسأله أن يجنبنا مزلّة أقدام الجهال بمنه وفضله إنه على ما يشاء قدير .

تم كتاب التفكر من ربيع المنجيات من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء بحمد الله ومنه على يد أحقر العباد وأضعفهم محسن بن مرتضى جعله الله من المتفكرين في ملكوت السماوات والأرض بمنه وكرمه .

ويتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده إن شاء الله العزيز والحمد لله وحده والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر آخر كتب الأرباع الأربعة من المحججة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قسم بالموت رقاب الجبابرة و كسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آجال القياصرة الذين لم تنزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فاذا هم في الحافرة فنقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد ، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مصاحبة الهوام والديدان ، ومن التنعم بالشراب إلى التمرغ في التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصناً أو اتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً ، وأبصر هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ، فسبحان من تفرّد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء وأذلّ أصناف الخلق بما كتب عليهم من الغناء ، ثم جعل الموت مخلصاً للاتقياء وموعداً في حقهم للقاء وجعل القبر سجناً للأشقياء وحبساً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء ، فله الإنعام بالنعيم المتظاهرة ، وله الانتقام بالنقم القاهرة ، وله الشكر في السماوات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة وعلى آله وأصحابه وسلّم كثيراً .

أمّا بعد فجديرُ بمن الموت مصرعه ، و التراب مضجعه ، و الدود أنيسه ، و منكر ونكير جليسه ، و القبر مقرّه ، و بطن الأرض مستقرّه ، و القيامة موعده ، و الجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكرٌ إلا في الموت و لا ذكرٌ إلا لأجله ، و لا تطلّع إلا إليه ، و لا تعريج إلا عليه ، و لا اهتمام إلا به ، و لا حوم إلا حوله ، و لا انتظار

ولا تربص إلا له ، و حقيقٌ بأن يعدُّ نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور فإن كل ما هو آت قريبٌ ، و البعيد ما ليس بآت و قد قال ﷺ : « الكيس من دان نفسه و عمل ما بعد الموت » و لن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب و لا يتجدد ذكره إلا عند التذكّر بالإصغاء إلى المذكرات له ، و النظر في المنبّهات عليه و نحن نذكر من أمر الموت و مقدّماته و لواحقه و أحوال الآخرة و القيامة و الجنة و النار ما لا بد للعبد من تذكّره على التكرار و ملازمته بالافتكار و الاستبصار ليكون ذلك مستحسناً على الاستعداد فقد قرب الرّحيل فما بقي من العمر إلا قليلٌ و الخلق غافلون و اقترب للناس حسابهم و هم في غفلة معرضون . و نحن نذكر ما يتعلّق بالموت في شطرين .

الشرط الأوّل في مقدّماته و توابعه إلى نفخة الصور و فيه ثمانية أبواب :
 الباب الأوّل في فضل ذكر الموت و الترغيب فيه . الباب الثاني في طول الأمل و قصره .
 الباب الثالث في سكرات الموت و شدّته و ما يستحبُّ من الأحوال عند الموت .
 الباب الرابع في وفاة النبي ﷺ . الباب الخامس في كلام المحتضرين من الصالحين .
 الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز و المقابر و حكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة الموت و ما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور . الباب الثامن في ما عرف من أحوال الموتى بالمشاهدة في المنام .

﴿الباب الاول﴾

في فضل ذكر الموت و الترغيب فيه أعلم أن المنهك في الدنيا المكبّ على غرورها المحبّ لشهواتها يغفل قلبه لاحالة عن ذكر الموت فلا يذكره و إذا ذكر به كرهه و نفر منه أو لئلك هم الذين قال الله تعالى فيهم : « قل إن الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ثمّ تردّون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ^(١) » و الناس إمّا منكم أو تائب مبتدئ ، أو عارف منته ، أمّا المنهك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره ليتأسّف على دنياه و يشتغل بمنمّته و هذا يزيد ذكر الموت من الله بعداً ، و أمّا التائب فإنّه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف و الخشية

فيني بتمام التوبة و ربّما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة و قبل إصلاح الزّاد و هو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ : « من كره لقاء الله كره لقاء الله لقاءه ^(١) » فإنّ هذا ليس يكره الموت و لقاء الله و إنّما يخاف فوت لقاء الله لقصوره و تقصيره ، و هو كالذي يتأخّر عن لقاء الحبيب مشغلاً بالاستعداد للقاءه على وجه يرضاه فلا يعدّ كارهاً للقاءه و علامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لاشغل له سواه و إلا التحق بالمنهمك في الدنيا ، و أمّا العارف فإنّه يذكر الموت دائماً لأنّه موعّد للقاءه لحبيبه و المحبّ لا ينسي قطّ موعّد لقاء الحبيب ، و هذا في غالب الأمر يستبطنه مجيئ الموت و يحبّ مجيئه لينتخلص من دار العاصين و ينتقل إلى جوار ربّ العالمين كما روي عن حذيفة - رضي الله عنه - أنّه لما حضرت الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ، اللهمّ إن كنت تعلم أنّ الفقير أحبّ إليّ من الغني و السقم أحبّ إليّ من الصّحة و الموت أحبّ إليّ من الحياة فسهّل عليّ الموت حتّى ألقاك فإنّ الثّائب معذور في كراهة الموت و هذا معذور في حبّ الموت و تمنّيه و أعلى رتبة منهما من يفوض أمره إلى الله فصار لا يختار لنفسه موتاً و لا حياة بل يكون أحبّ الأشياء إليه أحبّها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحبّ و الولاء إلى درجة التّسليم و الرّضا و هو الغاية و المنتهى و على كلّ حال ففي ذكر الموت ثواب و فضل ، فإنّ المنهمك في الدّنيا أيضاً يستفيد بذكر الموت التّجاني عن الدّنيا إذ يتغنّص عليه نعيمه و يتكدّر عليه صفو لذّته و كلّ ما يكدر على الانسان اللذّات و الشهوات فهو من أسباب النّجاة .

﴿ بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان ﴾

قال النبي ﷺ : « أكثروا ذكر هازم اللذات الموت ^(٢) » أي تغصّبوا به اللذات

(١) أخرجه البخارى ٨ ص ١٣٢ من حديث عبادة بن صامت و مسلم ج ٨ ص ٦٥

من حديث عائشة .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٥٨ . والنسائي و الترمذى أيضاً وقال السيوطى

« هازم » بالذال المعجمة أى قاطعها ، و يحتمل أن يكون بالذال المهملة والمراد على

التقديرين الموت .

حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى .

وقال عليه السلام : « لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلمتم منها سمينا^(١) »
وقالت عائشة : « يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال : نعم من يذكر
الموت في اليوم والليلة عشرين مرة^(٢) » وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر
الموت يوجب التجاني عن دار الغرور ويتقاضي الاستعداد للآخرة والغفلة عن ذكر
الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا .

وقال عليه السلام : « تحفة المؤمن الموت^(٣) » وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن
المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه ،
فالموت إطلاقه له من هذا العذاب والإطلاق تحفة في حقه .

وقال عليه السلام : « الموت كفارة لكل مسلم^(٤) » وأراد بهذا المسلم حقاً المؤمن
صدقاً الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس
من المعاصي إلا باللثم والصغائر ، فالموت يطهره و يكفره بعد اجتنابه الكبائر
وإقامته الفرائض .

وقال عطاء الخراساني : « مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلاه الضحك
فقال : شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات ، قالوا : وما مكدر اللذات ؟
قال : الموت^(٥) » .

وقال النبي ﷺ : « أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في

(١) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ام حبيبة .

(٢) قال العراقي : تقدم . وما حضرني الآن متى تقدم .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن عمر ورجاله ثقات كما في

مجمع الزوائد ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بسند صحيح من حديث أنس

كما في الجامع الصغير .

(٥) قال العراقي : رواه ابن ابى الدنيا في الموت مرسلًا .

الدُّنْيَا (٢٦) « وقال ﷺ : « كفى بالموت واعظاً (٢) » .

و خرج النبي ﷺ إلى المسجد فإذا قومه يتحدّثون و يضحكون فقال : « اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً (٣) » و ذكر عند النبي ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال : « كيف كان ذكر صاحبكم للموت ؟ قالوا : ما كنّا نكاد نسمعه يذكر الموت ، قال : فإن صاحبكم ليس هنالك (٤) » .

وسئل « من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله ؟ فقال : أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدُّنْيَا وكرامة الآخرة (٥) » .

أقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي عبيدة قال : قلت لأبي - جعفر ﷺ : « حدّثني ما أنتفع به فقال : يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكتر ذكره إنسان إلا زهد في الدُّنْيَا (٦) » .

و عن أبي بصير قال : « شكوت إلى أبي عبد الله ﷺ الوسواس فقال : « يا أبان إذا ذكرت قطع أوصالك في قبرك ، ورجوع أحبائك عنك إذا دفنوك في حفرتك ، و خروج بنات الماء من منخريك ، وأكل الدُّود لحمك فإنّ ذلك يسلي عنك ما أنت فيه ، قال أبو بصير : فوالله ما ذكرته إلا سلى عني ما أنا فيه من هم الدُّنْيَا (٧) » .

(٢٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(١) أخرجه العرث بن أبي اسامة في مسنده بسند ضعيف من حديث أنس (المعنى)

(٢) أخرجه الطبراني من حديث عمار والبيهقي في الشعب بسند ضعيف وهو مشهور

من قول فضيل بن عياض راجع جامع الصغير حرف الكاف .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت بسند ضعيف كما في المعنى .

(٤) كالذى قبله .

(٥) أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا بتمامه باسناد جيد كما في الترغيب والترهيب ج ٤

ص ٢٣٨ .

(٦) و(٧) المصدر ج ٣ ص ٢٥٥ تحت رقم ١٨ و ٢٠ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من كان كفنه معه في بيته لم يكتب من الغافلين ، وكان مأجوراً كلما نظر إليه ^(١) »

وعنه عليه السلام قال : « ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلا وملك الموت يتصفّحهم كل يوم خمس مرّات ^(٢) »

وعنه عليه السلام قال : « إذا أنت حملت جنازة فكن كأنك أنت المحمول وكأنك سألت ربك الرجوع إلى الدنيا ففعل فانظر ماذا تستأنف ، قال : ثم قال : عجب لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثم نودي فيهم الرجحيل وهم يلعبون ^(٣) »

وعنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما أنزل الموت حقّ منزله من عدوّ غداً من أجله ، قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل ، وكان يقول : لورأى العبد أجله وسرعه إليه لأبغض العمل من طلب الدنيا ^(٤) .»

و عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل النبي صلى الله عليه وآله : « أي المؤمنين أكيس قال : أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً ^(٥) » وفي مصباح الشريعة ^(٦) عن الصادق عليه السلام قال : « ذكر الموت يميّت الشهوات في النفس ويقطع منابت الغفلة ويقوّي القلب بمواعد الله ويرقّ الطبع ويكسر أعلام الهوى و يطفي نار الحرص و يحقّر الدنيا وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : فكر ساعة خير من عبادة سنة ، و ذلك عند ما يحلّ أطناب خيام الدنيا و يشدّها في الآخرة ولا يسكن نزول الرّحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة ، و من لا يعتبر بالموت وقلّة حيلته و كثرة عجزه و طول مقامه في القبر و تحييره في القيامة فلا خير فيه ، قال النبي صلى الله عليه وآله : أكثروا ذكر هاذم اللذات قيل : و ما هو يا رسول الله ؟ قال : الموت فما ذكره عبداً على الحقيقة في سعة إلا

(١) و (٢) الكافي ج ٣ ص ٢٥٦ تحت رقم ٢٣ و ٢٢

(٣) المصدر ج ٣ ص ٢٥٨ تحت رقم ٢٩ .

(٤) المصدر ج ٣ ص ٢٥٩ تحت رقم ٣٠ .

(٥) المصدر ج ٣ ص ٢٥٧ تحت رقم ٢٩ .

(٦) المصدر الباب الثالث والثمانون .

ضاقَت عليه الدنيا و لا في شدة إلا اتسعت عليه ، و الموت أول منزل من منازل الآخرة و آخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها و طوبى لمن أحسن مشايسته في آخرها ، و الموت أقرب الأشياء من ابن آدم و هو يعدُّه أبعد فما أجراً الإنسان على نفسه و ما أضعفه من خلق و في الموت نجاته المخلصين و هلاك المجرمين و لذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت و كره من كره قال النبي ﷺ : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه .

قال ابو حامد : وكان الربيع بن خثيم حفر قبراً في داره فكان ينام في اللحد كل يوم مرّات ليستديم به ذكر الموت وكان يقول : لو فارقت ذكر الموت قلبي ساعة لفسد ، وقال : ما غائب ينتظره المؤمن خيراً له من الموت .

❦ (بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت) ❦

إعلم أن الموت هائل وخطره عظيم و غفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه و ذكرهم له و من يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجح ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه و عند ذلك يقل فرحه و سروره بالدنيا و ينكسر قلبه و أوقع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله و أقرانه الذين مضوا قبله فيتذكّر موتهم و مصرعهم تحت التراب و يتذكّر صورهم في مناصبهم و أحوالهم و يتفكر كيف محا التراب الآن حسن صورتهم و كيف تبددت أجزاءهم في قبورهم و كيف أرملوا نساءهم و أيتموا أولادهم و ضيعوا أموالهم و خلت منهم مساجدهم و مجالسهم و انقطعت آثارهم و أوحشت ديارهم فهمما تذكّر رجلاً رجلاً و فصل في قلبه حاله و كيفية حياته ، و توهم صورته ، و تذكّر نشاطه ، و تردده و أملة في العيش و البقاء ، و نسيانه للموت و انخداعه بمؤااة الأسباب ، و ركونه إلى القوة و الشباب ، و ميله إلى الضحك و اللهو و غفلته عما بين يديه من الموت الذريع و الهلاك السريع ، و أنه كيف كان يتردد و الآن قد تهدمت رجلاه

ومفاصله ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف يضحك وقد أكل التراب أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشرين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاء الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك و قرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم . قال أبو الدرداء : إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم . وقال ابن مسعود : السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبد العزيز : ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو راجعاً إلى الله عز وجل تضعونه في صدع الأرض قد توسد التراب وخلف الأحاب وقطع الأسباب . فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار العرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقتها

نظر ابن مطيع يوماً إلى داره فأعجبه حسناتهام بكى وقال : والله لو لالموت لكنت بك مسروراً ، ولو لا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته

❖ (الباب الثاني في طول الأمل) ❖

❖ (و فضيلة قصر الأمل وسبب طولهِ وكيفية معالجته) ❖

فضيلة قصر الأمل : قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر : « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من دنياك لا آخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحبتك لسقمك فانك يا عبد الله لاتدري ما اسمك غداً ^(١) » و روى علي بن أبي طالب أنه عليه السلام قال : « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى

(١) أى حى أو ميت . و أخرجه ابن حبان ورواه البخارى فى آخر حديث « كن فى

الدنيا كأنك غريب » من قول ابن عمر (المعنى)

وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه يحبب الدنيا ، ثم قال : ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان إلا أن للدنيا أبناء و للدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولىة إلا إن الآخرة قد أتت مقبلة ، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وإنكم يوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل ^(١) » وقالت أم المنذر : « اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال : أيها الناس أما تستحيون من الله عز وجل ؟ قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ فقال : تجمعون ما لا تأكلون وتأمّلون ما لا تدرّكون وتبنون ما لا تسكنون ^(٢) . »

وقال أبو سعيد الخدري : اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت النبي ﷺ يقول : « ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أنني واضعه حتى أقبض ، و لا لقت لقمه إلا ظننت أنني لا أسيغها حتى أعص بهامن الموت ، ثم قال : يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ^(٣) . »

و « روي أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد ففرز عوداً بين يديه و آخر إلى جنبه و أمّا الثالث فأبعده فقال : هل تدرون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : هذا الإنسان وذلك الأجل و ذلك الأمل يتعاطاه ابن آدم و يختلجه الأجل دون الأمل ^(٤) . »

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضاً من حديث جابر بنعوه وكلاهما ضعيف كما في المغنى .

(٢) رواه الطبراني من حديث ام الوليد بنت عمر كما في الترغيب و الترهيب ج ٤ ص ٢٤١ .

(٣) رواه أبو نعيم في العلية والبيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا في قصر الأمل كما في الترغيب و الترهيب ج ٤ ص ٢٣٢ .

(٤) قال العراقي أخرجه احمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له و ←

وقال عليه السلام: « أكلكم يحبُّ أن يدخل الجنة؟ قالوا: نعم يارسول الله قال: قصر وامن الأمل واجعلوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حقَّ الحياء (١) .
وكان عليه السلام يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، وأعوذ بك من حياة تمنع خير المماتة، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل (٢) » .
وقال سلمان الفارسي: « ثلاث أعجبتني حتى أضحكنتي مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أساخر رب العالمين عليه أمراض عنه، وثلاث أحزنتني حتى أبكنتني فراق الأحبة ثمَّ حزنه وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لأدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار .
وقال بعضهم: رأيت زرارة بن أبي أوفى في المنام بعد موته فقلت: أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل

❖ بيان السبب في طول الأمل وعلاجه ❖

إعلم أن طول الأمل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقلت على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه والإنسان مشغوف بالأمانى الباطنة فيمنّي نفسه أبداً بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقرّره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودوابّ وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر رقربه فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعده نفسه وقال: الأيام بين يديك فإلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير

← الثرمهر مزي في الامثال من رواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري واسناده حسن

ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضاً من رواية أبي المتوكل مرسل (٢)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث الحسن مرسل (المغنى)

(٢) ابن أبي الدنيا فيه من رواية حوشب .

شيخاً و إذا صار شيخاً قال : إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار و عمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد و جهازه و تدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك و لا يزال يسوف و يؤخر و لا يخوض في شغل إلا و يتعلق با تمام ذلك الشغل عدّة أشغال أخر وهكذا على التدرج يؤخر يوماً و يفضي به شغل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته ، و أكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون و احزنه من سوف ، و المسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسوية اليوم هو معه غدأ و إنما يزداد بطول المدّة قوّة و رسوخاً و يظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا و الحافظ لها فراغ قط و هيهات فما يفرغ منها إلا من أطرحها . كما قيل :

فما قضى أحد منها لباته * و ما انتهى أرب إلا إلى أرب
و أصل هذه الأمانى كلّها حبّ الدنيا و الأناس بها و الغفلة عن معنى قوله
«أحبب ما أحببت فانك مفارقه» و أمّا الجهل فهو أن الإنسان قد يعول على
شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب و ليس يتفكّر المسكين في أن مشايخ بلده
لوعدوا لكانوا أقلّ من عشر أهل البلد و إنما قلّوا لأنّ الموت في الشبان أكثر ،
و إلى أن يموت شيخ يموت ألف صبيّ و شاب ، و قد يستبعد الموت لصحته و يستبعد الموت
فجأة و لا يدري أن ذلك غير بعيد و إن كان ذلك بعيداً فالمرض فجأة غير بعيد ،
و كلّ مرض فأنما يقع فجأة و إذ امراض لم يكن الموت بعيداً ، ولو تفكّر هذا الغافل
و علم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب و شيب و كهولة و من صيف و شتاء
و خريف و ربيع و من ليل و نهار لعظم اشتغاله بالاستعداد له و استشعاره و لكنّ
الجهل بهذه الأمور و حبّ الدنيا دعواه إلى طول الأمل و إلى الغفلة عن تقدير الموت
القريب فهو بدأ يظنّ أن الموت يكون بين يديه و لا يقدر نزوله و وقوعه فيه ، و يشيع
الجنائز و لا يقدر أن يشيع جنازته لأنّ هذا قد تكرر عليه و ألفه و هو شاهد موت
غيره فأما موت نفسه فلم يألفه و لا يتصور أن يألفه فانّه لم يقع و إذا وقع لا يقع
دفعه أخرى بعده فهو الأوّل و هو الآخر و سبيله أن يقبس نفسه بغيره و يعلم أنّه

لابد وأن يحمل جنازته و يدفن في قبره و لعل اللبّن الذي يغطى به لحدّه قد ضرب و فرغ منه و هو لا يدري فتسويفه جهل محض و إذا عرفت أن سببه الجهل و حب الدنيا فعلاجه دفع سببه أمّا الجهل فيدفع بالفكر الصّافي من القلب الحاضر و بسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة و أمّا حب الدنيا فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعى الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر و ما فيه من عظيم العقاب و جزيل الثواب و مهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطير هو الذي يمحو من القلب حب الحقيق فإذا رأى حقارة الدنيا و نفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها و إن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب فكيف و ليس لكل عبد من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها و يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة . فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده و لاعلاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران و الأشكال و أنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أمّا من كان مستعداً له فقد فاز فوزاً عظيماً ، و أمّا من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراً مبيناً ، و لينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه و أعضائه و ليتدبّر أنها كيف تأكلها الدنيا لا محالة و كيف تنفتت عظامها ، و ليتفكّر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولاً أو باليسرى فما على بدنه شيء إلا و هو طعمة الدود و ماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله عزّ وجلّ و كذلك يتفكّر فيما سيورده من عذاب القبر و سؤال منكر و نكير و من الحشر و النشر و أهوال القيامة و فزع النداء يوم العرض الأكبر . فأمثال هذه الأفكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه و تدعوه إلى الاستعداد له .

❖ (بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره) ❖

إعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبداً قال

الله تعالى : « يودُّ أحدُهم لو يعمّر ألف سنة ^(١) » ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحبُّ الدنيا حباً شديداً قال النبي ﷺ : « حبُّ الشيخ شابٍّ في طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليلٌ ما هم ^(٢) » ، ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها ولا يقدر لنفسه وجوداً في عام قابل ولكن هذا يستعدُّ في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف وإذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ، ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدُخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ، ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعدُّ إلا لنهاره فأماً للغد فلا .

قال عيسى ﷺ : « لا تهتمّوا برزق غد فإن يكن غداً من آجالكم فستأتي أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن غداً من آجالكم فلا تهتمّوا لأرزاق غيركم » .
ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال النبي ﷺ : « يا عبد الله إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح ^(٣) » ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً ساعة ، ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع وهو ينظره وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودّع . فهذه مراتب الناس ولكلِّ درجات عند الله ليس من أمله مقصوراً على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرّجة عند الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ثمّ يظهر أثر قصر الأمل في المبادرة إلى العمل وكلُّ إنسان يدّعي أنه قصير الأمل وهو كاذب وإنّما يظهر ذلك بأعماله فإنّه يعتني بأسباب ربّما لا يحتاج إليها في سنة فيدلُّ ذلك على طول أمله ، وإنّما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب عينيه لا يغفل عنه ساعة فيستعدُّ للموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى

(١) البقرة : ٩٦ .

(٢) أخرج صدره مسلم والبخارى في الصحيح ج ٨ ص ١١١ ولم أجدّه بتمامه .

(٣) أخرجه الترمذى ج ٩ ص ٢٠٣ والبيهقى وغيره من حديث ابن عمر قاله صلى الله

على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ، ولا يمتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجات فالموت له سعادة والحياة له مزيد ، فليكن الموت على بالك يامسكين فإن السير حاد بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناماً لكل نفس امهلت فيه .

﴿ بيان المبادرة الى العمل حذر آفة التأخير ﴾

إعلم أن من له إخوان غائبان و ينتظر قدوم أحدهما في غد و ينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للمنظر قدومه غداً فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيئ الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدّة ونسي ما وراء المدّة ، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكما لها لا ينقص منها اليوم الذي انقضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبداً فإنه أبداً يرى لنفسه متسعاً في تلك السنة ويؤخر العمل كما قال النبي ﷺ : « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً ، أو فقراً منسياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمياً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فالدجال شرُّ غائب ينتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر » (١) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه : « اغنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » (٢) .

(١) أخرجه الترمذى ج ٩ ص ١٨٥ من رواية محرز بن هارون عن عبدالرحمن الاعرج ، عن أبي هريرة وقال : حديث حسن . وقوله : « هرمياً مفنداً » أى مبلغاً إلى اذل العمر و قوله « موتاً مجهزاً » أى قاضياً على العبد بالفناء ، يقال : أجهزت على فلان ، اذا عجلت قتله وأسرعت بنهايه نفسه .

(٢) رواه الحاكم ج ٤ ص ٣٠٦ وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وقال ﷺ: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (١) » أي أنه لا يفتنهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما .

وقال ﷺ: « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة (٢) » .

وقال النبي ﷺ: « جاءت الرأفة تتبعها الرأفة الموت بما فيه (٣) » وكان ﷺ إذا أحس من أصحابه غفلة أو غرّة نادى فيهم بصوت رفيع « أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة (٤) » .

وقال النبي ﷺ: « أنا النذير والموت المغير والساعة الموعود (٥) » .

وقال ابن عمر: خرج علينا النبي ﷺ والشمس على أطراف السقف فقال: « ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه (٦) » .

وقال ﷺ: « مثل الدنيا مثل ثوب يشق من أوله إلى آخره فبقي معلّقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن يتقطع (٧) » وقال جابر: كان النبي ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول: « صبحتكم ومسيئتكم بعثت أنا والساعة كهاتين - وقرن بين أصبعيه (٨) » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: تلا النبي ﷺ « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » فقال: « إن النور إذا دخل الصدر انفسح فقيل: يا رسول الله هل

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٧٠ والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣٠٦ .

(٢) أخرجه الترمذی ج ٩ ص ٢٧٧ والحاكم بسند حسن من حديث أبي هريرة .

(٣) أخرجه الترمذی وحسنه من حديث أبي بن كعب .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من حديث زيد السلمي مرسل (المعنى) .

(٥) أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في قصر الامل وابوالقاسم البغوي أيضاً (المعنى) .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا أيضاً والترمذی نحوه من حديث أبي سعيد الخدري

باسناد حسنه .

(٧) ابن أبي الدنيا أيضاً من حديث أنس ولا يصح .

(٨) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢٠٩ بنحوه وابن أبي الدنيا في قصر العمل بلفظه كما في المعنى .

لذلك من علامة تعرف ؟ فقال : نعم التجافي عن دار الغرور ، والاناة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ^(١) .

❖ (الباب الثالث) ❖

❖ (في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت) ❖

إعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتغصص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقاً بأن يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده لاسيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء : كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك ، وقال لقمان لابنه : يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعداد له قبل أن يفجأك . والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور .

واعلم أن شدة الألم في سكرات النزع لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذوقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدر كها وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح تألم ، فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو الذي فيه الروح جرح أو حرق سرى الأثر منه إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدّم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الأثر فإذا كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده ، والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک وابن أبی الدنيا فی قصر الامل وقد تقدم .

جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً وباطناً إلا وتصيبه النار فتحسّه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم وأما الجراحة فأنما تصيب الموضع الذي يمسّه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزاع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ، ومن أصل كل شعرة وبشرة من القرن إلى القدم فلا تسأل عن كربيه وألمه حتى قالوا: إن الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمنشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح ، وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته و في قلبه وشراسيفه ^(١) وفي لسانه ، وإنما انقطع صوت الميّت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتساعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جراحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ، ولكنه لا يقدر على ذلك فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزوع الروح وجذبها خوارجاً وغرغرة في حلقه وصدرة وقد تغير لونه وارتد حتى كأنه قد ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله ، فالألم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي جفونه ، وتمتص الشفتان واللسان إلى أصله ، وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعهما وتخضر أنامله ، فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق؟! ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذهما ولكل عضو سكرة بعد سكرة

(١) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ، جمعه شراسيف

و كربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويفلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله ﷺ: «تقبل توبة العبد ما لم يفرغر^(١)» .

أقول : ثم ذكر أبو حامد عن السلف أخباراً في شدة الموت وسكراته وخوف الأنبياء والأولياء منه وشدته عليهم حتى ذكر أنه لما مات الخليل ﷺ قال الله تبارك وتعالى : كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب ولما مات الكليم ﷺ سأله فقال : كشاة حية تسلخ بيد القصاب . وإنه ﷺ قال : وجدت نفسي كالعصفور حين يقلبي على المقلبي لا هو يموت فيستريح ولا ينجو فيطير ، وبالجملة ما لا يشبه أخبار أهل البيت ﷺ بل يشم منه رائحة الكذب إلا حديثاً واحداً رواه عن أمير المؤمنين ﷺ أنه كان يحرض على القتال ويقول : «إن لم تقتلوا تموتوا فوالذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش» وهذا الحديث مروى عنه من طريق الخاصة أيضاً فلنطوسائر ما ذكره ونذكر مكانه ما ورد من طريق الخاصة في هذا الباب وهو ما أورده الشيخ الصدوق رحمه الله في اعتقاداته^(٢) قال : « قيل لأمير المؤمنين عليّ ﷺ : صف لنا الموت فقال ﷺ : « على الخير سقطتم الموت هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه إما بشارة بنعيم الأبد وإما بشارة بعذاب الأبد وإما بتخويف و تهويل لا يدري من أيّ الفرق هو ، أما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد ، وأما عدونا المخالف لأمرنا فهو المبشّر بعذاب الأبد ، أما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً ثم لن يسوّه الله بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا ، فاحتملوا وأطيعوا ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله فإن من المسرفين من لا يلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة» وسئل عن الحسن بن عليّ ﷺ : « ما الموت الذي جهلوه ؟ فقال : أعظم سرور يرد على المؤمنين إذ نقلوا عن دار النكد إلى النعيم الأبد ،

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه تحت رقم ٤٢٥٣ من حديث ابن عمر وقد تقدم .

(٢) ص ١٧٧ الذى طبع مع باب حادي عشر و هكذا رواه فى معانى الاخبار ص ٢٨٧ .

وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذ نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد^(١).
« ولما اشتدّ الأمر على الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه فاذا هو بخلافهم لأنهم كانوا إذا اشتدّ بهم الأمر تعيَّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلّت قلوبهم ووجبت^(٢) جنوبهم وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدى، جوارحهم وتسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض : انظروا إليه لا يبالي بالموت فقال الحسين عليه السلام صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّ إلى الجنان الواسعة والنعم الدائمة فأبيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر وهولاً عدائكم كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب أليم ، إنّ أبي حدّثني بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت^(٣) .

وقيل لعليّ بن الحسين عليه السلام ما الموت ؟ قال : « للمؤمن كنز ثياب وسخة قملة^(٤) وفكّ قيود وأغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وآنس المنازل ، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن المنازل الأنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب^(٥) »

وقيل لمحمد بن عليّ الباقر عليه السلام : « ما الموت ؟ قال : هو النوم الذي يأتيكم في كلّ ليلة إلاّ أنّه طويل مدّته لا ينتبه إلى يوم القيامة فمنهم من رأى في منامه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومنهم من رأى في منامه من أصناف الالهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرحه في الموت ووجله فيه هنا هو الموت فاستعدّوا له^(٦) . »

(١) رواه الصدوق أيضاً في معاني الاخبار ص ٢٨٨ تحت رقم ٣ .

(٢) وجب وجباً ووجيباً ووجباناً : رجف وخفق .

(٣) معاني الاخبار ص ٢٨٨

(٤) ثوب وسخ : علاه الدرر لقلة تعهده بالماء : و « قمل » اي كثيز فيه القمل و

هرديبة معروفة

(٥) و(٦) معاني الاخبار ص ٢٨٩

وقيل للصادق عليه السلام : صف لنا الموت فقال : « هو للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينفس ^(١) لطيبه فيقع التعب والألم كله عنه ، و للكافر كدغ الأفاعي وكلسع العقارب وأشدّ ، قيل : فإن فوماً يقولون : إنّه هو أشدّ من نشر بالمنشير ، وقرض بالمقاريض ، ورضخ بالحجارة ، وتدوير قطب الأرحية ^(٢) في الأحداق ؟ فقال كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين ، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد فذلكم الذي هو أشدّ من هذا الأمن عذاب الآخرة ، فهذا أشدّ من عذاب الدنيا . قيل : فما بالنار كافرأ يسهل عليه النزاع فينظفي وهو يتحدّث ويضحك ويتكلّم و في المؤمنين من يكون أيضاً كذلك و في المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد ؟ فقال : ما كان من راحة هناك للمؤمنين فهو عاجل ثوابه وما كان من شديدة فهو تمحيصه من ذنوبه ليردّ إلى الآخرة نقيّاً نظيفاً مستحقاً لثواب الله ليس له مانع دونه وما كان من سهولة هناك على الكافرين فليوفى أجر حسناته في الدنيا ليردّ إلى الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب و ما كان من شدة هناك على الكافرين فهو ابتداء عقاب الله له بعد نفاذ حسناته ذلكم بأنّ الله عدل لا يجور ^(٣) . و دخل موسى بن جعفر عليه السلام على رجل قد عرق في سكرات الموت و هو لا يجيب داعياً فقالوا له : يا ابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف حال صاحبنا و كيف الموت ؟ فقال : إنّ الموت هو المصفاة يصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم و كفارة آخر و زر عليهم و يصفّي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لدّة أو نعمة أو رحمة تلحقهم وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم ، وأما صاحبكم هذا فقد تخلّى من الذنوب و صفّي من الآثام تصفية وخلص حتى نقي كما ينقى الثوب من الوسخ و صلح لمعاشرتنا أهل البيت في دارنا دار الأبد ^(٤) .

(١) في بعض نسخ المصدر [فيتنفس] .

(٢) الرضخ : الرمي . والارحية : جمع الرحي وهي الطاحون .

(٣) معاني الاخبار ص ٢٨٧ .

(٤) معاني الاخبار ص ٢٨٩ .

ومرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال : « كيف تجدك فقال : لقيت الموت بعدك - يريد به ما لقيه من شدة مرضه - فقال : كيف لقيته قال : أليماً شديداً ، فقال : ما لقيته إنَّما لقيت ما ينذرك به ويعرّفك بعض حاله إنَّما الناس رجالان مستريح بالموت ومستراح به منه فجدّ دالاً يمان بالله و النبوة والولاية لنا تكن مستريحاً ففعل الرّجل ذلك - والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة (١) » .

وقيل لمحمد بن عليّ بن موسى عليه السلام : « ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت فقال : لأنَّهم جهلوه وكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله حقلاً حبّوه وليعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا ، ثمّ قال : « يا أبا عبد الله ما بال الصبيّ والمجنون يمتنع من الدّواء المنقي لبدهن والنافي للألم عنه؟ فقال لجهلهم بنفع الدّواء قال : والذي بعث محمداً بالحقّ نبياً إن من قد استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع لهم من هذا الدّواء لهذا المعالج ، أما إنهم لو علموا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ممّا يستدعي العاقل الحازم الدّواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة (٢) » .

ودخل عليّ بن محمّد عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع عن الموت فقال له : « يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه رأيتك إذا اتّسخت وتقدّرت وتأذيت بما عليك من الوسخ والقذر عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في الحمّام يزيل عنك ذلك كلّهُ أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ماتكروه أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال : بلى يا ابن رسول الله ، قال : فذلك الموت هو ذلك الحمّام وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتِكَ عن سيئاتك فإذا أنت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كلّ غمّ وهمّ وأذى ووصلت إلى كلّ سرور وفرح فسكن الرّجل و نشط و استسلم و غمض عين نفسه و مضى لسبيله (٣) » .

« وسئل الحسن بن علي عليه السلام عن الموت ما هو فقال : هو التصديق بما لا يكون ^(١) إن أبي حدثني بذلك عن أبيه ، عن جدّه عن الصادق عليه السلام أنّه قال : إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً وإن الكافر هو الميت ، إن الله عز وجل يقول : « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » ^(٢) يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ^(٣) ، وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يارسول الله ما بالي لا أحب الموت ؟ فقال : لك مال ؟ قال : نعم ، قال : قد قدمته قال : لا قال : فمن ثمة لا تحب الموت ^(٤) .

وقال رجل لأبي ذر رحمة الله عليه : « ما بالنا نكره الموت ؟ فقال : لأنكم عمرتم الدنيا وخرتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب وقيل له كيف ترى قدومنا على الله قال : أما المحسن فكأنغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكلاً بق يقدم على مولاه ، قيل : فكيف ترى حالنا عند الله قال : اعرضوا أعمالكم على الكتاب إن الله عز وجل يقول : « إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم ^(٥) » قال الرجل : فأين رحمة الله ؟ قال : رحمة الله قريب من المحسنين « إلى هنا كلام الصدوق طاب ثراه ^(٦) .

(١) أي هو امر ، التصديق به تصديق بما لا يكون إذا المؤمن لا يموت بالموت والكافر أيضاً كذلك لأنه كان ميتاً قبله (قاله العلامة المجلسي - رحمه الله) وله معنى آخر يأتي بعد تمام الحديث .

(٢) الروم : ١٩ .

(٣) معاني الأخبار ص ٢٩٠ . قوله : « التصديق بما لا يكون » الظاهر أن المعنى أن التصديق بما لا يكون أي الأمر المحال هو بمنزلة الموت وهو فعل الاحق الذي لا عقل له وقد روى عن الصادق عليه السلام انه قال : اذا اردت ان تختبر عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون فان أنكره فهو عاقل وان صدقه فهو احمق . وقال امير المؤمنين عليه السلام : « فقد العقل فقد الحياة ولا يقاس الا بالاموات » ويؤيد هذا المعنى ذيل الخبر ايضاً وعليهذا لا يناسب ذكر الخبر في هذا المقام .

(٤) رواه الصدوق ايضاً في الخصال ج ١ ص ١٠ .

(٥) الانفطار : ١٣ و ١٤ .

(٦) راجع لكل ذلك كتاب الاعتقادات له - رحمه الله - ص ٧٧ الى ٨١ .

قال أبو حامد : فهذه سكرات الموت على أوليائه وأحبائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدَّاهي فإن دواهي الموت ثلاثة الأولى شدة النزاع كما ذكرناه ، الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الرُّوع والخوف منه على القلب ، فلو رأى صورته التي عليها يقبض روح العبد المذنب أعظم الرِّجال قوَّة لم يطق رؤيته فروي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال : فأعرض عني فأعرض عنه ثمَّ النفث فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منمن الرِّيح أسود الثياب يخرج من فيه ومنخره لهب النار والدُّخان فغشي على إبراهيم عليه السلام ثمَّ أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال : ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه^(١) . وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم صلوات الله عليه كان رجلاً غيوراً وكان له بيت يتعبَّد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال : من أدخلك داري ، فقال : أدخلنيها ربها فقال : أنا ربها قال : أدخلنيها من هو أملك لها مني ومنك فقال : من أنت من الملائكة؟ قال : أنا ملك الموت فقال : فهل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمنين؟ قال : نعم فأعرض عني فأعرض عنه ، ثمَّ النفث فإذا هو بشابٍّ فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال : ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه . ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتَّى يترأى له الملكان الكاتبان عمله فإن كان مطيعاً قال له : جزاك الله عنّا خيراً فربَّ مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح قد أحضرتنا وإن كان فاجراً قالوا : لاجزاك الله عنّا خيراً فربَّ مجلس سوء قد أجلسنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنّا خيراً^(٢) . فذلك حين شخوص بصر الميت

(١) جامع الاخبار فصل ١٣٥ .

(٢) راجع جامع الاخبار فصل ١٣٣ في القبر .

إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبداً . الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولم يخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشارتين إما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالجنة . وعن هذا الخطر كان خوف أرباب القلوب والألباب وقال عليه السلام : « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار (١) » .

وقال عليه السلام : « من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاءه كره لقاءه ، فقالوا : كلنا نكره الموت ، قال : ليس ذلك بذلك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب لقاءه (٢) » .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن الله تعالى إذا رضي عن عبد قال : ياملك الموت اذهب إلى عبدي فلان فأتني بروحه لأريحه حسبني من عمله قد بلوته بالسراء فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قُضبان الریحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشّره ببشارة سوى بشارة صاحبه ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الریحان ، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال : فيقول له جنوده : مالك ياسيدنا فيقول أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا ؟ قالوا : قد جهدنا به ولكنّه كان معصوماً (٣) » .

قال بعض السلف : لراحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كان راحته في لقاء الله فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه

أقول : وفي الكافي عن سدير الصيرفي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « جعلت -

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم عن علي عليه السلام موقوفاً

(٢) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت .

(٣) قال العراقي : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الداري

باسناد ضيف بزيادة كثيرة ولم يصرح في اول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على أنه مرفوع .

فذاك يا ابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه ؟ قال : لا والله إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت : يا وليّ الله لانجزع فوالذي بعث محمداً لأننا أبرُّك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك ، افتح عينك وانظر قال : وتمثّل له رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذريّتهم عليهم السلام فقال له : هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة رفقاؤك ، قال : فيفتح عينه فينظر فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول : يا أيّتها النفس المطمئنّة إلى محمّد وأهل بيته ارجعي إلى ربّك راضية بالولاء مرضية بالثواب ، فادخلي في عبادي يعني محمداً وأهل بيته ، وادخلي جنّتي فما شيء أحبّ إليه من استئلال روحه واللّحوق بالمنادي (١) .

وعنه عليه السلام « إن الرّجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى ، قلت : جعلت فداك وما يرى ؟ قال : يرى رسول الله فيقول له رسول الله : أنا رسول الله أُبشر ، قال : ثمّ يرى عليّ بن أبي طالب فيقول : أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبّه أنا أتفكك اليوم قال : قلت له أيكون أحدٌ من الناس يرى هذا ثمّ يرجع إلى الدُّنيا قال : قال : لا إذ رأى هذا أبداً مات وأعظم ذلك ، قال : وذلك في القرآن قول الله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ » (٢) .

وعن ابن أبي يعفور قال : « كان خطّاب الجهنني خليطاً لنا وكان شديد النصب لآل محمّد عليهم السلام وكان يصحب نجدة الحرورية قال : فدخلت عليه أعوده للخلط والنقيّة فاذا هو مغمى عليه في حدّ الموت فسمعتة يقول : مالي ولك يا عليّ فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال عليه السلام : رآه وربّ الكعبة رآه وربّ الكعبة رآه وربّ الكعبة (٣) . »

(١) الكافي ج ٣ ص ١٢٨ تحت رقم ٢ والاستئلال من السل وهو النزع .

(٢) المصدر ج ٣ ص ١٣٣ تحت رقم ٨ والآية في سورة يونس : ٦٣ و٦٤ .

(٣) المصدر ج ٣ ص ١٣٣ تحت رقم ٩ .

قال أبو حامد: وخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الداهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدّة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرّجاء وهو لائق بهذا الموضوع ولكننا لانطول بذكره وإعادته .

﴿ بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت ﴾

اعلم أنّ المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسّكون ، ومن لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة ، ومن قلبه أن يكون حسن الظنّ بالله تعالى ، أمّا الصّورة فقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « راقبوا الميّت عند ثلاث إذا رشح جبينه وزرقت عيناه ويبتست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به ، وإذا غطّ غطيظ المخنوق^(١) واحمرّ لونه واربدّت شفتاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به^(٢) .

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه عن الصادق عليه السلام قال : « إذا رأيت المؤمن قد شخص ببصره وسالت عينه اليسرى وشرح جبينه وتقلّصت شفتاه وانتشر منخراه فأيّ ذلك رأيت فحسبك به^(٣) .

وعنه عليه السلام في الميّت تدمع عيناه عند الموت وإنّ ذلك عند معاينة رسول الله ﷺ فيرى ما يسره ، ثمّ قال : أما ترى الرّجل يرى ما يسره وما يجب فندمع عيناه ويضحك^(٤) .

وعنه عليه السلام « إنّ وليّ عليّ عليه السلام يراه في ثلاثة مواطن حيث يسره عند الموت وعند الصراط وعند الحوض ، ومملك الموت يدفع الشيطان عن المحافظ على الصلوات ويلقنه شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله في تلك الحالة العظيمة^(٥) .

وقال رسول الله ﷺ : « لقمّوا موتاكم « لا إله إلا الله » فإنّ من كان آخر كلامه « لا إله إلا الله » دخل الجنّة^(٦) .

(١) غطّ الجمل بغط - من باب ضرب - غطيظاً : صوت في الشقشقة . و غطّ النائم

بغط غطيظاً أيضاً تردد نفسه صاعداً الى حلقة حتى يسمعه من حوله .

(٢) اخراجه الحكيم الترمذى في نوادر الاصول من حديث سلمان .

(٣) و(٤) و(٥) و(٦) المصدر باب غسل الميّت تحت رقم ٢٠ و١٩ و٢٧ و٣ .

قال أبو حامد : وأما انطلاق لسانه بكلمتي الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ : « لَقَمْتُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (١) » وفي رواية حذيفة « فَأَنَّهَا تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْخَطَايَا (٢) » وقال عثمان قال رسول الله ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ (٣) »

وينبغي للملقن أن لا يلح بالتلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك و يؤدي إلى استنقاله التلقين و كراهيته للكلمة و يخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه غير الله تعالى فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشعوراً بالدنيا ملتفتاً إليها متأسفاً على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله بالقبول .

أقول : « وعن الصادق عليه السلام « ما من أحد يحضره الموت إلا وكل به إبليس من شياطينه أن يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتى تخرج نفسه فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حتى يموتوا » . وفي رواية أخرى قال : « فلقننه كلمات الفرج والشهادتين وتسمى له الإقرار بالأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد حتى ينقطع عنه الكلام (٤) » . وعن أبي بكر الحضرمي قال : « مرض رجل من أهل بيتي فأتيته عائداً له فقلت له : يا ابن أخ إن لك عندي نصيحة أتقبلها ؟ فقال : نعم ، قلت : قل : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » فشهد بذلك فقلت : قل « وأن محمداً رسول الله »

(١) أخرجه أحمد ومسلم وقد تقدم

(٢) تقدم أيضاً . (٣) تقدم أيضاً

(٤) الوافي ج ٣ باب تلقين المحتضر

فشهد بذلك ، فقلت : إن هذا لا ينمفع به إلا أن يكون منك على يقين فذكر أنه منه على يقين ، فقلت : إشهد أن علياً ولياً لله و وصيه و هو الخليفة من بعده والامام المفترض الطاعة من بعده . فشهد بذلك ، فقلت له : إنك لا تمتنع بذلك حتى يكون منك على يقين ، فذكر أنه منه على يقين ، ثم سميت له الأئمة عليهم السلام رجلاً رجلاً فأقر بذلك وذكر أنه على يقين ، فلم يلبث الرجل أن توفي فجزع أهله عليه جزعاً شديداً قال : فغبت عنهم ، ثم أتيتهم بعد ذلك فرأيت عزاء حسناً فقلت : كيف تجدونكم كيف عزأوك أيتها المرأة ؟ قالت والله لقد أصبنا بمصيبة عظيمة بوفاة فلان - رحمه الله - وكان مماسخاً بنفسي لرؤيا رأيتها الليلة ، فقلت : وما تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت فلاناً يعني الميت - حياً سليماً ، فقلت : فلان؟! فقال : نعم ، فقلت له : أما كنت ميتاً ؟ فقال : بلي ولكن نجوت بكلمات لتقنين أبو بكر ولولا ذلك لكنت أهلك (١) »

وعن الباقر عليه السلام « لو أدركت عكرمة عند الموت لنفعتها ، فقيل للصادق عليه السلام « بماذا كان ينفعه ؟ قال : يلقنه ما أنتم عليه (٢) »
وعن الصادق عليه السلام « والله لو أن عابد وثن وصف ما تصفون (٣) عند خروج نفسه ما طعمت النار من جسده شيئاً أبداً (٤) »
وعنه عليه السلام « أعقل ما يكون الرجل المؤمن عند موته (٥) »

وقال عليه السلام : « اعتقل لسان رجل من أهل المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي مات فيه فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له قل : « لا إله إلا الله » فلم يقدر عليه فأعاد عليه فلم يقدر عليه ، وعند رأس الرجل امرأة فقال لها : هل لهذا الرجل

(١) هكذا في الوافي وفي الكافي ج ٣ ص ١٢٢ باختلاف في اللفظ

(٢) الكافي ج ٣ ص ١٢٢ تحت رقم ٣

(٣) ائى اقر بما تقرون به من أمر الامامة

(٤) حمل على عدم معاينة الاخرة . والخبر في الكافي ج ٣ ص ١٢٤ تحت رقم ٨ .

(٥) الفقيه باب غسل الميت تحت رقم ٤

أم؟ فقالت : نعم يارسول الله أنا أمه فقال لها : أفرضيت أنت عنه أم لا ؟ فقالت : لا بل ساخطة ، فقال لها رسول الله : فإني أحب أن ترضين عنه فقالت : قد رضيتُ عنه لرضاك يا رسول الله فقال : له قل : « لا إله إلا الله » فقال : « لا إله إلا الله » فقال له : قل : « يامن يقبل اليسير ويعفو عن الكثير اقبل مني اليسير واعف عني الكثير إنك أنت العفو الغفور » فقالها ، فقال له : ماذا ترى ؟ قال : أرى أسودين قد دخلا عليّ قال : أعدهما فأعادهما فقال : ما ذا ترى ؟ قال : قد تباعدا عني ودخل أبيضان وخرج الأسودان فما أراهما ودنا الأبيضان مني الآن يأخذان بنفسي . فمات من ساعته (١) . قال الصادق عليه السلام : « إذا حضرتم ميتاً فقولوا له هذا الكلام ليقوله (٢) » .

قال أبو حامد : وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن « دخل واثلة بن أسقع على مريض فقال : أخبرني كيف ظنك بالله فقال أغرقتني ذنوب أشرفت على الهلكة ولكنني أرجو رحمة الله فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره ، وقال : الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء (٣) » .

ودخل ﷺ على شاب وهو يموت فقال : « كيف تجدك قال : أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الوقت إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف (٤) »

ومرض أعرابي فقيل له : إنك تموت قال : أين يذهب بي ؟ قالوا : إلى الله قال : فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه

✽ (بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات تعرب بلسان الحال عنها) ✽
أقول : قد ذكر أبو حامد أولاً كيفية قبض الأرواح ثم أورد الحكايات

(١) الفقيه باب غسل الميت تحت رقم ٥ ، وفي الكافي نحوه

(٢) هذه الزيادة في الكافي ج ٣ ص ١٢٤ تحت رقم ١٠

(٣) أخرجه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم ، واحمد والبيهقي في الشعب به جمعاً .

(٤) تقدم .

ونحن نذكر الأول من طريق الخاصة ثم نكتفي ببعض ما أورده فعن الصادق عليه السلام « قيل لملك الموت : كيف تقبض الأرواح وبعضها في المشرق في ساعة واحدة ؟ فقال : أدعوها فتجيبني قال : وقال ملك الموت : إن الدنيا بين يدي كالتصعة بين يدي أحدكم يتناول منها ما شاء ، والدنيا عندي كالدّرهم في كفّ أحدكم يقلّب كيف يشاء»^(١) وقيل للصادق عليه السلام : «يعلم ملك الموت نفس من يقبض ؟ قال : لا إنّما هي صكاك تنزل من السماء اقبض نفس فلان بن فلان (٢) » .

قال أبو حامد : قال وهب بن منبه : كان ملك من ملوك الأرض أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتّى لبس ما أعجبه بعد مرّات وكذلك طلب دابة فلم يعجبه حتّى أتى بدوابّ فركب أحسنها فجاء إبليس فتفخ في منخريه نفخة فملاه كبراً ثمّ سار وسارت معه الجنود ، وهو لا ينظر إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللّجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً ، وقال : إن لي إليك حاجة قال : اصبر حتّى أنزل قال : لا الآن فقهره على لجام دابته فقال : اذكرها ، قال : هي سرّ فأدنا إليه رأسه فسارّه فقال : أنا ملك الموت فتغيّر لون الملك واضطرب لسانه ، ثمّ قال : دعني حتّى أرجع إلى أهلي فأقضي حاجتي وأودّعهم قال : لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً فقبض روحه فخرّ كأنه خشبة ، ثمّ لقي عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فردّ السلام فقال : إن لي إليك حاجة أذكرها في اذنك فقال: هات فسارّه فقال : أنا ملك الموت فقال : مرحباً وأهلاً بمن طالت غيبته عليّ فوالله ما كان في الأرض غائب أحبّ إليّ أن ألقاه منك فقال : ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها ، فقال : مالي حاجة أكبر عندي ولا أحبّ إليّ من لقاء الله ، قال : فآختر عليّ أيّ حال شئت أن أقبض روحك فقال : تقدر على ذلك ؟ قال : نعم إنني أمرت بذلك ، قال : فدعني حتّى أتوضأ وأصليّ ركعتين فاقبض روحي وأنا ساجد

(١) الفقيه ص ٣٢ و ٣٣ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٥٥ تحت رقم ٢١ .

فقبض روحه وهو ساجد .

وقال بكر بن عبد الله المزني : جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلمّا أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالني فأُتِيَ بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلمّا نظر إليه بكى تحسّراً عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال: ما يبكيك فوالذي خوّلك ما أنا بخارج من منزلك حتّى أفرّق بين روحك وبدنك ، قال : فلمهله حتّى أفرّقه قال : هيهات انقطعت عنك المهله فهلاً كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه . وقال وهب بن منبه : قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ، ثمّ عرج إلى السّماء فقالت الملائكة : لمن كنت أشدّ رحمة ممّن قبضت روحه قال: أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأُتيتُها وقد ولدت مولوداً فرحمتهَا لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لامتعهد له بها فقالت له الملائكة : الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت : سبحان اللطيف لما يشاء .

وقال يزيد الرقاشي : بينا جبار من الجبابرة من بني إسرائيل كان جالساً في منزله فدخّل ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل إلى باب بيته فنار إليه فزعاً مضطرباً فقال : من أنت ومن أدخلك داري ؟ قال : أمّا الذي أدخلني الدار فربّها أمّا أنا فالذي لا يمتنعني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف سطوة السلاطين ولا يمتنع عني كلّ جبار عنيد ولا شيطان مريد ، قال : فسقط في يدي الجبار وأرعد حتّى سقط منكباً لوجهه ، ثمّ رفع إليه رأسه مستعظماً متذلاًّ فقال له : أنت إذا ملك الموت ، قال : أنا هو ، قال : فهل أنت ممهلي حتّى أحدث عهداً ، قال : هيهات انقطعت مدّتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل قال : فإلى أين تذهب بي ؟ قال : إلى عملك الذي قدّمته وإلى بيتك الذي مهّدته ، قال : فإني لم أقدم عملاً صالحاً ولم أهد بيتاً حسناً ، قال : فإلى لظى ، نزاعة للشوى ، ثمّ قبض روحه فسقط بين أهله فمن صارخ وباك .

وقال يزيد الرقاشي : لو تعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر .

وعن الأعمش عن خيثمة قال : « دخل ملك الموت على سليمان بن داود صلوات الله عليهما فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل لسليمان عليه السلام : من هذا قال : هذا ملك الموت قال : لقد رأيته ينظر إليّ كأنه يريدني ، قال ، فماذا تريد؟ قال : أريد أن تخلّصني عنه فتأمر الرّيح حتّى يحمّلني إلى أقصى الهند ، فأمر سليمان عليه السلام الرّيح ففعل الرّيح ذلك ، ثمّ قال سليمان عليه السلام لملك الموت بعد أن أتاه ثانية : رأيته تديم النظر إلى واحد من جلسائي ، قال : نعم كنت أتعجب منه لأنّي كنت أمرت أن أقبض روحه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فتعجبت من ذلك .

❦ (الباب الرابع فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله) ❦

أقول : و لنعرض الآن عمّا ذكره أبو حامد من طريق العامّة في هذا الباب فإنّ أكثره من مفتريات سلفهم لترويح أغراضهم الفاسدة . و لنذكر ما روتّه أصحابنا من ما أخذهم الصحيحة قال : بعض علمائنا في كتاب له صنّفه (١) في ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسبب اختلاف الصحابة بعده بعدما ذكر حديث حجة الوداع ووصية يوم الغدير وما يتعلّق بذلك ما هذا لفظه « ثمّ إنّ عليه السلام تحقّق من دنوّ أجله فخاف توثّب المنافقين ومن والاهم على هذا الأمر وكانوا ألف رجل فعقد لأسامة بن زيد فولّاه الرّاية وأمّره على أكثر المهاجرين و الأنصار و ندبه إلى الخروج بهم إلى الوجه الذي قتل أبوه فيه من بلاد الرّوم لكيلا يبقى بالمدينة بعد وفاته من يطمع في الإمارة فيستتمّ الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام فلا ينازعه هناك منازع ، فأمر أسامة فعسكر على أميال من المدينة ورسول الله صلى الله عليه وآله يحثّ الناس على الخروج إلى أسامة والمسير معه ، فبينما هو كذلك إذ عرض له المرض الذي توفّي فيه فلما أحسّ بالمرض أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتبعه جماعة من

(١) الظاهر أن هذا الكتاب تأليف أحد علماء البحر بن وبسمى «التهاب نيران الاحزان»

و على ما سمعت في مكتبة الامام امير المؤمنين عليه السلام العامة فى النجف الاشرف نسخة مخطوطة منه .

المهاجرين والأنصار ، فقال ﷺ : إنني أمرت بالاستغفار لأهل البقيع فلما جاءهم قال : السلام عليكم يا أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ، فاستغفر لهم كثيراً ، ثم أقبل علي أمير المؤمنين ﷺ فقال له : يا أخي إن جبرئيل ﷺ كان يعرض علي القرآن كل سنة مرة وقد عرضه علي في هذا العام مرتين ولا أراه إلا لحضور أجلي ، ثم قال : يا علي إنني خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة خالداً فيها ، فإذا أنا مت فغسلني واستر عورتني فإنه لا يراها أحد إلا أكرمها الله تعالى ، ثم عاد إلى منزله فمكث ثلاثة أيام موعوكاً ، ثم إنته خرج إلى المسجد معتمداً على أمير المؤمنين ﷺ حتى صعد المنبر وخطب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : معاشر الناس قد حان مني خفوق ما بين أظهركم ، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إيهاها ومن كان له عندي دين فليخبرني به ، فقام رجل وقال ؟ يا رسول الله إن لي عندك عدة إنني تزوجت فوعدتني أن تنحلني ثلاث أنواق ، فقال له : أنحلتمكها وأفضل ، ثم قال : معاشر الناس إنني ليس بين الله وبين أحد شيء ، يعطيه به خيراً أو يصرف عنه شراً إلا العمل ، والذي بعثني بالحق لا ينجي إلا العمل مع رحمة الله ولو عصيت لهويت ، ثم نزل فصلي بالناس صلاة خفيفة ، ودخل بيته وكان في بيت أم سلمة فجاءت عائشة فسألته أن ينتقل إلى البيت الذي هي فيه فانتقل إليها وجاءت الأنصار من غد فأحدقوا بالباب وقالوا للغلام : استأذن لنا على رسول الله ، فقال الغلام : إنني مغشي عليه فجعلوا يبكون ، ثم إنني ﷺ أفاق فسمع البكاء فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : الأنصار فقال : من ههنا من أهل بيتي ؟ فقالوا : علي والعباس فدعا بهما وخرج متوكئاً عليهما واستند إلى جذع من جذوع مسجده واجتمع الناس حوله ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : معاشر الناس إنه لم يمض نبي قط إلا خلفت تركة وقد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما فمن ضيعهما ضيعه الله ، ألا وإن الأنصار كرشي وعيبتي التي أوى إليها أوصيكم بتقوى الله والإحسان إلى محسنهم والتجاوز عن مسيئهم ، وجعل الناس ممن لم يكن

في جيش أسامة يعودون رسول الله ﷺ ، ثم ينصرفون إلى سعد بن عبادة ويعودونه ثم إن رسول الله ﷺ دعا أسامة بن زيد وقال له : سر على بركة الله حيث أمرتك بمن أمرتك عليه وكان قد أمره على جماعة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وغيرهم وأمره أن يعبر على قرية وادي فلسطين وهو الموضع الذي قتل فيه أبوه زيد ، فقال أسامة : بأبي أنت وأمي يا رسول الله تأذن لي بالمقام حتى يشفيك الله فإنني متى خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي قلبي قرحة ، فقال : أنفذ يا أسامة لما أمرتك فإن القعود عن الجهاد لا يحب فخرج أسامة من يومه ذلك فعسكر على رأس فرسخ من المدينة فنادى منادي رسول الله : ألا لا يتخلف عن أسامة أحد ممن أمرته عليه ، قال : فلما رأى رسول الله ﷺ تتأقل الناس عن الخروج أمر قيس بن سعد بن عبادة وكان سياف رسول الله ﷺ والخباب بن المنذر أن يخرجوا في جماعة من الأنصار وأن يرحلوا القوم إلى عسكرهم فأخرجهم قيس وأصحابه حتى لحقوا بالعسكر وقالوا أسامة : إن رسول الله ﷺ لم يرخص لك في التأخير فسر من قبل أن يعلم بتأخرك فارتحل بهم أسامة وانصرف قيس ومن معه إلى رسول الله ﷺ وأعلمه بمسير القوم فقال رسول الله ﷺ : إن القوم غير سائرين ، فلما نزلوا أتى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة نحو أسامة وقالوا له : أين تذهب وتخلي المدينة ونحن أحوج من كل أحد إلى المقام بها ، فقال أسامة : وما ذاك ؟ قالوا : إن رسول الله ﷺ قد نزل به الموت والله لئن خلدنا المدينة ليلين الأمر علي بن أبي طالب وما وجهنا محمد ﷺ إلى هذا الوجه البعيد إلا لنخلي المدينة لعلي بن أبي طالب فيبايع له الناس ويستتم الأمر له ويفسد علينا جميع ما أبرمناه ، قال : فرجع القوم إلى المنزل الأول فأقاموا به وبعثوا رسولا يتعرف لهم الخبر وعلّة رسول الله ﷺ فأتى الرسول إلى عائشة وسألها عن ذلك سرّا فقالت له : امض إلى أبي بكر وعمر وقل لهما : إن رسول الله ﷺ قد ثقل حاله وازداد مرضه فلا يبرح أحد منكم وأنا أعرفكم الخبر وقتنا بعد وقت ، فلما اشتدت علّة رسول الله ﷺ دعت عائشة صهيباً الرومي وقالت له : امض إلى أبي بكر وعمر وأعلمهما أن رسول الله ﷺ في حال الإياس وقل له :

يدخل هو وعمر وأبو عبيدة بالليل ، فاتاهم صهيب وأخبرهم برسالة عائشة فأخذوا بيده وادخلوه على أسامة وأخبروه بما أرسلت عائشة واستأذنوه في الدخول فأمرهم وقال : لا يملنن بكم أحد فإن عوفي رسول الله رجعتكم إلى معسكركم وإن قبض رسول الله ﷺ عرفوني ذلك فأدخل فيما دخل فيه الناس ، فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ليلاً إلى المدينة ورسول الله ﷺ مغشي عليه فلما أفاق قال : والله لقد طرقت المدينة هذه الليلة شرٌ عظيم ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الذين أمرتهم بالخروج في جيش أسامة رجعت منهم قوم إلى المدينة مخالفين لأمري ألا وإنني إلى الله منهم بريء ، ويحكمهم فعدوا جيش أسامة - ثلاثاً - لعن الله من تخلف عنه ، حتى قالها - ثلاثاً - قال : وكان علي بن أبي طالب والفضل بن عباس لا يفارقانه في مرضه .

وكان بلال المؤذن يأتي في وقت كل فريضة إلى النبي ﷺ فيقول : الصلاة يا رسول الله ، فإن قدر على الخروج صلى بالناس وإن لم يقدر أمر علي بن أبي طالب أن يصلي بهم فلما أصبح رسول الله من ليلته التي قدم فيها القوم إلى المدينة أتاه بلال يؤذن بالصلاة فوجده قد ثقل عن الخروج فنادى الصلاة يرحمكم الله فأومى رسول الله ﷺ بيده - وكان رأسه في حجر علي - أن يصلي بالناس بعضهم فأنني مشغول بنفسي ، فقالت عائشة : مروا بأب بكر يصلي بهم ، وقالت حفصة : مروا عمر ، فلما سمع رسول الله ﷺ كلامهما ورأى حرص كل واحدة على تقديم أبيها قال لهم : اعفون ، ثم انعمي عليه فقالت عائشة لبلال : إن رسول الله قد انعمي عليه ورأسه في حجر علي فلا يقدر على مفارقتة فمر أبا بكر فليصل بالناس فظن بلال أن ذلك عن رسول الله فقال للناس : قد مروا أبا بكر وكان أبو بكر وعمر ومن معهما قد دخلا المسجد فأرسلت عائشة صهيباً الرومي إلى أبي بكر قد أمرت بلالاً يقول للناس صلوا بصلوة أبي بكر فتقدم حتى يأتيك بلال بالأمر فتقدم أبو بكر إلى المحراب فلما كبر أفاق رسول الله من غشوته فسمع التكبيرة فقال لعلي من يصلي بالناس قال : يا رسول الله إن عائشة وحفصة أمرتا بلالاً أن يأمر أبا بكر أن يصلي بالناس فقال : سننوني وأخرجوني إلى المسجد فقد نزلت والله بالإسلام فتنة

ليست بهنيئة ، ثم نظر إلى عائشة وحفصة نظر المغضب ، وقال : أما إنكن كصويحات يوسف ، يريد بذلك أن صويحات يوسف قد كذبن عليه وأردن مراد الشيطان الغوي من يوسف فشبهه رسول الله ﷺ عائشة وحفصة بهن حيث كذبن عليه لقولهن لبلال : إن رسول الله ﷺ مشغول بنفسه وعلي لا يقدر على مفارقتة فأمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، ثم خرج عليّ معصب الرأس يتهدى بين علي وبين الفضل بن العباس ورجلاه يخطآن إلى الأرض من الضعف فلمّا رأى المسلمون رسول الله قد دخل المسجد على تلك الحالة عظم ذلك عليهم ، فتقدم عليّ ونحى أبا بكر عن المحراب وصلى بالناس جالساً وبلال يسمع التكبير حتى أكمل رسول الله صلواته ثم التفت فلم ير أبا بكر فقال : أيها الناس ألاتعجبوا من ابن أبي قحافة وأصحابه أنفذتهم تحت راية أسامة إلى الوجه الذي وجهتهم له فرجعوا إلى المدينة ابتغاء الفتنة ألا وإن الله أركسهم فيها عرجوا بي إلى المنبر فقام منهمو كاً حتى أجلسوه على أدنى مرقاة منه فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس إنني مخلّف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض فتمسكوا بهما ولا تنفروا ولا تنفدوا مواهل بيتي فتمرقوا ولا تتأخروا عنهم فترهقوا وأوفوا بعهدي ولا تنكثوا ببعثي إنني بايعتموني عليها اللهم إنني قد بلغت ما أمرتني به ونصحت لهم ما استطعت وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، ثم قام فدخل حجرته ، ثم أمر من استدعى له أبا بكر وعمر ومن كان بالمسجد فقال لهم : ألم أمركم أن تنفذوا مع جيش أسامة فقال أبو بكر : إنني كنت قد خرجت ثم عدت لأجدد بك عهداً وقال عمر : إنني لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب ، فقال رسول الله ﷺ نفذوا جيش أسامة - يكررها ثلاثاً - لعن الله على من تأخر عن أمره ، ثم أغمي عليه لعظم ما لحقه من التعب والأسف على من تأخر عن أمره فبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده .

ثم أفاق فنظر إليهم وقال : ايتوني بدواة وبيضاء ، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا

بعدي ، ثم اُغمي عليه فقام بعض من حضريأتي بالدّواة والكتف فقال له عمر : ارجع فإن النبي يهجر ، ثم تلاوموا بينهم فقال بعضهم : أطيعوا رسول الله وأتوه بالدّواة والكتف ، وقال آخرون : أطيعوا عمر ، وقال آخرون : إننا لله وإننا إليه راجعون ، لقد أشفقنا من مخالفتنا لرسول الله . فلما أفاق قال بعض : ألانأتيك بالدّواة والكتف يا رسول الله ؟ فقال : أما بعد الذي قلتم لا ، ولكنني اُصيكم بأهل بيتي خيراً ، وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا ، وقال بعض العارفين في هذا المعنى :

أوصي النبي فقال قائلهم ☆ قد ظل يهجر سيّد البشر

ورأي أبا بكر أصاب ولم ☆ يهجر وقد أوصى إلى عمر

قال الرّأوي : و بقي عند الرّسول ﷺ علي بن أبي طالب والعبّاس بن عبد المطلب وأهل بيته ، فقال العبّاس : يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً فبشرنا وإن كنت تعلم أننا نغلب عليه فأوص بنا ، فقال : أنتم المستضعفون من بعدي وصمت ، فنهضوا وهم يبكون وقد آيسوا من النبي ﷺ فلما خرجوا من عنده قال لهم : ردّوا علي بن أبي طالب وعمّي العبّاس فلما حضر وأقال للعبّاس : يا عمّ تقبل وصييتي ، وتنجز عدتي ، وتنقضي ديني ؟ قال العبّاس : يا ابن أخي عمك شيخ كبير ذو عيال كثيرة وأنت تباري الرّيح سخاء وكرماً وعليك وعدّ لا ينهض به عمك ، فأقبل بوجهه على أمير المؤمنين ع قال : يا أخي تقبل وصييتي ، وتنجز عدتي ، وتنقضي ديني ، وتقوم بأمر أهلي من بعدي ؟ قال : نعم يا رسول الله فذاك أبي وأمي فقال له رسول الله ﷺ : أدن منّي ، فدنا منه فضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه وتعانقا وبكى كل منهما ثم نزع خاتمه من اصبعه ، وقال له : خذ هذا فضعه في يدك ودعا بسيفه ودرعه ولأمة حربه وفرسه وناقته وبغلته والتمس عصابته التي كان يشدها على بطنه إذا لبس سلاحه وخرج إلى الحرب ، فدفع ذلك كله إليه ، وقال : امض به على بركة الله إلى منزلك .

قال الرّأوي : واستأذن ابن عبّاس على رسول الله ﷺ فأذن له فلما دخل عليه قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد دنا أجلك ؟ قال : نعم ، قال : يا رسول الله فما

تأمرني به ؟ قال : يا ابن عباس خالف من خالف علياً ولا تكن لهم ظهيراً ولا ولياً ، فقال ابن عباس : يا رسول الله فلم لا تأمر الناس بترك مخالفته فبكي عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى اغمي عليه فلما أفاق قال : يا ابن عباس سبق الكتاب فيهم وعلم ربي والذي بعثني بالحق نبياً لا يخرج أحدٌ ممن خالفه من الدنيا وأنكر حقه حتى يغير الله ما به من نعمة ، يا ابن عباس إذا أردت أن تلقى الله وهو عنك راض فاسلك طريق علي بن أبي طالب ومل معه حيث ما مال وارض به إماماً وعاد من عاداه ووال من والاه ، يا ابن عباس احذر أن يدخلك شك فيه فإن الشك في علي كفر بالله .

ثم دخل عليه أصحابه يعودونه فلما اجتمعوا قام أبو بكر وقال : يا رسول الله متى الأجل ؟ قال : قد حضر ، قال أبو بكر : فالأين المنقلب ؟ قال : إلى سدرة المنتهى وجنة المأوى ، والرقيق الأعلى ، والكأس الأوفى ، والعيش المهتم ، قال أبو بكر : فمن يلي غسلك منا ؟ قال : رجل من أهل بيتي الأدينى فالأدينى قال أبو بكر : ففيما نكفناك ؟ قال : في ثيابي هذه أو في حلّة يمانية أو في بياض مصر ، قال أبو بكر : فكيف الصلاة عليك ؟ قال : فارتجت الأرض بالبكاء فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مهلاً عقاب الله عنكم فاذا غسلت وكفنت فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبوري ثم اخرجوا عني ساعة فإن الله تعالى أول من يصلي علي ، ثم الملائكة ، ثم ادخلوا علي زمرة زمرة وليبدأ بالصلاة علي الأدينى من أهل بيتي ، ثم النساء ، ثم الصبيان زمراً زمراً ، قال : فمن يدخلك في قبرك ؟ قال : الأدينى فالأدينى من أهل بيتي مع الملائكة لآزرونيهم ، فقوموا عني فأذنوا علي من ورائكم ، فقاموا .

ثم استأذن عليه جماعة أخرى فسلموا عليه فرد عليهم السلام ورحب بهم فقام من بينهم عمار بن ياسر - رضي الله عنه - وقال : فداك أبي وأمي يا رسول الله من يغسلك منا إذا فارقت الدنيا ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أخي وابن عمي علي بن أبي طالب ألا إنه لا يهملهم بعض مني إلا أعانته الملائكة عليه فقال له : فداك أبي وأمي يا رسول الله فمن يصلي عليك منا ؟ فقال : يا عمار - يرحمك الله - ثم قال : أين أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فأجابه بالتلبية لبنيك يا رسول الله صلى الله عليك فقال : يا ابن عمي

أجلسني وسند ظهري فأجلسه وسند صدره ، ثم قال : يا ابن العم إذا نزل بي الموت فضع رأسي في حجرك فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، ثم وجهني إلى القبلة ، ثم غسّلتني وكفّنتني في طمري هاتين أو في بياض مصر أو حبرة ، ولا تغال في كفني ، ثم صلّ عليّ أول الناس ، واعلم أن أول من يصلّي عليّ الجبار جلّ جلاله ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، ثم الخاقون بالعرش لا يحصي عددهم إلا الله ثم سكان أهل كلّ سماء فسماء ، ثم أهل بيتي يؤمون إيماء ما ويسلموا تسليماً ، لا تؤذوني بصوت ناد ولا مرزبة (١) ، ثم قال : يا بلال عليّ بالناس ، فلما اجتمعوا قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب : اقعدي عليّ مرتقع وسندي فاقامه وهو معصب الرأس حتى أجلسه عليّ كرسيّ وعليّ بن أبي طالب لازم بمنكبيه فحمد الله وأثنى عليه وذكر نفسه المقدّسة ونعاهها .

ثم قال : معاشر الناس أيّ نبيّ كنت لكم ؟ قالوا بأجمعهم : خير نبيّ ، قال : ألم أجاهد بين أظهركم ؟ ألم تكسر رباعتي ؟ ألم يعفر جبيني ؟ ألم تسلّ الدماء عليّ وجهي حتى وقعت لجنبي ؟ ألم اكابد الشدّة والجهد مع جهال قومي ؟ ألم أربط حجر المجاعة عليّ بطني ؟ قالوا بأجمعهم : بلي يا رسول الله لقد كنت على البلاء صابراً ، ولنعمائه شاكراً ، وعن المنكر ناهياً ، وبالمعروف آمراً ، فجزاك الله عنّا أفضل الجزاء ، قال : وأنتم جزاكم الله خيراً ، ثم قال : أيّها الناس لانيّ بعدي ولا سنة بعد سنتي فمن ادعى ذلك فهو في النار ، أيّها الناس أحيوا القصاص ، أحيوا الحقّ لصاحب الحقّ ولا تفرّقوا وسلّموا تسليماً « كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قويّ عزيز » أيّها الناس إن ربّي حكم وأقسم أن لا يجاوز ظلم ظالم إلا بعفو أو قصاص فأنشدكم بالله أيّ رجل كانت له من قبل تجرّ مظلمة أو قصاص إلا قام فيقتصّ منّي فإن القصاص في الدنيا أحبّ إليّ من القصاص في الآخرة عليّ رؤوس الأشهاد ، قال : فقام إليه رجل يقال له : سودة بن قيس فقال : فداك أبي وأمي يا رسول الله

(١) المرزبة بالباء الموحدة وهي عصية من حديد وفي بعض النسخ [مرزبة]

أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضاء و بيدك القضيب الممشوق
فرفعت القضيب وأنت تريد الناقة فأصاب بطني فلأدري عمداً أو خطأ فقال : معاذ الله
ياسودة أن أكون تعمّدت ، ثم قال : يا بلال قم إلى ابنتي فاطمة وأتني بالقضيب
الممشوق فخرج بلال ينادي في شوارع المدينة من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه
قبل يوم القيامة ، ثم أتى فاطمة رضي الله عنها فقال : يا فاطمة قومي فناوليني القضيب
الممشوق فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريده فصاحت فاطمة ما يصنع رسول الله بالقضيب
الممشوق وليس هذا يوم القضيب ؟ فقال بلال : يا فاطمة أما علمت أن أباك خطب
الناس ونعى نفسه فقد ودّع أهل الدين والدنيا ، فصاحت فاطمة وقالت : واحزنه
عليك يا ابتاه من للفقير والمسكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب ، ثم
إنها ناولت بلالاً القضيب فخرج به حتى ناوله رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أين الشيخ
فقال الشيخ : ها أنا ذا يا رسول الله ، فقال له : قم فاقصّ مني حتى ترضى قال
الشيخ : يا رسول الله اكشف لي عن بطنك فكشف صلى الله عليه وآله وسلم عن بطنه فقال الشيخ : بأبي
أنت وأمي يا رسول الله أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : قد أذنتك
فوضع الشيخ فمه على بطن رسول الله فقال : أعود بطن رسول الله من النار يوم القيامة
فقال صلى الله عليه وآله وسلم لسودة : أتغفواً تقتصّ فقال الشيخ : بل أغفو يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم :
اللهم اغف عن سودة بن قيس ممّا عفا عن نبيك .

ثم جعل صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أصحابه بالتمسك بسنته والاعتداء بعترته ويحدّثهم
مخالفة أهل بيته ، ثم إنّه أمر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يضجعه على فراشه . وقام
القوم عنه وقد آيسوا منه فلمّا كان من الغد حُجّب الناس عنه وكان عليّ رضي الله عنه لا يفارقه
فخرج صلى الله عليه وآله وسلم لحاجة ، فدخل عليه نساؤه فأفاق فافتقد عليّاً رضي الله عنه فقال لأزواجه :
ادعوا لي أخي وصاحبي فقالت عائشة : ادعوا له أبا بكر فدعي فلمّا نظر إليه أعرض
بوجهه عنه فقام أبو بكر وقال : لو كان له حاجة لأفضى بها إليّ فلمّا خرج قال :
ادعوا لي أخي وصاحبي فقالت حفصة : ادعوا له عمر فدعي فلمّا نظر إليه أعرض
بوجهه عنه فانصرف ، وقال : لو كان له حاجة لأفضى بها إليّ فلمّا خرج قال :

ادعوا لي أخي وصاحبي فقالت أم سلمة : ادعوا له علياً فوالله ما يريد غيره فدعي علياً عليه السلام فلما رآه أوى إليه فانكب عليه من تحت ثوبه فناجاه طويلاً ثم قام عليه السلام ناحية فقال له الناس بعد ذلك : ما الذي أوعز إليك قال : علمني ألف باب من العلم انفتح لي من كل باب ألف باب وأوصاني بما أنا عامل به إن شاء الله ، ثم إن أم سلمة استأذنت على رسول الله ﷺ فأذن لها فدخلت وسلمت عليه ، ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أراك متغيراً قال : نعتت إلي نفسي فسلام لك مني فلا تسمعون بعد اليوم صوت محمد أبداً ، فقالت أم سلمة : واحزن ناه لا تدركه الندامة عليك يا محمد ، فقال : يا أم سلمة ادعي لي حبيبتي وقرّة عيني وثمرّة فؤادي المظلومة بعدي فاطمة . فلما رآته قبلت رأسه وخديّه وقالت : نفسي لنفسك الغداء واكرباه لكربك يا أبتاه ففتح ﷺ عينيه وقال : يا بنيّة لا كرب على أبيك بعد اليوم فقالت : يا أبتاه إنني أراك مفارق الدنيا فقال لها : بنيّة إنني مفارقك فسلام لك مني فقالت : يا أبتاه فأين الملتقى يوم القيامة؟ قال : عند الحساب ، قالت : فان لم ألقك هناك ، قال : فعند الشفاعة طحبيك ، قالت : فان لم ألقك عند الشفاعة قال : عند الصراط جبرئيل عن يميني وميكائيل عن شمالي وبعلك علي بن أبي طالب أمامي بيده لواء الحمد والملائكة من خلفي ينادون رب سلم أمة محمد من النار ويسر عليهم الحساب قالت : فأين أممي خديجة قال : في قصر من لؤلؤة بيضاء له أربعة أبواب ثم أغمي عليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب عليه السلام فانكبت عليه تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وهي تقول :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ☆ شمال اليتامى عصمة للأرامل

يطوف به الهلاك^(١) من آل هاشم ☆ فهم عنده في نعمة وفواضل

قال : ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال لها بصوت ضعيف : يا بنيّة هذا قول عمك أبي طالب لا تقولينه ولكن قولني « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم^(٢) » فبكت طويلاً ، ثم إنّه عليه السلام أومأ إليها

بالدُّنوَّ منه ، فدننت منه حتَّى أدخلها تحت رداءه فناجيتها فرفعت رأسها وعينها
 تهملان دموعاً ثمَّ قال لها : ادني منِّي فدنت منه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك
 فتعجب الحاضرون من ذلك ، فقالت : نعى إليُّ نفسه فبكيت ، ثمَّ قال لي : يا بنيتي
 لا تجزعي على أبيك من الموت فإنِّي سألت ربِّي أن يجعلك أوَّل أهل بيتي لحوفاً
 بي وأخبرني ربِّي أنه استجاب لي فضحكت ، ثمَّ قال : يا بنيتي ادعي لي ولديَّ
 الحسن والحسين . فدعت بهما فلمَّا رآهما قبلهما وشمَّهما وجعل يترشَّفهما وعيناه
 تهملان دموعاً ، ثمَّ انعمي عليه فصاح الحسن والحسين عليهما السلام وقالا : يا جداه أنفسنا
 لنفسك الفداء ووجهنا لوجهك الوقاء وجعلنا يصيحان ويبكيان حتَّى وقعا على رسول
 الله صلى الله عليه وآله ، فأراد عليُّ عليه السلام أن ينحنيهما عنه فأفاق صلى الله عليه وآله وقال : يا عليُّ تنحني
 عنِّي ابني؟ دعني أشمَّهما ويشمَّاني وأنزودَ منهما ويتزوَّدان منِّي فهذا وداع
 لا تلاق بعده أما إنَّهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً فلعنة الله على قاتلهم وظالمهما ،
 ثمَّ قال : أما أنت يا أبا جَدٍ فتمتلك مسموماً مخذولاً مضطهداً ، وأما أنت يا أبا عبد الله
 فتمتلك عطشاناً غريباً فلعنة الله على أُمَّة قتلوك يا بنبي .

قال : وكان جبرئيل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه في كلِّ يوم وليلة
 فيقول : السلام عليك يا رسول الله إنَّ ربَّك يقرئك السلام ويقول : كيف تجدك وهو
 أعلم بك ولكنَّه أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً إلى ما أعطاك وأراد أن يكونَ عيادة
 المريض سنةً في أُمَّتك فإن كان النبيُّ موجباً أي حاله خفيف قال : أجدني موجباً
 فيقول له جبرئيل أحمد الله تعالى على ذلك فإنَّه يحبُّ أن يحمد ويزيد في شكره ،
 وإن كان وجعاً قال : أجدني وجعاً فيقول جبرئيل : يا جدَّ إنَّ ربَّك لم يشدِّد عليك
 وما من أحد من أحد من خلقه أكرم عليه منك ولكن أحبُّ أن تحمده وتشكره حتَّى تلقاه
 مستوجباً للدَّرَجَة العُلْيَا والثواب الدَّائم والكرامة على جميع الخلق . قال أمير المؤمنين
عليه السلام : وإنَّ جبرئيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في الوقت الذي ينزل عليه
 فيه فلمَّا حسست بنزوله قلت لمن كان في البيت أن يتنحني فلمَّا دخل على رسول الله
صلى الله عليه وآله جلس عند رأسه ، ثمَّ قال عليه السلام : السلام عليك يا رسول الله إنَّ ربَّك يقرئك

السلام ويسألك كيف تجدك وهو أعلم بك فقال له : أجدني ميتاً ، فقال جبرئيل : يا محمد أبشر فإن الله تعالى إنما أراد أن يبلغك بما تجد ما أعد لك من الكرامة . قال أمير المؤمنين عليه السلام : ثم إن رجلاً استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرجت إليه وقلت له : ما الذي تريد ؟ قال : أردت الدخول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : لست تصل إليه فما حاجتك ؟ فقال الرجل : إنه لا بد من الدخول عليه فدخل علي صلى الله عليه وآله وسلم واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له فدخل الرجل وجلس عند رأسه ، ثم قال : السلام عليك يا رسول الله فقال له : وعليك السلام فما حاجتك ؟ فقال الرجل : إنني رسول الله إليك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : وأي رسل الله أنت ؟ فقال : أنا ملك الموت أرسلني إليك ربك وهو يقرئك السلام ويخبرك بين لقائه وبين الرجوع إلى الدنيا فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أمهلني حتى ينزل جبرئيل عليه السلام فيسلم علي وأسلم عليه وأستشيره فخرج ملك الموت من عنده واستقبله جبرئيل في الهواء فقال : يا ملك الموت قبضت روح محمد ؟ قال : لا يا جبرئيل سألتني أن لا أقبضه حتى تأتبه فتسلم عليه ويسلم عليك ويستشيرك فقال جبرئيل : يا ملك الموت أما ترى أبواب السماء مفتحة لروح محمد ؟ أما ترى الحور العين قد تزينت لمحمد ، ثم نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ، فقال : وعليك السلام يا حبيبي جبرئيل إن ملك الموت استأذن علي فأذنت له فأراد قبض روحي فاستنظرته مجيئك ، فقال له جبرئيل : يا محمد إن ربك مشتاق وما استأذن ملك الموت على أحد قبلك ولا يستأذن على أحد بعدك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا جبرئيل إن ملك الموت قد خيرني عن ربي بين لقائه وبين الرجوع إلى الدنيا فما ترى يا حبيبي جبرئيل ؟ فقال جبرئيل : يا محمد «والآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى» لقاء ربك خير لك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لقاء ربي خير لي ، لا تبرح يا حبيبي جبرئيل حتى يجيء ملك الموت فما كان إلا ساعة حتى نزل ملك الموت فقال : السلام عليك يا محمد ، فقال : وعليك السلام يا ملك الموت ، ما تريد أن تصنع ؟ قال : قبض روحي ، فقال : إمض لما أمرت به ، فقال جبرئيل : يا محمد هذا آخر يوم أهبط فيه إلى الدنيا فقال صلى الله عليه وآله وسلم

يا حبيبي جبرئيل أدن منِّي فدنا منه فكان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله وملك الموت قابض لروحه المقدسة فقال جبرئيل : يا ملك الموت لا تعجل حتى أخرج إلى ربِّي وأهبط ، فقال ملك الموت : قد صارت روحه في موضع لا أقدر على تأخيرها فعند ذلك قال جبرئيل : يا محمد هذا آخر هبوطي إلى الدنيا إنما كنت حاجتي فيها والآن أعود إلى السماء ولا أنزل إلى الأرض أبداً ، ثم إن رسول الله ﷺ قال لعليّ ﷺ : أدن منِّي يا أخي فقد جاء أمر الله فدنا منه حتى أدخله تحت ثوبه الذي عليه ووضع ﷺ فاه في أذنه ففاجاه طويلاً حتى خرجت نفسه الطيبة ﷺ وكان ﷺ كلما كشف الثوب عن وجهه نظر إلى جبرئيل ﷺ فقال : عند الشدائد لم تخذلني يا حبيبي فقال جبرئيل يا محمد « إنك ميت وإنهم ميتون » « كل نفس ذائقة الموت » ثم قال جبرئيل : يا ملك الموت احفظ وصية الله في روح محمد ، فلما قضى نحبه ويد عليّ تحت حنكه الشريف ففاضت نفسه الشريفة فيها فمسح بها وجهه ووجهه إلى القبلة وغمض عينيه ثم أنسل ﷺ من تحت الثوب المغطى به وهو يبكي و قال لمن حضر : أعظم الله أجوركم في نبيكم فقد قبضه الله إليه .

قال : فارتفعت أصوات الناس بالبكاء والنحيب ، ثم إن أمير المؤمنين ﷺ استدعى الفضل بن عباس وأمره أن يناوله بعد أن عصب عينيه ثم غسله صلوات الله عليه كما أمره فلما فرغ من غسله حنطه وكفنه ، واختلف أصحابه وأهل بيته في أفضل البقاع و إنِّي لدافنه في البيت الذي قبض فيه (١) ، ثم إن العباس بن عبد المطلب بعث إلى عبدة بن الجرّاح وكان يحفر لأهل مكة القبور و ضريح وكان ذلك عادة أهل مكة و بعث عليّ ﷺ يزيد بن سهل يحفر له لحداً في حجرته ، ثم إن علياً ﷺ وضع رسول الله على سريره على شفير قبره ، ثم إنّه صلى عليه وحده لم يشرك أحد في الصلاة عليه فكان المسلمون يخوضون فيمن يؤمّمهم في الصلاة عليه وأين يدفن فخرج أمير المؤمنين ﷺ إلى من كان في المسجد من بني هاشم والمهاجرين والأنصار ممن لم يحضر السقيفة وقال : إن رسول الله ﷺ إمامنا حياً

(١) كذا . وفي بعض النسخ [انى لادفته] .

وميتاً فلم يدخل إليه منكم فوج فوج فيصلون عليه وإن الله تعالى لم يقبض نبياً من أنبيائه في مكان إلا ارتضاه لرمسه فيه وإنني لدافنه في حجرته التي قبض فيها فأطاعه القوم ورضوا بقوله ، ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام نزل القبر هو والعباس ابن عبد المطلب والفضل بن عباس فنادت الأنصار من وراء البيت : يا علي إننا نذكرك الله وحقننا اليوم من رسول الله ﷺ أن يذهب أدخل منا رجلاً يكون لنا حظاً في مواراة رسول الله فقال عليه السلام : ليدخل أو س بن خولي وكان بدرياً فاضلاً من الخزرج ، فلمّا دخل قال له علي عليه السلام : انزل القبر فنزل فوضع أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله على يديه ودلاه في حفرته فلمّا حصل في الأرض قال له : اخرج يا أو س فخرج ونزل علي عليه السلام القبر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ ووضع خده الأيمن على الأرض موجهاً إلى القبلة ، ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب .

وكان وفاته ﷺ يوم الاثنين للميلتين بقيتاً من شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة . وفات أكثر الناس الصلاة عليه ولم يحضروا دفنه واشتغلوا بأمر الخلافة في سقيفة بني ساعدة واغتم أبو بكر الفرصة لعلمه أنه لو تواني عن طلب الخلافة حتى يفرغ أمير المؤمنين من تجهيز رسول الله ﷺ قبل أن يحكموا أمرهم لم يستتم لهم ما يريدون فسبقوا إلى ولاية الأمر وذلك لاختلاف الأنصار فيما بينهم وكرهية الطلقاء والمنافقين والمؤلفة قلوبهم لأمر المؤمنين عليه السلام وعلموا إن تأخر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم من تجهيز رسول الله ﷺ استقر الأمر مقره ويتولّى الأمر أمير المؤمنين عليه السلام فيخيبوا مما أملوه ولذلك سابقوا إلى طلب الخلافة - القصة بطولها أخذنا منها موضع الحاجة مما يتعلق بوفاته ﷺ دون ما يتعلق بأمر الخلافة فإنه ليس هنا محل ذكر ذلك .

❖ (الباب الخامس) ❖

❖ (في كلام المحتضرين من الصالحين) ❖

أقول : وقد ذكر أبو حامد في هذا الباب أقاويل الصحابة والتابعين وطائفة من الصوفية عند موتهم وبكاء بعضهم حينئذ وضحك بعضهم ونسب إلى بعضهم الطرب

والاستبشار والسرور عند موته مع أنه ذكر في باب وفاة رسول الله ﷺ أنه اشتد في النزاع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حينه وتغير لونه و عرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى طصرعه من حضره وانتحب لشدته حاله من شاهد منظره ، ولم يمهل ملك الموت ساعة وذكر في الحكايات السابقة أن ملك الموت أمهل رجلاً حتى توضحاً وصلى ركعتين وذكر في شأن الخليل والكليم في باب سكرات الموت ما سمعت وهذا من أعجب العجائب ولنطو ما ذكره في هذا الباب طيباً فإن بعضه كلمات لا طائل تحتمها وبعضه رعونات ودرعاوي ، ينادي أكثرها بالأعجاب .

قال في آخر الباب : فهذه أقاويلهم وإنما اختلف بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتركلم كل واحد من مقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم .

❖ (الباب السادس) ❖

❖ (في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور) ❖
 أعلم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير لأهل النطقة فأما أهل الغفلة فإنه لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ، أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرّون ، ولا يتفكّرون أن المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانهم ، فلا ينظرون عبد إلى جنازة إلا وينبغي أن يعد نفسه محمولاً عليها فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد و لعله في غد أو بعد غد فروي عن بعضهم أنه كان إذا رأى جنازة قال : امض و أنا على الأثر .

ثم ذكر أبو حامد مقالات قوم على الجنائز من هذا القبيل ، ثم قال : فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لانظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكّر أقرانه

وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ، ولا يتفكر واحد منهم إلا ماشاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حملت عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قساوة القلوب بكثرة المعاصي والدنوب حتى نسينا الله واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنيننا فنسأل الله تعالى البيقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكأؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت لأنهم بالبكاء على أنفسهم أحرى من البكاء على الميت .

فمن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والمشى على هيئة النواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فنّ الفقه ومن آدابه حسن الظنّ بالميت وإن كان فاسقاً وإساءة الظنّ بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإنّ الخاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها ، ولذلك روى عمر بن ذرّ أنّه مات واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليه فلما أدلى في قبره وقف على قبره وقال : رحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا : مذنب وذو خطايا فمن متاً غير مذنب وغير ذي خطايا ، وحكي أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدربه أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملوه إلى المصلّى فما صلى عليه أحدٌ فحملوه إلى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضوع زاهد من الزهاد الكبار قرآه كالمُنْتَظَر للجنازة فقصد أن يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد بأنّ الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلّوا عليه وتعجّب الناس من صلاة الزاهد عليه ، فقال لهم : قيل لي في المنام : انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصلّ عليه فإنّه مغفورٌ له فزاد تعجّب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وإنّه كيف كانت سيرته ، قالت : كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولاً بشرب الخمر ، فقال : انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير ، قالت : نعم ثلاثة أشياء كان كل يوم يفيق عن سكره وقت الصبح فيبدّل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح بالجماعة

ثمَّ يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق . والثاني أنَّه كان أبداً لا يخلو بيته عن يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم . والثالث أنَّه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول : يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ويعني به نفسه فانصرف الزاهد وارتفع إشكاله في أمره .

﴿ بيان أحوال القبر وأقاويلهم على القبور ﴾

قال الضحاك : قال رجل يا رسول الله : « من أزهّد الناس ؟ قال : من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد غداً من أيامه ، وعدّ نفسه من أهل القبور (١) . »

وقيل لعليّ عليه السلام : ما شأنك جاورت المقبرة قال : « إنني أجدهم خير جيران إنني لأجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة . »

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما رأيت منظرأ إلا والقبر أفضع منه (٢) . »

وقال أبو ذرّ : ألا أخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبوري (٣) .

و كان أبو الدرداء يقعد إلى القبور وقيل له في ذلك ، قال : أجلس إلى قوم يدكروني معادي ، وإن قمت لم يغتابوني (٤) . »

و قال أبان بن أبي عيَّاش التيمي : حضر الحسن مع أصحابه في جنازة النّوّاء ،

بنت أعين بن صبيعة امرأة الفرزدق للرغبة في الخير أو رهبة من لسان الفرزدق فلمّا

صلّوا عليها أتواها فجلس الحسن ناحية وأصحابه والفرزدق ناحية وأصحابه ، فقال

الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد يزعم الناس أنَّه حضر في هذه الجنازة خير الناس

وشرّ الناس ، فقال الحسن : ومن يعنون به يا أبا فراس ؟ قال الفرزدق : يعنون أني

شرّ الناس وأنك خير الناس فقال الحسن : كلاً ما أنا بخير الناس ولا أنت بشرّ

(١) رواه ابن ابى الدنيا فى القبور مرسل كما فى الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٦٧ من حديث عثمان بن عفان .

(٣) و(٤) تقدما فى المجلد الثالث ص ٤١٨ .

الناس ، ثم قال : يا أبا فراس ما قدّمت لهذه الحفرة ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله
ثمانون سنة ، فقال الحسن : خذوها من غير فقيه ، ثم قال : يا أبا فراس هذا العمود
فأين الأطناب ؟ يعني هذا القول فأين العمل ؟ ثم قال الفرزدق : يا أبا سعيد
أبيات عرضت لي تسمعتها فقال : هات فإنك تحسن أن تقول فأنشأ ويقول :

أخف وراء القبر إن لم تعافني ☆ أشد من القبر إلتهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد ☆ عنيف وسوق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ☆ إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يقاد إلى نار الجحيم مسربلاً ☆ سراويل قطران لباساً محرّفا
إذا شربوا فيها الصيد رأيتهم ☆ ينوبون في حرّ الصيد يمزّفا
قال : فما رجع الناس إلا باكين من قول الفرزدق حتّى خضبوا لحاهم وقد
أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحاتها ☆ من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرّم منكم في قعرها ☆ قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون الذي القبور فواحد ☆ لا يستبين الفضل في درجاتها
لوجاوبوك لأخبروك بالسن ☆ تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة ☆ يفضي إلى ماشاء من دوحاتها
والمجرم الطاعي بها متقلّب ☆ في حفرة يأوي إلى حيساتها
وعقارب تسعى إليه فروحه ☆ في شدة التعذيب من لدغاتها

أقول: ثم ذكر أبو حامد كلمات طائفة من هذا القبيل ثم ذكر أبيات

وجدت مكتوبة على القبور ، منها :

تتاجيك أجداث وهن سكوت ☆ وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ☆ لمن تجمع الدنيا وأنت تموت
منها :

إنّ الحبيب من الأحباب مختلس ☆ لا يمنع الموت بواب ولا حرس

- فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعدُّ عليه اللحظ والنفس
 أصبحت يا غافلاً في النقص منغمساً * وأنت دهرك في اللذات منغمس
 لاتأمن الموت في طرف ولا نفس * وإن تستترت بالحجاب والحرس
 لا يرحم الموت ذا جهل لغرته * ولا الذي كان منه العلم مقتبس
 كم أخرس الموت في قبر وقفت به * عن الجواب لساناً ما به خرس
 قد كان قصر ك معموراً له شرف * فقبرك اليوم في الأحداث مندرس
 ومنها غير ذلك :

قال أبو حامد : فهذه أبيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل
 الموت والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعدُّ للحوق
 بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم ولينتحقق أنه لو عرض عليهم
 يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا
 بخدا فيرها لأنهم قد عرفوا قدر الأعمار وانكشف لهم حقائق الأمور وإنما حسرتهم
 ليوم من العمر ليتدارك المقصّر فيه تقصيره فيتخلص عن العقاب ، و ليستزيد الموفق
 به رتبته فيتضاعف له الثواب ، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعهم فحسرتهم
 على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت
 مضيع لها ، فوطن نفسك على التحسّر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار
 إن لم تأخذ نصيبك من ساعاتك على سبيل الاستعداد فقد قال بعض الصالحين :
 « رأيت أحاً لي في الله فيما يرى النائم فقلت : يا فلان عشت حميداً الحمد لله ربّ
 العالمين قال : لأن أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله ربّ العالمين أحب إلي من الدنيا
 وما فيها ، ثم قال ، ألم ترحميت كانوا يدفنونني فإن فلاناً قد قام فصلّي ركعتين لأن
 أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها .

❖ (بيان أقوالهم عند موت الولد) ❖

حقّ على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله بعد تقدّمه عليه في
 الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه

لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بأنه لاحق به على القرب و ليس بينهما إلا تقدم وتأخر، وهكذا الموت فإن معناه السابق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر، وإذا اعتقد هذا قل جزعه و حزنه لاسيما و قد ورد في موت الولد من الثواب ما يتعزى به كل مصاب قال رسول الله ﷺ: «لأن أقدّم سقطاً أحب إليّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله^(١)» وإنما ذكر السقط تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محلّ الولد من القلب.

أقول: وعن الصادق عليه السلام: «ولد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين ولداً يخلفهم بعده كلهم قدر كبوا الخيل وجاهدوا في سبيل الله»^(٢).
وعنه عليه السلام: «من قدّم من المسلمين ولدين يحتسبهما عند الله حجباها من النار باذن الله^(٣)».

وقال عليه السلام: «إن الله إذا أحب عبداً قبض أحبّ ولده إليه^(٤)».
وقال عليه السلام: «ثواب المؤمن من ولده إذا مات الجنة، صبراً ولم يصبر^(٥)».
وقال عليه السلام: «إن الله يعجب من الرجل يموت ولده وهو يحمد الله فيقول: يا ملائكتي عبيدي أخذت نفسه وهو يحمدني^(٦)».

قال أبو حامد: وقال زيد بن أسلم: «توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً فقيل له: ما كان عدله عندك؟ قال: ملء الأرض ذهباً قيل له: فإن لك من الأجر مثل ذلك. وقال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له الجنة من النار؛ فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ: أو اثنان قال: أو اثنان^(٧)» وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه

(١) ما عثرت عليه الاعلى ما أخرجه ابن ماجه فى السنن تحت رقم ١٦٠٧ هكذا

« لسقط اقدمه بين يدي أحب الى من فارس أخلفه خلفي » .

(٢) الكافى ج ٣ ص ٢١٨ تحت رقم ١ .

(٣) و(٤) و(٥) و(٦) الكافى ج ٣ ص ٢١٩ و ٢٢٠ تحت رقم ٥٦ و ٩٠٨ .

(٧) أخرجه البخارى ج ٢ ص ٨٨ من حديث ابى سعيد الغدرى ورواه عبدالله بن

احمد والطبرانى فى الكبير و ابو يعلى و رجاله ثقات كما فى مجمع الزوائد ج ٣ ص ٨ .

أرجى دعاء وأقربه إلى الاستجابة .

وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال : اللهم إنني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي . ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال : اللهم إنني قد غفرت له ما وجب لي عليه من حقي فاغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم . ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال : اللهم إنني وهبت له ما قصر فيه من برّي فهب له ما قصر فيه من طاعتك .

ولما مات ذرّ بن عمر بن ذرّ قام أبوه عمر بن ذرّ بعدما وضع في لحدّه فقال . يا ذرّ لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ اللهم إن هذا ذرّ متّعني به ما متّعني ووفّيته أجله ورزقه ولم تظلمه ، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي ، اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي فقد وهبت له ذلك فهب له عذابه ولا تعدّ به ، فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه : ما علينا من بعدك خاصة يا ذرّ وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتر كناك ولو أقمنا ما نفعناك .

ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال : ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن ، فقالت : يا عبدالله إنني لفي حزن شديد ما يشركني فيه أحد ، قال : وكيف ؟ قالت : إن زوجي ذبح شاة في يوم الأضحى و كان له صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر : أتريد أن أريك كيف أبي يذبح الشاة قال : نعم فأخذه وأضجعه ثم ذبحه فما شعرنا به إلا متشحطاً في دمه^(١) فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه^(٢) ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحرّ قالت : فأفردني الدهر كما ترى . فأمثال هذه المصائب ينبغي أن يتذكّر عند موت الأولاد ليتسلّى به عند شدة الجزع فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كلّ حال فهو الأكثر .

(١) التشحيط الاضطراب في الدم .

(٢) رهقه أى لحقه أودنا منه سواء أخذ أو لم يأخذ .

﴿ بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به ﴾

إعلم أن زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكّر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرّك مع الاعتبار ، وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن فيها (١) .

فقد روى عليّ بن الحسين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها فإن في زيارتها تذكّرة للأخرة غير أن لا تقولوا هجرأ » (٢) .
وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنّع فلم يربا كياً أكثر من يومه (٣) ،
وقال أبو ذرّ - رضي الله عنه - : قال رسول الله ﷺ : « زر القبور تذكّر بها الآخرة
واغسل الموتى فإن في معالجة جسد خاوي موعظة بليغة ، وصلّ على الجنائز لعلّ
ذلك أن يحزنك فإنّ الحزين في ظلّ الله » (٤) قال ابن أبي مليكة : قال رسول الله
ﷺ : « زوروا موتاكم فسلموا عليهم فإنّ لكم فيهم عبرة » (٥) .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليّ بن الحسين « إنّ فاطمة بنت النبيّ كانت تزور قبر
عمّها حمزة في الأيام فتصليّ وتبكي عنده » .

أقول وفي الفقيه « إنّها عليّ بن الحسين تأتي قبور الشهداء كلّ غداة سبت فتأتي قبر
حمزة فترحمّ عليه وتستغفر له » (٦) .

وروي عن محمد بن مسلم أنه قال : « قلت لأبي عبد الله ﷺ : الموتى نزورهم ؟

(١) مسلم ج ٣ ص ٦٥ من حديث بريدة

(٢) رواه احمد وابويعلى دون قوله : « ولا تقولوا هجرأ » ورواه بتمامه الطبراني

في الكبير والاوسط بهذه الزيادة من حديث ابن عباس كما في مجمع الزوائد ج ٣
ص ٥٨ و ٥٩ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٣٧٥ وقال : هذا حديث صحيح على
شرط الشيخين .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٧٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور مرسلًا واصله حسن . (المغني)

(٦) المصدر باب التعزية والجزع تحت رقم ٣٦ .

فقال : نعم ، قلت : فيعلمون بنا إذا أتيناهم ؟ فقال : إي والله إنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم ، قال : فأي شيء نقول إذا أتيناهم ؟ قال : قل : « اللهم جاف الأرض عن جنوبهم وصاعد إليك أرواحهم ولقنهم منك رضواناً واسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم و تونس به وحشتهم إنك على كل شيء قدير (١) » .

وقال الرضا عليه السلام : « ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عليه إننا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرّات إلا غفر الله له ولصاحب القبر (٢) » .

قال أبو حامد : وقال النبي صلى الله عليه وآله : « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب عند الله باراً (٣) » .

وعن ابن سيرين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الرجل ليموت والداه وهو عاقٌّ بهما فيدعو الله لهما من بعد موتهما فيكتبه الله من البارين (٤) » .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي (٥) » .
وقال النبي صلى الله عليه وآله : « من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة (٦) » .

وقال كعب : ما من فجر يطلع إلا وينزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم ذلك فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه .

(١) و(٢) المصدر باب التعزية والجزع تحت رقم ٣٩ و ٤٠ .

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كما في

الجامع الصغير .

(٤) قال العراقي : رواه ابن ابى الدنيا فى القبور وهو مرسل صحيح الاسناد .

(٥) رواه البزار فى مسنده من حديث عبدالله بن ابراهيم الغفارى كما فى مجمع

الزوائد ج ٤ ص ٢

(٦) روى نحوه الطبرانى من حديث ابن عمر ، وصححه ابن السكن . (المعنى) .

أقول : ثم ذكر أبو حامد ما يتعلق بزيارة القبور من الآداب وغيرها مما لا نعتد عليه فلنعرض عنه ونذكر مكانه ما ورد من طريق الخاصة فعن الصادق عليه السلام « أنه سئل كيف التسليم على أهل القبور ؟ فقال : نعم تقول : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا فرط ونحن إن شاء الله بكم لاحقون ^(١) » . وقد ورد في زيارة الميِّت أهله أخبار عن أهل البيت عليهم السلام وهذا مما لم يذكره أبو حامد وكأنه لم يصل إليه منه شيء ، ففي الفقيه « سأل إسحاق بن عمار أبا الحسن الأوَّل عليه السلام عن المؤمن يزور أهله ؟ فقال : نعم ، قال : في كم ؟ قال : على قدر فضائلهم منهم من يزور في كلِّ يوم ، ومنهم من يزور في كلِّ يومين ، ومنهم من يزور في كلِّ ثلاثة أيَّام قال : رأيت في مجرى كلامه أنه يقول : أدناهم جمعة فقال له في أيِّ ساعة ؟ قال : عند زوال الشَّمس أو قبيل ذلك فيبعث الله معه ملكاً يريه ما يستر به ويستتر عنه ما يكرهه فيرى سروراً ويرجع إلى قرَّة عين ^(٢) » .

وروى حفص بن البخترى عن أبي عبد الله عليه السلام « أن الكافر يزور أهله فيرى ما يكرهه ويستتر عنه ما يحبُّ ^(٣) » .

قال أبو حامد : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما الميِّت في قبره إلا كالغريق المتعوث ينظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها وإنَّ هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار ^(٤) » .

وقال بعضهم : مات أخُّ لي فرأيتُه في المنام فقلت له : ما كان حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال : أتاني آت بشهاب من نازفلو لأنَّ داعياً دعا لي لرأيت أنه سيصيبني شيء منه .

أقول : في الفقيه قال عمر بن يزيد : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيصلي عن الميِّت ؟ قال : نعم حتَّى أنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق ثمَّ يؤتى

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٢٩ تحت رقم ٥ .

(٢) و(٣) المصدر باب التعزية والجزع تحت رقم ٤١ و٤٢ .

(٤) أخرجه أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس (المعنى)

فيقال له : خَفَّفَ عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك قال : فقلت له : فأشرك بين رجلين في ركعتين؟ قال : نعم ، فقال عليه السلام : إن الميت ليفرح بالترحم عليه والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدي إليه ^(١) .
وقال عليه السلام : « من عمل من المسلمين عن ميت عملاً صالحاً أضعف له ونفع الله به الميت ^(٢) » .

قال أبو حامد : وعن هذا يستحب تلقي الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي : شهدت بأمامة الباهلي وهو في النزاع فقال : يا أباسعيد : إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « إذا مات أحدكم فسوِّتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول : يا فلان بن فلان - وإنه يسمع ولا يجيب - ثم ليقل يا فلان بن فلانة - الثانية - فإنه يستوي قاعدائم ليقل : يا فلان ابن فلانة - الثالثة - فإنه يقول : أرشدنا رحمة الله - ولكن لا تسمعون - فيقول له : اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنتك رضىت بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً فإن منكر أو نكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول : انطلق بنا نقعد عند هذا ولقد لقن حجته ويكون الله تعالى حجيجه دونهما ، فقال رجل : يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال : فلينسبه إلى حواء ^(٣) والمقصود من زيارة القبور للزائرين الاعتبار والممزرور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاءه وكيف يبعث من قبره وأنه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف ابن أبي بكر الهذلي قال : كانت عجوز في بني عبد قيس متعبدة فكانت إذا جاء الليل تحزمت ^(٤) ثم قامت إلى المطحراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغني أنها

(١) و(٢) المصدر باب انتزعة والجزع تحت رقم ٥٥٥٣ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير بسند مجهول كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٤٥ .

(٤) تحزم أى شد وسطه بجبل أو شبهه .

عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت : إنَّ القلب إذا قسا لم يلبسَه إلا رسوم البلى وإني لأتِي القبور فكأنِّي أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنِّي أنظر إلى تلك الوجوه المتعفِّرة ، وإلى تلك الأجسام المتغيِّرة ، وإلى تلك الأَكفان الدَّسمة فيالها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ، ما أنكل مرارتها لأنفس ، وأشدَّ تلقها للأبدان . ويستحبُّ أيضاً الثناء على الميِّت وأن لا يذكر إلا بالجميل ، قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تتعوا فيه ^(١) » وقال ﷺ : « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء » ^(٢) « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا ^(٣) » . وقال ﷺ : « لاتذكروا أمواتكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه ^(٤) » .

❖ (الباب السابع) ❖

❖ (في حقيقة الموت وما يلقيه الميِّت في القبر إلى نفخة الصور) ❖

بيان حقيقة الموت : اعلم أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وظن قوم أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا ينعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر ، وقال آخرون : إنَّ الرُّوح باقية لاتنعدم بالموت وإنَّما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وإنَّ

(١) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٧٣ من السنن .

(٢) أخرجه الترمذى ج ٩ ص ١٥١ وأحمد في مسنده من حديث المغيرة .

(٣) أخرجه البخارى ج ٣ ص ١٢٣ من حديث عائشة . وأحمد ج ٦ ص ١٨٠ من

مسنده أيضاً .

(٤) قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في الموت هكذا باسناد ضعيف من حديث

عائشة و هو عند النسائي جيد مقتصرأ هكذا « لاتذكروا موتاكم الا بخير » . وذكره

بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائي والطبراني .

الأجساد لاتبعث ولا تعشر أصلاً ، وكل هذه الظنون فاسدة و مائلة عن الحق ، بل الذي يشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغيير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمامعدة وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها لتبسط باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من دون آلة وكذلك قد تتألم بنفسها بأنواع الحزن والكمد ، وتتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لايتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده ، وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه ولشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فيكون الروح العاملة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها ، وكل الأعضاء آلات للروح وهي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ، ولا تبطل منها الأفراح والغموم ، ولا يبطل منها قبولها الآلام واللذات والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات وذلك لايموت أي لاينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون له آلة كما أن معنى الزمانه خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة ، فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها ، حقيقة الإنسان نفسه وروحه هي باقية نعم تغيير حاله من جهتين إحداهما أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه ، وسلب منه خيله ودوابه وغلमानه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه

الأشياء فإنّ المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرّجل وتارة بأن يسبى الرّجل عن المال والألم واحد في الحالتين وإنّما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدّنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويتقيّد بوجوده فيعظم تحسّره عليه بعد الموت ويتضاعف شقاؤه في مفارقتها ، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاعه وعقاره حتّى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلاّ بذكر الله ولم يأنس إلاّ به عظم نعيمه وتمّت سعادته إذ خلّي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل ، إذ جميع أسباب الدّنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة ، والثاني أنّه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له في الحياة كما قد ينكشف للمتقيّظ ما لم يكن مكشوفاً له في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضرّه وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوي في سرّ قلبه و كان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدّنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيّئةٍ إلاّ وينحسّر عليها تحسّراً يؤثّر أن يخوض غمرة النار للخلاص من ألم تلك الحسرة، وعند ذلك يقال له : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدّفن ، و تشتعل فيه نيران الفراق أعني فراق ما كان يطمئنّ إليه من هذه الدّنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزّاد والبلغة فإنّ من طلب الزّاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقتها بقية الزّاد إذ لم يكن يريد الزّاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدّنيا إلاّ بقدر الضرورة وكان يودّ أن تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل له ما كان يودّه واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدّفن ثمّ بعد الدّفن قد تردّ روحه إلى الجسد بأنواع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعّم بالدّنيا المطمئنّ إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرّيمه اعتماداً على أنّ الملك يتساهل في أمره أو على أنّ الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة وعرض عليه

جريدة قد دون فيها جميع فواحشه وجنباياته ذرة ذرة وخطوة خطوة ، والمملك قاهر متسلط وغيور على حرمة ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملنفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه فانظر إلى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والتندم ، فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به ، بل عند موته ، نعوذ بالله منه فإن الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما ، فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهداً ولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة ، نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة حقيقة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها ولم يؤذن الرسول ﷺ أن يتكلم فيها ولأن يزيد على أن يقول «الروح من أمر ربي» فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ، ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة أما الآيات فما ورد في الشهداء قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ^(١) » ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله ﷺ فقال : « يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقيل : يا رسول الله أتناديهم وهم أموات ؟ فقال ﷺ : و الذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرّون على الجواب ^(٢) » فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفة الآيات نص في بقاء أرواح الشهداء ، ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة وقال ﷺ : « القبر إما حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنة ^(٣) » وهذا نص صريح في أن الموت معناه تغيير حال فقط

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٣٦ من حديث عمر بن الخطاب .

(٣) أخرجه الترمذى وغيره وتقدم في الخوف والرجاء .

وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب و الثواب دون أصله .

و روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته ^(١) » وقال النبي ﷺ : « إدامات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة و إن كان من أهل النار فمن النار يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة ^(٢) » و ليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب و نعيم في الحال .

و قال علي بن أبي طالب : « حرام على كل نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار ^(٣) » و لهذا قيل : إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه و روحه مثل رجل كان في سجن فأخرج منه فهو يتمسح في الأرض و يتقلب فيها و هذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا و تبرم بها و لم يكن له أنس إلا بذكر الله و كانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه و مقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات و انفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه من غير عائق و لا دافع ، و ما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات و أكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التقاتم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعاً بالآخرة و البايع لا يلتفت قلبه إلى المبيع و إن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها و تشوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه و ما أقلّ النفاتة إلى ما باعه إذا فارقه ، و تجرد القلب لحب الله قديتفق في بعض الأحوال و لكن لا يدركه الموت عليه فيتغير ، و القتال سبب الموت فكان سبباً لا يدرك الموت

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت باسناد ضعيف . (المعنى)

(٢) أخرجه البخاري ج ٢ ص ١١٨ .

(٣) لم أجده و تقدم ص ٢٦٠ نحوه عن النبي صلى الله عليه وآله و راجع المجلد

الثالث من بحار الانوار باب ما يماين المؤمن والكافر عند الموت .

على مثل هذه الحالة فلهذا أعظم فيه النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريد و قال الله تعالى : « و لهم ما يشتهون ^(١) » فكان هذا أجمع عبارة طعاني لذات الجنة و أعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال تعالى : « و حيل بينهم و بين ما يشتهون ^(٢) » فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد عند انقطاع نفسه من غير تأخير ، و هذا الأمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين ، و إن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه و كل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روي أن رسول الله ﷺ قال لجابر : ألا بشرك الله بالخير ، قال : إن الله أحيا أباك فأقعدته بين يديه فقال تمن علي عبي ما شئت أعطيكه ، قال : يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمني عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك في سبيلك فأقتل فيك مرة أخرى قال له : إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع ^(٣) .

و اعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما يكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن و المضيق و يكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار و الأزهار و الطيور و الثمار فلا يشتهي العود إلى السجن المظلم و قد ضرب رسول الله ﷺ لذلك مثلاً فقال لرجل مات : «أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتر كهلاً أهلها فان كان قدرني فلايسر أن يرجع إلى الدنيا كما لايسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ^(٤) » فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم .

(١) النحل : ١٦ . (٢) سبأ : ٥٤ .

(٣) رواه الجزري في اسد القابة وابن أبي الدنيا في الموت . ونحوه ابن ماجه في

السنن تحت رقم ٢٨٠٠ .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث عمرو بن دينار مرسلا و رجاله

ثقات كما في المغني .

وقال عليه السلام أيضاً : « إن مثل المؤمن في الدنيا كممثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء لم يحب أن يرجع إلى بطن أمه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى مكانه » ^(١) وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن فلاناً قدمات فقال : مستريح أو مستراح منه ^(٢) » أشار بالمستريح إلى المؤمن و بالمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقضحوا أموالكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ^(٣) » .

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي بإسناده ، عن الصادق عليه السلام قال : « تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها وهو قول الله : « اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ^(٤) » و سكت ^(٥) .
و عنه عليه السلام قال : « ما لكم تسوون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال رجل : كيف نسوؤه فقال : أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه ، فإذا رأى فيه معصية ساء ذلك فلا تسووا رسول الله و سرؤه ^(٦) » .

و بإسناده عن عبد الله بن أبان الزيات و كان مكيماً عند الرضا عليه السلام قال : قلت للرضا عليه السلام : « ادع الله لي و لأهل بيتي فقال : أو لست أفعل ؟ و الله إن أعمالكم لتعرض علي كل يوم و ليلة ؟ قال : فاستعظمت ذلك فقال لي : أما تقرأ كتاب الله « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون » قال : هو والله علي ابن أبي طالب عليه السلام ^(٧) » .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الموت كما في المعنى .

(٢) أخرجه مسلم ج ٣ ص ٥٤ بلفظة مر عليه بجنائز فقال ذلك .

(٣) ابن أبي الدنيا و المعاملية بإسناد ضعيف كما في المعنى .

(٤) التوبة : ١٠٦ .

(٥) و (٦) و (٧) المصدر ج ١ ص ٢١٩ تحت رقم ١ و ٣ و ٤ .

قال أبو حامد قال أبو سعيد الخدري : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الميِّت ليُعرف من يغسله و من يحمله و من يدفنه و من يدلّيه في قبره (١) » .
 و قال صالح المري : بلغني أنّ الأرواح تتلاقى عند الموت فتمقول أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم : كيف كان مأواك ، في أيّ الجسدين كنت في طيّب أو خبيث . و قال عبيد بن عمير : أهل القبور يتمو كقفون (٢) الأخبار فإذا أتاهم الميِّت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون : لا فيقول : إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون سئلك به غير سبيلنا .

و عن جعفر بن سعيد قال : إذا مات الرُّجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب .
 و قال مجاهد : إنّ الرُّجل ليسرُّ بصلاح ولده في قبره .

و روى أبو أيّوب الأنصاري عن النبي ﷺ أنّه قال : « إنّ نفس المؤمن إذا قبضت تلقّاها أهل الرِّحمة من عند الله كما يتلقّى البشير في الدُّنيا يقولون انظروا أخاكم حتّى يستريح فإنّه كان في كرب شديد و يسألونه ماذا فعل فلان ؟ و ماذا فعلت فلانة ، و هل تزوّج فلان فإذا سألوه عن رجل مات قبله و قال : مات قبلي قالوا : إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون ذهب به إلى أمّه الهاوية (٣) » .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي بإسناده الصحيح عن الصادق عليه السلام أنّه قيل له : « جعلت فداك يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش فقال : لا المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير و لكن في أبدان كابدانهم (٤) » و في رواية أخرى عنه عليه السلام « فإذا قبضه الله صيرتلك الرُّوح في قالب كقالبه في الدُّنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث رجل عن أبي سعيد بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٢) تو كف - بتشديد الكاف - : توقع يقال : ما زلت أتوكفه حتى لقيته .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت و الطبراني في مسند الشاميين بإسناد

ضعيف و رواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً على أبي أيّوب بإسناد جيد . كما في المعنى .

(٤) المصدر ج ٣ ص ٢٤٤ تحت رقم ١ .

بتلك الصورة التي كانت في الدنيا^(١) « وفي لفظ آخر « إنهم في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان^(٢) » .

و في خبر آخر « إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة يتعارف ويتساءل فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول : دعوها فإنها قد أفلتت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان ؟ فإن قالت لهم : تركته حيناً ارتجوه ، وإن قالت لهم : قد هلك ؟ قالوا : قد هوى هوى^(٣) » .

﴿ بيان كلام القبر للميت ﴾

و كلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الأحياء قال رسول الله ﷺ : « يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بي إذ كنت تمرُّ بي فداداً فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب للقبر فيقول : أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر : إنني إذا أتحوّل عليه خضراً و يعود جسده نوراً و تصعد روحه إلى الله ، و الفداد هو الذي يقدم رجلاً و يؤخر أخرى كذلك فسره الراوي^(٤) » .

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « إن للقبر كلاماً في كل يوم يقول : أنا بيت الغربية أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود أنا القبر أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران^(٥) » و فيه حديث آخر طويل .

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٤٥ تحت رقم ٦ .

(٢) روى نحوه البرقي في المحاسن ص ١٧٧ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٢٤٤ تحت رقم ٣ .

(٤) أخرجه أبويعلى والطبراني في الكبير باسناد فيه ضعف كما في مجمع الزوائد

ج ٣ ص ٤٦ وأما الفداد قال في النهاية الاثريّة : « ان الارض تقول للميت ربما مشيت على فدادا » قيل أراد ذا أمل كثير وخيلاء وسمى دائم .

(٥) المصدر ج ٣ ص ٢٤٢ تحت رقم ٢ .

﴿ بيان عذاب القبر ﴾

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله ﷺ على جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكساً رأسه ثم قال : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً ثم قال : إن المؤمن إذا كان في قبيل من الآخرة بعث الله إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مدً بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء ، وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه ، فاذا صعد بروحه قيل : اي رب عبدك فلان فيقول : ارجعوه فأرؤوه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته « منها خلقنا كم وفيها نعيدكم - الآية » وإنه ليسمع حَقَقَ نعالهم إذا ولّوا مدبرين حتى يقال : يا هذا من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ ، قال: فينتهرانه انتهر أشديداً^(١) وهي آخر فتنة تعرض على الميت ، فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت ، وهو معنى قوله تعالى : « يثبت الله الَّذِينَ آمَنُوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(٢) » ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول : أبشر برحمة من ربك وجنت فيها نعيم مقيم ، فيقول : وأنت فبشرك الله بخير ، من أنت؟ فيقول : أنا عمك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً ، قال: ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول : اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، قال : و أمّا الكافر فإنه إذا كان في قبيل من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد ومعهم ثياب من نار و سراويل من قطنان فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء و غلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل : اي رب عبدك فلان لم يقبله سما ولا أرض

(١) نهر الرجل : زجره كاتنهره . (٢) ابراهيم : ٢٦ .

فيقول الله : ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشرِّ إنِّي وعدته « منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية » فإنه ليسمع حَقَّقَ نعالهم إذا ولّوا مدبرين حتّى يقال له : يا هذا من ربك؟ وما دينك؟ و من نبيك؟ فيقول : لا أدري ، فيقال : لا دريت ثمّ يأتيه آت قبيح الوجه منتن الرّيح قبيح الثياب فيقول : أبشر بسخط من الله و بعذاب أليم مقيم ، فيقول : بشرك الله بشرّ من أنت فيقول : أنا عمك الخبيث و الله إن كنت لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله فجزاك الله شرّاً ، فيقول : فأنت فجزاك الله شرّاً ، ثمّ يقيض له أصمّ أعمى أبكم ، معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلّوها لم يستطيعوا ، لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً ، ثمّ تعود فيه الرّوح فيضربه بها عنقه ضربة يسمعهها من على الأرض غير الثقلين ، قال : ثمّ ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار ، و افتحوا له باباً إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار و يفتح له باب إلى النار ^(١).

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « إنَّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا و أوّل يوم من أيّام الآخرة مثل له ماله و ولده و عمله فيلتمت إلى ماله فيقول : و الله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً ، فما لي عندك؟ فيقول : خدمني كفنك ، قال : فيلتمت إلى ولده فيقول : و الله إنّي كنت لكم محبباً و إنّي كنت لكم محامياً فما لي عندكم؟ فيقولون : نؤدّيك إلى حفرتك فنواريك فيها ، قال : فيلتمت إلى عمله فيقول : و الله إنّي كنت فيك لزاهداً و إن كنت عليّ لتقبلاً فماذا عنك؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك و يوم نشارك حتّى أعرض أنا و أنت على ربك قال : فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً و أحسنهم منظراً و أحسنهم ريشاً ^(٢) فقال : أبشر بروح و ريحان و جنة نعيم و مقدمك خير مقدم ، فيقول له : من أنت؟ فيقول : أنا عمك الصالح المرتحل من الدنيا

(١) أخرجه أبوداود ج ٢ ص ٥٤٠ مع اختلاف و الحاكم في المستدرک وقال صحيح

وراجع الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٦٧ أورده باختلاف كثير .

(٢) الرياش - بكسر الراء المهملة - : اللباس الفاخر .

إلى الجنة . وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله فإذا أُدخل قبره أتاها ملكا .
القبر يجر أن أشعارهما ويخدآن الأرض بأقدامهما ، أصواتهما كالرعد القاصف و
أبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ و من نبيك ؟ فيقول
الله ربّي و ديني الإسلام و نبيّي محمد فيقولان له : ثبتك الله فيما تحب و ترضى وهو
قول الله عزّ وجلّ : « ثبتت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة »^(١) ثمّ يفسحان له في قبره مدّ بصره ثمّ يفتحان له باباً إلى الجنة ، ثمّ يقولان
له : نم قرير العين نوم الشاب الناعم فإنّ الله يقول : « أصحاب الجنة يومئذ خير
مستقراً و أحسن مقيلاً »^(٢) قال : و إذا كان لربّه عدواً فإنه يأتيه أقباح من خلق
الله زيباً و رؤياً و أنتنه ريحاً فيقول له : أبشر بنزل من حميم و تصليّة جحيم^(٣) وإنه
ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا أُدخل القبر ، أتاها ممنحنا القبر فألقبانه
أكفانه ثمّ يقولان له من ربك ؟ و ما دينك ؟ و من نبيك ؟ فيقول : لأدري فيقولان :
لأدريت و لاهديت ، فيضربان يافوخه^(٤) بمرزبة ، معهما ضربة ما خلق الله من دابة
إلا و تذعر لها ما خلا الثقلين^(٥) ثمّ يفتحان له باباً إلى النار يقولان له : نم بشر
حال ، فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج^(٦) حتى أن دماغه ليخرج من بين

(١) إبراهيم : ٢٦ .

(٢) الفرقان : ٢٦ . و قوله : « مستقراً » أى مكاناً يستقر فيه . و قوله : « مقيلاً »

من القيلولة و هي عند العرب الاستراحة نصف النهار .

(٣) النزول : ما بعد للضيف النازل على الانسان من الطعام و الشراب و الحميم ما

يسقى منه أهل النار . و التصليّة : التلويح على النار ، و في مجمع البيان و تصليّة جحيم ادخال
نار عظيم .

(٤) « يافوخه » - بالياء المثناة التحتانية و آخره خاء معجمة - : الموضع الذى

يتحرك من رأس الطفل إذا كان قريب المهد من الولادة . و المرزبة - بتشديد الباء و تخفيفها - :
عصا كبيرة من حديد تتخذ لتكسير المدر و قد تقدم .

(٥) تذعر أى تفرع . و الثقلين : الجن و الانس .

(٦) القنا - بفتح القاف - : جمع القناة و هي الرمح . و الزج : الحديدة التى فى

أسفل الرمح .

ظفره و لحمه ، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهو أمّها فتمنّشها حتّى يبعثه الله من قبره (١) .

قال أبو حامد : قال النبي ﷺ : « للمؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعين ذراعاً و يضيء حتّى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرّون فيما ذا أنزلت » فإن له معيشة ضنكاً؟ قالوا : الله و رسوله أعلم قال : عذاب الكافر في قبره يسلّط عليه تسعة وتسعون تنّيناً ، هل تدرّون ما التنّين تسع وتسعون حيّة لكلّ حيّة سبعة رؤوس يخذشونه و يلحسونه و ينفخون في جسمه إلى يوم القيامة (٢) .

و لا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد هذه الحيّات و العقارب بقدر أعداد الأخلاق المذمومة من الكبر و الرّياء و الحسد و الغلّ و الحقد و ساير الصّفات فإن لها أصولاً معدودة ، ثمّ تنشعب منها فروع معدودة ، ثمّ تنقسم فروعها بأقسام و تلك الصّفات بأعيانها هي المهلكات و هي بأعيانها تنقلب عقارب و حيّات فالقويّ منها يلدغ لدغ التنّين و الضعيف تلدغ لدغ العقرب ، و ما بينهما يؤذي إيذاء الحيّة ، و أرباب القلوب و البصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات و انشعاب فروعها إلّا أنّ مقدار عددها لا يوقف عليه إلّا بنور النبوّة فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة و أسرار خفيّة و لكنّها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها ، بل أقلّ درجات الإيمان التصديق و التّسليم ، فإن قلت : فنحن نشاهد الكافر في قبره مدّة و نراقبه و لا نشاهد شيئاً من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ، فاعلم أنّ لك ثلاثة مقامات في التصديق بأمثال هذا أحدها و هو الأظهر و الأوضح و الأسلم أن تصدّق بأنّها موجودة و أنّها تلدغ الميّت و لكنك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتيّة و كلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أما ترى الصّحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل و ما كانوا يشاهدونه ، و يؤمنون بأنّه ﷺ

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٣١ تحت رقم ١ .

(٢) أخرجه أبو يعلى و فيه دراج و حديثه حسن كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٥ .

يشاهده فإن كنت لاتؤمن بهذا فتصحيح أصل الايمان بالملائكة و الوحي أهم عليك و إن كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ﷺ ما لاتشاهده الأمة فكيف لاتجوز هذا في الميت ، وكما أن الملك لا يشبه الآدميين و الحيوانات فالحيات و العقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى . المقام الثاني أن تذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغه و هو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح و يعرق جبينه و قد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه و يتأذى به كما يتأذى اليقظان و هو يشاهده و أنت ترى ظاهره ساكناً و لا ترى باطنه و لاترى حواليه حية و لاعقرباً و الحية موجودة في حقه و العذاب حاصل به و لكنّه في حقه غير مشاهد و إذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد . المقام الثالث أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلغاك منها هو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكن العذاب قد نزل و لكن لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة فإنه لو خلق في الإنسان لدّة الوقوع مثلاً من غير مباشرة صورة الوقوع لم يمكن تعريفها إلا بالاضافة إليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلًا و إن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته و هذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات و انقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذياً عند موت المعشوق فإنه كان لذيذاً فطرات حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلماً حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أنه ليته لم يكن قد تنعم بالعشق و الوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله و عقاره و جاهه و ولده و أقاربه و معارفه ، و لو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه و يشتد عذابه ، و يتمنى و يقول : ليته لم يكن لي

مالٌ قطُّ ولا جاء قطُّ فكنت لا أتأذى بفراقه ، فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنياوية كلها دفعة واحدة .

ما حال من كان له واحدٌ ❖ غيب عنه ذلك الواحد
فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ، ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما فاتته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله فإن حب غير الله يحجب عن لقاء الله والتنعّم به فيتوالى عليه ألم الفراق لجميع محبوباته وحسرتة على ما فاتته من نعيم الآخرة أبداً بآباد و ذلّ الرّدّ والحجاب عن الله تعالى و ذلك هو الذي يعدّب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنّم كما قال تعالى: «كلا إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون ❖ ثمّ إنهم لصالوا الجحيم»^(١) وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقاً إلى لقاء الله فقد تخلّص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها ، وقدم على محبوبه و انقطعت عنه العوائق والصّوارف ، وتوفّر عليه النعيم مع الأمان من الزوال أبداً بآباد وطئ ذلك فليعمل العاملون ، والمقصود أن الرّجل قديحبه فرسه بحيث لو خيّر بين أن يؤخذ منه و بين أن يلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فإن ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ عقرب و حبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فرسه فليستعدّ لهذه اللدغات فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه و داره و عقاره و أهله و ولده و أحبّاءه و معارفه و يأخذ منه جاهه و قبوله بل يأخذ منه سمعه و بصره و أعضائه و يبئس عن رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحبّ سواه و قد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات و كماله أخذ ذلك منه و هو حيّ فيعظم عقابه ، فكذلك إذا مات لأننا قد بيّنا أن المعنى الذي هو المدرك للآلام و اللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشدّ لأنّه في الحياة يتسلّى عنها بأسباب يشتغل بها حواسه من مجالسة و محادثة و يتسلّى بوجاء العود إليه و يتسلّى بوجاء العوض منه ، و لا سلوة بعد الموت إذ قد انسدّ عليه طرق التسلّي و حصل اليأس ، فإذا كلّم قميص له و منديل وغيره مما كان قد أحبّه بحيث كان يشقُّ

عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفاً عليه و معدباً به ، فإن كان مخففاً في الدنيا سلم و هو المعنى بقولهم « نجا المخفون » و إن كان مثقلاً عظم عذابه ، و كما أن حال من سرق منه دينار أخف من حال من سرق منه عشرة دنائير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين ، و هو المعنى بقوله وَاللَّهِ : « صاحب الدرهم أخف حساباً من صاحب الدرهمين » (١) و ما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا و هو حسرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكثر و إن شئت فاستقلل ، فإن استكثرت فلست بمستكثر إلا من الحسرة و إن استقللت فلست تخفف إلا ظهرك و إنما تكثر الحيات و العقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة و فرحوا بها و اطمأنوا إليها . فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر و عقاربه و في سائر أنواع عذابه ، رأى أبو سعيد الخدري ابناً له قد مات في المنام فقال له : يا بني عظمي قال : لا تخالف الله تعالى فيما يريد ، قال : يا بني زدني قال : يا أبة لا تطيق ، قال : بلى ، قال : لا تجعل بينك و بين الله قميصاً ، قال : فما لبس قميصاً ثلاثين سنة .

فإن قلت : فما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة ؟ فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول و أنكر ما بعده ، و منهم من أنكر الأول و أثبت الثاني ، و منهم من لم يثبت إلا الثالث ، و إنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان و أن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته و جهله باتساع قدرة الله سبحانه و عجائب تدييره فينكر من أفعال الله ما لم يأنس به و لم يألفه و ذلك جهل و قصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة و التصديق بها واجب و رب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع و رب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب القبر قليله و كثيره هذا هو الحق فصدق به تقليداً ، فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقاً ، و الذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته ، بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان ، فإن

(١) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطان وحسبه ليقطع يده و يجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى ، و أهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل ، فقد علم على القطع أن العبد بعد الموت لا تخلو عن عذاب عظيم أو عن نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له ، فأما البحث عن تفصيل العقاب و الثواب ففضول محض و تضييع زمان .

❖ (بيان سؤال منكر و نكير و صورتها و ضغطة القبر و بقية) ❖

❖ (القول فى عذاب القبر) ❖

قال النبي ﷺ : « إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر و الآخر نكير فيقولان له : ما كنت تقول في النبي ؟ فان كان مؤمناً قال : هو عبد الله و رسوله أشهد أن لا إله إلا الله ، و أشهد أن محمداً رسول الله ، فيقولان : إننا كنا لنعلم أنك تقول ذلك ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً و ينور له في قبره ، ثم يقال له : نم فيقول : نم فيقول : دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقال له : نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك و إن كان منافقاً فقال : لأدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً و كنت أقوله ، فيقولان : إننا كنا لنعلم أنك تقول ذلك ، ثم يقال للأرض : التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلعه فلا يزال معداً بأ حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك (١) . »

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام و قد مر ذكره و فيه عن الصادق عليه السلام قال : « يجيب المملكان منكر و نكير إلى الميت

(١) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٢٩٣ . وقوله « تختلف أضلعه » أى يقرب كل جانب

من القبر الى الجانب الاخر فيضمه و يعصره . وقال الزبيدى فى الترغيب : العروس يطلق على الرجل وعلى المرأة ماداما فى أعراسهما .

حين يدفن أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يخطآن الأرض^(١) بأنيا بهما ويطئان^(٢) في شعورهما فيسألان عن الميِّت من ربك؟ وما دينك؟ قال: فإذا كان مؤمناً قال: الله ربِّي وديني الإسلام فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرا نيككم^(٣)؟ فيقول: أعن محمد رسول الله تسألاني؟ فيقولان له: تشهد أنه رسول الله؟ فيقول: أشهد أنه رسول الله، فيقولان له: نم نومة لا حلم فيها و يفسح له في قبره تسعة أذرع و يفتح له باب إلى الجنة و يرى مقعده فيها، وإذا كان الرجل كافراً دخل عليه و أقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بين ظهرا نيككم فيقول: لا أدري، فيخلى بينه وبين الشيطان. و يسلم عليه في قبره تسعة وتسعين تنيناً لو أن تنيناً^(٤) واحداً منها نفخ على الأرض ما أنبت شجرة أبداً، و يفتح له باب إلى النار و يري مقعده فيها^(٥). «

و عنه عليه السلام « لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً و الآخرون يلهون عنهم^(٦) ». «

قال أبو حامد: وعن عطاء بن يسار قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب

(١) في بعض نسخ المصدر [يغدآن] أي يشقان الأرض .

(٢) في بعض نسخ المصدر [يطئان] من الوطئ - كالرعد - يعنى يضربان أرجلهما على الأرض ضرباً شديداً .

(٣) ظهران - بفتح المعجمة و آخره النون - وفي حديث الأئمة « نتقلب في الأرض بين أظهركم » أي في أوساطكم ومثله أقاموا بين ظهرانيهم و بين أظهرهم أي بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد اليهم . (مجمع البحرين)

(٤) التنين - كسكين - : حية عظيمة .

(٥) المصدر ج ٣ ص ٢٣٦ تحت رقم ٧ .

(٦) « محض الإيمان » على صيغة الفعل أي أخلص الإيمان و يحتمل أن يكون بصيغة

المصدر أي لا يسأل الا من الإيمان والكفر ولعل الاول أظهر؛ و الخبر في الكافي ج ٣ ص ٢٣٥ تحت رقم ١ .

يا عمر كيف بك إذا أنت مت^١ فانطلق بك قومك فقا سوا لك ثلاثة أذرع في ذراع و شبر ثم رجعوا إليك فغسلوك و كفنوك و حنطوك ، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر و نكير ، أصواتهما كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف يجريان أشعارهما و يبحثان التراب بأنيا بهما فتلتلاك و ترتراك^(١) كيف بك عند ذلك يا عمر؟ فقال : ويكون معي مثل عقلي الآن؟ قال : نعم . قال : إذا أ كفيكهما^(٢) « و هذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت وإنما يتغير البدن و الأعضاء فيكون الميت عاقلاً مدركاً عالماً بالآلام و اللذات كما كان في حياته لا يتغير من عقله شيء ، و ليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هوشي، باطن ليس له طول و لا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للأشياء ، و لو تناثرت أعضاء الإنسان كلها و لم يبق إلا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ، و لا ينقسم لكن الإنسان العاقل بكماله قائماً باقياً و هو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحلّه الموت و لا يطره عليه العدم .

أقول: ثم ذكر أبو حامد أخباراً في ضغطة القبر و اكتناف الأعمال الصالحة بالمؤمن في قبره و إعانتها له و نسبها إلى من لا يوثق بروايته و نحن نظوي ما ذكره و نرويها من طريق الخاصة .

ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « يسئل و هو مضغوط^(٣) » .
و سئل عليه السلام « أيقلت^(٤) » من ضغطة القبر أحد؟ قال : نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر إن رقيّة لما قتلها عثمان و وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه و قال للناس : إنني ذكرت هذه و ما لقيت فرقيقت لها فاستوهبتها من ضمة القبر قال : فقال : اللهم هب لي رقيّة من ضمة

(١) التلثة والترترة: التحريك .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلًا ورجاله ثقات (المعنى) .

(٣) المصدر ج ٣ ص ٢٣٦ تحت رقم ٥ .

(٤) من الإفلات أى يخلص .

القبر فوهبها الله له ، قال : و إن رسول الله ﷺ خرج في جنازة سعد و قد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء ، ثم قال : مثل سعد يضمه قال الرّادي قلت : جعلت فداك إنّنا نجدت أنه كان يستخف بالمول فقال معاذ الله إنّما كان من زعارة (١) في خلقه على أهله (٢) .

و روى عمر بن يزيد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : «إنني سمعتك وأنت تقول كل شيعة نافي الجنة على ما كان فيهم ؟ قال : صدقتك كلهم والله في الجنة ، قال : قلت : جعلت فداك إنّ الذنوب كثيرة كبار ؟ فقال أمّا في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي ولكنني والله أتخوف عليكم في البرزخ ، قلت : وما البرزخ ؟ قال : القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة (٣) » .

و عن الباقر عليه السلام « إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه و الزكاة عن يساره و البرّ يظل عليه و يتمنحى الصبر ناحية و إذا دخل عليه المملكان اللذان يليان مسألته قال الصبر للصلاة و الزكاة : دونكما صاحبكما فان عجزتما عنه فأنا دونه (٤) » .

❖ (الباب الثامن) ❖

(فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام)

إعلم أنّ أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله و سنة رسوله و من مناهج الاعتبار تعرّفنا أحوال الموتى على الجملة و انقسامهم إلى سعداء و أشقياء و لكن حال زيد و عمرو بعينه فلا ينكشف به أصلاً فإننا إن عوّلنا على إيمان زيد و عمرو فلاندرى على ما ذامات و كيف ختم له ، و إن عوّلنا على صلاحه الظاهر فالتمقوى محلّه القلب و هو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره

(١) الزعارة - بتشديد الراء و تخفيفها - شراسة الخلق . و رجل شرس أى سييء خلقه .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٣٦ تحت رقم ٦ .

(٣) المصدر ج ٣ ص ٢٤٢ تحت رقم ٣ .

(٤) المصدر ج ٣ ص ٢٤٠ تحت رقم ١٣ ، رواه عن الصادق عليه السلام .

فلا حكم لظاهر الصّلاح دون التقوى الباطن ، قال الله تعالى : « إنّما يتقبّل الله من المتّقين ^(١) » فلا يمكن معرفة حكم زيد و عمرو إلا بمشاهدته و مشاهدة ما يجري عليه ، و إدامات فقد تحوّل من عالم الملك و الشهادة إلى عالم الغيب و الملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة و إنّما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كلّ إنسان و لكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته و أشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه و لما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى عالم الملكوت و شاهدوا عجائبه و الموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم و أخبروا عنهم و لذلك رأى رسول الله ﷺ ضغطة القبر في حقّ سعد بن معاذ و في حقّ زينب ابنته ^(٢) و كذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبر أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر و مثل هذه المشاهدة لا متمع فيها لغير الأنبياء و الأولياء الذين تقرب درجاتهم منهم و إنّما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية و أعني بها المشاهدة في المنام و هو أنوار النبوة قال رسول الله ﷺ :

« الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءاً من النبوة ^(٣) » و هو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرّجل الصّالح الصادق و من كثر كذبه لم تصدق رؤياه و من كثر فساده و معاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام و لذلك أمر رسول الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهراً و هو إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل و طهارة الظاهر بمنزلة التتمّة و التكملة لها و مهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكّة لرسول الله ﷺ في النوم حتّى نزل قوله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ^(٤) » و قلّ ما يخلو إلا إنسان عن منامات دلّت على

(١) المائدة : ٣٠ .

(٢) كذا .

(٣) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٥٤ وابن ماجه تحت رقم ٣٨٩٥ .

(٤) الفتح : ٢٧ .

أُمور فوجدها صحيحة ، و الرؤيا و معرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى و بدائع فطرة الأدمي و هو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت و الخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب و عجائب العالم الملكوتي و القول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة و لكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثالٌ يفهمك المقصود ، و هو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تترأى فيها الصور و حقايق الأمور وأن كل ما قدّره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور و مثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح و تارة بالكتاب المبين و تارة بإمام مبين كما ورد في القرآن فجميع ماجري في العالم و ما سيجري مكتوب فيه و منقوش عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين ، و لا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم و أن الكتاب من كاغذ أو ورق بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق و كتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته و صفاته لا تشبه ذات الخلق و صفاتهم ، بل إن كنت تطلب له مثلاً يقرّ به إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضا هي ثبوت كلمات القرآن و حروفه في دماغ حافظ القرآن و قلبه فإنه مسطور فيه حتى كأنه حيث يقرأ ينظر إليه و لو فتشت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخطّ حرفاً و إن كان ليس هناك خطّ يشاهد ولا حرف ينظر ، فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدّره الله تعالى و قضاه . و اللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصّور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكنت صورة تلك المرآة تترأى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم و اللوح مرآة رسوم العلوم كلّها و العلوم كلّها موجودة فيه و اشتغال القلب بشهواته و مقتضى حواسّه حجاب مرسل بينه و بين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فإن هبت ريح جرّكت هذا الحجاب و رفعته تلاً في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف ، و قد يثبت و يدوم و قد لا يدوم و هو الغالب و مادام متيقظاً فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك

والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ، و معنى النوم أن تر كد الحواس عليه فلا تورد على القلب فإذ تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء ، مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع لسائر الحواس عن العمل و ليس مانعاً للخيال عن عمله و عن تحرُّكه فما يقع في القلب يتبدَّرُه الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فإذا انتبه لم يندكر إلا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيّل و المعاني ، و أمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير و يكفيك في ذلك مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين : رأيت كأن بيدي خاتماً أختم به أفواه الرّجال و فروج النساء ؛ فقال : أنت مؤذّن تؤذّن قبل الصّبح في رمضان فقال : صدقت ، فانظر أن روح الختم هو المنع و لأجله يراد الختم و إنّما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه و هو كونه مانعاً للناس من الأكل و الشرب و لكن الخيال أُلْف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخياليّة التي تتضمّن روح المعنى و لا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخياليّة . فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرّؤيا التي لا تنحصر عجائبه و كيف لا و هو أخو الموت ، و إنّما الموت هو عجب من العجائب و هذا لأنّه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف العطاء عن عالم الغيب حتّى صار للنائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب و يكشف الغطاء بالكلّيّة حتّى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إمّا محفوفة بالأُنكال و المخازي و الفضائح - نعوذ بالله من ذلك - و إمّا محفوفة بنعيم مقيم و ملك كبير لا آخر له ، و عند هذا يقال للأشقياء و قد انكشف الغطاء : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ^(١) » و يقال : « أفسحرتُ هنا أم أنتم لا تبصرون . اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم إنّما تجزون ما كنتم تعملون ^(٢) »

و إليهم الإشارة بقوله تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (١) » .
فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات
ما لم يخطر قطُّ بباله ولا اختلج به ضميره ، فلو لم يكن للعاقل همٌ ولا غمٌ إلا الفكرة
في خطر تلك الحال أن الحجاب عمّا ذا يرتفع وماذا الذي ينكشف عنه الغطاء من
شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان ذلك كافياً في استغراق جميع العمر ، والعجب من
غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا ، وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأسبابنا
و ذريّاتنا بل بأعضائنا و سمعنا و بصرنا مع أننا نعلم مفارقة جميع ذلك يقيناً ولكن
أين من ينفتح روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد النبيين « أحبب ما أحببت
فإنك مفارقه ، و عش ما شئت فإنك ميت ، و اعمل ما شئت فإنك مجزي به (٢) » .
فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بعين اليقين كان في الدنيا كما بر سبيل ، لم
يضع لبنة على لبنة ولا قسبة على قسبة ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ، و قد قال لامته :
« إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله (٣) » ، وإنما أمته من اتّبعه وما اتّبعه إلا
من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فإنه مادعاً إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف
إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد
سلكت سبيله الذي سلكه ، و بقدر ما سلكت سبيله فقد اتّبعته ، و بقدر ما اتّبعته صرت
من أمته ، و بقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعتها ، و التحقت
بالذين قال تعالى فيهم : « وأما من ظغى و آثر الحيوة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوى (٤) »
فلو خرجت من مكن الغرور وأنصفت نفسك يا رجل - و كلنا ذلك الرّجل - لعلمت
أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرّك و
لا تسكن إلا لعاجل الدنيا ثمّ تطمع في أن تكون غداً من أمته و أتباعه ، ما أبعد
ظنك و ما أبرد طمعك « أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون » و
لنرجع إلى ما كنّا فيه و بصدده فقد امتدّ عنان الكلام إلى غير مقصده و لنذكر

(١) الزمر : ٤٧ . (٢) تقدم غير مرة و رواه الصدوق في الفقيه .

(٣) آل عمران : ٣١ . (٤) النزاعات . ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ .

الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات و ليس ذلك إلا المنامات .

﴿ بيان منامات تكشف عن احوال الموتى و الاعمال النافعة ﴾ ﴿ في الآخرة ﴾

فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ فقد قال ﷺ : « من رأى نبي في المنام فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي (١) » .

أقول: ثم ذكر أبو حامد جملة من منامات الناس للموتى منها ما تضمن بيان أحوالهم في الآخرة أو بيان ما ينتفع به من الأعمال فيها ، ومنها ما لم يتضمن شيئاً منهما بل هو مجرد قصة منامية أما الثاني فالمدخل له فيما هو بصدده أصلاً وأما الأول فلا وثوق بشيء منه لأن النبي ﷺ إنما قال : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (٢) » ، وليس كل رؤيا صالحة فإن الرؤيا إنما تكون بحسب حال الرائي في اعتقاده و قدر معرفته بما يراه و بحسب خلقه و عمله و غذائه و بقدر صدقه و طهارته ظاهرأ و باطنأ ، فربما يكون المرئي معتقداً خلاف الحق في الله سبحانه أو في شيء من صفاته أو في رسوله أو في إمامه الذي يجب عليه اتباعه ، أو يكون صاحب بدعة في الدين ، أو يكون ممن يكثر كذبه و فساده و معاصيه و أكله للحرام و غير ذلك مما يوجب ظلمة قلبه ، فكان ما يراه أضغاث أحلام كما مر في كلام أبي حامد إنه لا وثوق بمنام من هذا حاله أو كان اعتقاده فيمن يراه في المنام على خلاف ما هو به فيراه بحسب ما يوافق اعتقاده فيه وهذا مما يقع كثيراً فلا وثوق بالرؤيا إلا إذا عرف براءة من رآها من جميع ذلك وقد ورد عن النبي ﷺ « كما تعيشون تنامون و كما تستيقظون تبعثون (٣) » ثم من نسب أبو حامد إليه الرؤيا مما يناسب ما هو بصدده بين منافق من الصحابة و موال له و لأمثاله و رجال يعرفون بالبدع و الاعتقادات الفاسدة في الدين و من لا يعرف

(١) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٥٤ . (٢) تقدم آنفاً .

(٣) قاله ﷺ في يوم الانذار . وفي اعتقادات الصديق ص ٨٥ نحوه .

حاله و عقيدته و من كان يعتمده فيمن يراه في المنام خلاف ما هو به فلا فائدة في إيراد شيء من ذلك فلنطوها طياً ، ثم ما ذكره من حديث النبي ﷺ لتمهيد ما أورده من قوله ﷺ : « من رأى في المنام فقد رأى » فليس معناه أنه من رأى صورة إنسان في منامه فوقع في وهمه أو قيل له : إنه النبي ﷺ فقد رأى النبي ﷺ أي صورة كانت بل معناه أنه من رآه بصورته التي كان عليها في الدنيا بحليته المباركة فقد رآه فإن الشيطان لا يتمثل بتلك الهيئة و الحلية فرؤيته ﷺ في المنام إنما تصح لمن رآه في حياته و عرفه بحليته التي كان عليها ، ثم رآه في المنام بتلك الحلية بعينها دون من لم يره و إنما سمع به ، لجواز أن يتمثل الشيطان بصورة غير صورته ثم أوقع في وهم هذا الرائي أنه هو ، و هذا واضح بحمد الله .

الشرط الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار و تفصيل ما بين يديه من الأحوال و الأخطار و فيه بيان نفخة الصور ، و صفة أرض المحشر و أهله ، و صفة عرق أهل المحشر ، و صفة طول يوم القيامة ، و صفة يوم القيامة و دواهيها و أساميتها ، و صفة المسائلة عن الدنوب و صفة الميزان ، و صفة الخصماء و ردّ المظالم ، و صفة الصراط ، و صفة الشفاعة ، و صفة الحوض ، و صفة جهنم و أهوالها و أنكالها ، و حياتها و عقاربها ، و صفة الجنة ، و أصناف نعيمها ، و عدد الجنان و أبوابها و غرفها و حيطانها ، و أنهارها و أشجارها ، و لباس أهلها و فرشهم و سررهم ، و صفة طعامهم و شرابهم ، و صفة حور العين و الولدان . و باب في سعة رحمة الله به نختم الكتاب إن شاء الله .

﴿ صفة نفخ الصور ﴾

قد عرفت فيما سبق شدّة أحوال الميت في سكرات الموت و خطر خوف العقاب ثم مقاساته لظلمة القبر و ديدانه ثم لمنكر و نكير و سؤالهما ثم لعذاب القبر و خطره إن كان مغضوباً عليه ، و أعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور و البعث يوم النشور و العرض على الجبّار و السؤال عن القليل و الكثير و التقير و القطمير و نصب الميزان لمعرفة المقادير ، ثم مجاوزة الصراط مع رقته و وحدته ، ثم

انتظار النداء عند فصل القضاء إمّا بالأسعاد وإمّا بالأشقاء فهذه أحوال وأحوال لا بدّ لك من معرفتها ، ثمّ الإيمان بهاعلى سبيل الجزم والتصديق ، ثمّ تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكّن من سويدها أفئدتهم ويدلّ على ذلك شدّة تشمّسهم واستعدادهم لحرّ الصيف وبرد الشتاء و تهاونهم بحرّ جهنّم وزمهرير همامع ما يكتنفه من المصاعب والأحوال ، نعم إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثمّ غفلت عنه قلوبهم و من أخبر بأنّ ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره : صدقت ثمّ مدّ يده إليه ليتناوله كان مصدّقاً بلسانه ومكذّباً بعمله و تكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان و قد قال النبي ﷺ قال الله تعالى : « شتمني ابن آدم و ما ينبغي له أن يشتمني ، و كذبني و ما ينبغي له أن يكذبني ، أمّا شتمه إياي فيقول : إن لي ولداً ، و أمّا تكذبه فقله لن يعيدني كما بدأني ^(١) » و إنّما فتور البواطن عن قوّة اليقين و التصديق بالبعث و النشور لقلّة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور ، و لو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات و قيل له : إنّ صناعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا آدمي المصور العاقل المتكلّم المتصرّف لاشتدّ نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى : « أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ^(٢) . » و قال تعالى : « أيعسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من ميني يمى ^(٣) ، فقي خلق آدمي مع كثرة عجائبه و اختلاف تراكيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه و إعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله و حكمته من يشاهد ذلك في صنعه و قدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقوّة الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإنّ الثانية مثلها و أسهل منها و إن كنت قويّ الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار و أكثر فيها التفكّر و الاعتبار ليتسلّب عن قلبك الراحة و القرار فاشتغل بالشمس للعرض على الجبار ، و تفكّر أوّلاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدّة نفخ الصور

(١) أخرجه البخاري ج ٤ ص ١٢٩ من حديث أبي هريرة .

(٢) القيامة : ٣٦ و ٣٧ .

(٣) يس : ٧٧ .

فإنها صيحة واحدة تنفج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتاً من شدة الصعقة شاخص العينين نحو النداء ، وقدثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاهم وقد أعجمهم الفزع والرعب مضافاً إلى ما كان عليهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون^(١) » وقال : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون^(٢) » وقال تعالى : « فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير^(٣) » وقال تعالى : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فنفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون^(٤) » فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتسقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله ، وهو بعض الملائكة ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم ، وصاحب الصور قد التئم القرن وحنى الجنبه وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ^(٥) » قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل ، واضع فاه على القرن كهيئة البوق ، ودائرة رأس القرن كعرض السماوات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر أن ينفخ النفخة الأولى فإذا نفخ صعق من في السموات والأرض ، أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، ثم يأمر ملك

(١) الزمر : ٦٨ .

(٢) المؤمنون : ١٠٢ .

(٣) المدثر : ٨ ، ٩ .

(٤) يس : ٤٨ - الي - ٥٣ .

(٥) أخرجه الترمذى ج ٩ ص ٢٦١ بأدنى اختلاف ورواه أحمد والطبرانى واللفظ

له و رجاله وثقوا على ضعف فيهم . كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٣٠ .

الموت أن يقبض روح جبرئيل ، ثم روح ميكائيل ، ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ، ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله : « ثم نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ » أي قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال رسول الله ﷺ - حين نعت أمر صاحب الصور - : « فَأَهْوَى بِهِ إِلَى فِيهِ وَقَدَّمَ رِجْلًا وَأُخْرَى يُنْتَظَرُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ أَلَا فَاتَّقُوا النَّفْخَةَ (١) » فتفكر في الخلائق وذلهم و انكسارهم و استكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه النفخة و انتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة و أنت فيما بينهم منكسرٌ كانكسارهم ، متحيرٌ كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من المترفين و الأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم هم أذلُّ أهل الجمع و أصغرهم و أحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الذرِّ و عند ذلك يقبل الوحوش من البراري و الجبال منكسة رؤوسها ، مختلطة بالخلائق بعد توحشها ، ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنس بها ولكن حيرتهم شدة الصعقة و هول النفخة و شغلهم ذلك عن الهرب من الخلق و التوحش منهم و ذلك قوله تعالى : « و إذا الوحوش حشرت (٢) » ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها و عتوها و أذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقاً لقوله تعالى : « فوربك لنحشرنهم و الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جنياً (٣) » فتفكر في حالك و حال قلبك هنالك .

(١) في أكثر نسخ الاحياء هكذا « قال صلى الله عليه وآله : حين بعثت بعثت الى صاحب الصور فأهوى الخ » و قال العراقي : لم أجده هكذا بل قد ورد أن اسرافيل من حين ابتداء الخلق ، وهو كذلك كما رواه البخارى فى التاريخ ، و أبو الشيخ فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة « ان الله لما فرغ من خلق السموات و الارض خلق الصور فأعطاها اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص يبصره الى العرش مذ و كل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد اليه طرفه كأن عينيه كو كبان دربان » و اسنادها جيد .

(٢) التكوير : ٦ . كذا . ولكن الحشر ههنا بمعنى الهلاك و الموت لا الخروج .

(٣) مريم : ٦٨ .

﴿ صفة ارض المحشر وأهله ﴾

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ولا ترى عليها ربوة^(١) يختفي الإنسان وراءها ، ولا وهدة^(٢) ينخفض عن العين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمراً ، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالرأجفة تتبعها الرأدفة ، والرأجفة هي النفخة الأولى ، والرأدفة هي الثانية ، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجة^(٣) ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة ، قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص نقي » ليس فيها معلم لأحد^(٤) ، قال الرأوي : العفرة بياض ليس بالناصع ، والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ، ولا معلم أي لا بناء يستتر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا في الاسم ، قال الله تعالى : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات »^(٥) قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي^(٦) ، أرض بيضاء مثل الفضة ، لم يسفك عليها دم ، ولم يعمل عليها خطيئة فالسماوات تذهب بشمسها وقمرها ونجومها ، فانظر يا مسكين في هول القيامة وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء ، وطمس القمر والشمس وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق

(١) القاع : أرض سهلة مطمئنة . والصفصف : المستوى من الأرض . و « لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً » أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً . والربوة : المرتفع من الأرض .

(٢) الوهدة - كالوردة - : المكان المطمئن .

(٣) الواجفة : المضطربة .

(٤) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٢٧ . والبخاري ج ٨ ص ١٣٥ .

(٥) إبراهيم : ٤٨ .

(٦) عكاظ اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها في كل سنة فيقيمون

شهرأ ويتباهون ويتناشدون الاشعار و يتفاخرون ، و أديم عكاظي منسوب اليها .

رؤوسهم و انشقت مع غلظها و شدتها خمسمائة عام و الملائكة قيام على حافاتها و أرجائها (١) فياهول صوت انشقاقها في سمعك ، و يا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها و شدتها ثم تهاوت و تسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصار و ردة كالدّهان (٢) و صارت السماء كالمهل و صارت الجبال كالعين (٣) و اشتبك الناس كالغراش المطبوث و هم عراة حفاة مشاة ، قال رسول الله ﷺ : « يبعث الناس حفاة عراة عُراة (٤) قد ألجمهم العرق و بلغ شحوم الآذان قالت سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ رواية الحديث قلت : يا رسول الله و اسوأناه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ قال : قد شغل الناس عن ذلك ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٥) » .

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن سيّد العابدين عليه السلام أنه قال : « حدّثني أبي أنه سمع أباه عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحدث الناس قال : إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الناس من حفرهم عزلاً بهمّاً جرداً مرداً في صعيد واحد ، يسوقهم النور و تجمعهم الظلمة (٦) حتّى يقفوا على عقبة المحشر فيركب

(١) حافتا النهر : جانبيه و الأجزاء الاطراف .

(٢) قوله «وردة» أى مثلها حمرة كالدّهان أى كالاديم الاحمر على خلاف العهد بها .

(٣) العين : الصوف المصبوغ .

(٤) فى النهاية الغرل - بالنون المعجمة و الراء المهملة - جمع الاغرل وهو الاغلف .

و سيأتي عن قريب عن الكافي بالعين المهملة و الزاى المعجمة كما ضبطه جميع شراح الكافي .

(٥) رواه الطبراني و رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عباس وهو ثقة كما فى مجمع

الزوائد ج ١٠ ص ٣٣٣ .

(٦) عزلاً : لا سلاح لهم - بضم العين و سكون الزاى - جمع اعزل و كذلك اخواته ،

« بهما » أى ليس معهم شئ و قيل : يعنى أصحاب لا آفة بهم ولا عاهة و ليس بشئ ،

« جرداً » لا ثياب لهم ، « مرداً » ليس لهم لحية و هذه كلها كناية عن تجردهم عما يباينهم

و يغطّيهم و يخفى حقايقهم مما كان معهم فى الدنيا ، « يسوقهم النور » أى نور الايمان و الشرع

فانه سبب ترقّيقهم طوراً بعد طور . و فى بعض النسخ [بالنار] أى نار التكاليف فان التكليف

بالنسبة الى بعض المكلفين نار و بالاضافة الى آخرين نور ، « يجمعهم الظلمة » أى ما يمنعهم ←

بعضهم بعضاً و يزدحمون دونها فيمنعون من الماضي فتشتد أنفاسهم و يكثر عرقهم و تضيق لهم أمورهم و تشتد ضجيجهم^(١) و ترتفع أصواتهم قال : و هو أوّل هول من أهوال يوم القيامة . قال : فيشرف الجبار تعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة^(٢) فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم يامعشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منادي الجبار قال : فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم قال : فتنكسر أصواتهم عند ذلك و تخشع أبصارهم و تضرب فرائصهم^(٣) و تفرع قلوبهم و ترفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداع^(٤) قال : فعند ذلك يقول الكافر : « هذا يوم عسر^(٥) » قال : فيشرف الجبار تعالى ذكره الحكم العدل عليهم فيقول : أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لايجور ، اليوم أحكم بينكم بعدي و قسطي لا يظلم اليوم عندي أحد ، اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقه و لصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات و السيئات و أئيب على الهبات^(٦) و لايجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم و لأحد عنده مظلمة إلا مظلمة يهبها صاحبها و أئيبه عليها و آخذ له بها عند الحساب ، و تلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهد لكم عليهم و كفى بي شهيداً .

قال : فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا ألزمه

← من تمام النور والايقان فانه سبب تباينهم الموجب لكثرتهم التي يتفرع عليها الجمعية و يحتمل أن يكون المراد « كلما أضاء لهم مشوافيه و اذا أظلم عليهم قاموا » والمعنيان متقاربان . و هذا كلام المؤلف - رحمه الله - في الوافي .

(١) أي صياحهم و أصواتهم .

(٢) يمكن أن يكون اشراف الله تعالى كناية عن توجهه الى محاسبتهم فالاشراف في

حقه مجاز وفي الملائكة حقيقة .

(٣) أي أوداج أعناقهم ، قال الفيروز آبادي : الفريس : أوداج العنق و الفريضة

واحدته واللحمة بين الجنب والكتف التي لا تزال ترعد .

(٤) أي يمدون أعناقهم لسماع صوته . مهطمين أي مسرعين . واهطع : اذا مدعته .

(٥) القمر : ٨ . (٦) أي هبات المظالم و ابراء الذمم .

بها قال : فيمكنون ماشاء الله فيشتد حالهم و يكثر عرقهم ^(١) و يشتد غمهم وترتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنسون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها ، قال : ويطلع الله على جهدهم ^(٢) فينادي مناد من عند الله تعالى يسمع آخرهم كما يسمع أولهم يا معشر الخلائق أنصتوا لداعي الله تعالى و اسمعوا أن الله تعالى يقول : أنا الوهاب إن أحببتهم أن تواهبوا فتواهبوا وإن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم ، قال : فيفرحون بذلك لشدة جهدهم و ضيق مسلكهم و تزاحمهم ، قال : فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلصوا مما هم فيه و يبقى بعضهم فيقول : يارب مظالمنا أعظم من أن نهبها قال : فينادي مناد من تلقاء العرش أين رضوان خازن الجنان جنان الفردوس قال : فيأمره الله أن يطلع ^(٣) من الفردوس قصرأ من فضة بما فيه من الأبنية و الخدم ، قال : فيطلعه عليهم في حفاة القصر الوصائف والخدم ^(٤) قال : فينادي مناد من عند الله تعالى يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر ، قال : فيرفعون رؤوسهم و كلهم يتمناه ، قال : فينادي مناد من عند الله تعالى يا معشر الخلائق هذا لكل من عفا عن مؤمن ، قال : فيعفون كلهم إلا القليل ، قال : فيقول الله تعالى : لا يجوز إلى جنّتي اليوم ظالم و لا يجوز إلى ناري اليوم ظالم و لأحد من المسلمين عنده مظلمة حتى يأخذها منه عند الحساب أيها الخلائق استعدوا للحساب ، قال : ثم يخلى سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يكردهم بعضهم بعضاً ^(٥) حتى ينتهوا إلى العرصة و الجبارتعالى

(١) لما رأوا من شغل ذمهم بالمظالم وتردهم في ابراء خصمائهم من مظالمهم أو

أخذهم بها لجهلهم

(٢) يعني انهم يطلعون و قتنذ على اطلاع الله على مشقتهم والا فان الله سبحانه لم

يزل معلماً على السرائر والعلن .

(٣) من باب الافعال أى يظهره لهم .

(٤) «حفاة القصر» أى جوانبه . والوصائف والخدم من باب عطف أحد المترادفين

على الاخر والخدم أعم من الاتاث

(٥) الكرد : الطرد والدفع .

على العرش^(١) قد نشرت الدواوين و نصبت الموازين و أُحضر النبيون و الشهداء و هم الأئمة يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله تعالى و دعاهم إلى سبيل الله قال (الرأوي) فقال : له رجل من قریش يا ابن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار قال : فقال له علي بن الحسين عليه السلام : يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ماله على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة ، قال : فقال له القرشي فأذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم كيف تؤخذ مظلمته من المسلم ؟ قال : يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم ، قال : فقال له القرشي : فإن لم يكن للظالم حسنات ، قال : إن لم يكن للظالم حسنات فإن كان للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم^(٢) .

قال أبو حامد : فأعظم بيوم يكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك من النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم و وجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم ، قال أبو هريرة : قال عليه السلام : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبناً و مشاة و على وجوههم ، فقال رجل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم^(٣) » وفي طبع الآدمي إنكار كل مالم يأنس به فلو لم يشاهد الإنسان الحيّة وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصوّر المشي على غير رجل ، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك ، فإيّاك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثمّ عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشدّ إنكاراً لها ، فاحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء و أعظم بهذه الحالة فإنّها عظيمة .

(١) أي مستولى على العرش يأتي أمره من قبل العرش .

(٢) الكافي ج ٨ ص ١٠٤ . (٣) رواه البغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٠٧ .

﴿ صفة العرق ﴾

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حين ازدحهم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع و طير وقد أشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها^(١) وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون ، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضى لحر الشمس قد صهرته بحرّها واشتدّ كربها وغمها من وهجها ثم تدافعت الخلائق يدفع بعضها بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانصاف إليه من شدة الخجلة من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحرها وحر الأنفاس واحترق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ، ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم إلى حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاريغيب فيه قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ : « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه »^(٢).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ : « يترق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويلجمهم ويبلغ آذانهم » كذا رواها البخاري ومسلم في الصحيح^(٣) وفي حديث آخر « قياماً شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء

(١) هذا لا يلائم قوله تعالى : « إذا الشمس كورت » وقوله تعالى : « و خسف القمر و جمع الشمس والقمر » وقول أبي حامد آنفأ « وطس القمر والشمس وأظلمت الأرض لخمودسراجها .. الخ » نعم ورد في الروايات أن القيامة حرها شديد لكن أحكام القيامة وشرائطها غير شرائط الدنيا ولا يقاس حرارة الآخرة ونورها بنور الدنيا وحرارتها ومن قاسها فمن قلة فهمه وعدم تدبره في آيات الله .

(٢) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٣٨ ومسلم ج ٨ ص ١٥٧ وأحمد ج ٢ ص ١٠٧ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٣٨ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٥٨ وفيه زيادة .

فيلجمهم العرق من شدّة الكرب»^(١) وقال عقبه بن عامر: قال رسول الله ﷺ: «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ فاه - فأشار بيده فألجمها فاه - و منهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده على رأسه هكذا»^(٢).

أقول: وقد مرّ من طريق الخاصّة «أنّه يكثر عرقهم» ويأتي أيضاً «أنّ العرق يلجمهم».

قال أبو حامد: فتأمّل يا مسكين في عرق أهل المحشر و شدّة كربهم وأنّ فيهم من ينادي ويقول: ربّ أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار فكلّ ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فأنّك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق، و اعلم أنّ كلّ عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حجّ و جهاد و صيام و قيام و تردّد في قضاء حاجة مسلم و تحمّل مشقّة في أمر بمعروف ونهي عن منكر فيستخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة و يطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أنّ تعب العرق في تحمّل مصاعب الطاعات أهون أمراً و أقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنّه يوم عظيم شديد طويل مدته.

﴿صفة طول يوم القيمة﴾

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم متفطرة قلوبهم، لا يتكلّمون ولا ينظر في أمورهم قال كعب و قتادة: «يوم يقوم الناس لربّ العالمين»^(٣) قالوا: يقومون مقدار ثلاثمائة عام. و قال عبدالله بن عمر: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية، ثمّ قال: كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر

(١) أخرجه ابن عدى من حديث ابن مسعود. و نحوه ابن الدنيا و الطبراني

عنه أيضاً كما في الترغيب ج ٤ ص ٣٩١ في حديث طويل.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٥٧ من حديث عقبه.

(٣) المطففين: ٦.

إليكم» (١).

أقول: ومن طريق الخاصة ما روينا عن الصادق عليه السلام في حديث له « فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة » ثم تلا « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٢).

وعنه عليه السلام « مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لرب العالمين مثل السهم في القرب ليس له من الأرض إلا موضع قدمه كالسهم في الكنانة لا يقدر أن يزول ههنا ولا ههنا » (٣).

قال أبو حامد : فتأمل في طول هذا اليوم وشدّة الانتظار فيه حتّى يخفّ عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر ، و اعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدّة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنّه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصّة قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما سئل عن طول ذلك اليوم ، فقال : « والذي نفسي بيده إنّه ليخفّ على المؤمن حتّى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلّيها في الدنيا » (٤) فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام بقي لك نفس من عمرك فالأمر إليك و الاستعداد بيدك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تريح ربّك لا تنتهي لسروره و استحققر عمرك لابل عمر الدنيا و هو سبعة آلاف سنة فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتتخلّص من يوم واحد مقداره خمسون ألف سنة لكن ربك كثير و تعبك يسيراً .

﴿صفة يوم القيامة ودواهيها واساميه﴾

فاستعدّ يامسكين لهذا اليوم العظيم شأنه ، المديد زمانه ، القاهر سلطانه القريب

(١) أخرجه الحاكم ج ٤ ص ٥٧٢ و قال : صحيح .

(٢) رواه البفيد في أماليه والشيخ في مجالسه ص ٢٢ من رواية حفص بن غياث عن

الصادق عليه السلام . و روى مثله الكليني في الروضة ص ١٤٣ .

(٣) رواه الكليني في الكافي ج ٨ ص ١٤٣ تحت رقم ١١٠ .

(٤) رواه أحمد و أبو يعلى و اسناده حسن من حديث أبي سعيد الخدري كما في مجمع

أوانه ، يوم ترى السماء فيه قد انقطرت ، و الكواكب من هولاه قد انتشرت ، و النجوم الزواهر قد انكدرت ، و الشمس قد كوّرت و الجبال قد سيرت و العيشار قد عطّلت ^(١) و الوحوش قد حشرت ، و البحار قد سجّرت ، و النفوس قد زوّجت ، و الجحيم قد سعّرت ، و الجنة قد أزلقت ، و الجبال قد نسفت ، و الأرض قد مدّت ، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها و أخرجت الأرض أثقالها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليرّوا أعمالهم ، يوم تحمل الأرض و الجبال فدكتا دكتة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، و انشقت السماء فهي يومئذ واهية و الملك على أرجائها ، و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، يوم تسير فيه الجبال و ترى الأرض هامدة ، يوم ترج في الأرض رجاً ، و تبس الجبال بسباً فكانت هباءً منبثاً ، يوم يكون الناس كالفرش المبثوث ، و تكون الجبال كالعين المنفوش ، يوم تذهل فيه كلّ مرضعة عما أرضعت ، و تضع كلّ ذات حمل حملها ، و ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض و السموات و برزوا لله الواحد القهار ، يوم تنسف فيه الجبال نسفاً فتترك قاعاً صفصفاً لا ترى فيه عوجاً و لأمناً ، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب ، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان ، فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس و لاجانّ ، يوم يمنع العاصي فيه من الكلام و لا يسئل فيه أحدٌ عن الاحترام ، بل يؤخذ بالنواصي و الأقدام ، يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها و بينه أمداً بعيداً ، يوم يعلم فيه كلّ نفس ما أحضرت و يشهد ما قدمت و أخّرت ، يوم تخرس فيه الألسن و تنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيّد المرسلين إذ قيل له : أراك قد شبت يارسول الله ، فقال : « شيبتني سورة هود و الواقعة و المرسلات و عمّ يتساءلون و إذا الشمس كورت ^(٢) » .

(١) العشار النوق اللاني انى على حملهن عشرة أشهر ، و عطّلت أى فلا يكون

من يحملها .

(٢) أخرجه الترمذى وحسنه و العاكم و صحّحه و قد تقدم .

فيا أيها القاري، العاقل إنَّما حظَّك من قراءة كتابك أن تجتمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكراً فيما تقرأه لكنت جديراً بأن تنشقَّ مرارتك بما شاب من هوله شعر سيد البشر، وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حُرمت ثمرة القرآن فالقيامَة أحد ما ذكر فيه، وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها التقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود تكرير الأسماء والألقاب، بل الغرض تشبيه أولى الألباب، فتحت كلَّ اسم من أسماء القيامة سرّاً، وفي كلِّ نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجتمع لك أساميها فهي يوم القيامة، ويوم الحسرة، ويوم الندامة، ويوم المحاسبة، ويوم المساءلة، ويوم المسابقة، ويوم المنافسة، ويوم المناقشة، ويوم الزلزلة، ويوم الدُّممة، ويوم الصاعقة، ويوم الواقعة، ويوم القارعة، ويوم الرُّجفة، ويوم الرُّادفة، ويوم الغاشية، ويوم الداهية، ويوم الآزفة، ويوم الحاقّة، ويوم الطامة، ويوم الصاخّة، ويوم الطلاق، ويوم الفراق، ويوم المساق، ويوم القصاص، ويوم التناد، ويوم الحساب، ويوم المطاب، ويوم العذاب، ويوم الفرار، ويوم القرار، ويوم اللقاء، ويوم البقاء، ويوم القضاء، ويوم الجزاء، ويوم البلاء، ويوم البكاء، ويوم الحشر، ويوم الوعيد، ويوم العرض، ويوم الوزن، ويوم الحقّ، ويوم الحكم، ويوم الفصل، ويوم عقيم، ويوم عسير، ويوم الدّين، ويوم اليقين، ويوم النشور، ويوم المصير، ويوم النفخة، ويوم الصيحة، ويوم الرُّجفة، ويوم الرُّجّة، ويوم الزجرة، ويوم السكرة، ويوم الفزع، ويوم الجزع، ويوم المنتهى، ويوم المأوي، ويوم المبيقات، ويوم المعاد، ويوم المرصاد، ويوم القلق، ويوم العرق، ويوم الافتقار، ويوم الانكدار، ويوم انتشار، ويوم الانشقاق، ويوم الوقوف، ويوم الخروج، ويوم الخلود، ويوم الوعيد، ويوم التغابن، ويوم عبوس، ويوم معلوم، ويوم موعود، ويوم مشهود، ويوم لا يرب فيه، ويوم تبلى السرائر، ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، ويوم تشخص فيه الأبصار، ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً،

و يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً ، و يوم يدعون إلى نار جهنم دعواً ، و يوم يسحبون في النار على وجوههم ، و يوم تقلب وجوههم في النار ، و يوم لا يجزي والد عن ولده شيئاً ، و يوم يفر المرء من أخيه ، و يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، و يوم لا مرد له من الله ، و يوم هم بارزون ، و يوم هم على النار يفتنون ، و يوم لا ينفع مال ولا بنون ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و لهم اللعنة ، و لهم سوء الدار ، يوم ترد فيه المعاذير ، و تبلى السرائر ، و تظهر الضمائر ، و تكشف الأستار ، و يوم تخشع فيه الأبصار ، و تسكن الأصوات ، و يقل فيه اللغات ، و تبرز الخفيات ، و تظهر الخطيئات و الخبيثات ، يوم يساق العباد و معهم الأشهاد و يشيب الصغير و يسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين و نشرت الدواوين و برزت الجحيم و أعلى بالحميم و زفرت النار و يس الكفبار و سعرت النيران و تغيرت الألوان و خرس اللسان و نطقت جوارح الإنسان ، فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب و أرخيت الستور و استترت عن الخلائق بمقارفة الفجور فماذا تفعل و قد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله تعالى إلينا سيّد المرسلين و ينزل عليه الكتاب المبين و يخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا و يقول : « اقرب للناس حسابهم و هم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه و هم يلعبون لاهية قلوبهم » (١) ثم يعرفنا قرب القيامة و يقول : « اقتربت الساعة و انشق القمر » (٢) و يقول : « إنهم يرونه بعيداً و نراه قريباً » (٣) « و ما يدريك لعل الساعة تكون قريباً » (٤) ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه و لا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم و أساميه و لا نستعد للتخلص من دواهيته فنعوذ بالله من هذه الغفلة فنحن هالكون إن لم يتداركنا الله بواسع الرحمة .

﴿ صفة المسألة ﴾

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاهاً من غير ترجمان فمسأل عن القليل والكثير والنقيير والقطمير فبيننا أنت في كرب القيامة

(١) الانبياء: ١ . (٢) القمر: ٢ . (٣) المعارج: ٦ . (٤) الاحزاب: ٦٣ .

وعرقها وشدّة عظامها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماوات بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظشداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل ملكاً ما بين شفري عينيه مسيرة خمسمائة عام ^(١) » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدّة اليوم ، مستشعرين بما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفاً من أن يكونوا هم المأخوذين ، فهذا حال المقرّبين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر أقوام من شدّة الفزع فيقولون للملائكة : أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدّة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم عن أن يكون فيهم فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكنهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا : سبحان ربنا ما هو فينا ولكنّه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفّاً محدقين بالخلائق من الجوانب ، وعلى جميعهم شعار الذلّ والخشوع وهيئة الخوف والمهابة لشدّة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله : « فلنستلنّ الذين أرسل إليهم ولنستلنّ المرسلين » فلنقتصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين ^(٢) » « فوربك لنسألنهم أجمعين » عما كانوا يعملون ^(٣) » فيبدأ بالأنبياء وذلك قوله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ^(٤) » فيا لشدّة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدّة الهيبة إذ يقال لهم : ماذا أجبتم ؟ وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا ، فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون ، فيقولون من شدّة الهيبة : « لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب » وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقوّمهم الله تعالى فيدعى نوح فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لاؤمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما آتانا من نذير . ويؤتى

(١) قال العراقي : لم أره بهذا اللفظ .

(٢) الاعراف : ٥ و ٦ . (٣) الحجر : ٩٣ و ٩٤ .

(٤) المائدة : ١٠٩ .

بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له : « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ^(١) » فيبقى متشحطاً تحت هيمة هذا السؤال سنين فيالعظم يوم يقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ، ثم تقبل الملائكة فتنادون واحداً واحداً يا فلان بن فلانة هلمَّ إلى موقف العرض و عند ذلك ترتعد الفرائص و تضرب الجوارح و تبهت العقول ، و يتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار و لاتعرض قبائح أعمالهم على الجبار و لا يكشف سترهم على ملائ الخلائق ، و قبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش و أشرف الأرض بنور ربها و ووض الكتاب ، و يقن قلب كل عبد بإقبال الجبار لمساءلة العباد ، و ظن كل واحد أنه المراد دون أحد سواه و أنه المقصود بالأخذ و السؤال دون من عداه ، فيقول الجبار سبحانه عند ذلك : يا جبرئيل ائتني بالنار فجاءها جبرئيل و قال لها : يا جهنم أجيبي خالقك وملكك ، فيصادفها جبرئيل على تغيطها و غضبها ، فلم تلبث بعد ندائه أن ثارت و فارت و زفرت إلى الخلائق و شهقت و سمع الخلائق تغيطها و زفيرها و انتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضباً على من عصى الله تعالى و خالف أمره ، فاخطر ببالك و أحضر في قلبك حالة قلوب العباد و قد امتلأت فزعاً و رعباً فتساقطوا جثياً على الركب و ولوا مدبرين « يوم ترى كل أمة جاثية » و سقط بعضهم على الوجوه منكبين و ينادي الظالمون و العصاة بالويل و الثبور ، و ينادي الصديقون نفسي نفسي ، فبيناهم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فيضاعف خوفهم و تخالفت قواهم و ظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقطت الخلائق لوجوههم و شخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي ، و انهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين ، و ذهلت العقول من السعداء و الأشقياء أجمعين ، و بعد ذلك يقبل الله تعالى على الرسل و يقول : « ماذا أجبتم » .

أقول: و من طريق الخاصة في هذا الباب ما رواه علي بن إبراهيم باسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله عز وجل : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » ^(٢)

قال : « إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فيمرون بأهوال يوم القيامة فينتهون إلى العرصة ، ويشرف الجبار عليهم حتى يجهدوا جهداً شديداً قال : يقفون بفناء العرصة ويشرف الجبار عليهم وهو على عرشه فأول من يدعى بندا ، يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمد بن عبدالله النبي القرشي العربي قال : فيقدم حتى يقف على يمين العرش ، قال : ثم يدعى بصاحبكم فيقدم حتى يقف على يسار رسول الله ﷺ ، ثم يدعى بأمة محمد ﷺ فيقفون عن يسار علي ﷺ ، ثم يدعى بكل نبي وأُمَّته معه من أول النبيين إلى آخرهم وأُممهم معهم فيقفون عن يسار العرش قال : ثم أول من يدعى للمساءلة القلم قال : فيتقدم فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين فيقول الله : هل سطرت في اللوح ما ألهمتك وأمرتك به من الوحي ؟ فيقول القلم : نعم يا رب قد علمت أنني قد سطرت في اللوح ما أمرتني وألهمتني به من وحيك فيقول الله : فمن يشهد لك بذلك ؟ فيقول : يا رب هل اطلع على مكنون سرِّك خلق غيرك ؟ ! قال : فيقول له : أفلجت حجبتك ، قال : ثم يدعى باللوح فتقدم في صورة الآدميين حتى يقف مع القلم فيقول له : هل سطر فيك القلم ما ألهمته وأمرته به من وحي ؟ فيقول اللوح : نعم يا رب وبلغته إسرأفيل فيدعى بإسرأفيل فيتقدم مع القلم واللوح في صورة الآدميين فيقول الله : هل بلغك اللوح ما سطر فيه القلم من وحي ؟ فيقول : نعم يا رب وبلغته جبرئيل ، فيدعى بجبرئيل فتقدم حتى يقف مع إسرأفيل فيقول الله له : هل بلغك إسرأفيل ما بلغ ؟ فيقول : نعم يا رب وبلغته جميع أنبيائك وأنهذت إليهم جميع ما انتهى إلي من أمرك وأديت رسالتك إلى نبي نبي ورسول رسول وبلغتهم كل وحيك وحكمتك وكتبك ، إن آخر من بلغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتابك وكلامك محمد بن عبدالله العربي القرشي الحرمي حبيبك ، قال أبو جعفر عليه السلام : فأول من يدعى من ولد آدم للمساءلة محمد بن عبدالله ﷺ فيدنيه الله حتى لا يكون خلق أقرب إلى الله يومئذ منه فيقول الله : يا محمد هل بلغك جبرئيل ما أوحيت إليه وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي ؟ وهل أوحى ذلك إليك ؟

فيقول رسول الله ﷺ : نعم يا ربّ قد بلغني جبرئيل جميع ما أوحيته إليه ، و أرسلته به من كتابك و حكمتك و علمك و أوحاه إليّ ، فيقول الله لمحمد : هل بلغت أمّتك ما بلغك جبرئيل من كتابي و حكمتي و علمي ؟ فيقول رسول الله ﷺ : نعم يا ربّ قد بلغت أمّتي جميع ما أوحيت إليّ من كتابك و حكمتك و علمك و جاهدت في سبيلك ، فيقول الله لمحمد : فمن يشهد لك بذلك ؟ فيقول محمد : يا ربّ أنت الشاهد لي بتبليغ الرّسالة و ملائكتك و الأبرار من أمّتي و كفى بك شهيداً ، فيدعى بالملائكة فيشهدون لمحمد بتبليغ الرّسالة ، ثمّ يدعى بأمة محمد فيسئلون هل بلغكم محمد رسالتي و كتابي و حكمتي و علمي و علمكم ذلك ؟ فيشهدون لمحمد بتبليغ الرّسالة و الحكمة و العلم ، فيقول الله لمحمد : فهل استخلفت في أمّتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي و علمي و يفسّر لهم كتابي و يدينّ لهم ما يختلفون فيه من بعدك حجة لي و خليفة في الأرض ؟ فيقول محمد : نعم يا ربّ قد خلّفت فيهم عليّ بن أبي طالب أخي و وزيري و وصيي و خير أمّتي و نصبته لهم علماً في حياتي و دعوتهم إلى طاعته و جعلته خليفتي في أمّتي إماماً يقتدي به الأمة بعدي إلى يوم القيامة ، فيدعى بعليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقال له : هل أوصى إليك محمدٌ و استخلفك في أمّته و نصبك علماً لأمّته في حياته و هل قمت فيهم من بعده مقامه ؟ فيقول له عليّ عليه السلام : نعم يا ربّ قد أوصى إليّ محمدٌ و خلّفني في أمّته و نصبني لهم علماً في حياته ؟ فلما قبضت محمداً إليك جحدتني أمّته و مكروا بي و استضعفوني و كادوا يقتلوني و قدّموا قدّامي من أخّرت و أخّروا من قدّمت و لم يسمعوا منّي و لم يطيعوا أمري ، فقاتلتهم في سبيلك حتى قتلوني ، فيقال لعليّ عليه السلام : هل خلّفت من بعدك في أمة محمد حجة و خليفة في الأرض يدعو عبادي إلى ديني و إلى سبيلي ؟ فيقول عليّ عليه السلام : نعم يا ربّ قد خلّفت فيهم الحسن ابني و ابن بنت نبيّك ، فيدعى بالحسن بن عليّ فيسأل عمّا سئل عنه عليّ بن أبي طالب ، قال : ثمّ يدعى بإمام إمام و بأهل عالمه فيحتجّون بحجّتهم فقبل الله عندهم و يجيز حجّتهم ، قال : ثمّ يقول الله : « اليوم

ينفع الصادقين صدقهم» قال : ثم انقطع حديث أبي جعفر عليه وعلى آبائه السلام^(١).
قال أبو حامد : فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة ففرّ الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوجة من زوجها وبقي كل واحد منتظراً لأمره ثم يؤتى بواحد واحد فيسأله الله شفاهاً عن قليل عمله وكثيره و عن سرّه و علانيته و عن جميع جوارحه و أعضائه .

فتوهمّ نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضدك و أنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاهاً فيقول لك : ألم أُنعم عليك بالشباب ففيماداً أبليتة ؟ ألم أمهل لك في العمر ففيماداً أفنيته ؟ ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته ، و فيماداً أنفقته ؟ ألم أكرمك بالعلم فماداً عملت فيما علمت ؟ فكيف ترى حياءك و خجلتك و هو بعد ذلك عليك إنعامه و معاصيك و أياديه و مساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك ، قال أنس : كننا يوماً مع رسول الله ﷺ فضحك ، ثم قال : «أتدرون مم أضحك؟ قلنا الله و رسوله أعلم قال : من مخاطبة العبد ربّه يقول : يا ربّ ألم تجزني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، قال : فيقول : فإني لأجيز على نفسي الأشهاداً منّي ، فيقول : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً »^(٢) و بالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقي قال : فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول لأعضائه بعداً لكنّ و سُحقاً فعنك كنت اُناضل^(٣) . فنعوذ بالله من الافتضاح على ملائحة الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره ، و قد قال رسول الله ﷺ : « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة »^(٤) فهذا إنما يرجي لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتجبل في حقّ نفسه تقصيرهم و لم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس و لم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جديرٌ بأن يجازى بمثله في القيامة ، وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس

(١) تفسير على بن ابراهيم القمي ص ١٧٨ الى ١٨٠ . (٢) الاسراء : ١٤ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه وابن أبي الدنيا في التوبة واللفظ له وابن أبي حاتم و

البيهقي في الاسماء والصفات من حديث أنس . (٤) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢١ وقد تقدم .

قد قرع سمعك النداء إلى العرض فيكفيك تلك الرُّوعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطربٌ ولبك طائرٌ وفرائصك مرتعدة و جوارحك مضطربة ولونك متغيّر ، والعالم عليك من شدّة الهول مظلم ، فقدّر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطّى الرُّقاب و تحرق الصفوف و تقاد كما يقاد الفرس المجنوب ، و قد رفعت الخلائق إليك أبصارهم فتوهّم نفسك في أيدي الموكّلين بك على هذه الصفة انتهوا بك إلى عرش الرّحمن فرموك من أيديهم ويناديك الله سبحانه بعظيم كلامه : يا ابن آدم أدن منّي فدنوت منه بقلب خافق محزون وجيل ، و طرف خاشع ذليل ، وفؤاد منكسر ، وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسيتها فذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها ، فكم لك من خجلة و حيرة ، و كم لك من حصر وعي فليت شعري بأيّ قدم تقف بين يديه و بأيّ لسان تجيب و بأيّ قلب تعقل ما تقول ؟ ثمّ تفكّر في عظيم حياتك إذا ذكرك ذنوبك شفاهاً إذ يقول : يا عبدي أما استحييت منّي فبارزني بالقبيح : واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجمّيل ؟ أ كنتُ أهون عليك من سائر عبادي إذ تخففت بنظري إليك فلم تكترث و استعظمت نظر غيري ألم أنعم عليك ؟ فماذا عرّك بي ؟ أظننت أنّي لأراك و أنّك لاتلقاني ؟ قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا ويسأله الله ربّ العالمين ليس بينه و بينه حجاب ولا ترجمان ^(١) » و قال رسول الله ﷺ : « ليمقن أحدكم بين يدي الله عزّ وجلّ ليس بينه و بينه حجاب فيقول له : ألم أنعم عليك ؟ ألم اوتك مالاً ؟ فيقول : بلى فيقول : ألم أرسل عليك رسولاً ؟ فيقول : بلى ، ثمّ ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النّار ثمّ ينظر عن شماله فلا يرى إلا النّار ، فليمتق أحدكم النّار ولو بشقّ تمرّة فإن لم يجد فبكلمة طيبة ^(٢) . »

و قال ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عزّ وجلّ به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثمّ يقول : يا ابن آدم ما عرّك بي ؟ يا ابن آدم ما عملت فيما علمت ؟ يا ابن آدم ماذا أحببت المرسلين ؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينيك ^(١) و ^(٢) أخرجه مسلم ج ٣ ص ٨٦ من حديث عدى بن حاتم بلفظ « الا سيكلمه » .

وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيباً على أذنيك وأنت تسمع بهما؟ وهكذا حتى عد سائر الأعضاء . وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه ، وعن عمله ماذا عمل به ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، فأعظم يامسكين بحيائك عند ذلك و بخطرِكَ فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك و فرحك و يغبطك الأ ولون والآخرون و بين أن يقال للملائكة : خذوا هذا العبد السوء فغلووه ثم الجحيم صلوه ، و عند ذلك لو بكت عليك السماوات و الأرض لكان ذلك جديراً بعظيم مصيبتك و شدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله و على ما بعث آخرتك من دنيا دنيّة لم تبق معك ؟ !

❖ (صفة الميزان) ❖

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان و تطاير الكتب إلى الأيمان و الشمائل فإنّ الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلنقطهم لقط الطير الحب و ينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار و ينادي عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها ، و قسم آخر لاسيئة لهم فينادي مناد ليقيم الحامدون لله على كل حال فيقومون و يسرحون إلى الجنة ، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ، ثم بمن لم يشغله تجارة و لا بيع عن ذكر الله تعالى و ينادي عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ، و يبقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً و قد يخفى عليهم و لا يخفى على الله أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضلهم عند العفو و عدله عند العقاب ، فتطائر الصحف و الكتب منطوية على الحسنات و السيئات و ينصب الميزان و تشخص الأ بصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ، ثم إلى لسان الميزان أي ميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات ، و هذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق ، قال رسول الله ﷺ في يوم القيامة : « إنه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول : قم يا آدم فابعث بعث النار ، فيقول :

وكم بعث النَّار؟ فيقول: من كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون [في النَّار و واحد في الجنة] فلما سمع الصحابة بذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى نبيُّ الله ﷺ الذي عند أصحابه قال: اعملوا و أبشروا فوالذي نفس محمد بيده إنَّ معكم لخلقيتين ما كانتا مع أحد قطُّ إلا أكثرناه مع من هلك من بني آدم و بني إبليس قالوا: و ماهما يارسول الله قال: يأجوج ومأجوج، قال: فسرتي عن القوم، فقال: اعملوا و أبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في النَّاس يوم القيامة إلا كالشاة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة (١).

﴿صفة الخصماء ورد المظالم﴾

فقد عرفنا هول الميزان وخطره فابن الأعين شاحصة إلى لسان الميزان «فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فأمه هاوية و ما أدريك ماهيه نارٌ حامية» و اعلم أنه لا ينجو عن خطر الميزان و الحساب إلا من حاسب في الدنيا نفسه و وزن فيها بميزان الشرع أعماله و أقواله و خطراته و لحظاته كما ورد «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ووزنها قبل أن توزنوا» و إنما حاسبه لنفسه أن يتوب عن كلِّ معصية قبل الموت توبة نصوحاً ، و يتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله . و يردُّ المظالم حبة بعد حبة و يستحلُّ كلُّ من تعرَّض له بلسانه و يده و سوء ظنه بقلبه و يطيب قلوبهم حتى يموت و لم يبق عليه مظلمة و لا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب و إن مات قبل ردِّ المظالم أحاطت به خصماؤه فهذا يأخذ بيده ، و هذا يقبض على ناصيته ، و هذا يتعلَّق بتلبيبه ، هذا يقول ظلمتني و هذا يقول شتمتني ، و هذا يقول : قد استهزأت بي ، و هذا يقول : ذكرتني في الغيبة بما يسوءني ، و هذا يقول : جاورتني فأسأت جوارتي ، و هذا يقول عاملمتني فغششتني ، و هذا يقول : بايعتني فغبتني و أخفيت عني عيب سلعتك ، و هذا يقول : كذبت في سعر متاعك ، و هذا يقول رأيتني محتاجاً و كنت غنياً فما أطعمتني ، و هذا يقول : وجدتني مظلوماً و كنت قادراً على دفع الظلم عني فداهنت الظالم و ما راعيتني ، فبينما أنت كذلك و

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ومسلم ج ١ ص ١٣٩ .

قد أنشب الخصماء فيك محالبهم فأحكموا في تلايبك أيديهم و أنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرءاء إلى سيدك و مولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم» فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة ، و توقن نفسك بالبوار و تتذكر ما أنذرك الله تعالى به على لسان رسوله حيث قال : « و لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعين رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم و افتدتهم هواً (١) فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس و تناولك أموالهم ، و ما أشد حسرتك في ذلك إذا وقف بك على بساط العدل و شوفت بخطاب السياسة و أنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظاهر عذراً فعند ذلك يؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك و تنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم فقد روي عن رسول الله ﷺ : « هل تدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يارسول الله من لادرهم له و لا متاع ، فقال : المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة و زكاة و صيام ، و يأتي قد شتم هذا ، و قذف هذا ، و أكل مال هذا ، و سفك دم هذا و ضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته و إن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (٢) » .

أقول : وقد مر في صفة أهل المحشر حديث طويل من طريق الخاصة في الخصماء و ردّ المظالم و بيان ذلك مفصلاً .

قال أبو حامد : فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الرءاء و مكائد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرك خصماؤك و أخذوها و لو أنّك حاسبت نفسك و أنت مواظب على صيام النهار

(١) ابراهيم : ٤٢ و ٤٣ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٨ و قد تقدم غير مرة .

وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا و يجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك فكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتصر فيه للجماة من القرناء، فقد روي عن أبي ذرٍّ « أن النبي ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال ، يا أبا ذرٍّ أتدري فيما ينتطحان ؟ قلت : لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة ^(١) » وروي في قوله تعالى : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ^(٢) » أنه يحشر الخلق يوم القيامة، البهائم و الدواب و الطير و كل شيء، فيبلغ من عدل الله عز وجل أن يأخذ للجماة من القرناء ، ثم يقول كوني تراباً فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً » فكيف أنت يا مسكين في قوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول : أين حسناتي ؟ فيقال لك قد نقلت إلى صحيفة خصمائك و ترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك و اشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول : يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم و شتمتهم و قصدتهم بالسوء، و ظلمتهم في المبايعة و المجاورة و المخاطبة و المناظرة و المذاكرة و المدارس و سائر أصناف المعاملة ، قال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان قديس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات و هي الموبقات ، فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنها ستنجينه ، فما يزال عبد يجيء فيقول : يا رب إن فلاناً ظلمني بمظلمة فيقال : امح من حسناته ، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيء ، وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا فلم يلبثوا أن أوقدوا نارهم وصنعوا ما أرادوا و كذلك الذنوب ^(٣) » .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٦٢ .

(٢) الانعام : ٣٨ .

(٣) أخرجه أبو يعلى وفيه ابراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد

و من اجتمعت عليه مظالم و قد تاب عنها و عسر عليه استحلال أرباب المظالم فليستكثر من حسناته ليوم القصاص و ليستر ببعض الحسنات بينه و بين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقرّ به ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي أرّخه لأحبائه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم .

أقول: ثم أورد أبو حامد حديثاً عن أنس يغني عن ذكره ما قدّمناه من طريق الخاصة ثم قال : فنفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطّف بك حتى عفى عنك و أيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من فصل القضاء و قد خلع عليك خلعة الرضا و وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء و بنعيم لا يدور بحواشيه الفناء ، و عند ذلك طار قلبك سروراً و فرحاً و ابيضّ وجهك و استنار و أشرق كما يشرق القمر ليلة البدر ، فتوهّم نفسك يتحرك بين الخلايق رافعاً رأسك خالياً عن الأوزار ظهرك ، و نضرة النعيم تعرف في وجهك و برد الرضا يتلأأ من جبينك و خلق الأولين والآخريين ينظرون إليك وإلى حالك و يرغبونك في حسنك و جمالك و الملائكة يمشون بين يديك و من خلفك و ينادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان قدرضي الله عنه و أرضاه و قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً فترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا برباك و مدهانتك و تصنعك و تزيّتك ، فان كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسّل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافي و النية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به و إن تكن الأخرى و العياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هيمةً وهي عند الله عظيم فمقتك لأجلها وقال : عليك لعنتي يا عبد السوء لأنقبّل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا و يسوّد وجهك ثم تغضب عليك الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون : عليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين ، و عند ذلك ينثال إليك الرّبانية و قد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها و زعارتها ^(١) و صورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملاً

(١) انثال اليه الناس من كل وجه أى انصبوا . والزعارة : الشراسة وهي سوء الخلق.

الخلائق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادي بالويل والشبور وهم يقولون لك : « لا تدع اليوم ثبوراً واحداً وادع ثبوراً كثيراً » و تنادي الملائكة ويقولون : هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبايح مساويه ، فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ، وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خيفة من عباد الله أو طلباً للمكانة في قلوبهم أو خوفاً من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملام العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم ، فهذه أحوالك وأنت بعد لم تشعر الخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

﴿ صفة الصراط ﴾

ثم تفكر بعد هذه الأحوال في قول الله تعالى : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً » ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً^(١) » وفي قوله تعالى : « فاهدوهم إلى الصراط الجحيم » ويفوهم إنهم مسؤولون^(٢) » فالناس بعد هذه الأحوال يساقون إلى الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ، و من عدل عن الاستقامة في هذا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى ، عثر في أول قدم من الصراط وتردى ، فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط دقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك و ثقل ظهرك بالأوزار الممانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى قدميك فأحسست بحدته واضطرت إلى أن ترفع القدم الثاني والجلاليق بين يديك يزلون ويتعشرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلايب وأنت تنظر إليهم كيف يبتكسون فيتسفل إلى جهة النار رؤوسهم و

تعلو أرجلهم ، فياله من منظرٍ ما أفضعه و مرتقى ما أصعبه و مجاز ما أضيقه ، فانظر إلى حالك و أنت تزحف عليه (١) و تصعد إليه و أنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يميناً و شمالاً إلى الخلق وهم يتهافنون في النار و الرسول ﷺ يقول : يا ربِّ سلمِّ سلمِّ ، و الزعقات (٢) بالويل و الثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من يزلُّ عن الصراط من الخلائق ، فكيف بك لو زلَّت قدمك و لم ينفعك ندمك ، فناديت بالويل و قلت : هذا ما كنت أخافه فياليتني قدِّمت لحياتي ، ياليتني اتَّخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ، يا ليتني كنت تراباً ، يا ليتني كنت نسياً منسياً ، يا ليت أمِّي لم تلدني ، و عند ذلك تخطفك النيران ، و العياذ بالله و ينادي المنادي اخسئوا فيها و لا تكلمون فلا يبقى سبيل إلى الصياح و الأنين و التنفّس و الاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك و هذه الأخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم ، وإن كنت به مؤمناً و عنه غافلاً و بالاستعداد له متهاوناً ، فما أعظم جرأتك و طغيانك ، و ماذا ينفعك إيمانك إذالم يبعثك على السعي في طلب رضا الله بطاعته و ترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط و ارتياع (٣) قلبك من خطرِك في الجواز و إن سلمت فناهيك به هولاً و فزعاً و رعباً قال رسول الله ﷺ : « ينصب الصراط بين ظهرائي جهنم فأكون أوَّل من يجيز بأمته من الرُّسل و لا يتكلَّم يومئذ إلا الرُّسل و دعوى الرُّسل يومئذ اللهمِّ سأم سأم ، و في جهنم كالليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمتها إلا الله تعالى يخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بعمله و منهم من يخردل (٤) ثمَّ ينجو (٤) » .

و قال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ : يمرُّ الناس على جسر

(١) زحف إليه أى مشى . (٢) الزعقة : الصيحة . (٣) الارتياح : الاضطراب .

(٤) أخرجه البخارى ج ٨ ص ١٤٧ من حديث أبي هريرة فى حديث طويل .

(٥) المخردل : المرمى المصروع .

جهنم و عليه حسك و كلاليب و خطاطيف يخطف الناس يمينا و شمالا و على جنبتيه ملائكة يقولون : اللهم سلم سلم ، فمن الناس من يمر عليه كالبرق ، و منهم من يمر كالرّيح ، و منهم من يمر كالفرس المجري ، و منهم من يسعى سعيًا ، و منهم من يمشي مشيًا ، و منهم من يحبو حبواً ، و منهم من يزحف زحفاً ، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون و لا يحيون ، و أمّا أناس يؤخذون بذنوب و خطايا فيحترقون فيكونون فحمًا ، ثم يؤذن في الشفاعة - و ذكر إلى آخر الحديث - « (١) .

و عن ابن مسعود أنه رضي الله عنه قال : « يجمع الله الأولين و الآخرين في صعيد واحد لطيفات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء - و ذكر الحديث إلى ذكر السجود - قال : ثم يقول : ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ، و منهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ، و منهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، و منهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة و يطفأ مرة فاذا أضاء قدمه فمشى وإذا طفى، قام - ثم ذكر مروهم على الصراط على قدر نورهم - فمنهم من يمر كطرف البصر ، و منهم من يمر كالبرق ، و منهم من يمر كالسحاب ، و منهم من يمر كالتقاض الكوكب ، و منهم من يمر كشدّ الفرس ، و منهم من يمر كشدّ الرجل حتى أن الذي أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه و يديه و رجليه يجرّ يداً و يعلّق يداً و يجرّ رجلاً و يعلّق رجلاً و يصيب جوانبه النار ، قال : فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال : الحمد لله فقد أعطاني الله مالاً يعطأ أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل » (٢) .

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه الكليني و الصدوق رحمهما الله عن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٥٨٤ . و رواه مسلم باختلاف في لفظه

ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) رواه الحاكم ج ٤ ص ٥٩٠ في حديث طويل .

أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « لما نزلت هذه الآية « وحي، يومئذ بجهنم ^(١) » سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا جمع الأولين و الآخرين أني بجهنم تقاد بالف زمام آخذ بكل زمام ألف ملك من الغلاظ الشداد لها هدة وتغيظ و زفير وأنها لتزفر الزفرة فلولا أن الله أخرهم للحساب لأهلكت الجميع ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم و الفاجر فما خلق الله عبداً من عباده ملكاً و لانبيأ إلا ينادي يا رب نفسي نفسي و أنت تقول : يا رب أممي أممي ثم يوضع عليها صراط أدق من حد السيف عليه ثلاث قناطر أما واحدة فعلية الأمانة و الرحم و أما الأخرى فعلية الصلاة و أما الثالثة ، فعلية عدل رب العالمين لا إله غيره فيكفون الممر عليه فيحبسهم الرحم و الأمانة فان نجوا منها حبستهم الصلاة و إن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين عز و جل و هو قوله تبارك و تعالى : « إن ربك لبا لمرصا ^(٢) » و الناس على الصراط فمتعلق و قدم تستمسك و قدم تزل ، و الملائكة حولهم ينادون : يا حلیم اغفر واصفح وعد بفضلك و سلم سلم ، و الناس يتهافتون فيها كالفراس فاذا نجانا ج برحمة الله عز و جل نظر إليها فقال : الحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس بمنه و فضله إن ربنا لغفور شكور ^(٣) .

و روى الصدوق عن الصادق عليه السلام قال : « الناس يمزون على الصراط طبقات و الصراط أدق من الشعر و أحد من السيف ، فمنهم من يمر مثل البرق ، و منهم من يمر مثل عدو الفرس ، و منهم من يمر حبوا ، و منهم من يمر مشياً ، و منهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً و تترك شيئاً ^(٤) . »

و باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي عليه السلام : « يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا و أنت و جبرئيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك ^(٥) . »

(١) الفجر : ٢٣ . (٢) الفجر : ١٤ .

(٣) الصدوق في أماليه و علي بن ابراهيم في تفسيره ص ٧٢٤ . (٤) أمالي الصدوق

ص ١٠٧ . (٥) معاني الاخبار ص ٣٥ تحت رقم ٦ و في المصدر فلم يجز .

قال أبو حامد : فهذه أهوال الصراط وعظائمه و طول فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال القيامة من طال فكره فيها في الدنيا فإن الله لا يجمع على عبد خوفين ، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة و لست أعني بالخوف رقعة كرقعة النساء تدمع عينك و يرق قلبك حال السماع ، ثم تنساه على القرب و تعود إلى لهوك و لعبك ، فمادلك من الخوف في شيء ، بل من خاف شيئاً هرب منه و من رجاشئاً طلبه ، فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله و يحثك على طاعته و أبعد من رقعة النساء خوف الحمقى الذين إذا سمعوا الأهوال سبق ألسنتهم إلى الاستعاذة فقال أحدهم : أستعيز بالله ، نعوذ بالله سلم سلم ، وهم مع ذلك مصرّون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم ، فإن الشيطان يضحك من استعاذتهم كما تضحك أنت على من يقصده سبع ضارٍ في صحراء و وراءه حصن حصين فإذا رأى أنياب السبع و صولته من بُعد قال بلسانه : أعوذ بهذا الحصن الحصين و أستعيز بشدة بنيانه و إحكام أركانه ، فيقول ذلك بلسانه و هو قاعد في مكانه ، فأنسى يغني ذلك عن السبع! و كذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقاً ، و معنى صدقه أن لا يكون لك مقصود سوى الله و لا معبود سواه و من اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده و أمره مخطرٌ في نفسه ، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبباً لرسول الله ﷺ حريصاً على تعظيم سنته و متشوقاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته و متبرّكاً بأدعيتهم ، فعساك تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

﴿صفة الشفاعة﴾

إعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل منهم شفاعة الأنبياء و الصديقين بل شفاعة العلماء و الصالحين و كل من له عند الله تعالى جاه بحسن معاملته فإن له شفاعة في أهله و قرابته و أصدقائه و معارفه فكن حريصاً على أن تكسب لنفسك عند الله رتبة الشفاعة و ذلك بأن لاتحقر آدمياً أصلاً فإن الله تعالى خبياً و لا يته في عباده فلعل الذي تزدر به عينك هو ولي الله

ولا تستصغر معصية أصلاً فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة أصلاً فإن الله تعالى خبأ رضاه في طاعاته فلعل رضا الله فيها ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراها ، و شواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة قال الله تعالى : « و لسوف يعطيك ربك فترضى (١) » روى عمر وبن العاص أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام : « رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم (٢) » وقول عيسى ابن مريم عليه السلام : « إن تعدن بهم فإنهم عبادك (٣) » ثم رفع يديه وقال : أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل : يا جبرئيل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك ، فاتاه فسأله ، فأخبره والله أعلم به ، فقال : يا جبرئيل اذهب إلى محمد فقل له : إننا سنرضيك في أمتك و لانسوؤك فيهم (٤) .

وقال ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً فأيتما رجل من أمتي أدر كنه الصلوة فليصل وأعطيت الشفاعة ، وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة (٥) » .

وقال ﷺ : « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر (٦) » .

وقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ، وأنا أول شافع وأنا أول مشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه (٧) » .

(١) الضحى : ٥ . (٢) إبراهيم : ٣٦ .

(٣) المائدة : ١١٨ .

(٤) أخرجه مسلم ج ١ ص ١٣٢ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص و لعله سقط

من النسخ ذكر عبدالله .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي من حديث جابر بسند صحيح كما في الجامع الصغير .

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٣١٤ من حديث ابي بن كعب عن أبيه .

(٧) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٤٤ من حديث أنس .

و قال عليه السلام: « لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبي دعوتي شفاعاً لا أمّتي يوم القيامة ^(١) » .

وقال ابن عباس - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ينصب للأَنْبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه فإنما أنا بين يدي ربّي منتصباً مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمّتي بعدي فأقول : يا ربّ أمّتي ، فيقول الله تعالى : يا محمّد وماذا تريد أن أصنع بأمتك فأقول : يا ربّ عجل حسابهم ، فما أزال أشفع حتّى أعطى صكاً برجال قد بعث بهم إلى النار ، و حتّى إن مالكا خازن النار يقول : يا محمّد ما تركت للنار لغضب ربك في أمّتك من بقية ^(٢) » .

و قال عليه السلام: « إنّي لأشفع يوم القيامة لأكثر ممّا على وجه الأرض من حجر و مدر ^(٣) » .

أقول: ثمّ ذكر أبو حامد حديث الشفاعة بطوله عن أبي هريرة بما فيه ممّا فيه و نحن نذكر بدله ما ورد من طريق الخاصة و هو ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره بسند موثّق عن الصادق عليه السلام: « إنّه سئل عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة قال : يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا عند ربك فيقول : إن لي ذنباً و خطيئة فعليكم بنوح فيردّهم إلى من يليه و يردّهم كل نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهون إلى عيسى فيقول : عليكم بمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله فيعرضون أنفسهم عليه و يسألونه فيقول : انطلقوا فينطلق بهم إلى باب الجنة و يستقبل باب الرّحمن و يخزّ ساجداً فيمكث ماشاء الله فيقول : ارفع رأسك و اشفع تشفع وسل تعط ، ذلك قوله عزّ وجلّ : « عسى أن يبعثك

(١) أخرجه مسلم ج ١ ص ١٣٣ من حديث أنس .

(٢) أخرجه الطبراني في الاوسط وفي اسناده محمد بن ثابت البناني و هو ضعيف كما في المغنى .

(٣) أخرجه الطبراني في الاوسط وفيه أحمد بن عمرو صاحب على المدني و يعرف

بالقلوري مجهول كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٩ .

ربك مقاماً محموداً^(١) .

و روى الصدوق بإسناده عن الرضا عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ والفقير من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي و من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله شفاعتي ، ثم قال : إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل^(٢) . »

قال أبو حامد : فهذه شفاععة رسول الله ﷺ و لآحاد أئمة من العلماء و الصالحين شفاععة أيضاً حتى قال رسول الله ﷺ : « يدخل الجنة بشفاععة رجل من أمتي أكثر من ربيعة و مضر^(٣) . »

و قال عليه السلام : « يقال للرجل : قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للمقبيلة و لأهل بيت و للرجل و للرجلين على قدر عمله^(٤) . »

أقول : ثم ذكر أبو حامد في شفاععة المؤمنين حديثاً عن أنس و نحن نذكر من طريق الخاصة و هو ما روينا عن الصادق عليه السلام قال : « يؤتى بعبد يوم القيامة ليست له حسنة فقال له اذكر و تذكر هل لك حسنة ؟ قال : فيتذكر فيقول : يا رب مالي حسنة إلا أن عبدك فلان المؤمن مرّبي فطلب مني ماء يتوضأ به فيصلّي به فأعطيته قال : فيدعى ذلك العبد المؤمن فيذكر ذلك فيقول : نعم يا رب مررت به فطلبت منه ماء فأطاني و توضأت و صلّيت قال : فيقول الله : ادخلوا عبيد الجنة^(٥) . »

﴿ صفة الحوض ﴾

إعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبيّنا ﷺ و قد اشتملت الأخبار

(١) المصدر ٣٨٧ ، والآية في سورة الاسراء : ٧٩ .

(٢) العيون ص ٧٨ و الامالي ص ٥ .

(٣) أخرجه أحمد و رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٨١ و رواه الشيخ

الطوسي في أماليه ص ٦٣ بنحوه .

(٤) راجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٨١ .

(٥) رواه الحسين بن سعيد الاهوازي في كتابه كما في البحار كتاب العدل و المعاد .

علي وصفه و نحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه و في الآخرة ذوقه فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبداً قيل : لما نزلت سورة الكوثر قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم قال : إنه نهر و عنده ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ، عليه حوض ، ترد أممي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم (١) . »

وقيل : كان رسول الله ﷺ يقول : « ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة و صنعاء أو مثل ما بين المدينة و عمان (٢) . »

و روي أنه لما نزل قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر (٣) » قال رسول الله ﷺ : « هو نهر في الجنة حافظاه من ذهب شرابه أشد بياضاً من اللبن و أحلى من العسل و أطيب ريحاً من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ و المرجان (٤) . »

و قال ثوبان مولى رسول الله ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن و أحلى من العسل و أكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين (٥) و في رواية أبي ذر « أنه يسكب فيه ميزابان من الجنة (٦) . »

أقول : و من طريق الخاصة عن أهل البيت ﷺ « إن الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يسقي منه أوليائه و يزود عنه أعداءه (٧) . »

و من طريق العامة مما رووه في صحاحهم عن النبي ﷺ أنه قال : « ليردن الناس من أصحابي علي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي أصحابي - و في رواية أصحابي أصحابي - فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك » و زاد في الأخرى

(١) أخرجه ابن أبي شيبة و أحمد و مسلم و أبو داود و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر

و ابن مردويه و البيهقي في سننه من حديث أنس كما في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠١ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٦ ص ٧١ . (٣) الكوثر : ١ .

(٤) أخرجه الدارمي من حديث ابن عمر بنحوه .

(٥) أخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢٧٠ و ٢٧٣ . (٦) مسلم ج ٧ ص ٦٩ .

(٧) أمالي الصدوق ص ١٦٨ .

« وارتدوا على أديبارهم القهقري (١) . »

« و سئل الصادق عليه السلام عن قول الرّجل للرّجل جزاك الله خيراً ما يعني به؟ فقال عليه السلام : « إن خيراً نهر في الجنة مخرجه من الكوثر و الكوثر مخرجه من ساق العرش عليه منازل الأوصياء و شيعتهم ، على حافتي النهر جوارى نابتات كلّما قلمت واحدة نبتت أخرى سمى بذلك النهر ، و ذلك قوله عزّ وجلّ : « فيهنّ خيراتٌ حسان (٢) » فإذا قال الرّجل لصاحبه : « جزاك الله خيراً » فإنّما يعني بذلك تلك المنازل التي قد أعدّها الله تعالى لصفوته و خيرته من خلقه (٣) . »

قال أبو حامد : و عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكلّ نبي حوضاً و إنهم ليمتباهون أيّهم أكثر واردة و إنني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة (٤) . »
فهذا رجاء رسول الله ﷺ فليرج كلّ عبد أن يكون في جملة الواردين و ليحذر بأن يكون متمنياً و مغترباً و هو يظنّ أنّه راج فإنّ الرّاجي للحصاد من قد بثّ البذر و نقى الأرض و سقاها الماء ثمّ جلس يرجو فضل الله بالأينبات و دفع الصواعق إلى أوان الحصاد ، فأما من ترك الحراثة و الزّراعة و تنقية الأرض و سقيها و أخذ يرجو من فضل الله تعالى أن ينبت له الحبّ و الفاكهة فهذا مغتربٌ و متمنٌ و ليس من الرّاجين في شيء. و هكذا رجاء أكثر الخلق و هو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور و الغفلة فإنّ الإغترار بالله أعظم من الإغترار بالدنيا قال الله تعالى : « فلا تغرّنّكم الحيوة الدنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور (٥) . »

❖ القول في صفة جهنّم و أهوالها و أنكالها ❖

أيّها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على

(١) راجع صحيح مسلم ج ٦ ص ٦٨ و صحيح البخارى ج ٩ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) الرحمن : ٧٠ .

(٣) معاني الاخبار للصدوق ص ١٨٢ .

(٤) أخرجه الترمذى ج ٩ ص ٢٧٠ و قال : غريب و قد روى الاشعث بن عبد الملك

هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه و آله مرسلًا ولم يذكرفيه عن سمرة وهو أصح .

(٥) لقمان : ٣٣ .

الانقضاء و الزوال دع التفكير فيما أنت مرتحلٌ عنه و اصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل : « و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم نجّي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثياً^(١) » فانت من الورود على يقين و من النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعدُّ للنجاة منه بالتشمّر لأعمالها ، وتأمل في حال الخلائق و قد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبيناهم في كربها وأحوالها واقفين ينتظرون حقيقة إنبائها و تشفيح شفعاها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات الشعب و أظلمت عليهم نار ذات لهب و سمعوا لها زفيراً و جرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب و جنت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب ، و خرج المنادي من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل ، فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظام التهديد و يسوقونه إلى العذاب الشديد و ينكسونه في قعر الجحيم و يقولون : له ذق إنك أنت العزيز الكريم ، فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء : مظلمة المسالك ، مبهمة المهاالك ، يخلد فيها الأسير ، و يؤبد فيها السعير ، فشرابهم فيها الحميم ، و مستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم ، و الهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، و ما لهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصي ، و اسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ، ينادون من أكنافها ، و يصيحون في نواحيها و أطرافها ، يا مالك قد حق علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد فضجت منّا الجلود ، يا مالك أخرجنا منها فأننا لا نعود ، و تقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ، ولا خروج لكم من دار الهوان ، فاحسبوا فيها و لا تكلمون ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه عائدون ، فعند ذلك يقنطون ، و على ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف ، بل يكبّون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، والنار عن أيمنهم ، و النار عن شمائلهم ، فهم غرقى في النار ، طعامهم نار ، و شرابهم نار ، و

لباسهم نار ، و مهادهم نار ، فهم بين مقطّعات النيران و سراويل القطران ، و ضرب المقامع ، و ثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون في مضاءتها ، و ينحطّمون في دركاتنا ، و يضطربون بين غواشيتها ، تغلي بهم النار كغلي القدور ، و يهتفون بالويل و العويل و الثبور ، و مهما دعوا بالثبور صبّ من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم و العلود ، و لهم مقامع من حديد ، تهشم بها هامّهم ، فيتفجّر الصديد من أفواههم ، و تنقطع من العطش أكبادهم ، و تسيل على الخدود أحداقهم ، و يسقط من الوجنا لحومها ، و يمتعط من الأطراف شعورها^(١) بل جلودها و كلّما نضجت جلودهم بدّوا جلوداً غيرها ، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق و علائق العصب و هي تنشّ في لفتح تلك النيران^(٢) وهم مع ذلك يتمنّون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم و قد اسودّت وجوههم أشدّ سواداً من اللحم^(٣) و أعميت أبصارهم ، و أبكمت أسننتهم ، و قصمت ظهورهم ، و كسرت عظامهم ، و جدعت آذانهم ، و مزّقت جلودهم ، و غدت أيديهم إلى أعناقهم ، و جمع بين نواصيهم و أقدامهم ، وهم يمشون على النار بوجوههم و يطئون حسك الحديد بأحداقهم ، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم ، و حيات الهاوية و عقاربها متشبّثة بطواهر أعضائهم ، هذه جملة أحوالهم فانظر الآن في تفصيل أهوالهم و تفكّر أوّلاً في أودية جهنّم و شعابها ، فقد قال النبي ﷺ : « إن في جهنّم سبعين ألف واد ، في كلّ واد سبعون ألف شعب ، في كلّ شعب سبعون ألف شعبان ، و سبعون ألف عقرب ، لا ينتهي الكافر و المنافق حتّى يواقع ذلك كلّه »^(٤) .

و قال عليّ رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « تعوّدوا بالله من جبّ الحزن أو وادي الحزن ، قيل : يارسول الله : و ما وادي الحزن أو جبّ الحزن ؟ قال : واد

(١) تمعط و امتعط شعره أى تساقط من داء و نحوه .

(٢) النشيش : صوت الماء اذا غلى و لفتح النار : احراقها .

(٣) اللحم : الفم و يقال له بالفارسية (ذغال) .

(٤) قال العراقي : لم أجده هكذا بجملته .

في جهنم تنعوا: منه جهنم كل يوم سبعون مرة أعدّه الله تعالى للقرءاء المرأين^(١) « فهذه سعة جهنم وانشعب أوديتها ، وهي بحسب أودية الدنيا وشهواتها وعدداً بوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد ، بعضها فوق بعض ، الأعلى جهنم ، ثم سقر ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا ، فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها .

١ قيل : « كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال : هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن حين انتهى إلى قعرها^(٢) » ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفصيلاً فكما أن إكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهم مستكبر كالغريق فيها و من خائض فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد منهم حد معلوم على قدر عصيانه و ذنبه إلا أن أفلمهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحدافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه^(٣) » فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ، و مهما شككت في شدة عذاب النار فقرّب أصبعك من النار و قس بذلك ،

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٥٦ وابن عدى من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي

باسناد حسن كما في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٦٨

(٢) روى نحوه مسلم ج ٨ ص ١٥٠ و راجع الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٧٠ .

(٣) رواه البيهقي في المصابيح ج ٢ ص ٢٢٢ من حديث أبي هريرة بأدنى اختلاف في

اللفظ و رواه أحمد والبخاري ورواه في الصحيح كما في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٨٧ .

وأخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٥٨١ وقال صحيح ، ورواه مسلم ج ١ ص ١٣٥

واللفظ له .

ثم أعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم و لكن لما كان أشدّ عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها ، و هيئات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه و عن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل : «إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة سبعين مرة حتى أطاقتها أهل الدنيا»^(١) بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال : «أمر الله تعالى أن أوقد على النار ألف عام حتى احمرّت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة»^(٢) و قال ﷺ : «اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء و نفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف من حرّها و أشد ما تجدونه في الشتاء من زهريرها»^(٣) ، ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقوا فيه فهو الغساق .

قال أبو سعيد الخدريّ : قال رسول الله ﷺ : « لو أن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا لآنتن أهل الأرض»^(٤) فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرّعه و لا يكاد يسيغه و يأتيه الموت من كلّ مكان و ما هو بميت «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتقياً» ثم انظر إلى طعامهم و هو الزقوم كما قال الله تعالى : «ثم إنكم أيها الضالّون المكذّبون ❖ لا تكونون من شجر من زقوم ❖ فمالئون مثها البطون ❖ فشاربون عليه من الحميم ❖ فشاربون شرب الهيم»^(٥) .

(١) سيأتي عن قريب من طريق الخاصة تمام الحديث .

(٢) رواه الترمذى ج ١٠ ص ٥٨ و البيهقي و الاصفهاني و ابن ماجه من حديث أبي هريرة .

(٣) رواه البيهقي في المصابيح ج ٢ ص ٢٢٢ من حديث أبي هريرة و الترمذى ج ١٠

ص ٦٠ من حديثه أيضاً .

(٤) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ٥٣ و قال : انما نعرفه من حديث رشدين سعد و فيه مقال .

(٥) الواقعة : ٥١ الى ٥٥ .

و قال تعالى : « إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعتها كأنه رأس الشياطين * فانهم لا ياكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ^(١) » وقال تعالى : « تصلى ناراً حامية * تسقى من عين آنية ^(٢) » وقال تعالى « إن لدينا أنكلاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ^(٣) » وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك ^(٤) » .

قال أنس : قال رسول الله ﷺ : « ارغبوا فيما رغبكم الله ، و احذروا مما حذركم الله ، و خافوا ما خوئكم الله به من عذابه و عقابه و من جهنم ، فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها لطيبتها لكم ، و لو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها لخبثتها عليكم ^(٥) » .

و قال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « يلقي على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن و لا يغني من جوع و يستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يسيغون الغصص في الدنيا فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكالالب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم فيدعون خزنة جهنم ^(٦) أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب فيقولون : أو لم تك تأتيناكم رسلكم بالبينات قالوا : بلى قالوا : فادعوا و ما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال : فيقولون : ادعوا مالكم فيدعون فيقولون : يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم أنكم ما كثون » . قال الأعمش : ندمت أن بين دعائهم و بين إجابة مالك إياهم ألف عام ، قال : فيقول

(١) الإضافات : ٦٤ الى ٦٨ .

(٢) الفاشية : ٤ و ٥ . (٣) المزمّل : ١٢ و ١٣

(٤) أخرجه الترمذي ج ١٠ ص ٥٤ و قال : صحيح .

(٥) رواه البيهقي كما في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٥٣ . (٦) كذا .

بعضهم لبعض : ادعوا ربكم فلا أحدٌ خيرٌ من ربكم فيقولون : « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكننا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » قال : فيجيبهم « اخسئوا فيها ولا تكلمون » قال : فعند ذلك يسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل (١) .

وقال أبو أمامة : قال رسول الله ﷺ : في قوله : « ويسقى من ماء صديد » يتجره ولا يكاد يسيغه » قال : « يقرب إليه فيتكرهه ؛ فإذا ادني منه شوى وجهه وقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاه حتى يخرج من دبره ، يقول الله تعالى : « وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاهم » (٢) و قال تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه » (٤) .

فهذا طعامهم و شرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفضاعة منظرها وقد سلطت على أهلها واغريت بهم فهي لا تنقر عن النهش واللدغ ساعة واحدة .

وعن رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهazمه يعني أشداه فيقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير آلهم - الآية (٥) » .

وقال الرسول ﷺ : « إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً ، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً ، وهذه العقارب والحيات إنما تسلط على من

(١) رواه الترمذى ج ١٠ ص ٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ٥١ ، والحاكم في المستدرک وقال : صحيح على شرط

مسلم . والاية فى سورة ابراهيم : ١٦ و ١٧ .

(٤) الكهف : ٢٩ .

(٣) محمد : ١٥ .

(٥) آل عمران : ١٨٠ والخبر رواه البخارى ج ٢ ص ١٢٦ من حديث أبى هريرة .

سلط عليه في الدنيا البخل و سوء الخلق و إيذاء الناس و من وقى ذلك و قى هذه الحيات فلم تمثل له (١) ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فان الله يزيد في أجسامهم طولاً و عرضاً حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسبون بلفح النار و لدغ العقارب و الحيات من جميع أجزاءهم دفعة واحدة على التوالي ، و عن رسول الله ﷺ « ضرس الكافر في النار مثل أحد و غلظ جلده مسيرة ثلاث (٢) » . و قال ﷺ : « شفته السفلى ساقطة على صدره و العليا قالصة قد عطت وجهه (٣) » . و قال ﷺ : « إن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٤) » و مع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فيجدد جلودهم و لحومهم ، و قيل في قوله : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » قال : تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم : عودوا فيعودون كما كانوا .

أقول: و من طريق الخاصة ما رواه الصدوق رحمه الله باسناده عن الباقر عليه السلام قال : « إن أهل النار يتعاونون كما يتعاون الكلاب و الذئاب مما يلقون من أليم العذاب ما ظنك بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها عطاءش فيها ، حياع ، كليلة أبصارهم ، صم بكم عمي مسودة و جوههم خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون و من العذاب لا يخفف عنهم و في النار يسجرون ، و من الحميم يشربون ، و من الزقوم يأكلون ، و بكالالب النار يحطمون ، و بالمقامع يضربون و الملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون ، فهم في النار يسحبون على و جوههم و مع الشياطين يقرنون و في الأنكال و الأغلال يصفدون ، إن دعوا لم يستجب لهم ، و إن سألوا حاجة لم تقض لهم ، هذه حال من دخل النار (٥) » .

(١) رواه أحمد و الطبراني من طريق أبي لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن

جزء ، و رواه ابن حبان في صحيحه و أيضاً الحاكم . و قال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٥٤ من حديث أبي هريرة .

(٣) روى نحوه الترمذى .

(٤) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ٤٩ وفيه « ليسحب لسانه فرسخ أو فرسخين » .

(٥) الامالى ص ٣٢٢ و ٣٢٣ .

و بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : « بينما رسول الله ﷺ ذات يوم قاعداً إذ جاء جبرئيل عليه السلام و هو كئيبٌ حزين متغيّر اللون فقال له رسول الله ﷺ : يا جبرئيل مالي أراك باكياً حزيناً فقال : يا محمد فكيف لا أكون كذلك ، و إنما وضعت منافيخ جهنّم اليوم فقال رسول الله : و ما منا فيخ جهنّم يا جبرئيل فقال : إن الله تعالى أمر بالنار فاوقد عليها ألف عام حتى احمرّت ثم أمر بها فاوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر بها فاوقد عليها ألف عام حتى اسودت و هي سوداء مظلمة ، فلو أن حلقة من السلسلة التي لها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها و لو أن قطرة من الزقوم و الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا مات أهل الدنيا من ننتها ، قال : فبكى رسول الله ﷺ و بكى جبرئيل ، فبعث الله إليهما ملكاً فقال : إن ربكما يقرئكما السلام و يقول : قد أمنتكما من أن تذنبا ذنباً فأعدّ بكما عليه (١) .

و عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ « إن نار كم هذه لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم ولقد اطفئت سبعين مرّة بالماء و لو لاذك لما استطاع آدمي أن يطفئها إذا التهمت و أنه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار ، ما يبقى ملك مقرب و لا نبي مرسل إلا جثي بر كبتيه فزعاً من صرخها (٢) .

و عن الصادق عليه السلام قال : « إن في جهنّم لوادي للمتكبرين يقال له سقرشكا إلى الله شدة حرّه و سأله أن يأذن له أن يتنفّس فأذن له فتنفّس فأذن له فتنفّس فأحرق جهنّم (٣) . و عنه عليه السلام « إن في النار لحياتٍ مثل أعناق البُحْت - الحديث (٤) » كما ذكره أبو حامد .

(١) رواه أيضاً علي بن ابراهيم في تفسيره ص ٤٣٧ ، و رواه الطبراني في الاوسط .

(٢) كتاب الحسين بن سعيد الاهوازي كما في البحار ج ٣ ص ٣٧٦ و رواه علي بن

ابراهيم في تفسيره عن الصادق بنحوه .

(٣) نواب الاعمال ص ٢١٥ .

(٤) نبوي أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٩١ من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء .

قال : ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلب عليهم في أول لفائهم النار .

قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (١) » .

وعن رسول الله ﷺ « يُرسلُ على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدُموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود ، لو ارسلت فيها السفن لَجَرَّت (٢) » و مادام يؤذّن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلمهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضاً من ذلك .

قال محمد بن كعب القرظي : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربع فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون « ربنا ائمتنا ائمتين وأحييتنا ائمتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » فيقول الله تعالى مجيباً لهم « ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يُشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (٣) » ثم يقولون : « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً (٤) » فيجيبهم الله تعالى : « أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٥) » فيقولون : « ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل (٦) » فيجيبهم الله تعالى « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (٧) » ثم يقولون : « ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين » ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون (٨) » فيجيبهم الله تعالى « اخشعوا فيها ولا تكلمون (٩) » فلا يتكلمون

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٤٩ عن النبي صلى الله عليه وآله .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٣٢٤ من حديث أنس وفي تفسير علي بن ابراهيم ٣٤٤ .

(٣) المؤمن : ١٢ . (٤) السجدة : ١٢ .

(٥) ابراهيم : ٤٤ . (٦) فاطر : ٣٧ .

(٧) فاطر : ٣٨ . (٨) المؤمنون : ١٠٧ و ١٠٨ .

(٩) المؤمنون : ١٠٩ .

بعدها أبدأ و ذلك غاية شدة العذاب .

قال مالك بن أنس : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ^(١) » قال : صبروا مائة سنة ، ثم جزعوا مائة سنة أخرى ثم قالوا : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا » .

وقال عليه السلام : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة خلودوا بلاموت ويا أهل النار خلودوا بلاموت ^(٢) » .

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لانهاية له ، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه منع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أيتاماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدررة منغصة فيقولون في أنفسهم : واحسرتا كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا و كيف لم نكلف أنفسنا بالصبر أيتاماً قلائل و لو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه و بقينا الآن في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان ، فيالحسرة هؤلاء و قد فاتهم ما فاتهم و بلوا بما بلوا به و لم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم إنهم لولم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم ولكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لانصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرينا من ثوابك وما أعددت فيها لولياك كان أهون علينا فيقول تعالى : ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم بارز تموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس و لم تهابوني وأجلتتم الناس و لم تجلوني

(١) ابراهيم : ٢١ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٥٢ من حديث أبي سعيد .

و تر كتم للناس و لم تتر كوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم (١) .

و قال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح و وجه صبيح و لسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح ، فانظر يا مسكين في هذه الأهوال و اعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها و خلق لها أهلاً لا يزدون و لا ينقصون و أن هذا أمر قد قضى و فرغ منه ، قال الله تعالى : « و أنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة (٢) » ، و لعمرى الإشارة به إلى يوم القيامة و لكن ما قضي الأمر يوم القيامة بل في أزل الآزال و لكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء ، فالعجب منك حيث تضحك و تلهو و تشغل بمحقرات الدنيا و لست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقتك ، فإن قلت : ليت شعري ماذا موردي و إلى ماذا مالي و مرجعي ، و بما الذي سبق به القضاء في حقتي ؟؟

فلك علامة تستأنس بها و تصدق رجاؤك بسببها و هي أن تنظر إلى أحوالك و أعمالك فإن كلاً ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعث عن النار و إن كنت لا تقصد خيراً إلا و تحيط بك العوائق فتدفعه و لا تقصد شراً إلا و يتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضي عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات و دلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم ﴿٣﴾ و إن الفجار لفي جحيم (٣) » فأعرض نفسك على الآيتين و قد عرفت مستقرك من الدارين .

﴿ القول في صفة الجنة و أصناف نعيمها ﴾

اعلم أن تلك الدار التي عرفت غمومها و همومها و شرورها يقابلها داراً أخرى فتأمل نعيمها و سرورها فإن من بعد من احديهما استقر لآحالة في الأخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم ، و استثر الرجاء بطول الفكر في

(١) قال العراقي : روينا في الاربعين لابي هدة عن أنس ، و أبوه دبة ابراهيم بن

هدبة مالك .

(٣) الانفطار . ١٣ و ١٤ .

(٢) مريم : ٣٩ .

النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان ، و سق نفسك بسوط الخوف و قدّها بزمام الرُّجاء إلى الصِّراط المستقيم ، فبذلك تنال الملك العظيم و تسلم من العذاب الأليم ، فتفكر في أهل الجنّة و في وجوهم نضرة النّعيم ، يسقون من رحيق محتوم ، ختامه مسك ، جالسين على منابر من الياقوت الأحمر في خيام اللؤلؤ الرطب الأبيض ، فيها بسط من العبقريّ الأخضر ، متمكّنين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطّردة بالخمير و العسل ، محفوفة بالغلّمان و الولدان ، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهنّ الياقوت والمرجان لم يطمئنّ قبلهم إنس و لاجان ، يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهنّ في مشيتها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماتتحيّر فيه الأبصار مكملات بالتيجان المرصّعة باللؤلؤ و المرجان شكالات غنجات عطرآت آمانات من الهرم و البؤس ، مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، ثمّ يطاف عليهم و عليهنّ بأكواب و أباريق و كأس من معين ، بيضاء لدّة للشاربين ، و يطوف عليهم خدام و ولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاءً بما كانوا يعملون ، في مقام أمين و جنّات و عيون ، في جنّات و نهر في مَقْعَدِ صِدْقٍ عند مليك مقتدر ، ينظرون فيه إلى وجه الملك الكريم ، و قد أشرقت في وجوهم نضرة النّعيم ، لا يرهقهم قتر و لا ذلّة بل عبادٌ مكرمون ، و بأنواع التحف من ربّهم يتعاهدون ، فهم فيما اشتهدت أنفسهم خالدون ، لا يخافون فيها و لا يحزنون ، و هم من ريب المنون آمنون ، فهم فيها يتنعّمون و يأكولون من أطعمتها و يشربون من أنهارها لبناً و خمراً و عسلاً ، في أنهار أراضيها فضّة و حصابؤها مرجان ، و على أرض ترابها مسك أذفر و نباتها زعفران ، و يمطرون من سحب فيها من ماء النسرين ، على كئبان الكافور ، و يؤتون بأكواب و أيّ أكواب من فضّة مرصّعة بالدُرّ و الياقوت و المرجان ، كوبٌ فيه من الرّحيق المختوم و ممزوجٌ بماء السلسبيل العذب ، كوبٌ يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه لرقبته و صفائه لم يصنعه آدميٌ فيقتصر في تسوية صنعته و تحسين صياغته ، في كفّ خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها ولكن

من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته و حسن أصداعه و طرته و ملاحظة أحداقه ،
 فياعجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها و يوقن بأنه لا بدّ ذاهب إليها ولا يموت أهلها و
 لا تحلّ الفجائع بمن نزل بفنائها و لا ينظر الأحداث بعين التعيير إلى أهلها كيف
 يأنس بدار قد أذن الله في خرابها و يتهنأ بعيش دونها ، والله لو لم يكن فيها إلا
 سلامة الأبدان مع الأمن من الموت و الجوع و العطش و سائر أصناف الحدثنان لكان
 جدير أبان يهجر الدنيا بسببها و أن لا يؤثر عليها ما التصرّم و المنغيص من ضرورته
 و كيف و أهلها ملوك آمنون في أنواع السرور ممتعون ، لهم فيها كل ما يشتهون
 و هم في كل يوم بفناء العرش يحضرون ، وإلى وجه الله الكريم ينظرون و ينالون
 بالنظر من اللذة ما لا يلتفتون معه إلى سائر نعيم الجنان و لا ينظرون إليه و هم
 على الدوام بين أصناف هذه النعيم يترددون و هم من زوالها آمنون قال رسول
 الله ﷺ : « ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم فيها أن تصحبوا فلا تسقموا أبداً ، و
 إن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً ، و إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، و إن
 لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله عزّ و جلّ « و نودوا أن تلکم الجنة
 أو رثتموها بما كنتم تعملون ^(١) » و مهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقراء القرآن
 فليس وراء بيان الله تعالى بيان و اقرء من قوله تعالى : « و لمن خاف مقام ربه
 جنتان ^(٢) » إلى آخر سورة الرحمن . و اقرء سورة الواقعة و غيرها من السور ، و
 إن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطّلت
 على جملتها و تأمل أولاً عدد الجنان قال رسول الله ﷺ في قوله : « و لمن خاف
 مقام ربه جنتان » قال : « جنتان من فضة آنيتهما و ما فيهما ، و جنتان من ذهب
 آنيتهما و ما فيهما ، و ما بين القوم و بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رءاء الكبرياء على
 وجهه في جنة عدن ^(٣) . »

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٤٨ من حديث أبي سعيد الخدري . و الآية في سورة

(٢) الرحمن : ٤٦ .

الاعراف : ٤٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٦ ص ١٨١ من حديث عبد الله بن قيس عن أبيه .

ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار كثيرة بحسب أصول المعاصي ، قال رسول الله ﷺ : « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وهو الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، و من كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد (١) . »

و عن عاصم بن ضمرة ، عن علي بن أبي طالب أنه ذكر النار فعظم أمرها وذكر شيئاً لأحفظه ثم قال : « و سيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحديهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يتغير أشعارهم بعدها أبداً ، ولا تشعث رؤوسهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى الجنة فقيل لهم : سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين ، ثم يلقاهم الولدان : يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب ، يقدم عليهم من غيبة يقولون له : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة كذا . قال : فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا . فتقول : أنت رأيتَه ؟ فيقول : أنا رأيتَه وهو بأثري فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأحمر وأصفر من كل لون ، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ، ولولا أن الله تعالى قدره لآلَم أن يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فإذا أزواجه وأكواب موضوعة و نمارق مصفوفة و زرابي مبيوثة ، ثم انسكأ فقال : « الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ثم ينادي مناد يأهل الجنة تحيون

ولا تموتون أبداً و تقيمون فلا تظعنون أبداً ، وتصحون فلا تمرضون أبداً»^(١) .
وقال رسول الله ﷺ : «أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك^(٢) » .
ثم تأمل الآن في غرف الجنة و اختلاف درجات العلو فيها ، فإن الآخرة أكبر درجات و أكبر تفصيلاً ، و كما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر ، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة و المسارعة و المنافسة فيها فقال : « و سابقوا إلى مغفرة من ربكم و الجنة عرضها كعرض السماء والأرض^(٣) » وقال : «سارعوا إلى مغفرة من ربكم^(٤) » وقال : «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون^(٥)» و العجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل ذلك عليك و ضاق به ذرعك و تنغص بسبب الحسد عيشك ، و أحسن أحوالك أن تستقر في الجنة و أنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ : «إن أهل الجنة ليمتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تمتراءون الكواكب الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى و الذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله و صدقوا المرسلين^(٦) » و قال أيضاً : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء^(٧) » .

- (١) أخرجه ابن المبارك في الزهد و عبدالرزاق و ابن أبي شيبة و ابن راهويه و عبد بن حميد و ابن الدنيا في صفة الجنة و البيهقي في البعث و الضياء المقدسي في الاختارة كما في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٣ . وفيه قوله : « فلم يتغير أعمارهم » « فلن تغير أبارهم » .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٣٠ من حديث أنس .
(٣) الحديد : ٢١ .
(٤) آل عمران : ١٣٣ .
(٥) المطففين : ٢٦ .
(٦) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٤٥ .
(٧) أخرجه الترمذي و حسنه و ابن ماجه تحت رقم ٩٦ من حديث أبي سعيد الخدري .

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال لنا رسول الله ﷺ: «إلا أحدٌ ثكم بغرف الجنة؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأُمنا، قال: إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال: قلت: يا رسول الله لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشا السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، قال: قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال: أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أورد عليه فقد أفشا السلام ومن أطعم أهله وعباله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كلَّ شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة و صلى العداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام - يعني اليهود والنصارى والمجوس - (١) .

وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: «ومساكن طيبة في جنات عدن» (٢) قال: قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر، في كل بيت سرير، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونا مع الطعام، في كل بيت سبعون و صيفة (٣)، ويعطى المؤمن في كل غداة - يعني من القوة - ما يأتي على ذلك أجمع (٤) .

﴿ صفة حائط الجنة وأرضها وأنهارها وأشجارها ﴾

تأمل في صورة الجنة، وتفكر في غبطة سكانها بها وفي حسرة من حرمها لغنايته بالدينيا عوضاً عنها فعن رسول الله ﷺ: «إن حائط الجنة كبنة من ذهب

(١) رواه البيهقي كما في الترغيب ج ٤ ص ٥١١ .

(٢) الصف: ١٢ . (٣) الوصيفة: الخادمة .

(٤) أخرجه الطبراني ورواه البيهقي بنحوه كما في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٥١٧ .

و لبنة من فضة ترايبها زعفران و طينها مسك (١) .

و سئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال : « دَرَمَكَةٌ بِيضَاءُ وَمِسْكٌ خَالِصٌ (٢) » .
 عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْقِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَمْرَ فِي الْآخِرَةِ فَلْيَمْتَرِكْهَا فِي الدُّنْيَا ، وَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْسُوهُ اللَّهُ الْحَرِيرَ فِي الْآخِرَةِ فَلْيَمْتَرِكْهُ فِي الدُّنْيَا (٣) »
 « أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَنْفَجَّرُ مِنْ تَحْتِ تَلَالٍ أَوْ تَحْتِ جِبَالِ الْمِسْكِ (٤) » و لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحلّيه الله عزّ و جلّ به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً (٥) .

و عن رسول الله صلى الله عليه وآله « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّأكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا (٦) » اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى : « وَظِلٌّ مَمْدُودٌ (٧) » .

و قال أبو أمامة : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْفَعُنَا بِالْأَعْرَابِ فِي مَسَائِلِهِمْ : أَقْبَلُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ شَجْرَةَ مَوْذِيَّةٍ وَ مَا كُنْتُ أُدْرِي أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً تَوْذِي صَاحِبِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : مَا هِيَ ؟ قَالَ : هِيَ السِّدْرُ فَإِنَّ لَهَا شَوْكاً فَقَالَ لَهُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَسِدْرٌ صلى الله عليه وآله »

(١) رواه البزار من حديث أبي سعيد الخدري . وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة موقوفاً كما في المغني والترغيب .

(٢) رواه مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صياد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فذكره . و رواه أحمد من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لليهود : « إِنِّي سَأَلْتُهُمْ عَنْ تَرْتِيبَةِ الْجَنَّةِ وَ هِيَ دَرَمَكَةٌ بِيضَاءُ فَسَأَلْتُهُمْ فَقَالَ : خَبْزَةٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : الْخَبْزُ مِنَ الدَّرْمَكِ وَ رَجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرِ مَجَالِدٍ وَ وَتْقَهُ غَيْرِ وَاحِدٍ . وَ الدَّرْمَكُ هُوَ الدَّقِيقُ الْحَوَارِيُّ وَ يُقَالُ : الدَّرْمَكَةُ .

(٣) أخرجه الطبراني في الاوسط باسناد حسن كما في المغني .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه كما في الترغيب ج ٤ ص ٥١٧ من حديث أبي هريرة .

(٥) أخرجه الطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة باسناد حسن كما في المغني .

(٦) الى هنا أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٤٤ من حديث أبي هريرة .

(٧) الواقعة : ٢٨ . و تمام الخبر رواه البخاري ، و الترمذي ج ١٠ ص ٣ من حديث

مخضود» ويخضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكه ثمرة ، ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنتين و سبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر ^(١) .

قال جرير بن عبدالله : نزلنا الصفاح فإذ رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام : انطلق بهذا النطع ^(٢) فأظلم به فانطلق فأظلمه ، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال : يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة . هل تدري ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدري ، قال : ظلم الناس بينهم ، ثم أخذ عويداً لأأكد أراه من صغره ، فقال : يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده ، قلت : يا أبا عبدالله فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ و الذهب و أعلاها النمر ^(٣) .

﴿ صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم و أرائكهم و خيامهم ﴾

قال الله تعالى : « يحلّون فيها من أساور من ذهب و لؤلؤاً و لباسهم فيها حرير ^(٤) » . والآيات في تفصيل ذلك كثيرة ؛ وأمّا تفصيله في الأخبار فقد روي أن النبي ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه و لا يفنى شبابه . في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ^(٥) » .

و قال رجل : يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج فسكت رسول الله ﷺ و ضحك بعض القوم فقال رسول الله ﷺ : ممّ تضحكون من جاهل سأل عالماً ثم قال ﷺ : « بل يشقُّ عنها ثمر الجنة مرتين ^(٦) » . و عن رسول الله ﷺ « إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر

(١) أخرجه الحاكم و صححه و البيهقي في البعث أيضاً كما في الدر المنثور ج ٦ ص ١٥٦ .

(٢) هو المتخذ من الاديم ، أى الجلد . أى قربه له ليستظل به من الشمس فيكون

كالظلة . (٣) رواه البيهقي باسناد حسن كما في الترغيب و التهيب ج ٤ ص ٥٢٢ .

(٤) الحج : ٢٣ .

(٥) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٤٤ و ١٤٨ و البخارى في حديثين من حديث أبي هريرة .

(٦) أخرجه أحمد ج ٢ ص ٢٠٣ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاصي .

ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوَّطون ، آتيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ، ورشحهم المسك و لكل واحد منهم زوجتان منح ساقيهما يرى من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباعض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيماً^(١) « وفي رواية « على كل زوجة سبعون حلّة^(٢) » .

وقال **الشيخ** : في قوله تعالى : « يحلّون فيها من أساور من ذهب^(٣) » قال : إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب^(٤) .

وقال **الشيخ** : « الخيمة درّة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً ، للمؤمن في كل زاوية منها أهل لا يراه الآخرون^(٥) » رواه البخاري في الصحيح .

قال ابن عباس : الخيمة درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله **ﷺ** في قوله تعالى : « وفرش مرفوعة^(٦) » قال : ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض^(٧) .

❖ (صفة طعام أهل الجنة) ❖

بيان طعام أهل الجنة المذكور في القرآن من الفواكه و الطيور السمان و المنّ و السلوى و العسل و اللبن و أصناف كثيرة لا تحصى ، قال الله تعالى : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل و اتوا به متشابهاً^(٨) »

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٤٧ . ورواه البخاري ج ٤ ص ١٤٢ و الترمذي وابن ماجه .

(٢) أخرجه الترمذي ج ١٠ ص ٩ من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) الفاطر : ٣٣ .

(٤) رواه أحمد والطبراني و اسنادهما حسن كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤١٩ .

(٥) الصحيح ج ٤ ص ١٤٢ ورواه مسلم ج ٨ ص ١٤٨ من حديث موسى بن قيس عن أبيه .

(٦) الواقعة : ٣٤ .

(٧) أخرجه الترمذي ج ١٠ ص ١١ وابن أبي الدنيا كما في الترغيب .

(٨) البقرة : ٢٥ .

وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة و قد قال ثوبان مولى رسول الله ﷺ: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فذكر أسوالةً إلى أن قال: فمن أول الناس إجازة؟ - يعني على الصراط - فقال: فقراء المهاجرين قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ فقال: زيادة كبد الحوت، قال: فما غذاؤهم على أثرها قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً، فقال: صدقت (١)». و قال زيد بن أرقم: «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ و قال لأصحابه: إن أقر لي بهذا خصمته فقال ﷺ: بلى و الذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب و الجماع، فقال اليهودي فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد صَمَرَ (٢)».

و قال ابن مسعود: «قال رسول الله ﷺ: إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتميه فيخرب بين يديك مشوياً (٣)». و قال حذيفة قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة طيراً أمثال البُحْت (٤)».

﴿صفة الجور العين والولدان﴾

قد تكرر في القرآن أوصافهم و وردت الأخبار بزيادة شرح فيه روى أن رسول الله ﷺ قال: «غدوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوسٍ أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من

(١) أخرجه مسلم ج ١ ص ١٧٣ من حديث ثوبان بزيادة في أوله وزيادة في آخره.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى بإسناد صحيح ورواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٦٧.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبخاري والبيهقي كما في الترغيب ج ٤ ص ٥٢٧.

(٤) قال العراقي: غريب من حديث حذيفة ولاحمد من حديث أنس «ان طير الجنة

كامثال البخت ترعى في شجر الجنة الحديث» المسند ج ٣ ص ٢٢١

نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضياء وملأت ما بينهما رائحةً. ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا بما فيها» (١) يعني الخمار.

وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: في قوله تعالى: «كأنهن الياقوت والمرجان» (٢) قال: ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينقذها بصره حتى يرى مخرج ساقها من وراء ذلك (٣).

وقال مجاهد في قوله تعالى: «أزواج مطهرة» (٤) قال: يعني من الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة والنجاسة والمنني والولد.

وقال الأوزاعي: «في شغل فاكهون» (٥) قال: شغلهم افتراض الأبقار. وقيل: يا رسول الله: «أيباض أهل الجنة؟ قال: يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم» (٦) وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» (٧).

وقال النبي ﷺ: «إن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من

(١) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٠ من حديث أنس.

(٢) الرحمن: ٥٨.

(٣) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه بنحوه والبيهقي بإسناد ابن حبان واللفظ له كما

في الترغيب ج ١٠ ص ٥٣٤. (٤) البقرة: ٢٥.

(٥) يس: ٥٥.

(٦) قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس هكذا «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع فليل أو يطبق ذلك قال: يعطى قوة مائة». انتهى وروى البزار من حديث أنس «قال صلى الله عليه وآله: «يزوج العبد في الجنة سبعين زوجة فليل يا رسول الله: أيطبقها؟ قال: يعطى قوة مائة». مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤١٧.

(٧) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين وكتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى إلا أنه قال: مائة حوراء ولم يذكر فيه عناق له وأسناده ضعيف.

الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صَوْرَةً دَخَلَ فِيهَا ^(١) ،
وإنَّ فِيهَا لِمَجْتَمَعاً لِلحُجُورِ العَيْنِ يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن
نحن الخالدات فلانبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ،
فطوبى لمن كان لنا وكناله ^(٢) .

و قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يدخل الجنة
إلا و يجلس عند رأسه و عند رجله ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت يسمعه
الإنس و الجن » ، و ليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله و تقديسه ^(٣) .

﴿ بيان جمل متفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الاخبار ﴾

روى أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « لأهل مشمر للجنة ؟
إن الجنة لا خطر لها ، هي و رب الكعبة نور يتلأأ ، وريحانة تهتز ، و قصر مشيد و
نهر مطرد ، و فاكهة كثيرة نضيجة ، و زوجة حسناء جميلة في حبرة ، و نعمة في مقام أمين
أبدأ ، و نضرة في دار عالية بهيئة سليمة ، قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله ، قال :
قولوا : إن شاء الله تعالى ، ثم ذكر الجهاد و حض عليه ^(٤) .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : « هل في الجنة خيل فانها تعجبني ،
قال : إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فيطير بك في الجنة حيث شئت
و قال له رجل آخر : إن الأبل يعجبني فهل في الجنة من إبل ؟ فقال : يا عبد الله
إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتيت نفسك و لذت عينك ^(٥) .

و عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل من أهل

(١) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ١٨ .

(٢) رواه الترمذى ج ١٠ ص ٣٧ و قال : غريب . و رواه البيهقى أيضاً .

(٣) رواه الطبرانى و البيهقى كما فى الترغيب و التهريب ج ٤ ص ٥٣٧ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٣٣٢ بأدنى اختلاف .

(٥) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ١٣ بنحوه و رواه ابن المبارك فى الزهد بلفظ المصنف

كما فى المغنى و قال الترمذى : و هذا أصح .

الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفضاله وشبابه في ساعة واحدة (١) .
وقال عليه السلام : « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان
فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان فيتحداً ثمان ما كان بينهما في دار الدنيا
فيقول : يا أخي أتذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا (٢) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أهل الجنة جردٌ مردٌ بيضٌ جعادٌ مكحلون أبناء
ثلاث و ثلاثين . على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع (٣) » .
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون
ألف خادم و ثنتان و سبعون زوجة ، وينصب له قبة من أولؤ و زبرجد و ياقوت كما
بين الجابية إلى صنعاء » . « و إن عليهم التيجان و إن أدنى لؤلؤة منها لتضي ما بين
المشرق و المغرب (٤) » .

وقال عليه السلام : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كخلف البعير
المقتب و إذا طيرها كالبحث ، و إذا فيها جارية فقلت : يا جارية لمن أنت ؟ فقالت :
لزيد بن حارثة و إذا في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب
بشر (٥) » . و قال كعب الأحبار : خلق الله تعالى آدم بيده ، و كتب النوراة بيده ، و
غرس أشجار الجنة بيده ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون .
فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ، ثم نقلناها تفصيلاً ، و قال يحيى بن معاذ :

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٣٣٨ و الترمذى ج ١٠ ص ٣٥ بنحوه .

(٢) رواه البزار و رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار و الربيع بن صبيح و هما
ضعيفان وقد وثقا كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٢١ .

(٣) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ١٤ ، و حديث مما ذكره قوله « بيض جعاد » و دون
قوله « على خلق آدم - إلى آخره - » و في صحيح مسلم ج ٨ ص ١٤١ من حديث أبي هريرة
« فكل من يدخل الجنة على صورة آدم و طوله ستون ذراعاً » .

(٤) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ٣٥ من حديث أبي سعيد الخدرى في حديثين .

(٥) رواه الثعلبى في تفسيره من رواية أبي هارون العبدى عن أبي سعيد و روى نحوه

على ابن ابراهيم في تفسيره ص ٣٧٤ .

ترك الدنيا شديد و فوت الجنة أشد و ترك الدنيا مهر الآخرة . و قال أيضاً : في طلب الدنيا ذل النفوس و في طلب الجنة عز النفوس فيأعجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى و يترك العز في طلب ما يبقى .

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه شيخنا الصدوق - رحمه الله - باسناده عن النبي ﷺ أنه قال : « إن للجنة لبنة من ذهب و لبنة من فضة و لبنة من ياقوت و ملاطها المسك الأذفر ، و شرفها الياقوت الأحمر والأخضر و الأصفر ، و أبوابها مختلفة باب الرحمة من ياقوتة حمراء ، و أمّا الصبر فباب صغير مصراع واحد من ياقوتة حمراء لاحلق له ، و أمّا باب الشكر فإنه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان مسيرة ما بينهما خمسمائة عام ، له ضجيج و حنين يقول : اللهم جئني بأهل ينطقه ذوالجلال و الإكرام ، و أمّا باب البلاء من ياقوتة صفراء مصراع واحد ما أقل من يدخل منه ، فأما الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصالحون ، و هم أهل الزهد و الورع الرأغبون إلى الله عز و جل المسنأسون به ، فإذا دخلوا الجنة يسرون على نهرين في ماء صاف في سفن الياقوت مجاذيفها اللؤلؤ^(١) فيها لائكة من نور عليهم ثياب خضر شديد الخضرة يسرون على حافتي ذلك النهر و اسم ذلك النهر جنة عدن هي وسط الجنان و سورها ياقوت أحمر حصابؤها اللؤلؤ^(٢) . »

و باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « إن للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيون و الصديقون و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون و خمسة أبواب يدخل منها شيعتنا و محبونا فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو و أقول : رب سلم شيعتي و محبتي و أنصاري و من تولاني في دار الدنيا فإذا النداء من بطنان العرش قد أحييت دعوتك و شفعت في شيعتك ، و يشفع كل رجل من شيعتي و من تولاني

(١) المجذاف : ما يجذف به السفينة ، و في بعض النسخ من المصدر - بالبدال المهملة -

وهو خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين تسير بهما القوارب .

(٢) رواه الصدوق في الفقيه باب الاذان والاقامة و في الامالي ص ١٢٨ في حديث

طويل لخصه شيخنا الفيض ههنا .

و نصرني و حارب من حاربني بفعل أو قول ، في سبعين ألفاً من جيرانه و أقربائه ، و باب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله و لم يكن في قلبه منقال ذرة من بغضنا أهل البيت (١) .

و عن مولانا الباقر عليه السلام : « أحسنوا الظن بالله و اعلموا أن للجنة ثمانية أبواب عرض كل باب منها مسيرة أربعمئة سنة (٢) » .

و روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب - رحمه الله - في الكافي باسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن قول الله عز وجل : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً (٣) » فقال : يا علي إن الوفد لا يكونون إلا ركباناً أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله تعالى و اختصهم و رضي أعمالهم فسماهم المتقين ثم قال له : يا علي أما والذي فلق الحبة و برأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم و أن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق الغر عليها رجال الذهب مكللة بالدر و الياقوت و جلالها الاستبرق و السندس ، و خطمها جدل الأرجوان ، تطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه و عن يمينه و عن شماله يزفونه زفاً حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم ، و على باب الجنة شجرة إن الورقة منها يستظل تحتها ألف رجل من الناس ، و عن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية فيسقون منها شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد و يسقط عن أبشارهم الشعر ، و ذلك قول الله تعالى : « و سقيهم ربهم شراباً طهوراً (٤) » من تلك العين المطهرة ، قال : ثم ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها و هي عين الحياة فلا يموتون أبداً ، قال : ثم يوقف بهم قدام العرش و قد سلموا من الآفات و الأسقام و الحر و البرد أبداً ، قال : فيقول الجبار جل ذكره للملائكة الذين معهم : احشروا أوليائي إلى الجنة و لا توقوهم مع الخلائق ، فقد سبق رضائي عنهم ، و وجبت رحمتي لهم ، و كيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات و السيئات

(١) و (٢) الخصال ج ٢ ص ٣٩ .

(٤) الانسان : ٢١ .

(٣) مريم : ٨٥ .

قال : فتسوقهم الملائكة إلى الجنة فإذا انتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم ضرب الملائكة الحلقة ضربة فتصر صريراً يبلغ صوت صريرها كل حوراء أعدّها الله تعالى لأوليائه في الجنان ، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة فيقول بعضهم لبعض : قد جاءنا أولياء الله فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة ، ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن مرحباً بكم فما كان أشدّ شوقنا إليكم ويقول لهنّ أولياء الله مثل ذلك ، فقال علي عليه السلام : يا رسول الله أخبرنا عن قول الله تعالى : «^(١) غرف من فوقها غرف مبنية ^(١)» بماذا بنيت يا رسول الله ؟ فقال : يا علي تلك غرف بناها الله تعالى لأوليائه بالدرّ والياقوت والزبرجد ، سقفها الذهب محبوكة بالفضة ، لكل غرفة منها ألف باب من ذهب على كل باب منها ملك موكل به فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة ، وحشوها المسك والكافور والعنبر ، وذلك قول الله تعالى : «^(٢) وفرش مرفوعة ^(٢)» إذا دخل المؤمن إلى منازل في الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة اللبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدرّ المنظوم في الإكليل تحت التاج ، قال : وألبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة و ضرب مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر فذلك قوله تعالى : «^(٣) يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً و لباسهم فيها حرير ^(٣)» فإذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحاً ، فإذا استقرّ لوليّ الله منازل في الجنان استأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنّئه بكرامة الله تعالى إياه فيقول له خدّ أم المؤمن من الوصفاء والوصائف : مكانك فإنّ وليّ الله قد اتسكأ على أريكته وزوجته الحوراء تهبّي له فاصبري لوليّ الله ، قال : فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها تمشي مقبلة و حولها وصائفها ، و عليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وهي من مسك وعنبر و على رأسها تاج الكرامة و عليها نعلان من ذهب مكللتان بالياقوت واللؤلؤ ، شراكها ياقوت أحمر ،

(٢) الواقعة : ٣٤ .

(١) الزمر : ٢٠ .

(٣) الحج : ٢٣ .

فأذا دنت من وليّ الله فهمّ أن يقوم إليها شوقاً فتقول له : يا وليّ الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب فلاتقم أنا لك وأنت لي قال : فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا لا يملها ولا تملّه ، قال : فأذا فتر بعض الفتور من غير ملاله نظر إلى عنقها فأذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر وسطها لوح صفحته درّة مكتوب فيها أنت يا وليّ الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك إليك تناهت نفسي و إليّ تناهت نفسك ثمّ يبعث الله إليه ألف ملك يهذّمونه بالجنة و يزوّجونهم بالحوراء ، قال : فينتهون إلى أوّل باب من جنانه فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه : استأذن لنا على وليّ الله فإنّ الله بعثنا إليه نهنئهم فيقول لهم الملك : حتّى أقول للحاجب فيعلمه بمكانكم ، قال : فيدخل الملك إلى الحاجب و بينهم و بين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل باب فيقول للحاجب : إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين ليهنئوا وليّ الله و قد سألوني أن آذن لهم عليه فيقول الحاجب : إنّه ليعظم عليّ أن استأذن لأحد على وليّ الله و هو مع زوجته الحوراء ، قال : و بين الحاجب و بين وليّ الله جنتان قال : فيدخل الحاجب إلى القيّم فيقول له : إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العرّة يهنئون وليّ الله فاستأذن لهم فيتقدّم القيّم إلى الخدّام فيقول لهم : إنّ رسل الجبّار على باب العرصة و هم ألف ملك أرسلهم يهنئون وليّ الله فأعلموه بمكانهم قال : فيعلمونه فيؤذن للملائكة فيدخلون على وليّ الله و هو في الغرفة و لها ألف باب و على كلّ باب من أبوابها ملك موكل به ، فأذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كلّ ملك بابها الموكل به قال : فيدخل القيّم كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة قال : فيبلغونه رسالة الجبّار جلّ و عزّ و ذلك قول الله تعالى : « و الملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب - (من أبواب الغرفة) - سلام عليكم - إلى آخر الآية ^(١) » قال : و ذلك قوله تعالى : « وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً ^(٢) » يعني بذلك وليّ الله و ما هو فيه من الكرامة و النعيم و الملك العظيم الكبير ، إنّ الملائكة من رسل الله تعالى يستأذنون عليه فلا-

يدخلون عليه إلا بأذنه فذلك اسلك العظيم قال : و الأ نهار تجري من تحت مساكدهم وذلك قول الله تعالى : « تجري من تحتهم الأنهار (١) » و الساردانية منهم و هو قوله عز وجل : « ودانية عليهم ظلالها و ذللت قطورها تذليلًا (٢) » من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشبه من الثمار بفيه و هو متسكى ، وإن الأنواع من الفاكهة ليقلن لولي الله : يا ولي الله كلني قبل أن تأكل هذا قبلي قال : وليس من مؤمن في الجنة إلا و له جنان كثيرة معروشات و غير معروشات و أنهار من خمر و أنهار من ماء و أنهار من لبن و أنار من عسل ، فإذا دعا ولي الله بغدائه أتى بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمي شهوته قال : ثم تتخلى مع إخوانه و يزور بعضهم بعضاً و يتنعمون في جناتهم في ظل ممدود في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس و أطيب من ذلك لكل مؤمن سبعون زوجة حوراء ، أربع نسوة من الآدميين و المؤمن ساعة مع الحوراء و ساعة مع الآدمية و ساعة يخلو بنفسه على الأرائك متسكناً ينظر بعضهم إلى بعض و إن المؤمن ليغشاه شعاع نور و هو على أريكته و يقول لخدأه : ما هذا الشعاع اللامع لعل الجبار لحظني فيقول له خدأه : قدوس قدوس جل جلال الله ، بل هذه حوراء من نساءك ممن لم تدخل بها بعد ، قد أشرفت عليك من خيمتها شوقاً إليك و قد تعرفت لك و أحببت لقاءك ، فلما أن رأتك متسكناً على سريرتك تبسمت نحوك شوقاً إليك فالشعاع الذي رأيت و الذور الذي غشيك هو من بياض ثغرها و صفائه و نقائه و رقته ، قال : فيقول ولي الله : ائذنوا لها فتنزل إلي فيبتدر إليها ألف و صيف و ألف و صيفة يبشرونها بذلك فتنزل إليهم خيمتها و عليها سبعون حلة منسوجة بالذهب و الفضة مكللة بالدر و الياقوت و الزبرجد صبغهن المسك و العنبر ، بألوان مختلفة يرى منح ساقها من وراء سبعين حلة طولها سبعون ذراعاً ، و عرض ما بين منكبيها عشرة أذرع فإذا دنت من ولي الله أقبلت الخدأه بصحائف الذهب و الفضة فيها الدر و الياقوت و الزبرجد فينثر و نه عليها ثم يعانقها و تعانقه فلا يمل و لا تمل .

قال الرّأوي : ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام : « أمّا الجنان المذكورة في الكتاب فإنّهنّ جنّة عدن و جنّة الفردوس و جنّة نعيم و جنّة المأوى قال : و إنّ الله تعالى جنّاناً محفوظةً بهذه الجنان و إنّ المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبّ و اشتهى يتنعمّ فيهنّ كيف يشاء و إذا أراد المؤمن شيئاً أو اشتهى إنّما دعواه به إذا أراد أن يقول : سبحانك اللهمّ ، فإذا قالها : تبادرت إليه الخدّام بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم ، أو أمر به و ذلك قول الله عزّ و جلّ : « دعويهم فيها سبحانك اللهمّ و تحييتهم فيها سلام ^(١) » يعني الخدّام قال : « و آخر دعويهم أن الحمد لله ربّ العالمين ^(٢) » يعني بذلك عند ما يقضون من لذّاتهم من الجماع و الطعام و الشراب يحمدون الله تعالى عند فراغهم ، و أمّا قوله : « أولئك لهم رزق معلوم ^(٣) » قال : يعلمه الخدّام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إيّاه ، و أمّا قوله تعالى : « فواكه وهم مكرمون ^(٤) » قال : فإنّهم لا يشتهون شيئاً في الجنّة إلاّ أن يكرموا به ^(٥) .

وروى الصدوق رحمه الله عن الصادق عليه السلام : « أنّه سئل عن قول الله عزّ و جلّ : « لهم فيها أزواج مطهرة ^(٦) » قال : الأزواج المطهرة اللاتي لا يعضن ولا يحدثن ^(٧) . و بإسناده عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وآله فليس من مؤمن إلاّ و في داره غصن من أغصانها لا ينوي في قلبه شيئاً إلاّ أتاه ذلك الغصن به ، ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام لم يخرج منها ، ولو أنّ غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتّى يبيضّ هراً ^(٨) . و عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « تسنيم » أشرف شراب أهل الجنّة يشربه من آل محمّد صرفاً و يمزج لأصحاب اليمين و سائر أهل الجنّة ^(٩) .

(١) و (٢) بونس : ١٠ . (٣) الصافات : ٤١ .

(٤) الصافات : ٤٢ . (٥) الروضة ص ٩٥ الى ١٠٠ .

(٦) النساء : ٥٧ . (٧) رواء الصدوق في الفقيه .

(٨) رواء الصدوق في الامالي ص ١٣٣ وفي الخصال ج ٢ ص ٨٢ ورواه أيضاً العياشي

في تفسيره .

(٩) رواء القمي في تفسيره سورة التطفيق قوله تعالى : « عيناً يشرب بها المقربون »

وقوله تعالى : « و مزاجه من تسنيم » .

﴿باب في سعة رحمة الله﴾

نختم به الكتاب على سبيل النفال بذلك فقد كان رسول الله ﷺ يجب الفال (١) وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله ﷺ في النفال و نرجو أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله فقد قال الله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء (٢) » .

و قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم (٣) » .
و قال تعالى : « و من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً (٤) » و نحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القدم أو طعى به القلم في كتابنا هذا و في سائر كتبنا و نستغفره من أقوالنا التي لاتوافقها أعمالنا ، و نستغفره مما ادعينا و أظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ، و نستغفره من كل علم و عمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ، و نستغفره من كل وعد و عدناه به من أنفسنا ، ثم قصرنا في الوفاء به ، و نستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ، و نستغفره من كل تصريح و تعريض بنقصان ناقص و تقصير مقصر كتبنا متصفين به ، و نستغفره من كل خطرة دعئنا إلى تصنع و تكلف تزيئنا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه، أو علم أفدناه أو استفدناه ، و نرجع بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا و لمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن يكرمنا الله بالمغفرة والرحمة و التجاوز عن جميع السيئات ظاهراً و باطناً فإن الكرم عميم و الرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض و نحن خلق من خلق الله عز وجل لاوسيلة لنا إليه إلا فضله و كرمه ، فقد قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه مسلم ج ٧ ص ٣٣ من حديث أنس .

(٢) النساء : ٤٨ .

(٣) الزمر : ٥٣ .

(٤) النساء : ١١٠ .

« إنَّ الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنِّ و الأُنس و الطَّير و البهائم و الهوامَّ فيها يتعاطفون و بها يتراحمون و آخر تسعاً و تسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة (١) . »

و روي : « أنَّهُ إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتاباً من تحت العرش فيه إنَّ رحمتي سبقت غضبي و أنا أرحم الرُّاحمين فيخرج من النَّار مثلاً أهل الجنة (٢) . »

و قال رسول الله ﷺ : « يتجلَّى الله تعالى لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول : أبشروا يا معشر المسلمين ! نَه ليس منكم أحدٌ إلَّا وقد جعلت مكانه في النَّار يهودياً أو نصرانياً (٣) . »

و قد قال ﷺ : « يشقُّع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذرِّيَّته في مائة ألف و عشرة آلاف ألف (٤) . »

و قال ﷺ : « إنَّ الله عزَّ و جلَّ يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقاءي ؟ فيقولون : نعم ياربِّنا ، فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك و مغفرتك ، فيقول : قد أوجبت لكم مغفرتي (٥) . »

و قال رسول الله ﷺ : « يقول الله يوم القيامة : أخرجوا من النَّار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام (٦) . »

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٩٦ من حديث سلمان و أبي هريرة ، ورواه الطبراني من حديث عبادة بن صامت .

(٢) رواه البخاري و مسلم ج ٨ ص ٩٥ دون قوله « و أنا أرحم الراحمين الخ » حديث يوم القيامة .

(٣) أخرج مسلم ج ٨ ص ١٠٥ ذيله و روى صدره الطبراني في حديث آخر من حديث أبي موسى . (٤) رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس و فيه يزيد

الرقاشي و هو ضعيف كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٨١ .

(٥) أخرجه أحمد ج ٥ ص ٢٣٨ من حديث معاذ بن جبل . و الطبراني بسندين أحدهما حسن كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٥٨ .

(٦) أخرجه الترمذي ج ١٠ ص ٦١ من حديث أنس و قال حسن صحيح .

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إذا اجتمع أهل النار في النار و من شاء الله معهم من أهل القبلة ، قال الكفار للمسلمين : ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا : بلى فيقولون : ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار ؟ فيقولون : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بأخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فما ذارأى ذلك الكفار قالوا : يا ليتنا كننا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ^(١) » .

و قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الله تعالى أرحم بعبد المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها ^(٢) » .
و قال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ، و من استوت حسناته و سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخل الجنة و إنما شفاعة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمن أوبق نفسه و أثقل ظهره .

وروي أن الله عز وجل قال لموسى على نبينا وآله و عليه السلام : يا موسى استغاث بك قارون فلم تغنه و عزني و جلالي لو استغاث بي لأغنته و عفوت عنه .
و قال سعد بن بلال يؤمر يوم القيامة بأخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك و تعالى لهما : « ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد » و يأمر بصرفهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يفتحمها و يملكأ الآخر فيؤمر بردهما و يسألهما عن فعلهما ، فيقول الذي عد إلى النار : قد ذقت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية ، و يقول الذي تملكأ : حسن ظني بك كان يشعرني أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها ، فيأمر بهما إلى الجنة .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقي في البعث و النشور ، عن أبي موسى الأشعري كما في الدر المنثور ج ٤ ص ٩٢ . والآية في سورة الحجر : ٢ .

(٢) متفق عليه و رواه الطبراني من حديث عبد الله بن أبي أوفى كما في مجمع الزوائد

و قال رسول الله ﷺ : ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم و بقيت التبعات فتواهبوها و ادخلوا الجنة برحمتي « (١) .

و يروى أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ « و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها و هو يريد أن يوقعكم فيها فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

و قال الصنابحي : دخلت على عبادة بن الصامت و هو في مرض موته فبكيته ؟ فقال : مهلاً لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً و سوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله ﷺ : « يقول : من شهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله حرّمه الله على النار » (٢) .

و عن رسول الله ﷺ إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة و تسعين سجلاً لكلّ سجلّ منها مثل مدّ البصر ، ثمّ يقول له : أتتكر من هذا شيئاً أظلمتك ملائكتي الحافظون ؟ فيقول : لا ياربّ فيقول : أفلك عذرٌ ؟ فيقول : لا ياربّ فيقول : بلي إن لك عندنا حسنة فإنّه لا ظلم عليكم اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله ، فيقول : يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجّلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجّلات في كفة و البطاقة في كفة ، و طاشت السجّلات و ثقلت البطاقة فلا يتقل مع الله شيء (٣) .

(١) قال العراقي : روينا في سباعات أبي الاسعد القشيري من حديث أنس و فيه الحسين بن داود البلخي قال الخطيب : ليس بثقة . أقول راجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٥٥ .

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٤٢ من حديث عبادة بن صامت و أيضاً برواية الصنابحي غير هذا اللفظ .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٣٠٠ « دون قوله فلا يتقل مع الله شيء » .

و قال ﷺ : في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراف : « إن الله تعالى يقول للملائكة : من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار قال : فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها أحداً (فكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم) « إن الله لا يظلم مثقال ذرة و إن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجراً عظيماً » (قال : فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون و شفح المؤمنون و لم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حَمَاماً فبئس ما فيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة في حميل السيل لأن روثها تكون ممالي الحجر و الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر و أخضر و ما يكون منها إلى الظل أبيض قالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون : هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه و لا خير قدّموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتم فيها فهو لكم فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول الله تعالى : إن لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : ياربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً . رواه البخاري و مسلم في صحيحهما^(١) .

و روى البخاري أيضاً عن ابن عباس قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : عرضت على الأمم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجل والنبي ليس معه أحد و النبي معه الرجل هبط فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن يكون أمّتي فقيل لي هذا موسى وقومه ، ثم قيل : انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سد الأفق فقيل

(١) مسلم ج ١ ص ١١٥ ، البخاري ج ٩ ص ١٥٩ من حديث أبي سعيد الخدري .

لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً فقلت لي: هؤلاء أئمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر ذلك أصحابه فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمننا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناءنا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: الذين لا يكتبون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال: أنت منهم، ثم قام آخر فقال: مثل قول عكاشة، فقال النبي ﷺ: سبقك بها عكاشة» (١).

وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال: تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلينا إلا للصلاة المكتوبة، ثم يرجع، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا: يا رسول الله قد احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث، قال: لم يحدث إلا خيراً إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم وإنني سألت ربي في هذه الثلاثة الأيام المزيد فوجدت ربي واجداً ماجداً كريماً فأعطاني مع كل واحد من سبعين ألفاً سبعين ألفاً، قال: قلت: يا ربّ وتبلغ أمتي هذا قال: أكمل لك العدد من الأعراب» (٢).

وقال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ: «عرض لي جبرئيل في جانب الحرّة فقال: بشر أئمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: يا جبرئيل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم وإن سرق وإن زنى، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر» (٣).

قال أبو الدرداء: قرأ رسول الله ﷺ يوماً «ومن خاف مقام ربه جنتان» (٤)، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «ومن خاف مقام ربه جنتان» فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «ومن خاف مقام ربه جنتان»

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٠.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (المغنى).

(٣) أخرجه مسلم ج ١ ص ٦٥، ورواه أيضاً البخاري في الصحيح.

(٤) الرحمن: ٤٦.

فقلت : و إن زنى و إن سرق، و إن رغم أنف أبي الدرداء. (١) .
و قال عليه السلام : إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل
فقيل له : هذا فداؤك من النار، (٢)

و روى مسلم في الصحيح عن أبي بردة أنه حدث عن عمر بن عبدالعزيز عن أبيه ،
عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه
النار يهودياً أو نصرانياً فاستحلفه عمر بن عبدالعزيز بالله الذي لا إله إلا هو
ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلف له (٣) .

و روي أنه وقف صبي في بعض المغازي يصاح عليه فيمن يزيد في يوم صائف
شديد الحرّ و أبصرته امرأة في خبأ القوم فأقبلت تشتدّ و أقبل أصحابها خلفها حتى
أخذت الصبي و ألصقته إلى بطنها ، ثم ألقت ظهرها على حرّ البطحاء و جعلته على
بطنها لتقيه الحرّ و قالت : ابني ابني ، فبكى الناس و تر كوا ما هم فيه ، فأقبل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسرّ برحمتهم ، ثم بشّرهم فقال : أعجبتم
من رحمة هذه لابنها ؟ قالوا : نعم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : فإن الله تعالى أرحم بكم جميعاً من هذه
بابنها ، فتفرّق المسلمون على أفضل السرور و أعظم البشارة (٤) .

فهذه الأحاديث و ما أوردناه في كتاب الرّجاء تبشّرنا بسعة رحمة الله تعالى
فمرجو الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقّه وأن يتفضّل علينا كما هو أهله بمنّه وسعة
جوده و رحمته .

تمّ كتاب ذكر الموت و ما بعده من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء و هو
الكتاب العاشر من الرّبع الرّابع الذي في المنجيات و بتمامه تمّ كتاب المحجّة
بكتبه الأربعين جميعاً و الحمد لله ربّ العالمين .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن منيع والحكيم في نوادر الاصول والنسائي والبخاري
و أبو يعلى وابن جرير وابن حاتم وابن المنذر والطبراني وابن مردويه كما في الدر المنثور
ج ٦ ص ١٤٦ . (٢) رواه مسلم ج ٨ ص ١٠٤ نحوه من حديث أبي موسى وقد تقدم .

(٣) الصحيح ج ٨ ص ١٠٥ .

(٤) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٩٦ نحوه ومسلم ج ٨ ص ٩٧ وقد تقدم .

فهرست ما فى هذا المجلد

الموضوع	الصفحة
كتاب المحبة و الشوق و الرضا و الانس	
شواهد الشرع فى حبّ العبد لله تعالى .	٤
حقيقة المحبة و أسبابها و تحقيق محبة العبد لله تعالى .	٨
بيان أن المستحقّ للمحبة هو الله تعالى وحده .	١٦
بيان أن أجلّ اللذات و أعلاها معرفة الله تعالى و النظر إلى وجهه الكريم و أنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة .	٢٧
السبب فى زيادة لذة النظر فى الآخرة على المعرفة فى الدنيا .	٣٤
الأسباب المقوية لحبّ الله تعالى .	٤٣
السبب فى تفاوت الناس فى الحبّ .	٥٠
السبب فى قصور أفهام الخلق عن معرفة الله عزّ و جلّ .	٥١
معنى الشوق إلى الله عزّ و جلّ .	٥٥
محبة الله عزّ و جلّ للعبد و معناها .	٦٣
القول فى علامات محبة العبد لله عزّ و جلّ .	٦٨
معنى الانس بالله عزّ و جلّ .	٧٩
معنى الانبساط و الإدلال الذى تثمره غلبة الانس .	٨١
القول فى معنى الرضا بقضاء الله و حقيقته و ماورد فى فضيلته .	٨٦
بيان فضيلة الرضا .	٨٦

الموضوع	الصفحة
حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى .	٩٠
الدعاء غير مناقض للرضا و لا يخرج صاحبه عن مقام الرضا .	٩٤
الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي و مذممتها لا يقدر في الرضا .	٩٩
كتاب النية و الصدق و الاخلاص	
الباب الأوّل بيان فضيلة النية و حقيقة النية .	١٠٣
بيان حقيقة النية .	١٠٦
سره قوله ﷺ «نية المؤمن خير من عمله» .	١٠٩
تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية .	١١٣
النية غير داخله تحت الاختيار .	١٢١
الباب الثاني في الإخلاص و فضيلته و حقيقته و درجاته .	١٢٥
بيان حقيقة الخلوص .	١٢٨
درجات الشوائب و الآفات المكدرّة للإخلاص .	١٣٣
حكم العمل المشوب و استحقاق الثواب به .	١٣٦
الباب الثالث في الصدق و فضيلته و حقيقته .	١٤٠
حقيقة الصدق و معناه و مراتبه .	١٤١
كتاب المراقبة و المحاسبة	
المقام الأوّل من المرابطة المشاركة .	١٥١
المرابطة الثانية المراقبة .	١٥٥
حقيقة المراقبة و درجاتها .	١٥٦
النظر الثاني المراقبة عند الشروع في العمل .	١٦٢
المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل .	١٦٥
حقيقة المحاسبة بعد العمل .	١٦٧

الموضوع	الصفحة
المرباطة الرابعة معاقبة النفس على تقصيرها .	١٦٨
المرباطة الخامسة المجاهدة .	١٦٩
المرباطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها	١٨٠
كتاب التفكير	
فضيلة التفكير .	١٩٣
حقيقة الفكر و ثمرته .	١٩٦
بيان مجاري الفكر .	٢٠٠
كيفية التفكير في خلق الله عز وجل .	٢١٢
كتاب ذكر الموت و ما بعده	
الباب الأول في فضل ذكر الموت و الترفع فيه .	٢٣٨
بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان .	٢٣٩
بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت .	٢٤٣
الباب الثاني في طول الأمل .	٢٤٤
بيان السبب في طول الأمل وعلاجه .	٢٤٦
بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره .	٢٤٨
بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير .	٢٥٠
الباب الثالث في سكرات الموت و شدته وما يستحب من الأحوال عند الموت .	٢٥٢
بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت .	٢٦٢
بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات تعرب بلسان الحال عنها .	٢٦٥
الباب الرابع في وفاة رسول الله ﷺ .	٢٦٨

الموضوع	الصفحة
الباب الخامس في كلام المحتضرين من الصّالحين .	٢٨١
الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز و المقابر و حكم زيارة القبور .	٢٨٢
أحوال القبر و أقاويلهم على القبور .	٢٨٤
بيان أقاويلهم عند موت الولد .	٢٨٦
الباب السابع في حقيقة الموت و ما يلقاه الميّت في القبر إلى نفخة الصور .	٢٩٣
بيان كلام القبر للميّت .	٣٠١
بيان عذاب القبر .	٣٠٢
سؤال منكر و نكير و عذاب القبر .	٣٠٩
الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام .	٣١٢
منامات تكشف عن أحوال الموتى .	٣١٧
صفة نفخ الصور .	٣١٨
صفة أرض المحشر و أهله .	٣٢٢
صفة العرق .	٣٢٧
صفة طول يوم القيامة .	٣٢٨
صفة يوم القيامة و دواهيه و أساميه .	٣٢٩
صفة المسائلة .	٣٣٢
صفة الميزان .	٣٣٩
صفة النخصاء و ردّ المظالم .	٣٤٠
صفة الصراط .	٣٤٤
صفة الشفاعة .	٣٤٨

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
صفة الحوض .	٢٥١
القول في صفة جهنّم و أهوالها و أنكالها .	٣٥٣
القول في صفة الجنّة و أصناف نعيمها .	٣٦٤
أبواب الجنّة .	٣٦٧
غرف الجنّة .	٣٦٨
صفة حائط الجنّة و أرضها .	٣٦٩
صفة لباس أهل الجنّة و فرشهم و سررهم و أرائكهم و خيامهم .	٣٧١
صفة طعام أهل الجنّة .	٣٧٢
صفة الحور العين والولدان .	٣٧٣
بيان جمل متفرّقة من أوصاف أهل الجنّة وردت بها الأخبار .	٣٧٥
باب في سعة رحمة الله .	٣٨٣

الفهارسُ الفنيّة



فهرس الاعلام

فهرس الاماكن

فهرس القبائل والطوائف

فهرس الكتب والماخذ

عشرة مقالة

بسمه تعالى، وله الحمد في الآخرة والأولى:

لا يخفى على أيّ ثقافيّ له عرفان بشأن الكتاب، وإمام بأمر الطباعة والنشر وإحياء المتون، وإطلاع على سيرها الرّاقية في العالم، ومعرفة بأحوال الباحثين واهتمام المحققين من الجيل الغابر وأبناء العصر الحاضر، الكتملين منهم والناشئين أنّ الفهرس الفتي اليوم أمرٌ ضروريٌّ لا بدّ منه، ولا يشكُّ فيه أحدٌ، وخلوّ الكتاب عنه مضرٌّ بنشره مهما كبر شأنه وكثر روادّه، وكلّما كان قدر التّأليف بالنظر إلى محتواه أعلى وأعلى كان بوضع الفهرس الفتي له أجدر وأحرى، ونحن لاننكر ذلك ولانشك فيه، لكن بالرّغم من هذا الاعتقاد وهذا العلم، وجهودنا الجبّارة في جودة طبع هذا الأثر القيم وجدّنا البالغ في إبرازه ونشره بالثوب القشيب، في أبهى حلّة ترصيفاً وإخراجاً وطباعة وكونه عارياً من كلّ عيب ونقص، فأتنا مع شديد الأسف وضع الفهارس اللاّزمة له في طبعه الماضي سوى الفهرس الموضوعيّ، والمانع أمرٌ مايجدي ذكره، ولايستسغ لنا الإصحاربه، ولا يروقنا إزعاج القراء بتفصيله، غير أنّ النوائب حاجزة، والعوائق رادعة، والقضاء مبرم، ولا محيص عن أمر حُطّ بالقلم، وكيف كان جرى القضاء بما يرجي له حسن المثوبة.

بيدّ أنّي مازلت أحاول الخروج من ضيق الاعتراض واللام إلى فسحة الخلاص بالسّلام، وأترصد الفرصة لجبر هذا الكسر وأترقب الإمكان لرفع هذا النقصان، وكنت في فجوة الانتظار والرّجاء لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً، فمضت شهور وأيام وسنون وأعوام وآل الأمر إلى أن قضت العناية الالهية بتجديد طبع الكتاب وتهئية الأسباب، باهتمام هذه المؤسسة المباركة العلميّة، وحثنا مديريتها على تعجيل العمل وإنجاز الوعد، فتصفّحنا أوراق الكتاب مع جماعة من الاخوان وغير واحد من الرّملاء— شكرالله مساعيهم— واستخرجنا أعلامه وأماكنه وغير ذلك ممّا فيه من العنوان، واستفدت من العطلة النيروزية فرتبتها أجود ترتيب وبوّبتها أحسن تبويب وميّزت المشتركات بذكر آبائهم بين القوسين، والمبهمات بذكر أوصافهم بين الهلالين () ليكون المراجع على بصيرة من أمره، وليجد كلّ طالب طلبته دون أيّ كلال، وكلّ مبتغ بعغيته بغير ملل. وبذلك خدمت نار اللّوعة والأسف، وعفا الله عمّا سلف، فنشكره على توفيقه ونحمده على تسديده، ونسأله أن يفرّج عنا غمرات الكروب، ويرفع عنا أيدي الظّالمين، ويدفع عنا كيد الخائنين، وينسأ لنا في الأجل، ويرينا الظّلمة الرّشيّدة والغرّة الحميدة وما ذلك عليه بعزيز إنّه على كلّ شيء قدير.

١٣٦١- هـ ش

علي أكبر الغفاري

الاعلام

أبان بن عثمان الأحمر	الف
ج ٢ : ٥٨ - ١٨٤	آدم عليه السلام
ابراهيم (الخليل عليه السلام)	ج ١ : ٣٦ - ٥٤ - ١٢٢ - ١٧٣ - ٢١٢ - ٢٢٦
ج ١ : ١٥ - ١٨١ - ٢١٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٣٠	ج ٢ : ٢٤٠ - ٢٩٢ - ٣٢٥ - ٣٥٠ - ٣٧٩ - ٣٩٦
ج ٢٣٨ - ٢٤٠ - ٢٦١ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٥١	ج ٣ : ١٠٢ - ١٥٨ - ١٥٩ - ٣١٩ - ٣٢٠
ج ٣٧٣	ج ٤ : ١٠ - ٢٥ - ٥٤ - ٦١ - ٦٥ - ٦٦
ج ٢ : ١٤٠ - ١٤٦ - ١٥٩ - ١٦٩ - ٢٠٤ - ٢٥٧	ج ٥ : ٦٩ - ٢٠١ - ٣١٢ - ٣٧١ - ٣٧٨ - ٤١٨
ج ٢٥٨ - ٢٨٣ - ٣٢٠ - ٣٩٣	ج ٦ : ٣٣٩ - ٢٠٩ - ١٨٥ - ١٨١ - ١٥٧ - ١٩٢ - ٢٠٩
ج ٣ : ٣٢ - ٣٩ - ٤٠ - ٩٨ - ١٠٣ - ٣٥٣	ج ٧ : ٥٨ - ٥٩ - ٧١ - ١٤٥ - ٢٣٠
ج ٣٨٦ - ٣٩٩	ج ٨ : ٢٩٦
ج ٤ : ٨ - ٩٢ - ١٧٩ - ١٨١ - ١٨٥ - ١٩٢	ج ٩ : ٣ - ٨ - ٢٧ - ٤٣ - ٤٧ - ٩٤ - ١٣١
ج ٢٠٩ - ٢٦٥ - ٣٣٨ - ٣٧٠ - ٣٧١	ج ١٠ : ١٤٦ - ١٨٥ - ٢٦٣ - ٣٠٦ - ٣٢٦ - ٣٣٥
ج ٣٠ - ١٤٢	ج ١١ : ٣٤٣ - ٣٦٩ - ٣٩١ - ٣٩٢
ج ٦ : ٢٥ - ٤٦ - ٢٥١ - ٣٤٣	ج ١٢ : ٢٦ - ٨٣ - ٨٩ - ١٩٠ - ١٩٤ - ٣٣٩
ج ٧ : ١٩١ - ٢٦٧ - ٢٩٠ - ٣٠٩ - ٣٧٩ - ٣٨٠	ج ١٣ : ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٧٦ - ٣٨٤
ج ٤٠٧	آسية (امراة فرعون)
ج ٨ : ٥ - ٥٨ - ١٤٠ - ٢٣١ - ٢٥٤ - ٢٥٩	ج ٣ : ٩٧
ج ٣٤٩	ج ٦ : ١٠٣
ابراهيم بن أبي البلاد	ج ٧ : ٣٢٤
ج ٢ : ٥٨	آسية بنت مزاحم
ابراهيم بن أبي حجر الاسلمى	ج ٤ : ٢١٣
ج ٢ : ١٨٣	أصف بن برخيا
ابراهيم بن أبي محمود	ج ٤ : ١٨٥
ج ٢ : ١٦	أبان بن أبي عياش التيمي
ابراهيم بن أدهم (الصوفى)	ج ٨ : ٢٨٤
ج ١ : ١٤٧	أبان بن تغلب
ج ٣ : ٤٢ - ٥٦ - ٧٤ - ١٤٤	ج ٢ : ٢٧٤
ج ٤ : ١٢	ج ٣ : ٣٧٩ - ٣٥٧ - ٣٥٦
ج ٦ : ١٠٨ - ١٤٨ - ٢٠٧	

ج ٧ : ٤٢١ - ٤٢٢ ج ٨ : ٥٦

ابراهيم الاطروش

ج ٧ : ٢٦٨

ابرهيم بن اسماعيل الجرجاني

ج ٤ : ٣٣١

ابراهيم التيمي

ج ٢ : ١١٤ ج ٥ : ٢٠٥

ابراهيم الخواص

ج ٥ : ١٣١ ج ٦ : ١٧٨

ج ٧ : ٣٣٣

ابراهيم بن رسول الله (ص)

ج ٧ : ١٢٩

ابراهيم الزيات

ج ٣ : ٤١٣

ابراهيم بن شعيب

ج ٣ : ٤٤١

ابراهيم بن علي

ج ٤ : ٢٣٥

ابراهيم بن العباس

ج ٤ : ٢٨١

ابراهيم بن الفضل

ج ٤ : ٥٦

ابراهيم الكرخي

ج ٣ : ٨٦

ابراهيم بن المثنى

ج ٢ : ١٣٩

ابراهيم بن يزيد (النخعي)

ج ٢ : ٧٩ ج ٣ : ٤٦ - ٣٣٦

ج ٤ : ٥ ج ٥ : ٢٠٦ - ٢٣٨ - ٢٤٨ - ٢٥٧

ابراهيم بن هاشم القمي

ج ٣ : ٢١٧

ابليس (الشیطان)

ج ١ : ١٨ - ٣١ - ٢٩١ ج ٢ : ٣٠ - ٤٠

٨١ - ١٠٩ - ١١٦ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٣٢

١٦٩ - ١٧٩ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢٣٣ - ٢٢٧

٢٤١ - ٢٤٩ - ٣٣٢ - ٣٥٧

ج ٣ : ١٢ ج ٤ : ٣٥٤

ج ٥ : ٥٢ - ٥٤ - ٥٨ - ٥٩ الى ٧١ - ٨٠

٨٦ - ١٣٦ - ١٧٧ - ١٨٠ - ١٩١

٢٠٤ - ٢٤٣ - ٢٦٨ - ٢٨٠ - ٣٠٨ - ٣٢٨

٣٤٥ - ٣٤٦

ج ٦ : ٢١ - ٢٥ - ٣٧ - ٤٣ - ٧٧ - ٩٣ - ٩٧

٢٣٥ - ٢٤٠ - ٢٧٠ - ٢٧٥ - ٢٩٢ - ٢٩٤

٢٩٦ الى ٣١٩ - ٣٣٢ - ٣٤٠ - ٣٥٢

٣٥٥

ج ٧ : ٢٥ - ١٤١ - ١٦٩ - ١٧٣ - ٢٦٤ - ٣٠٥

ج ٨ : ١٤ - ٨٣ - ١١٥ - ١٢٥ الى ١٢٧ - ١٦٥

١٧٤ - ٢٠٢ - ٢٠٨ - ٢٦٣ - ٢٦٦

ابن أبي الحديد

ج ١ : ٢٤٢

ابن أبي أوفى (عبدالله)

ج ٣ : ٣٦٠

ابن أبي حازم

ج ٤ : ٢٥٤

ابن أبي سماك

ج ٣ : ٢٥٠

ابن أبي عقيل (العماني)

ج ٢ : ٧٠ ج ٤ : ٨١

ابن أبي عمير (محمد)

ج ١ : ٣٠٣ - ٣٤٨ ج ٢ : ٣٠٦

ج ٣ : ١٨١ - ٢١٧ - ٢٥٥ - ٣٩٦

ج ٥ : ٢٥٥

ابن أبي ليلى (عبدالرحمن)

ابن جريج (عبدالمك بن عبدالعزیز)	ج ۱ : ۳۳۸
ج ۱ : ۱۶۴ ج ۴ : ۲۵۴	ابن أبي مليكة ج ۸ : ۲۸۹
ج ۶ : ۲۳۱ - ۲۷۳	ابن أبي نجیح ج ۷ : ۱۲۹
ابن الجنید (أبوعلی الكاتب الاسکافی)	ابن أبي يعفور انظر: «عبدالله بن ابی يعفور»
ج ۱ : ۲۸۶	ابن أخی شهاب بن عبدربه ج ۵ : ۱۶۷
ج ۲ : ۴۰ - ۷۰ - ۷۳ - ۱۰۰	ابن ادريس ج ۱ : ۲۸۵
ج ۳ : ۱۵۲	ابن اذينة ج ۳ : ۲۲۸
ابن الجوزی	ابن الاعرابی (أحمد بن محمد أبوسعيد)
ج ۴ : ۲۵۶	ج ۴ : ۲۴ - ۱۹۱ ج ۶ : ۲۱۸
ابن حمدون	ابن أم عبد انظر: «عبدالله بن مسعود»
ج ۴ : ۲۵۶	ابن أم مكتوم الاعمی ج ۵ : ۱۸۱
ابن حمزة	ابن أورمة (محمد)
ج ۲ : ۱۰۰	ج ۴ : ۳۱۷
ابن خالويه	ابن بابويه (محمد بن علی) راجع «الصدوق»
ج ۴ : ۲۲۱	ابن البرصاء الشاعر (شبيب) ج ۴ : ۱۷۰
ابن خفيف	ابن بزيع العطار ج ۴ : ۳۰۵
ج ۷ : ۳۷۰	
ابن رثاب	
انظر «علی بن رثاب»	
ابن الرومی (الشاعر)	
ج ۴ : ۲۳	
ابن سالم	
ج ۱ : ۹۰ ج ۵ : ۱۶۰	
ابن سلام	
ج ۱ : ۱۸۴	
ابن السماك (الكوفي ابوالعباس محمد بن صبيح)	

٢٠٤ - ٢٠٧ - ٣٢٢ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٥٤

٣٧٨ - ٣٩٠ - ٣٩٨ - ٤٢٥

ج٤: ٦ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٩٢ - ٢٠٦ - ٢١١

٢٢٢ - ٣٣٧

ج٥: ٤٢ - ٤٣ - ٩٢ - ٩٤ - ١٤٦ - ١٥٤ - ١٧٦

٢٠١ - ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٦

٢٤٨ - ٢٥٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٣٠٨ - ٣١٣

٣٣١ - ٣٧٠

ج٦: ١٠ - ١٤ - ٥٥ - ٦٠ - ٦٧ - ٧٣ - ٧٥

١٧٧ - ٢٢١ - ٢٢٩

ج٧: ٦١ - ١٠٧ - ١٢٦ - ١٧٥ - ٢٣٠ - ٢٣٢

٢٣٤ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٤١٧

ج٨: ٨٦ - ١٩٣ - ١٩٦ - ٢٥٠ - ٢٥٩ - ٢٧٣

٢٧٤ - ٣٢٢ - ٣٥٠ - ٣٥٨ - ٣٧٢ - ٣٨٦

٣٨٧

ابن عبدالحكم

ج٤: ٢٤

ابن عطاء

ج٥: ٩٤

ابن عكاشة بن محصن الاسدي

ج٤: ٢٥١ - ٣٥٥

ابن العلاء السعدي

ج٨: ١٧٨

ابن فضال (الحسن بن علي)

ج٤: ٢٦٨ - ٤٩ - ٧١

ابن قتيبة

ج٥: ٢١١

ابن الكواء

ج٤: ٢٣٣ - ٢٣٤ - ١٢

ابن المبارك

ج٤: ٢٢

ج٦: ٦٥ - ج٧: ٢١٩

ابن سنان

انظر «محمد بن سنان»

ابن سيرين (محمد)

ج٣: ١٧٨ - ١٩٢

ج٤: ٢٥ - ٢١٨ - ٢٣٠

ج٥: ٢٠٧ - ٢٥٧ - ٢٧٤ - ٣٢٩

ج٧: ٤٢

ج٨: ١٢٢ - ٢٩٠ - ٣١٥

ابن شاذان (الفضل)

ج١: ٣٠٨ - ج٢: ٤٩ - ج٤: ٢٠٤

ابن شهر آشوب

ج٤: ١٩٥

ابن طلحة

انظر «محمد بن طلحة الشافعي»

ابن عائشة (عبيدالله بن محمد

الهاشمي)

ج٤: ٢٣٣

ابن عامر (قدامة بن عبدالله

العامري)

ج٤: ١٥١

بن عباس (عبدالله)

ج١: ٩ - ٣٤ - ٣٥ - ٩٣ - ١١٢ - ١٦٤ - ١٦٨

١٧٢ - ٢٤٥ - ٢٦٢ - ٢٦٩ - ٣٤٤ - ٣٥٣

٣٥٨

ج٤: ١٥ - ٤٦ - ٢٠٢ - ٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٤٢

٢٥٠ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٦٢ - ٢٦٦

٢٨٨ - ٣٦٩ - ٤٠٥

ج٣: ٣٦ - ٦٥ - ٦٦ - ٧١ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩

ابن المقفّع	انظر: «عبدالله بن المبارك»
ج ٣: ٤٢٤	
ابن ملجم (عبدالرحمن)	ابن محبوب (الحسن)
ج ١: ٢٤٢	ج ٤: ١٣٧ - ١٣٩
ابن المنكدر (محمد)	ابن محيريز (عبدالله)
ج ٣: ١٤٢ - ٤٤٥	ج ٦: ١٠٩
ابن المهاجر	ابن مرجانة (عبيدالله)
ج ٤: ١١٣	ج ٤: ١٤١
ابن ميثم البحراني	ابن مسعود (عبدالله بن مسعود)
ج ٣: ١٩٣	ج ١: ١١١ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٤٦ - ١٦٦ - ١٦٧
ابن نعيم بن محمد الطاهري	٣٩٧ - ٢٣٩
ج ٤: ٣١٠	ج ٤: ٢٦ - ١٥٥ - ٢١٨ - ٢٢٣ - ٢٣١ - ٢٣٢
ابن وصال	٢٣٩ - ٢٤٤ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٩٤
ج ٥: ٥١	٣١٤
ابن يامين (أخو يوسف)	ج ٣: ٢٣ - ٤٢ - ٥٦ - ١٤٤ - ١٧٩ - ٢٠٣
ج ٣: ٤٢٦	ج ٤: ٢٠ - ٣٣ - ١٠١
ج ٧: ٣٤٨	ج ٥: ٥٥ - ٥٦ - ٦٦ - ١٤٨ - ١٩٤ - ١٩٥
أبو أحيحة	٣٢٠ - ٢٩٤ - ٢٩١ - ٢٣٩ - ٢٣٨ - ٢٠٤
ج ٥: ٢١٨	٣٦٩ - ٣٢٢
أبواسامة (زيد الشحام)	ج ٦: ٥١ - ٥٢ - ٥٦ - ٦٠ - ١٠٩ - ١١١ - ١٦٦
ج ٤: ٢٨٧	١٧١ - ٢٣٥ - ٢٧٣ - ٣١١ - ٣٤٦
ج ٤: ٣٥٤	ج ٧: ٩٥ - ١١٦ - ١٤٣ - ٣٤٩ - ٣٧٩
ج ٧: ٥٩	ج ٨: ٨٥ - ٩٥ - ٢٤٤ - ٢٥١ - ٣٣٨ - ٣٤٢
أبواسحاق السبيعي	٣٧٣ - ٣٤٦
ج ٤: ٢٠٦	ابن مسكان
أبواسماعيل	انظر «عبدالله بن مسكان»
ج ٤: ٣٥٥	ابن مطيع (عبدالله)
أبواسماعيل السندي	ج ٨: ٢٤٤
	ابن المعتز
	ج ٣: ٣٢٨
	ج ٦: ٧٧

ج: ٤: ١٢٢	ج: ٤: ٢٩٢
أبو يزيدة الاسلامي	أبو الأسود الدئلي
ج: ١: ٢٣٤	ج: ١: ٣٤
أبو بصير (يحيى)	أبو أعمور السلمى
ج: ١: ١٥٦ - ٣٢٩	ج: ٥: ٢٢١
ج: ٢: ٦ - ١٦ - ١٧ - ٦٣ - ١٥٠ - ١٥٨ - ١٧٤	أبو امامة الباهلى
١٧٦ - ٢٢٢ - ٢٣٢ - ٢٨٩ - ٣١٢	ج: ٣: ٣٢٩ ج: ٤: ١٠٠
ج: ٣: ١٠٩ - ٢٢٤ - ٢٥٩ - ٣٩٩ - ٤١٦	ج: ٥: ٦٢ - ٧٠ - ٣٧٠
ج: ٤: ٤٦ - ٦٣ - ١٨٢ - ٢٠٤ - ٢٤٦ - ٢٤٩	ج: ٦: ١٠١ - ١١١ - ١٤٧ - ٣٢١
٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٣	ج: ٨: ٢٩٢ - ٣٥٩ - ٣٧٠ - ٣٧٥
٢٧١ - ٣٤٣	
ج: ٦: ٢٢٤ ج: ٧: ١٨	أبو أيوب
ج: ٨: ٤٢ - ٢٤١	ج: ٣: ٢٥٣
أبو بكر بن أبى قحافه	أبو أيوب (خالد بن زيد
ج: ١: ٢٣١ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤٣	الأصارى)
ج: ٣: ١٥ - ٩٧ - ١٠١ - ٢٤٣ - ٤١٣ - ٤٢٩	ج: ١: ٢٣٤ - ٢٤٧
ج: ٥: ٢١٨ - ٢٢٢ - ٢٢٨ - ٣١٥	ج: ٣: ١٧ - ٣٦٢
ج: ٦: ٢٥ ج: ٧: ١٤٢ - ٣٧٣	ج: ٦: ٥٢ ج: ٨: ٣٠٠
ج: ٨: ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٦	
٢٨١	أبو أيوب الخزاز
أبو بكر بن اسماعيل	ج: ٤: ٤٧
ج: ٤: ٣٠٧	أبو أيوب السخّتيانى
أبو بكر بن عبد الله المزنى	(لا يبعد اتّحاده مع أيوب)
ج: ٥: ١٨٧	ج: ٢: ١١٤ ج: ٨: ١٢٨
أبو بكر بن عيّاش	أبو البختري
ج: ٥: ١٩٨	ج: ٤: ١٥٧ - ١٢٨
أبو بكر الفهفكى	أبو بردة
ج: ٤: ٣٢١	ج: ٨: ٣٨٩
أبو بكره	أبو بردة بن يزار
ج: ٣: ٢٦٨ ج: ٨: ١٠٥	(والصواب «بن نيار»)
أبو بكر الحضرمي	

ج ١: ٣٧٥	ج ٤: ٣٤٤	ج ٣: ٢٥٠ - ٢٧٥
أبو جهل		ج ٨: ٢٦٣ - ٢٦٤
ج ١: ٩٢	ج ٥: ٢٢٠	أبو بكر الوراق
ج ٨: ١٤		ج ٨: ١٤٧
أبو حازم (سلمة بن دينار)		أبي البلاد
ج ٣: ٢٦٧ - ٣٢٠	ج ٤: ٢٣٣	ج ٣: ٣٧١
ج ٥: ٣٦٩ - ٣٧١	ج ٦: ٥٧ - ١٧٧	أبو تراب النخشي
ج ٧: ٩٧		ج ٨: ٧٨
أبو حبيب التَّباجي		أبو ثعلبة الاسدي
ج ٤: ٢٩٣		ج ٤: ١٠٩
أبو الحسن الانطاكي		أبو ثعلبة الخشني
ج ٦: ٨١		ج ٤: ٩٨
أبو الحسن الأوّل (ع)	ج ٦: ٢٧٢	أبو الجارود
انظر: «موسى بن جعفر عليهما السلام»		ج ١: ١٧٣
أبو الحسن الثاني (ع)		أبو جحيفة
انظر: «علي بن موسى عليهما السلام»		ج ٥: ١٤٩
أبو الحسن الثالث (ع)		أبو جعفر الباقر (ع)
انظر: «علي بن محمد عليهما السلام»		انظر: «محمد بن علي الباقر عليهما السلام»
أبو الحسن المسترقّ الضرير		أبو جعفر الثاني (ع)
ج ٤: ٣٤٧		انظر: «محمد بن علي الجواد عليهما السلام»
أبو الحسن المدائني		أبو جعفر الفزاري
ج ٤: ٢١٦	ج ٦: ٦٦	ج ٣: ١٦٧
أبو الحسين النوري		أبو جعفر محمد بن علوية
ج ٣: ٣١٩		ج ٤: ٣١٣
أبو حفص		أبو جعفر المنصور
ج ٨: ٨٢		انظر «المنصور»
أبو الحمراء		أبو جهم (عامر بن حذيفة بن غانم)
ج ٤: ١٩٢		

٢٧٦ - ٢٨٢ - ٢٩١ - ٣٢٩
 ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٧٠
 ج٦: ٤٢ - ٥٥ - ٢٣٦ - ٢٤٧ - ٢٥١ - ٣٤٦
 ٣٥٠ - ٣٤٩
 ج٧: ٢٣١ - ٢٣٣ - ٤٣٤
 ج٨: ٥٨ - ١٢٤ - ١٧٢ - ٢٤٤ - ٢٨٤ - ٣٥٨
 ٣٨٩ - ٣٨٨

أبو نزر الصّحابي الغفاريّ (رض)

ج١: ٣٥ - ٦٥ - ٨٧ - ٢٣٤ - ٢٤٢ - ٢٤٧
 ج٢: ٥ - ٦٥ - ٨٦ - ٢٢١ - ٢٣٧ - ٣٠٥ - ٣٨٣
 ج٣: ١٠ - ٢٢ - ٢٥١ - ٢٥٩ - ٣١٨ - ٣٣٦
 ٣٣٧ - ٣٩٠ - ٤١٨ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٨
 ٤٣١
 ج٤: ٦١ - ٧١ - ٢٧٦
 ج٥: ٩٢ - ١٥٠ - ١٦٤ - ٢٠١ - ٢٣٩ - ٢٧٦
 ٣٦٧
 ج٦: ٦ - ٥٨ - ٩٣ - ٩٤ - ٢٤٣
 ج٧: ٣٢٦ - ٣٥٣ - ٣٧٣ - ٣٧٤
 ج٨: ١٤٥ - ١٦٤ - ١٦٧ - ١٩٥ - ٢٥٨ - ٢٨٤
 ٣٨٨ ، ٣٥٢ - ٣٤٢ - ٢٨٩

(أبو نزر همداني)

انظر: «عمر بن نذر»

أبورافع (مولى رسول الله)

ج٣: ٣٢ - ١٢٠ - ٤٤٦
 ج٧: ٣٢٢

أبو الربيع الشامي

ج٤: ٥ - ٥٧ ج٦: ١١٣

أبورزين العقيلي

ج٨: ٤

أبو الزبير

انظر «محمد بن مسلم المكي»

أبو حمزة الثماليّ (ثابت بن دينار)

ج١: ٣٢٨ - ٣٥٢ - ٣٥٥ - ٣٥٦
 ج٢: ٥٨ - ١٥٣ - ١٥٧ - ٢٧٢ - ٣٠٤ - ٣٩٤
 ج٣: ٨٧ - ١٤١ - ٣٨٨ - ٤٣٢ - ٤٤٨
 ج٤: ٢٦٢ - ٢٦١ - ٢٦٠ - ٢٣٢
 ج٥: ٦١ - ٢٩٢ - ٣٢٠ - ٣٢٨ - ٣٥٢
 ج٦: ٢١٤

أبو خنيفة (أحد الأئمة الأربعة)

(النعمان بن ثابت)

ج١: ٥٧ - ٩٧ - ٢٠٣
 ج٣: ٧٨ - ١٥٦ - ١٥٧
 ج٤: ٢٥ - ٢٥٤ ج٥: ١٢٩ - ٢٣٢
 ج٧: ٣٦٩

أبو حنيفة سايق الحاجّ

ج٣: ٣٧٤ ج٤: ٧٢

أبو خالد (القماط)

ج٢: ٣٠٢

أبو خالد الزبالي

ج٤: ٢٧٥ - ٢٧٦

أبو خديجة (سالم بن مكرم)

ج٤: ٣٣٦

أبو داود السجستاني

ج١: ٢٤

أبو الدرداء

ج١: ٢٣ - ٨٣ - ١٣٤ - ١٤٧ - ١٧٩ - ٣٩٨

ج٢: ١٠٨ - ١٣٦ - ٢٥١ - ٢٨٨ - ٣٧٧ - ٣٧٨

ج٣: ٦٨ - ٢١٤ - ٢٦٥ - ٣٣٣ - ٣٣٦ - ٢٣٨

٣٤١ - ٣٧٠ - ٣٩٣ - ٣٩٨ - ٤١٨ - ٤٤٥

ج٤: ١٦ - ٢٢ - ٢٣

ج٥: ٧١ - ٩٠ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١٩ - ٢٦٠

ج ٨: ٦-٣٢-١٢٨-١٧٨	أبوساسان الانصارى
أبوسنان (ضارمرّة ظ -)	ج ١: ٢٤٢
ج ٨: ٢٨٨	أبوسعدالخر گوشى النيشابورى
أبوالصباح الكنانى	ج ٦: ٧٠
ج ٢: ١٠٦-١٤٤	أبوسعيد الثورى
ج ٤: ٢٤٨ ج ٥: ٦٥	ج ٣: ٣٢٨
أبوالصديق (بكر بن عمرو) الناجى	أبوسعيد الخدرى (سعد بن مالك)
ج ٢: ٢٩٩	ج ١: ١٧١-٢٤٧ ج ٢: ٢٧٠
أبوالصلاح (تقى بن النجم الحلبى)	ج ٣: ٣٧٥-٤٣٧
ج ١: ٢٨٦ ج ٢: ٣٥	ج ٤: ٢٠-٢٠٠-٢١٣-٣٤٠-٣٤١
أبوالصلت عبدالسلام الهروى	ج ٥: ١٤٦-١٦٦-٢٥١-٣٠٨-٣١٦
ج ٤: ٢٨٣-٢٨٢-٤٩	ج ٦: ٧٣-١٠٨-١٠٩-٢٤٩-٢٥٠
أبوطالب بن عبدالملك (الهاشمى)	ج ٧: ٣١-٧٠-٢٦٢-٣٥٤
ج ٤: ١٥٣ ج ٨: ٢٧٧	ج ٨: ١٩٥-٢٤٥-٢٦٣-٣٠٠-٣٠٨-٣٤٥
أبوطالب المكى	٣٨٧-٣٧٥-٣٧٤-٣٧٢-٣٦٨-٣٥٧
ج ٢: ٢٩٦-٤٠٠ ج ٥: ١٥٣ ج ٧: ٣١	أبوسعيد الميهنى
أبوطاهر بن كثير	ج ٧: ١٥٣ ج ٨: ٦٥
ج ٦: ٦٧	أبوسفيان بن حرب
أبوطلحة (زيد بن سهل الانصارى)	ج ٣: ١٣٧ ج ٥: ٢٢١-٢٧١
ج ٣: ٣٩٤-٤٢٩ ج ٤: ١٦٤	أبوسلمة (الصحابى)
ج ٧: ١٢٨-١٢٩	ج ٥: ٢٣٤
أبوالعالية (رفيع)	أبوسلمة المدينى
ج ٦: ١٠٩	ج ٦: ٢١٩-٢٤٩-٢٥٠
أبو عبدالرحمن	أبوسليمان الدارانى
انظر: «حاتم الاصم»	(عبدالرحمن)
	ج ٤: ٢٠١-٢٣٨-٣٩٦-٣٩٨
	ج ٣: ٥٧-٦٩-٩٠-١٣٤-١٤٤-٣١٧
	٣٢٠-٣٣٩-٣٥٤-٣٧٨
	ج ٤: ٥ ج ٥: ١٥١-١٥٤-١٥٥
	ج ٦: ٢٢٧
	ج ٧: ١٢٦-٣١٨-٣٦٦

ج ٧٨ : ٤٤	أبو عبد الله عليه السلام
ج ٧٨ : ٤٤	انظر: «جعفر بن محمد الصادق (ع)»
أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله)	أبو عبد الله (محمد بن اسماعيل - التيمي)
ج ١٠٣ : ٧	ج ٢٤ : ١
أبو علي (موسى بن عمر مولى بنى نهد)	أبو عبد الله البرقي (محمد)
ج ٣٠٥ : ٤٤	ج ٣ : ٢
أبو علي الرباطي	أبو عبد الله الخوَّاص
ج ٣٣٥ : ٣	ج ١٤٠ - ١٣٨ - ١٤٥ : ٧
ج ٥٩ : ٤٤	أبو عبد الله الفراء
أبو علي الروذباري	يروى عن الصادق عليه السلام
ج ٤٩ : ٣	ج ٣٠١ : ٢
أبو علي الفارمذي	أبو عبد الله الورَّاق
ج ٣٠١ : ٧	ج ٣١٩ : ٢
أبو علي الفهري	أبو عبيدة الجراح
ج ٣١٧ : ٤٤	ج ٣٥٨ : ٥
أبو عمر الزاهد (صاحب اليواقيت)	ج ٢٨٠ - ٢٧١ - ٢٧٠ : ٨
ج ١٩١ : ٤	أبو عبيدة الحنَّاء
أبو عمرة	ج ١٠٧ - ١٠٦ - ٣٥٦ : ٢
ج ٢٤٢ : ١	ج ٣٨٧ - ٢٤٩ : ٣
أبو الفتح بن شخرف	ج ٧٢ : ٤
ج ٢٢٧ : ٦	ج ٣٥٦ : ٧
أبو الفضل	ج ٢٤١ : ٨
انظر «حنان بن سدير»	أبو عبدة الخوَّاص (عباد بن عباد)
أبو القاسم الصيقل	ج ٨٢ : ٨
ج ٢٥٠ : ٣	أبو عثمان الحيري
أبو القاسم (كاتب راشد)	ج ٣٣٠ : ٣
	ج ٩٤ : ٥
	أبو عثمان المغربي

(عقبة بن عمرو بن ثعلبة)

ج ٤٤٦: ٣ ج ٩١: ٥ ج

أبو مسعود الثقفي

ج ٢٣٣: ٦ ج

أبو المغرا (حميد بن المثنى)

ج ٢٥١: ٣ ج

أبو موسى الأشعري

ج ٢٤٧: ١ ج ٤٢٩: ٣ ج

ج ٣٤٥ - ٢٢١: ٥ ج ١٧١: ٦ ج

ج ٣٨٩ - ٨٢: ٨ ج

أبو موسى عبدالرحيم

ج ٣٥٨: ٧ ج

أبونجيح

ج ٢١٨: ٤ ج

أبونصر التمار

ج ٣٤٧ - ٣٤٦: ٦ ج

أبونعيم (الحافظ)

ج ٢٥٦: ٤ ج

ابونعيم (محمّد بن أحمد)

الانصارى

ج ٣٤٦: ٤ ج

أبونواس

ج ٢٨٢: ٤ ج

أبو وائل

ج ٣٠: ٣ ج

أبو واقد الليثي

ج ٣٣٠: ٤ ج

أبو القاسم الكرمانى

ج ٣٠١: ٧ ج

أبو قتادة الانصارى

ج ٤٤: ٣ ج

أبو قتادة القمى

ج ٢٧٥: ٤ ج

أبو كاهل

ج ٢٤٥: ٥ ج

أبو كثير الهذلى

ج ٢٢٧ - ٢٢٨: ٥ ج

أبو كهمس

ج ٣٥٦: ٤ ج

أبولهب

ج ٩٢: ١ ج ٢٦٦: ٣ ج

أبو محمد عليه السلام

انظر: «الحسن بن على العسكري عليه السلام»

أبو محمد الطبرى

ج ٣١٨: ٤ ج

أبو مرّة (رجل)

ج ١٢٤: ٣ ج

أبو مرثد (أحد الكرماء)

ج ٦٧: ٦ ج

أبو مريم عبدالله بن زياد الاسدى

ج ١٨٩: ٤ ج

أبو مسعود الانصارى البدرى

ج ١: ٨٧	ج ٦: ٥٠
أبويحيى الوراق	أبو ولاد (حفص بن سالم الحنّاط)
ج ٥: ١١٦	ج ٤: ٢٨٤ ج ٣: ٢٥١ - ٤٣٨
أبو يزيد (طيفور بن عيسى) البسطامي	أبو هاشم الجعفرى (داود بن القاسم)
ج ١: ٩٠ ج ٣: ٣٢٨	ج ٣: ٣١٣
ج ٥: ٤٥ - ١٥٥	ج ٤: ٣٠٤ - ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢٥ - ٣٢٩
ج ٦: ٢٢٧ ج ٧: ٣٥٨	٣٣٣
أبويوسف (يعقوب بن ابراهيم)	أبو هاشم القرشى
ج ١: ٥٧	ج ٨: ١٧٧
أبي بن خلف الجمحى	أبو الهذيل (غالب الاسدى)
ج ٤: ١٦٨	ج ٤: ٢٤٨
أبي بن كعب	أبو هريرة
ج ١: ١٦٤ - ٢٣٤	ج ٤: ٢١٢
ج ٤: ٣٣ ج ٨: ١٠٤	ج ٥: ٩١ - ١٩٤ - ٢١١ - ٢٣٣ - ٢٣٨ - ٣٠٨
أحمد	ج ٨: ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٥٠
ج ٤: ٣٥١	أبو الهيثم (صاحب العسكرى <small>عليه السلام</small>)
أحمد (ولد لابراهيم بن اسماعيل الجرجانى)	ج ٤: ٣٢٨
ج ٤: ٣٣١	أبو الهيثم بن التيهان (الصحابى)
أحمد بن أبى الحوارى	ج ١: ٢٣٤ - ٢٤٧
ج ٤: ٢٠١ ج ٣: ١٣٤ - ٣١٧ - ٣٣٩	ج ٥: ٢٣٨ - ٢٣٩
أحمد بن اسحاق بن سعد الأشعري	أبويحيى الرازى
ج ٤: ٣٧٠ - ٣٧١	ج ٣: ١٢٠
ج ٤: ٣٣٩	أبويحيى بن زكريّا الساجى
أحمد الجلاء (ابن الجلاء)	ج ١: ٢٤
	أبويحيى الواسطى

أحمد بن محمد	ج ٤٩ : ٧ : ٥٥
ج ٤ : ٢٧٥ - ٣٢٧ - ٣٣٠	أحمد بن الحارث القزويني
أحمد بن محمد بن أبي نصر	ج ٤ : ٣٢٤
ج ١ : ٣١٥ ج ٢ : ١٨٤ - ٢٦٢ - ٢٦٤	أحمد بن الحسن
ج ٣ : ٢٠٧ - ٢٢٨ ج ٤ : ٤٧	ج ٤ : ٣٥١
أحمد بن محمد بن أيوب المغربي	أحمد بن حنبل (أحد الأئمة
ج ٤ : ٢٢١	الأربعة)
أحمد بن أبي عبد الله (محمد بن خالد)	ج ١ : ٩٧ - ١٤٠ - ١٦٤ - ٢٠٣ - ٢٥٩ - ٢٦٠
ج ١ : ٣٤٨	ج ٢٧٦ - ٢٧٥
أحمد بن محمد (بن عيسى)	ج ٣ : ١٥٦ ج ٤ : ١٩٣
ج ١ : ١٧٤	أحمد بن سعيد العابد
أحمد بن موسى بن جعفر (ع)	ج ٥ : ١٨٨
ج ٢ : ٢١	أحمد بن عبدوس
أحمد بن هارون	ج ١ : ٣٢٧
ج ٤ : ٣٢٨	أحمد بن عبد الله بن طاهر
الاحنف بن قيس (أبو بحر)	ج ٤ : ٣٣٢
ج ١ : ٣٢٥ ج ٣ : ٢٥١ - ٣٤٣ - ٤٤٥	أحمد بن عبد الله
ج ٥ : ١٩٨	ج ٤ : ٣٤٧
ج ٦ : ٦٥ ج ٧ : ٢٣٤	أحمد بن عبيد الله بن خاقان
أدريس النبي (ع)	ج ٤ : ٣٢٢
ج ١ : ٧٧ ج ٢ : ١٥٩ - ٢٥٧	أحمد بن علي بن زيد
ج ٨ : ١٤٠	ج ٤ : ٣٣٢
أذكو تكين	أحمد بن فهد
ج ٤ : ٣٥١	ج ٢ : ٩١ - ١٠٧
أربد بن قيس	
ج ٤ : ١٦٧	

الأربلى

انظر «على بن عيسى»

اسامة بن زيد

ج ٤: ١٨٠

اسحاق بن يزيد

ج ٣: ٣٩٦

الاسدى

ج ٤: ٣٥١

اسرافيل

ج ٧: ٣٥٥

ج ٨: ١٤٦ - ٢٧٥ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٣٥

اسماء بنت ابي بكر

ج ٣: ٤٢٩ ج ٤: ٢١١

أسماء بنت عميس

ج ٤: ٢٠٠ - ٢٠٢ - ٢١٢ ج ٥: ٢٤٩

أسماء ذات النطاقين

(هى بنت ابي بكر)

أسماء بن خارجة الفزارى

ج ٣: ١٣٥

أسماء بنت يزيد

ج ٥: ٢٤٥ - ٢٤٦

اسماعيل بن ابراهيم (ع)

ج ٢: ٣٩٣ ج ٣: ٣٧٠

ج ٤: ٩٢ - ١٨١ ج ٥: ٢٣٨ - ٣٣١

ج ٧: ٣٢٥

اسماعيل بن ابي الحسن

ج ٤: ٢٩١

اسماعيل بن جابر

ج ١: ٢٣٣ - ٢٣٤ ج ٣: ٤٣٦

ج ٤: ٥٢ ج ٥: ١٤٧

ج ٨: ٢٤٥ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٣٧٥

اسامة بن شريك

ج ٣: ٢٨٤ ج ٥: ٩١

اسحاق بن ابراهيم (ع)

ج ١: ٢٣٠ ج ٤: ١٧٥

اسحاق بن ابراهيم القمى

(اخو على)

ج ٣: ٢٧٦

اسحاق بن جعفر

ج ٤: ٢٨٩

اسحاق بن جعفر الزبيرى

ج ٤: ٣٢٣

اسحاق بن راهويه

ج ٢: ٢٧٤

اسحاق بن عمّار

ج ١: ٣٠٩ - ٣٤٦

ج ٢: ٥٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ٢٣١

ج ٣: ١٢٥ - ١٦١ - ٢٤٩ - ٢٧٢ - ٢٧٧ - ٣٨٩

٤١٥

ج ٤: ٤٥ - ٤٦ - ٢٦٤ - ٢٧٧

ج ٧: ٢٨١ ج ٨: ٢٩١

اسحاق بن غالب

ج ١٧٣: ١	ج ٦٠: ٤
ج ١٤٨: ٣	اسماعيل بن جعفر عليه السلام
ج ٢٠٣: ٤	ج ٢٥٠: ٣
الاصمعي	ج ١٢٢: ٨
ج ١٣٧ - ١٣٦: ٣	اسماعيل بن عباس الهاشمي
ج ٧٦ - ٦٤: ٦	ج ٣٠٨: ٤
الاعمش (سليمان)	اسماعيل بن عبد الخالق (ابن
ج ٣٠: ٣ - ١٩ - ٤١٣	أخي شهاب)
ج ٢٥: ٤	ج ١٦٧: ٥
ج ٣٥٨ - ٢٦٨: ٨	اسماعيل بن عمّار بن حيان
افلح	ج ٤٣٩ - ٣٧٩: ٣
ج ٢٤٣: ٤	اسماعيل بن الفضل
الاقرع بن حابس	ج ٤٤٨: ٣
ج ٤٣٦: ٣	اسماعيل بن محمّد بن علي العباسي
إلياس	ج ٣٢٦: ٤
ج ٢٥٧: ٢	اسماعيل بن همّام
ج ٢٥١: ٤	ج ٢٩١: ٢
أنس بن مالك	الاسود العنسي الكذاب
ج ١٤٤: ١	ج ١٦٦: ٤
ج ٣٩٠ - ٣٧٣ - ٩٨ - ١١: ٣	الاسود بن كثير
ج ٢١٥ - ١٦٤ - ١٤٧ - ١٤٣ - ١٢٩ - ١٢٢: ٤	ج ٢٤٤: ٤
ج ٣٤٠ - ٢٣٠ - ٢٢٧	أصبغ بن موسى
ج ٢٠٠ - ١٩٣ - ١٤٩ - ١٢٣ - ٩٣ - ٩٢: ٥	ج ٢٧٨: ٤
ج ٢٥٣ - ٢٥٢ - ٢٥١ - ٢٣٣ - ٢١٩ - ٢١٣	أصبغ نباته
ج ٢٤٧ - ١٠٨ - ٦١: ٦	
ج ٣٥٨ - ٣٥١ - ٣٤٣ - ٢٩٧ - ٦: ٨	
أم أيمن	
ج ٥٢: ٤	
ج ٢٣٦: ١	
ج ٤٢٤: ٧	
أم حبيب (الخافضة)	
ج ٣٣٤: ١	

الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو)	أم حبيبة (زوجة النبي «ص»)
ج ٤: ٧٤ - ٢٢٤ - ٢٩٩ ج ٣: ١٤٤	ج ٣: ١٣٧ ج ٥: ٩٢
ج ٥: ١٩٧ ج ٨: ١٩٤ - ٣٧٤	أم نزر (زوجة أبي نزر)
امية بن علي القيسي	ج ٨: ١٩٥
ج ٤: ٣٠٤ - ٣٠٦	أم سعد الانصارية (سعد بن الربيع)
أنوشيروان	ج ٤: ٧٣
ج ٦: ٧٦	أم سلمة (أم المؤمنين)
أوس بن خولي	ج ٤: ٢٢٤ ج ٤: ٢٠٠ - ٢٠٧ - ٢٣٠
ج ٦: ٢٢٣ ج ٨: ٢٨١	ج ٥: ٢٠٨ - ١٨١ ج ٨: ١٠٥ - ٢٦٩ - ٢٧٧
أويس بن عامر القرني	أم عطية (الخافضة)
ج ٤: ١٢ ج ٦: ٢٤	ج ١: ٣٣٤
ج ٧: ٢٨٤ - ٣٦٦ ج ٨: ١٧٣	أم غانم (صاحبة الحصاة المطبوعة)
أيوب (عليه السلام)	ج ٤: ٣٢٩
ج ٣: ٩٧ ج ٥: ٣٠٩	أم الفضل (بنت المأمون)
ج ٦: ٢٠٤ - ٢٨١	ج ٤: ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٩ - ٣٠١
ج ٧: ٥٢ - ١٤٣ - ٢١٧ - ٢٣٤ - ٢٣٩	أم كلثوم (بنت عقبة بن أبي معيط)
أيوب بن أعين	ج ٥: ٢٤٤
ج ٤: ٧٢	أم محمد (مولاة الرضا «ع»)
أيوب (بن كيسان) السخثياني	ج ٤: ٣١٢
(كانه متحد مع أبي أيوب)	أم معبد (الخرائية)
ج ٦: ١٠٨ - ١٠٩	ج ٤: ١٦٩
أيوب بن يونس	أم هانئ (بنت أبي طالب)
ج ٥: ٧٠	ج ٤: ٢٢٥

ج:٤:٣٢٣	ب
بريرة (امرأة)	بحر بن (كنيز) السقاء
ج:٣:٢٣٨-٣٧٨ ج:٨:١٧٨	ج:٤:٣٩١
بسطام (الزيّات)	البخارى (محمّد بن اسماعيل)
ج:٤:٥٧ ج:٣:٣٩١	ج:١:٣٤٤
بشر بن البراء بن معرور	ج:٤:٤٨-٩١-٢٩٥-٣٠١-٣٠٥-٣١٥
ج:٦:٧٤	ج:٥:٧٤
بشر (بن الحارث الحافي)	ج:٨:٣٢٧-٣٧٢-٣٨٧
ج:٣:٤٩-٢٠٨-٣٤٨ ج:٤:٤٢	البراء بن عازب (الانصارى)
ج:٦:١٠٩-٨١-٧٦ ج:٧:٣٤١-٣٣٣	ج:١:١٧٢ ج:٣:٣٨٧
ج:٨:٩٢	ج:٥:٩١-١٩٥-٢٥١ ج:٨:٣٠٢
بشر بن عبدالله بن ابي بكر	البراء بن مالك
ج:٥:٢١١	ج:٦:١٠٩
بشر بن عبدالله	برخ الأسود (صاحب
ج:٤:٥	موسى «ع»
بشر بن غالب الأسدى	ج:٨:٧١-٨١-٨٢
ج:٤:٢٢١	برذون بن شبيب النهدي
بشير	انظر «جعفر بن شبيب»
ج:٤:١٦٤	البرقى (أحمد بن محمّد)
بشير الدهان	ج:١:٣٢٦ ج:٣:٣٩٣ ج:٨:١٢٢
ج:٤:٤٦	بريد بن معاوية العجلي
البطحاني	ج:٤:٥٥
ج:٤:٣١١	بريحة

ج٤: ١٩٢	بقيّة بن الوليد
الباقر (ع)	ج٣: ٢٩٩
انظر «محمد بن علي بن الحسين (ع)»	بكر بن صالح (الضبي)
ت	ج٤: ٢٩٢
الترمذي	بكر بن عبدالله المزني
ج٤: ٢٣٠	ج٥: ١٨٧ - ٣٢٨ ج٦: ٢٤٩
تميم الدّاري	ج٨: ٢٦٧
ج٤: ٢٣٨	بلال بن أبي سعيد
(ث)	ج٥: ٢٠٨
ثابت بن أبي صفيّة (دينار)	بلال بن الحارث (المزني)
انظر «ابوحمزة الثمالي»	ج٥: ٢٠٦
ثابت بن أسلم البناني	بلال بن سعد
ج٤: ٢٤٨ - ٢٦٦	ج٨: ٣٨٥
ثابت	بلال بن رباح (المؤذن)
ج٥: ٦١	ج١: ٣٧٧ ج٢: ٣١٠ - ٤٠١
ثابت بن قيس بن شماس	ج٣: ٣٩١ ج٥: ١٧٩
ج٦: ٢٣٥	ج٦: ٢٣٣ - ٢٨٤ ج٧: ١٤٢
ثعلبة بن حاطب	ج٨: ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٥ - ٢٧٦
ج٦: ١٠١ - ١٠٢	بلعم بن باعورا
ثوبان (مولى رسول الله)	ج١: ١٣٠ ج٦: ٢٦١ ج٨: ٨٤
ج٤: ٢٠٨ ج٤: ٣٦٣	بنيامين (بن يعقوب)
	انظر «ابن يامين»
	البيهقي

ج ٨: ٣٥٢ - ٣٧٣

الجارود بن المنذر

ج ٣: ١١٩

ثوير بن أبي فاخنة

ج ٣: ٣٤٠

الجائليق

ج ٤: ٣٣٣

جالوت

ج ٢: ١٥٩

(ج)

جالينوس

ج ٤: ٢٥

جابر بن اسماعيل

ج ٤: ٣٩٣

جبرئيل (ع)

جابر بن سمرة

ج ٥: ٢١٦

ج ١: ٧٥ - ١٣٩ - ١٧٣ - ٢٠٣ - ٢٩٧ - ٣١٥

٣٢٤ - ٣٢٠

جابر بن عبدالله الأنصاري

ج ٢: ١٥٢ - ١٥٨ - ١٦٨ - ٢٤٨ - ٢٧٣ - ٢٧٤

٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٨٩ - ٣٩٠

ج ٤: ٢٨٠ - ٢٨٨ - ٣٨٨ - ٤٠٠

ج ٣: ١٤١ - ٤٢٢

ج ٣: ٣١ - ٦٥ - ٨٧ - ١١٨ - ١٢١ - ٣٦٥

ج ٤: ١٣٢ - ١٣٣ - ١٤٧ - ١٨٦ - ١٩٣ - ٢١١

٢٢٣ - ٢٤٠ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٤٤ - ٣٤٥

٣٦٦ - ٣٨٢ - ٣٩٤ - ٤٢٥

ج ٥: ٧٢ - ١٧٨ - ٣٥٧

ج ٤: ٤٢ - ٧٦ - ١٤٦ - ١٦٤ - ٢٠٠ - ٢٠٧

٢١١ - ٢٢٢ - ٣٣٧ - ٣٤٠

ج ٦: ٥٩ - ٦١ - ٧٨ - ٨٠ - ٨١ - ٢٢٣

٣٤٦

ج ٥: ٧١ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٨٨ - ٣٢٠

ج ٦: ٥٩ - ٦٣ - ١٠٨ - ١٧٥

ج ٧: ٨ - ٦٦ - ١٢٧ - ١٧٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥

٢٦٥ - ٢٩٠ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣٠٩

ج ٧: ١٠٧ - ١٢٩ - ٣٥٢

٣٢١ - ٣٥٥ - ٣٧٩ - ٤٠١ - ٤١٢

ج ٨: ١٤٦ - ٢٥١ - ٢٩٨ - ٣٦٩ - ٣٨٥

ج ٨: ٩٢ - ١٤٦ - ١٥٥ - ٢٣٤ - ٢٦٩ - ٢٧٥

٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٣٠٥ - ٣٢٠

جابر (بن النضر بن جابر)

ج ٤: ٣٣١

٣٢١ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٤٧

٣٦١ - ٣٨٨ - ٣٤٩

جابر بن يزيد الجعفي

ج ١: ٧٤ - ١٩٧ - ١٩٨ - ج ٤: ١٠ - ١١

ج ٣: ٣٤٠ - ٣٩٦

جبير بن مطعم

ج ٦: ٧٢

ج ٤: ٢٤٨ - ٢٥٠ - ٣٣٧ - ٣٤١ - ٣٥٥

جد بن قيس

ج ٦: ٧٣ - ٧٤

ج ٥: ٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦

جابر المكفوف

ج ٣: ٤٤١

جرير بن حازم

ج ٦: ١٠٣

الجاحظ

ج ٦: ٧٦

جعفر بن الشريف الجرجاني ج٤: ٣٣٠-٣٣١	جرير بن عبدالله البجلي ج٣: ٣٧١ ج٥: ٩١ ج٨: ٣٧١
جعفر بن عمر العلوي ج٤: ٢٩٤	جرير بن عبيدة العدوي ج٥: ٥٠
جعفر بن محمد بن قولويه ج٤: ٣٤٨-٣٤٩	الجريري (سعيد بن اياس) ج٣: ٢٩٩
جعفر بن محمد بن هارون المتوكل ج٤: ٣١٠	جعفر ج٤: ٣٥١
جعفر بن محمد الصادق (أبو عبدالله عليهما السلام)	جعفر بن ابراهيم ج٥: ٢٣٠
ج١: ٢٧-٣١-٤٢-٦٠-٦٦-٦٨-٧٦	جعفر بن أبي طالب (الطيّار) ج٢: ٥٨-٥٧ ج٣: ٤٨-٣٩١-٣٩٢ ج٤: ٦٦-٣٤٠ ج٦: ٢٢٢
٧٧-٧٨-٨٩-١٠٧-١٢٧-١٢٩	جعفر بن بشير ج٤: ٥٦
١٣٥-١٣٨-١٤٣-١٤٤-١٤٧-١٥٦	جعفر بن حميد ج٥: ١١٦
١٥٧-١٧٤-١٧٥-١٨٠-١٩٥-١٩٧	جعفر بن حنان (أوحيان) الصيرفي ج٣: ٢٧٧
٢٠١-٢٠٤-٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٣	جعفر بن سعيد ج٨: ٣٠٠
٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢	جعفر بن سليمان ج٣: ٣٣٧
٢٢٣-٢٢٦-٢٣٣-٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦	جعفر بن شبيب النهدي ج٤: ٢٥٥
٢٤٨-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٥٥-٢٥٩	
٢٦١-٢٦٩-٢٨٠-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٦	
٢٨٧-٢٨٩-٢٩١-٢٩٣-٢٩٥-٢٩٧	
٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٢-٣٠٣	
٣٠٤-٣٠٧-٣٠٩-٣١٠-٣١٢-٣١٣	
٣١٤-٣١٥-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٠	
٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٦-٣٢٧	
٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٣٣-٣٣٤-٢٤٠	
٣٤١-٣٤٢-٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥-٣٤٦	
٣٤٧-٣٤٨-٣٥٠-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٤	
٣٥٦-٣٥٧-٣٥٩-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣	
٣٦٤-٣٧٩-٣٨٠-٣٨٢-٣٨٤-٣٨٥	
٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-٣٩١-٣٩٤-٣٩٤	
ج٢: ٣-٥-٦-٧-٩-١١-١٢-١٣-١٥	
١٧-١٩-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦	

١٧٥-١٧٤-١٧٠-١٦٩-١٦٨-١٦٧
 ١٨٧-١٨٦-١٨٤-١٨١-١٧٩-١٧٦
 ١٩٨-١٩٧-١٩٥-١٩٣-١٨٩-١٨٨
 ٢٢٢-٢١٨-٢١٧-٢٠٩-٢٠٧-٢٠٦
 ٢٣٥-٢٣٢-٢٣٠-٢٢٨-٢٢٤-٢٢٣
 ٢٥٣-٢٥٢-٢٥٠-٢٤٦-٢٤٤-٢٤١
 ٢٧٠-٢٥٩-٢٥٧-٢٥٦-٢٥٥-٢٥٤
 ٢٧٨-٢٧٧-٢٧٦-٢٧٥-٢٧٣-٢٧٢
 ٣٠٧-٢٩٣-٢٨٩-٢٨٢-٢٨٠-٢٧٩
 ٣١٦-٣١٥-٣١٤-٣١٣-٣١٠
 ٣٤٦-٣٤٤-٣٤٠-٣٣٨-٣٢١
 ٣٦٠-٣٥٧-٣٥٦-٣٥٥-٣٥٤-٣٤٨
 ٣٦٧-٣٦٦-٣٦٥-٣٦٤-٣٦٢-٣٦١
 ٣٧٨-٣٧٧-٣٧٥-٣٧٤-٣٧٢-٣٧٠
 ٣٨٩-٣٨٨-٣٨٦-٣٨٤-٣٨١-٣٧٩
 ٣٩٨-٣٩٧-٣٩٦-٣٩٥-٣٩٣-٣٩١
 ٤٠٧-٤٠٥-٤٠٤-٤٠٣-٤٠١-٤٠٠
 ٤١٨-٤١٦-٤١٤-٤١٢-٤١١-٤١٠
 ٤٣١-٤٣٠-٤٢٧-٤٢٦-٤٢٥-٤١٩
 ٤٤٢-٤٤١-٤٣٩-٤٣٨-٤٣٣-٤٣٢
 ٤٤٨-٤٤٧-٤٤٤-٤٤٣
 ٥٩-٥٧-٥٦-٥٥-٤٧-٤٦-٤٥-٤: ٤٤
 ٧٠-٦٩-٦٨-٦٦-٦٥-٦٣-٦٠
 ٨٢-٧٩-٧٧-٧٤-٧٣-٧٢-٧١
 ١٠٥-١٠٤-١٠٣-٩٢-٨٩-٨٤-٨٣
 ١٨٢-١٨٠-١٦٣-١٦٢-١٠٩-١٠٧
 ٢٢١-٢٢٠-٢١٢-٢٠٨-٢٠٤
 ٢٤٣-٢٤٠-٢٣٩-٢٣٤-٢٢٣
 ٢٥٣-٢٥٢-٢٥١-٢٤٧-٢٤٦
 ٢٦١-٢٦٠-٢٥٨-٢٥٧-٢٥٦-٢٥٥
 ٢٦٧-٢٦٦-٢٦٥-٢٦٤-٢٦٣-٢٦٢
 ٣٣٦-٣٣٥-٢٩٠-٢٧٩-٢٧٨-٢٧٢
 ٣٥٤-٣٥٣-٣٤٥-٣٤٣-٣٣٨-٣٣٧
 ٣٦٥-٣٦٤-٣٦٢-٣٥٨-٣٥٧-٣٥٦
 ٣٧٣-٣٧٢-٣٧٠-٣٦٩-٣٦٨-٣٦٦
 ٣٧٦-٣٧٥-٣٧٤

٤٦-٤٤-٣٩-٣٨-٣٤-٢٩-٢٧
 ٥٧-٥٥-٥٤-٥١-٥٠-٤٩-٤٧
 ٧١-٦٦-٦٥-٦٣-٦٢-٥٩-٥٨
 ٩١-٨٨-٨٦-٨٣-٨٠-٧٥-٧٣
 ١٠٦-١٠٥-١٠٢-٩٧-٩٦-٩٥-٩٤
 ١١٣-١١٢-١١١-١١٠-١٠٩
 ١٣٣-١٣١-١٢٤-١٢٣-١٢٠-١١٩
 ١٤٢-١٤١-١٤٠-١٣٩-١٣٨-١٣٧
 ١٤٩-١٤٨-١٤٧-١٤٥-١٤٤-١٤٣
 ١٥٦-١٥٥-١٥٣-١٥٢-١٥١-١٥٠
 ١٧٥-١٧٤-١٦٦-١٥٩-١٥٨-١٥٧
 ١٩٥-١٩٣-١٩٢-١٨٤-١٨٣-١٧٦
 ٢٢٠-٢١٧-٢١٦-٢١٥-٢١١-٢٠٧
 ٢٤٧-٢٣٤-٢٣٣-٢٣١-٢٢٨
 ٢٦٩-٢٦٨-٢٦٤-٢٦٣-٢٦١-٢٤٩
 ٢٨١-٢٧٩-٢٧٥-٢٧٤-٢٧٣-٢٧١
 ٢٩٠-٢٨٩-٢٨٧-٢٨٦-٢٨٥-٢٨٣
 ٣٠٢-٣٠١-٢٩٧-٢٩٦-٢٩٥-٢٩٤
 ٣٠٨-٣٠٧-٣٠٦-٣٠٥-٣٠٤-٣٠٣
 ٣١٩-٣١٧-٣١٣-٣١٢-٣١٠-٣٠٩
 ٣٥٩-٣٥٧-٣٥٦-٣٥٥-٣٤٨-٣٤٠
 ٣٧٤-٣٧١-٣٦٩-٣٦٨-٣٦٧-٣٦٦
 ٣٨٣-٣٨١-٣٨٩-٣٧٨-٣٧٧-٣٧٦
 ٤٠٢-٣٩٥-٣٩٤-٣٩٣-٣٩٢-٣٩١
 ٤٠٤-٤٠٣
 ١٣-١٢-١١-١٠-٩-٨-٦-٥: ٣٤
 ٢٢-٢٠-١٩-١٨-١٧-١٥-١٤
 ٣٣-٣١-٢٩-٢٨-٢٦-٢٤-٢٣
 ٤٥-٤٣-٤٢-٤١-٣٩-٣٦-٣٥
 ٨٠-٧٨-٧٧-٥٦-٥٤-٤٧-٤٦
 ١٠٠-٩٦-٩٥-٩١-٨٨-٨٧-٨٦
 ١٠٩-١٠٨-١٠٥-١٠٣-١٠٢-١٠١
 ١٢٠-١١٩-١١٤-١١٢-١١١
 ١٢٧-١٢٥-١٢٤-١٢٣-١٢٢-١٢١
 ١٤٦-١٤٣-١٤٢-١٣٣-١٣٢-١٣٠
 ١٦١-١٥٨-١٥٣-١٥٢-١٥٠-١٤٧

جَمَحَى (رجلٌ) ج ٤: ٣٣٣	١٥٠ - ١٤٠ - ١٣٩ - ١٣٨ - ١٣٧ - ٦٥ : ٥ج
جميل بن نِزَّاج ج ١: ٢٦١ ج ٢: ٤٤ - ٤٧ - ٤٤ - ١٤٤ ج ٣: ٢٧٦ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٦٤ - ٢٥٧ - ٢٥٥ ج ٤: ٣٢٠ - ٣١٤ - ٣١٣ - ٣١٠ - ٢٩٤ - ٢٩٢ ج ٥: ٣٦٧ - ٣٦٢ - ٣٢٧ - ٣٢٤ - ٣٢١	٢٢٢ - ١٩٦ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٦٧ - ١٥١ ٢٥٤ - ٢٣٨ - ٢٣١ - ٢٢٩ - ٢٢٦ - ٢٢٥ ٢٧٦ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٦٤ - ٢٥٧ - ٢٥٥ ٣٢٠ - ٣١٤ - ٣١٣ - ٣١٠ - ٢٩٤ - ٢٩٢ ٣٦٧ - ٣٦٢ - ٣٢٧ - ٣٢٤ - ٣٢١
جميل بن صالح ج ٣: ٢٤٩ ج ٤: ١٣٧	١٤٦ - ١٤٤ - ١١٣ - ١١٢ - ٦٤ - ٥ : ٦ج ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢١٧ - ٢١٦ - ١٩٤ ٣٥٦ - ٢٧٥ - ٢٧٣ - ٢٧٠ - ٢٢٥
الجنابذى ج ٤: ٢١٦ جندب ج ٤: ٢٧٧	٥٦ - ٤١ - ٣٣ - ٣٢ - ٢٧ - ٢٦ - ١٨ - ٨ : ٧ج ١٢٨ - ١٠٨ - ٩٦ - ٨٩ - ٦٠ - ٥٩ - ٥٨ ٢٨٣ - ٢٥٩ - ٢٥٥ - ٢٥١ - ١٥٢ - ١٤٩ ٣٣٨ - ٣٣٠ - ٣٢٦ - ٣٢٣ - ٣٢٠ - ٣١٠ ٣٧١ - ٣٧٠ - ٣٦٥ - ٣٦٢ - ٣٥٧ - ٣٤٤ ٤١٩ - ٤١٨ - ٣٨٠
الجنيد (أبو القاسم) ج ٣: ٤٥ - ٦٥ - ٣١٧ - ٣٤٥ ج ٤: ١٢ ج ٥: ١٥٥ - ٩٤ ج ٧: ٣٣٣ - ١٥٠ ج ٨: ١٥٦ - ٩٣ - ٨٢ - ٧٨	١٢٢ - ١١٠ - ١٠٦ - ٦٢ - ٤٢ - ٨ - ٧ : ٨ج ١٧٠ - ١٦٦ - ١٤٧ - ١٤٠ - ١٣٨ - ١٢٨ ٢٦٠ - ٢٥٨ - ٢٥٦ - ٢٤٢ - ٢٤١ - ١٩٤ ٢٦٦ - ٢٦٥ - ٢٦٤ - ٢٦٣ - ٢٦٢ - ٢٦١ ٣٠١ - ٣٠٠ - ٢٩٩ - ٢٩١ - ٢٨٩ - ٢٨٧ ٣٥٠ - ٣٤٧ - ٣٢٩ - ٣١٢ - ٣١١ - ٣٠٩ ٣٨٢ - ٣٦١ - ٣٥٣ - ٣٥١
الجواد (ع) راجع «محمد بن على (أبو جعفر عليهما السلام) الجهم بن حميد ج ٣: ٢٥٦ - ٤٣٢	جعفر بن محمد الصوفى ج ٤: ١٦٣
الجوهري (صاحب الصحاح) ج ٥: ٢٧٢	جعفر بن يحيى البرمكى ج ٤: ٢٩١
(ح) حاتم الأصم (أبو عبد الرحمن) ج ١: ٣٥٣ - ٣٤٤ - ١٤٠ - ١٣٩ - ١٣٨ ج ٣: ٤١٨ - ٢٦٥ ج ٤: ٦ ج ٧: ٢٣٤ ج ٥: ١٢٢	الجعفرى انظر «أبو هاشم الجعفرى» الجعفى (صاحب الفاخر) ج ٣: ٣٥ الجلودى (عيسى بن يزيد) ج ٤: ٢٩٠

حبيبة العدوية ج ٨: ١٧٦	حاتم الطائي ج ٤: ١٧٢
الحجاج بن يوسف الثقفي ج ١: ١٦٧ ج ٣: ٤٧ ج ٤: ٢٤٠ - ٣٤٩	الحارث بن المغيرة النصري ج ١: ٣٣٨ ج ٢: ٢٩٦ - ٣٦٣ ج ٧: ٢٨٣
خُجْر بن عَدِي ج ٤: ٢٢٦	الحارث بن هشام ج ٦: ٢٨٤
حديد بن حكيم الازدي ج ٣: ٢٥٤	حارثة بن مالك بن النعمان ج ٧: ٣٥١
حذيفة بن منصور ج ١: ٣٢٨ ج ٣: ٣٩٧	حاطب بن أبي بلتعة ج ٤: ١٤٧
حذيفة بن اليمان ج ١: ١٣٤ - ١٦٢ - ١٦٦ - ٢٣٤ - ٢٤٧ ج ٢: ٢٤٨ - ٢٥٢ - ٣١٥ ج ٣: ٢٥٩ - ٣٢١ ج ٤: ١٠٦ - ٣٤٠ ج ٥: ٢١٩ - ٢٥٦ - ٢٨١ - ٢٨٥ ج ٦: ٦٤ ج ٧: ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٣٥٤ - ٣٨٧ ج ٨: ٢٦٣ - ٢٣٩ - ٣٧٣	الحاكم (أبو عبدالله، الحافظ) ج ٤: ٢٩٣ - ٢٩٤
حذيفة العدوي ج ٦: ٨١	حامد اللقاف ج ٧: ٣٠١
حذيفة المرعشي الصوفي ج ١: ١٦٩ ج ٧: ٤٢١	حباة الوالبيّة ج ٤: ٢١٩ - ٢٢٠
حرملة بن كاهل الاسدي ج ٤: ٢٤١	حَبَّان بن هلال ج ٦: ٨٥
حريز بن عبدالله ج ١: ٣٤٨ ج ٢: ٦٢ - ٦٥ - ١٦٨ - ٢٢٣	حبيب بن أبي حبيب ج ٧: ١٥٣
حسام بن حاتم الأصمّ ج ٤: ٢٦٨	حبيب الأحول الخثعمي ج ٢: ١٣٨ ج ٣: ٣٧٤
	حبيب الشاعر ج ٥: ٢٢٧

الحسن بن ظريف ج ٤: ٣٢٦	حسان بن ابي سنان ج ٣: ٢٣٧
الحسن بن عبدالله ج ٤: ٢٧١	حسان المعلم ج ٣: ١٩٣
الحسن بن عبدالله بن حمدان ج ٤: ٣٤٧	الحسن بن ابي عقيل العماني ج ٢: ٧٠ ج ٤: ٨١
الحسن بن علي بن ابي طالب السيط (ع) ج ١: ٣١ - ٦٥ - ١٩٤ - ١٩٧ - ٢٠٤ - ٢١٣ ج ٢: ٢٤٣ - ٣٥١ ج ٣: ١٢ - ٢١ - ٣٤ - ٦٧ - ١٠٤ - ١٢٠ ج ٤: ١٢٢ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٨٦ ج ٥: ٢٥١ - ٢٥٢ - ٤١٦ - ٤٣٦ ج ٦: ٦١ - ٩٠ - ٩٢ - ٩٣ - ١١٩ - ١٥٨ ج ٧: ١٦٠ - ١٦٦ - ١٧٠ - ١٧٦ - ١٨٢ - ١٨٣ ج ٨: ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٠٨ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٥ ج ٩: ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ ج ١٠: ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٦٥ ج ١١: ٢٦٦ - ٢٧٢ - ٣٠٠ - ٣٣٨ - ٣٤٠ - ٣٤٥ ج ١٢: ٢٢٢	الحسن البصري ج ١: ٨٦ - ٨٧ - ٢٠١ - ٢٠٢ ج ٢: ١٣٥ ج ٥: ١٤٦ - ١٦٢ - ١٩٤ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٥ ج ٦: ١٠٩ ج ٧: ٤٨ - ٣٦٩ ج ٨: ٨٢ - ١٢٢ - ٢٨٤ - ٢٨٥ ج ٩: ٢٣٤ - ٢٣٧ - ٢٥٧ ج ١٠: ١٧٧ - ٣١٣ ج ١١: ٢٣٣ ج ٥: ٢٢٩
الحسن بن علي (بن محمد أبو محمد العسكري «ع») ج ١: ٣٢ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٤٤ - ٢٥٠ ج ٢: ١١٩ - ٣٧٠ ج ٣: ٢٢٩ ج ٤: ٩٤ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥	الحسن بن الجهم ج ١: ١٧٧ - ٣١٣ ج ٣: ٢٣٣ ج ٥: ٢٢٩
	الحسن بن الحسن (المثنى) ج ٤: ٢٣٢
	الحسن بن راشد ج ١: ٣٢٨ ج ٢: ١٤٠
	الحسن بن سعيد ج ٤: ٢١٨
	الحسن بن صالح (بن حي) ج ٣: ١٧٨
	الحسن الصيقل ج ١: ٣٤٢ ج ٢: ٣٩٤

ج ٤: ٢٥١
 الحسين بن روح
 ج ١: ١٤٥
 الحسين بن زيد
 ج ٤: ٤٨
 الحسين بن سعيد (الاهوازي)
 ج ٣: ٤١٥
 الحسين بن حمدان
 ج ٤: ٣٤٧ - ٣٤٨
 الحسين بن عبدالقاهر الطاهري
 ج ٤: ٣٢٠
 الحسين بن عليّ (السبط الشهيد)
 المفدّي (عليهما السلام)
 ج ١: ٣١ - ٦٥ - ١٠٧ - ١٩٤ - ١٩٧ - ٢٤٣
 ٣١٣
 ج ٢: ٢٤ - ٥١ - ١٣٥ - ١٧٦ - ١٨٣ - ١٩١
 ٢٢١ - ٢٧٤ - ٣٣٥
 ج ٣: ٦٧ - ١٢٢ - ١٢٧ - ١٨٦ - ٢٥١ - ٤٣٧
 ج ٤: ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٦١ - ٨٢ - ٩٠ - ٩٢
 ٩٣ - ١١٩ - ١٧٠ - ١٧٦ - ١٨٢ - ١٨٣
 ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٨ - ٢١٢ - ٢١٣
 ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢٢
 ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩
 ٢٣٠ - ٢٣٣ - ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦
 ٢٧٢ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٤٠
 ٣٤٤ - ٣٤٥
 ج ٥: ٢٣٤ ج ٦: ٦٤ - ٦٦ - ٦٧
 ج ٧: ١٢١ ج ٨: ٣٦ - ٢٥٥ - ٢٦١ - ٢٧٨
 الحسين بن محمد العقيقي
 ج ٤: ٣٣٣

٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١
 ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٩ - ٣٤٤
 ٣٤٥ - ٣٤٦
 الحسن بن علي بن فضال
 ج ٢: ٢٦٨ ج ٤: ٤٩ - ٧١
 الحسن بن علي الوشاء
 ج ٢: ١٤٠ - ١٨٣
 ج ٤: ٤٧ - ٢٩٠ - ٢٩٢ - ٣١٢
 الحسن بن محبوب
 ج ١: ١٥٩ ج ٢: ١٣٧ - ١٣٩
 الحسن بن محمد الأشعري
 ج ٤: ٣٢٢
 الحسن بن المنصور
 ج ٤: ٢٩١
 الحسن بن موسى بن جعفر (ع)
 ج ٢: ٢١ ج ٤: ٢٩١
 الحسن بن عليّ (الذي خرج قبل
 صاحب «ع»)
 ج ٤: ٣٤٢
 الحسين بن بشار
 ج ٤: ٢٩٤
 الحسين بن خالد
 ج ٢: ٢٢٢ ج ٣: ٩١
 الحسين بن ذكوان الفارسي
 ج ٤: ١٩٦
 الحسين بن راشد

الحسين بن محمد القمّي ج٤: ٤٧	حكيمه بنت محمد بن على عليهما السلام ج٤: ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٧
الحسين بن المختار ج٣: ٢٨٠	الحلبى (عبيدالله بن على «ظ») ج٢: ٩ - ٢٧ - ١٤٤ - ٣٦٨ - ٣٧٤ ج٣: ١٤٣ - ١٧٠ - ٢٢٤ - ٢٢٨ - ٢٨٠ ج٤: ٨٣
الحسين بن منصور (الحلاج) ج٨: ٢٠٦	حماد بن سلمه ج٣: ٢٦٤ ج٥: ٢٧٩
الحسين بن موسى بن جعفر (ع) ج٤: ٢٩٤	حماد بن عثمان ج١: ٣٠٤ ج٢: ١٦٧ - ١٣٨ ج٣: ١٨٧ ج٤: ٦٦ - ٨٣ - ٨٥ ج٥: ٢٣١
الحصرى ج٥: ١٣٣	حماد بن عيسى ج٣: ٤٦ ج٤: ٧٣ - ٧٤ - ٢٦٦ - ٣٠٦
حفص الاعور ج١: ٣١٤	حمدان الديوانى ج٤: ٤٨
حفص بن البخترى ج٨: ٢٩١	حماد (بن واقد) اللّحّام ج٤: ٧١
حفص بن غياث ج٢: ٢١٧ - ٣٠٧	حمران بن أعين ج٤: ٣٦٧
حفصة ج٨: ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٦	حمزة بن حمران ج٤: ٤٨
حكيم بن حكيم ج١: ٣٠٤	حمزة بن عبدالمطلب ج٣: ٤١٩ ج٤: ٣٤٠
حكيم بن العاص ج٤: ١٦٩	حمزة بن محمد الطيار ج٤: ٢٤٧
حكيم بن عتيبة ج١: ٣٢٧ ج٤: ٢٤٣	
حكيم بن حزام ج٣: ١٧٠ - ١٨٩	
ج٦: ٢٥٦	

ج٤: ٢٦١	حميدة (والدة موسى بن جعفر «ع»)
خالد بن عقبة بن أبي معيط	ج٤: ٢٥٢
ج٦٩: ٦٩	الحميري (صاحب الدلائل)
خالد بن ماد (القلانسي)	ج٤: ٢٧٥ - ٢٨٨ - ٣٠٤ - ٣٢٨
ج٤: ١٥٧	حنان بن سدير (ابو الفضل)
خالد بن معدان	ج١: ٢٩٥ ج٢: ١٤٥
ج٤: ٣١٨ ج٦: ١٠٨	ج٣: ١٩٦ ج٥: ٦٥
خالد بن نجيع	حنظلة (صحابي)
ج٣: ٢٠٦	ج٧: ٢٨١
خالد بن الوليد	حواء
ج٧: ٦٨	ج١: ١٢٢ ج٥: ١٤٥ - ٣٦٥
خواجه نصير الدين (الطوسي)	ج٦: ٢٥ ج٧: ٩٤ - ١٤٦ - ٣٠٦
انظر: «محمد بن محمد بن الحسن الطوسي»	حوشب (بن مسلم)
خباب الأرت	ج٦: ١٠٩
ج٦: ٢٩٨ ج٧: ٢٣١	(خ)
خديجة (بنت خويلد أم المؤمنين)	خالد
ج٤: ٢١٣ - ٩٠ ج٣: ٣٤٢	ج٦: ٥٦
ج٦: ١٠٣ ج٧: ٣٢٤	خالد بن ابي أحيحة
ج٨: ٢٧٧	ج٥: ٢١٨
خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين)	خالد بن أسيد
ج١: ٢٣٤ - ٢٤٧	ج٦: ٢٨٤
الخضر (ع)	خالد بن سعيد
ج١: ٣٦ - ١١٣ - ١١٤ ج٣: ١٥٩ - ٣١٩	ج١: ٢٣٤
ج٤: ١١٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ ج٥: ٢٢٨	خالد بن عبدالله القسري
ج٧: ٩٤ - ٩٨	(أبو زيد)

ج ٤: ١٣٨ - ١٤٠ - ١٥٩ - ٢١٤ - ٢٧٠ - ٢٩٩
٣٧٣

ج ٤: ٩ - ١٤٣ - ١٤٦ - ٢٣٥ - ٢٦٦ - ٢٨٨
٤٠٧ - ٣٦١

ج ٤: ٥٥ - ٣٣٦

ج ٥: ١١٥ - ١٥١ - ١٨٠ - ٢٠٣

ج ٦: ٢٥ - ٢٢٤ - ٢٧٤

ج ٧: ٧٨ - ١٠٧ - ١٢٧ - ١٥١ - ٢٥٤ - ٢٨٦

٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٧٥ - ٣٨٠ - ٤١٧ - ٤١٩

ج ٨: ٢٤ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٧٢

٨٠ - ٨٨ - ٩٠ - ١٦٠ - ٢٨٧

داود بن زربي

ج ٣: ٢٧٥

داود بن سرحان

ج ٤: ١٧ - ٢٢٤

داود الطائي

ج ٤: ٥ - ١١١ ج ٥: ٢١٠

داود بن علي بن عبد الله

(العباسي)

ج ٤: ٢٤٩ - ٢٥٨ - ٢٥٩

داود بن القاسم

انظر: «ابوهاشم الجعفرى»

الدجال

ج ١: ١٢٥ ج ٤: ١٥٧ - ٣٣٢

ج ٤: ١٣٤ ج ٦: ٣١٥

دحية الكلبي

ج ٥: ٧٢

دعبل بن علي الخزاعي

ج ٤: ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٣٠٦

خطاب بن سلمة الجهني

ج ٣: ١٢٨ ج ٨: ٢٦١

خطيب الخوارزمي (أبوالمؤيد)

ج ٤: ٢٠٦

خلف بن حماد

ج ٥: ٢٣٠

الخليل بن أحمد (الفراهيدي)

ج ٦: ١١١

خوات بن جبير

ج ٥: ٢٣٥

خوات التيمي

ج ٥: ٢٥٠

الخوَّاص

ج ٨: ١٧٩ - ٢٠٦

خيثمة بن (أبي) عبدالرحمن

ج ٤: ١١٤

ج ٥: ٦٢ - ٢٩٤ ج ٦: ٦٩

ج ٨: ٢٦٨

خيران الأسباطي

ج ٤: ٣١٠

(د)

داود الرقي

ج ٤: ١٤٤ - ١٥٦

داود النبي (ع)

ج ١: ٣٦ - ١٢٨ - ١٣١ - ١٣٥ - ٣٢٦ - ٣٥٣

الرافعي	
ج ٢٧١ : ٤	(ذ)
الراوندي	
ج ٣٤٤-٣١٣-٣٠٦-٢٩١-٢٧٨-٢٦٤ : ٤	نزر بن عمر بن نزر
ج ٤٥ : ٥	ج ٢٨٨ : ٨
الربيع	نزيح المحاربي
ج ٢٥٣ : ٣	ج ٢١٧ : ٣
الربيع بن خثيم	ذوالرئاستين
ج ٣١٨ : ٤	انظر «فضل بن سهل»
ج ١٦ - ٥ - ٤ : ٤	
ج ٢٢٣ : ٧	ذوالقرنين
ج ٢٤٣ : ٨	ج ١٠٥ - ١٠٤ : ٦
الرحلة العابدة	ج ٣٣٩ - ٤١ : ٤
ج ١٧٩ : ٨	ج ٣٧٥ : ٧
رزام بن مسلم	ذوالنون (ع)
ج ٢٦١ : ٤	ج ٣٦٤ : ٤
رشيق حاجب المادرائي	ذوالنون المصري
ج ٣٤٦ : ٤	ج ٣٢٨ - ٢١٦ : ٣
رشيد الهجري	ج ١٥٧ : ٥
ج ٢٧٧ : ٤	ج ١٣ : ٤
	ج ١٧٧ : ٨
	ج ٣٢٧ - ٢٨٨ : ٧
	(ر)
الرضا (عليه السلام)	رابعة (بنت اسماعيل الشامي)
انظر: «علي بن موسى عليهما السلام»	ج ١٣٤ : ٣
رقية (بنت النبي «ص»)	رابعة العدوية (البصرية)
ج ٣١١ : ٨	ج ١٣٥ : ٣
الرميصاء (أم سليم)	ج ٨٩ - ٨٦ - ٥٧ : ٧
ج ١٢٩ - ١٢٨ : ٧	ج ١٧٨ - ٣٩ - ٣٢ : ٨
الروح الامين	رافع بن خديج
	ج ٢٤٥ : ٣

زكريا بن ابراهيم ج ٣: ٤٣٩	انظر «جبرئيل» روح القدس ج ٥: ٢٢٩ ج ٨: ٢٠٦
زكريا بن عبدالله النقاض ج ٤: ٣٩٤	الريان بن شبيب ج ٤: ٢٩٧ - ٢٩٩
زليخا ج ٨: ١٥٦	الريان بن الصلت ج ١: ٣٢٦
الزهرى (محمد بن مسلم بن شهاب) ج ٢: ١٤٢ - ٢١٥ ج ٣: ٢٦٠ - ٤٢٣ ج ٤: ٢٣٣ - ٢٤٢ ج ٥: ٢٧٨ - ٣٦٥	(ز) الزبير بن العوام ج ١: ٢٣٤ ج ٤: ١٤٧ - ٢٢١ - ٢٣٧
زياد بن أبي الحلال ج ٤: ١٨٤	زراره بن أبي أوفى ج ٨: ٢٤٦
زياد بن أبي سلمة ج ٣: ٢٥٨	زراره بن أعين ج ١: ٢١١ - ٢١٢ - ٣٥٤ ج ٢: ٦ - ٩ - ١٨ - ٣٤ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢ ١٨٣ - ٣٥٦ - ٣٨٧
زياد بن عبدالله ج ٣: ٩٥	ج ٣: ٧٧ - ١٤٣ - ٢٣٠ - ٢٥٤ ج ٤: ٨٠ - ٨٢ - ٨٤ - ٢٣٥ - ٣٧١ ج ٥: ٢٢
زياد بن أبي مسلم (الصقار) ج ٥: ٢٨٤	زرارة (حاجب المتوكل) ج ٤: ٣١٧
زياد بن أبيه ج ٤: ١٤١ - ١٥٨ ج ١: ٢٤١	زرعة بن محمد الحضرمي ج ٤: ١٧٤ - ١٧٦
زيد بن أرقم ج ٨: ٣٧٣ ج ١: ٢٣٤	زكريا (ع) ج ٤: ١٤١ ج ٥: ٣٢٦ ج ٧: ٢٣٤ - ٣٠٨ ج ٨: ١٢٠
زيد بن أسلم ج ٣: ٤٢٨ ج ٥: ٢٣٤ ج ٦: ٢٧٣ ج ٨: ٦٤ - ٢٨٧ - ٣٦٣	
زيد بن ثابت	

(س)	ج ١١٢: ١٦٤ - ج ٨: ٢٤٥
سالم بن أبي حفصة	زيد بن حارثة
ج ٣: ١١١ - ج ٤: ٢٣٠	ج ٨: ٣٧٦
سالم الحنّاط (الخيّاط)	زيد الخيل (زيد الخير)
ج ٣: ١٧٠	ج ٧: ٢٥٢
سالم بن سلمة	زيد بن سهل الأنصاري
ج ٤: ٢٦٣	انظر: «ابوطاحّة»
سالم بن مكرم (أبو خديجة)	زيد الشّحام
ج ٤: ٣٣٦	انظر: «ابواسامة»
سام بن نوح (ع)	زيد بن علي بن الحسين (ع)
ج ١: ٢٣٠	ج ٤: ٤٤٢ - ج ٤٥: ٢٤٥ - ج ٥١: ٢٥١ - ج ٦٢: ٢٦٢
السامريّ	زيد بن علي بن الحسين بن زيد
ج ٧: ٣٩٥ - ج ٦: ٣٩٦	(العلويّ)
السايج الأزديّ	ج ٤: ٣١٢
ج ٣: ٨٦	زيد بن عمرو بن نفيل
السّجاد عليه السلام	ج ٤: ٢٥٨
انظر: «علي بن الحسين زين العابدين (ع)»	زينب (بنت النبيّ «ص»)
سدير (بن حكيم) الصيرفيّ	ج ٨: ٣١٣
ج ١: ٣٢٧ - ج ٤: ١٨٣	زينب بنت أمّ سلمة
ج ٣: ٤٤١ - ج ٤: ٣٦٦	ج ٤: ١٣٧
ج ٨: ٢٦٠	زينب العطارّة (صحايبّة)
سراقّة بن جعشم	ج ٣: ١٧٦
ج ٤: ١٦٦	زينب الكذابّة
السريّ (بن المغلس) السّقطي	ج ٤: ٢٨٤ - ج ١٧: ٣١٧

ج ٤١٦ : ٣	ج ٢١٦ - ١٨٥ : ٣
سعد بن هشام	ج ٣٤١ - ٣٣٣ : ٧
ج ١٢٠ : ٤	ج ٦ : ٨
سعدون المجنون	سرية (امرأة يمنية عابدة)
ج ٢٩٩ : ٢	ج ١٧٧ : ٨
سعيد الحاجب	سعد بن أبي خلف
ج ٣٢٨ - ٣١٧ - ٣١١ : ٤	ج ٣٤ : ٢
سعيد بن جبير	سعد بن أبي وقاص
ج ٣٦٣ - ٢٣٨ : ٢	ج ١٥٩ : ٨
ج ١٩٣ : ٥	سعد بن اسماعيل (بن عيسى)
سعيد بن العاص	ج ٤ : ٢
ج ٣٢٣ : ٣	سعد بن عبد الملك (سعد الخير)
سعيد بن عبدالعزيز	ج ٢٦٤ : ٢
ج ٢١٦ : ٤	سعد بن زرارة
سعيد بن عبد الله الأزدي	ج ٤٣١ : ٧
(أبوسعيد)	سعد بن سعد الأحوص
ج ٢٩٢ : ٨	ج ٢٩٤ : ٤
سعيد بن عبد الله الأعرج	سعد بن سعيد الأنصاري
ج ١٥٢ : ٢	ج ٢٣٤ : ١
سعيد بن كلثوم	سعد بن طريف الأسكاف
ج ٢٣٤ : ٤	ج ٢١٤ : ٢
سعيد بن المسيب	ج ٢٤٦ - ٢٣٠ : ٤
ج ١٧٩ : ١	سعد بن عباد الخزرجي
ج ٣١٢ - ٢٥٩ - ٢٣٠ : ٢	ج ٢٣٤ : ١
ج ٢٣٣ - ٤٢ : ٤	ج ٢٣٥ : ٤
	ج ٢٧٠ : ٨
	سعد بن معاذ

ج ٤: ٢٣٠	ج ٥: ١٧٧ - ١٨٤ - ١٨٥ - ٢٥٠ - ٢٧٤
سلمى	ج ٧: ٣٥٣ ج ٨: ١٤٧
ج ٤: ٢٤٣	سعید بن هبة الله الرواندي قطب الدين
سلمان الفارسي (رضي الله عنه)	ج ٤: ٢٤٨
ج ١: ٦٥ - ١٤٧ - ٢٣٤ - ٢٤٢ - ٢٤٧ - ٢٩٦	سعید بن يسار (الضبي الحنّاط)
ج ٢: ٣٧٨ - ٣٧٧ - ٢٨٨	ج ٢: ٢٩٠ - ٣٠٤
ج ٣: ٢٢ - ٢٩ - ٣٠ - ١٤٤ - ١٤٥ - ٢٥١	سفيان بن سعيد الثوري
ج ٤: ٤٤٧ - ٤٢٦ - ٤١١	ج ١: ١٦٥ - ٢٥٩ ج ٢: ٢٩٨
ج ٥: ٢٠٧	ج ٤: ٢٦ - ٢٧ - ٢٣٢ - ٢٥٤ - ٢٥٥
ج ٦: ١٢ - ٤٢ - ٢١٥ - ٢٢٨ - ٢٥٦	ج ٥: ١٩٥ ج ٧: ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١
ج ٧: ٣٧٣ ج ٨: ١٥٩ - ٢٤٦ - ٣٧١	سفيان بن عُيينة (أبو محمد)
سلمة بن الأكوع	ج ١: ١٤٨ ج ٢: ٢٠١
ج ٣: ٢٥٩ ج ٤: ٢٩٦	ج ٣: ٥٦ - ٣٤٤ ج ٤: ١٢ - ٢٦ - ٢٧
سليم بن جابر	ج ٥: ٢٨٥ ج ٦: ٢٨١
ج ٥: ٢٥١	السّفّيانى
سليم بن قيس الهاللي	ج ٤: ٣٤٢
ج ١: ١٢٦ - ٢٤١	السّكونى (اسماعيل بن أبي زياد)
سليمان الجعفرى	ج ٢: ٣٠٢ - ٣١٠ - ٣١٧
ج ٤: ٢٨٩ - ٢٩٢	ج ٣: ١٢٢ - ٢٣٠ - ٢٤٢ - ٢٧٨
سليمان بن خالد	ج ٤: ٥٦ - ٧٠ - ٧١
ج ٢: ٣٧٩ ج ٤: ٢٥٠	سكينة
سليمان بن داود (ع)	ج ٤: ١٩٠
ج ١: ٣٤ - ٣٦ - ٣٢٦ ج ٢: ٢٩٩	سَلار (بن عبدالعزيز الديلمي
ج ٣: ١٩ - ٤٣ - ٩٥ - ١٧٨ - ٣٨٤ - ٤٠٢	أبويعلی)
ج ٤: ٤٣ - ٥٠ - ١٨٦ - ٢٥٩	ج ١: ٢٨٦
ج ٥: ٤٤ - ١٩٥ - ٢٠٥ - ٢٩١ - ٣٥٥	سلمى الانصارية (صحابيّة)
ج ٦: ٢٢ - ٤٨ - ٢١٣ - ٢٢٧ - ٢٨٢	

ج ٨: ٢٧٥ - ٢٧٦	ج ٧: ١٢٧ - ١٨٨ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٣٠٧
سواده	٣٢٨ - ٣٧٥
ج ٤: ١٩٥	ج ٨: ٨٤ - ٢٦٨
سودة بنت زمعة	سليمان بن داود المُنقَرِي
ج ٣: ١٠٧ ج ٨: ٣٢٣	ج ٤: ٧٣ - ٧٤
سويد بن غفلة	سليمان الداراني (لعله متَّحد مع
ج ٤: ١٩٠	أبي سليمان الداراني)
سهل بن حنيف	ج ٣: ٣٣٠
ج ١: ٢٣٤ - ٢٤٧	سليمان بن عبد الملك
سهل بن سعد الساعدي	ج ٤: ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ ج ٥: ٢٧٨
ج ٥: ١٩٢	سليمان بن قرم
سهل بن زياد (أبو سعيد الأدمي)	ج ٤: ٢٤٤
ج ٤: ٣١٨ - ٣١٩	سماعة بن مهران
سهل بن عبدالله التستري	ج ١: ١٧٤ - ١٧٥ ج ٣: ٢٧٨ - ٢٥٠
ج ١: ١٤٩ - ١٥٦ - ١٦٨ - ٢٦٩	ج ٤: ٢٦٠ ج ٥: ٢٣١
ج ٣: ٢٠٧ - ٣١٧ ج ٤: ٦	سمرة بن جُنْدَب
ج ٥: ٨ - ١٨ - ١٣١ - ١٥٢ - ١٦١ - ١٦٣	ج ١: ٢٤٢ ج ٨: ٣٥٣
١٦٥	سمعان
ج ٦: ٨٠	ج ٦: ٢٠٧
ج ٧: ٨٦ - ٢٢٧ - ٣٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٨ - ٤١٩	سمنون (بن حمزة المحبّ
ج ٨: ٦٩ - ١١٤	الخواص)
سهيل بن عمرو	ج ٣: ٣٠٠ ج ٧: ٢٣٦ ج ٨: ٩٤
ج ٦: ٢٨٤	سميع المسمعي
السياري	ج ٤: ٣٢٩
ج ٤: ٣٤٥ - ٣٥٠	سواده بن قيس
السيد الرضي	

ج ١٩٤:٦	ج ٢١٤:١	انظر: «محمد بن الحسين الموسوي»
شريف (ابن جعفر بن الشريف الجرجاني)	ج ٣٣١:٤	السيد بن طاووس «انظر على بن طاووس»
شعبة بن الحجاج	ج ٢٥٤:٤	السيوري (المتصوف)
ج ٨١:٦	ج ٢٥٤:٤	ج ٤١:٣
الشعبي (عامر بن شراحيل)	ج ١١٢-١٤٦	سيف بن عميرة
ج ٧٩:٤	ج ٣٢٢:٣	ج ٣٥٥-٣٠٥:٤
ج ٤٢:٤	ج ٥٣:٦	(ش)
ج ٢٤٨:٨	شعوانة	الشافعي (أحد الأئمة الأربعة)
ج ١٧٨-١٧٦:٨	شعيب النبي (ع)	ج ٢٨٧-٢٥٩-٢٠٣-٩٧:١
ج ١٠٢:٤	ج ١٣٣:١	ج ١٥٧:٣
شعيب العقر قوفي	ج ٣٥٧:٣	الشافعي المجاور بمكة
ج ٢٦٠:٤	ج ٣٥٧:٣	ج ١٢٩:٥
شقيق البلخي	ج ٢٦٧-٢٦٨	الشبلي
ج ١٥١:٥	ج ٢٦٧-٢٦٨	ج ١٥٤-١٣٣:٥
شمعون	ج ٢٣٠-١٩٩	ج ١٤٨-١٤٠:٧
ج ٢٣٠-١٩٩	ج ٢٣٠-١٩٩	ج ٨٣:٨
شن	ج ٨٩:٧	شتير (ة) (بن شكل)
ج ٨٩:٧	ج ٨٩:٧	ج ٢٤٢:١
شهاب بن أبي عامر	ج ٢١٨:٤	شداد بن أوس
ج ٢١٨:٤	ج ٢١٨:٤	ج ١٤١:٦
		ج ١٥٥:٨
		شرح حبييل بن سعيد
		ج ٢١٢:٤
		شريح بن هانيء (القاضي)

ج ٤: ٤٦	شهاب بن عبد ربّه
صالح (بن بشير) المرّي	ج ٤: ٦٠ - ٦١
ج ٨: ٣٠٠	الشهيد الأوّل
صالح بن وصيف	ج ٣: ٣٩٢ - ٤٠٥
ج ٤: ٣٢٧ - ٣٣٣	الشهيد الثاني
صباح الحدّاء	ج ١: ٢٩٠ - ٣٤٢ - ٣٧٤
ج ٤: ٦٢	ج ٣: ١٥١ - ٤٣٤
الصدوق (محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه)	شيث بن آدم (ع)
ج ١: ٦٠ - ٨٩ - ١٠٧ - ١٢٩ - ١٩٧ - ٢١٦	ج ١: ٢٣٠ - ٢٤٠
٢٤٤ - ٢٦٠ - ٣١٧ - ٣١٨	الشیطان
ج ٢: ٦ - ١٠ - ١٣ - ٢١ - ٣٤ - ٣٧ - ٤١ - ٤٢	انظر: (ابليس).
٥٦ - ١٣٣ - ١٤٣ - ٢٦٤	(ص)
ج ٣: ٣٩٤ - ٤٤٨	الصادق عليه السّلام
ج ٤: ٤٥ - ٨٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٨٨ - ٣٧٤	انظر: «جعفر بن محمد بن علي عليهم السّلام»
ج ٥: ٢٢٩ - ٢٥٤ - ٢٨٠ - ٢٦٠ - ٣٠٨	صالح النبیّ (ع)
ج ٨: ٤٢ - ٢٥٤ - ٢٥٨ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥١	ج ١: ٢٤٠
صفوان بن سليم	صالح بن أبي حمّاد
ج ٥: ٦٠ - ١٩٤	ج ٣: ٣٩٦
صفوان بن عسال	صالح بن الأسود
ج ١: ٢٣	ج ٤: ٢٥٥
صفوان بن مهران الجمّال	صالح بن سعيد
ج ٣: ٦	ج ٤: ٣١٢
صفوان بن يحيى	صالح بن عقبه
ج ٣: ٤١٩	
صفیة بنت حُیّی (زوجة النبیّ ص)	
ج ٣: ٩٥ - ٣٧٧ - ٣٧٨	
ج ٥: ٣٣٢	

ج ٤: ٣٩٧ ج ٣: ٢٦٥ - ٣٦٦ - ٤٠٩

ج ٤: ٢٣٣ - ٢٣٧

ج ٥: ١٩٧ ج ٨: ١٣٨

الطبرسي (صاحب الاحتجاج)
(احمد بن علي)

ج ١: ٨٧ - ٢٠١ - ٢٤١ - ٢٦٢

الطبرسي (صاحب مكارم -
الإخلاق) الحسن بن الفضل

ج ٣: ٣٩١

الطبرسي (صاحب إعلام الوري)
الفضل بن الحسن

ج ٤: ٢٩٥ - ٣٢١ - ٣٣٧ - ٣٤١

طبقة

ج ٧: ٨٩

طلحة بن عبيد الله

ج ٤: ١٧٠ ج ٨: ١٦٨

الطنافسي

ج ١: ١٣٩ ج ٦: ٢٧

الطوسي

انظر: «محمد بن الحسن شيخ الطائفة»

(ظ)

ظريف أبي نصر الحازم

ج ٤: ٣٤٦

صفية بنت عبدالمطلب

ج ٦: ٢٨٥

الصلت (ابن شريف بن جعفر
الجرجاني)

ج ٤: ٣٣١

الصنابحي (عبدالرحمن)

ج ٨: ٣٨٦

صهيب (غلام)

ج ٤: ٣٩٧

صهيب (بن سنان) الرومي

ج ٥: ٢٣٤ ج ٦: ٢٣٣ ج ٧: ٤٣١

ج ٨: ٢٧٠ - ٢٧١

(ض)

ضحّاك بن سفيان الكلابي

ج ٦: ١٤ - ٧٦ ج ٨: ٢٨٤

ضحّاك بن مزاحم

ج ١: ١٣٨

صّار بن ضمّرة

ج ٤: ١٨٩

صّريس بن عبد الملك

ج ٣: ٢٥١

(ط)

طالوت

ج ٤: ١٧٩

طاووس اليماني

ج ٤: ١٦٧	(ع)
عامر بن عبد قيس	عائشة (ام المؤمنين)
ج ٨: ١٧٣	ج ١: ٣١١ - ٣٥٠ - ٣٧٢
عامر بن وائلة	ج ٣: ٣١٦ - ٣٦٢ - ٣٧٢ - ٣٧٨ - ٤٠١ - ٤٠٢
ج ٥: ٢٦٣	٤٠٣
عبادة بن صامت	ج ٣: ٩٧ - ١٠٧ - ١٢٩ - ٢٩٤ - ٣٦٢ - ٣٨٦
ج ٣: ٢٥٩ - ٤٠٢	٤٣٦ - ٣٩٨
ج ٦: ١٤٧	ج ٤: ٧ - ٥٢ - ٧٢ - ٨٠ - ١٢٠ - ١٣٧ - ١٥٢
ج ٨: ١٠٤ - ١٥٤ - ٣٨٦	٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٣ - ٢١٧
عباد بن كثير البصرى	ج ٥: ١٧ - ٨٩ - ١٤٩ - ١٥٧ - ١٦٦ - ١٧٣
ج ٦: ١٤٦	١٧٩ - ٢١١ - ٢١٦ - ٢٢١ - ٢٢٧ - ٢٢٨
ج ٨: ١٣٨	٢٣٦ - ٢٤٣ - ٢٤٩ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨
عباس بن دهقان	٢٨٢ - ٣٠٢ - ٣٠٧
ج ٦: ٨١	ج ٦: ٧٩ - ٢٤٣ - ٢٥٠
عباس بن عبدالمطلب	ج ٧: ٥٦ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٦ - ٢٧٨ - ٢٨٠
ج ١: ٢٣٤ - ٢٣٥	٣٥٣ - ٣٠٥
ج ٣: ٢٢٦ - ٢٧١	ج ٨: ١٩٤ - ٢٤٠ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢
ج ٤: ٢٤٩	٢٧٦ - ٢٩٣
ج ٦: ٢٣٧	عادة
ج ٧: ٢٣٠	ج ٥: ٢٥٠
ج ٨: ٢٦٩ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٢٨٠ - ٢٨١	العاصم بن وائل
العباس بن مرداس	ج ٦: ٢٩٨
ج ٥: ٢٢٨	عاصم بن أبي حمزة
العباس بن هلال	ج ٤: ٢٥٠
ج ١: ٣٣٨	عاصم بن حميد
عبد الأعلى مولى آل سام	ج ٤: ٨٤
ج ٢: ١٥٨	عاصم بن ضمرة
عبد الأعلى بن أعين	ج ٨: ٣٦٧
ج ٢: ٣٠٢	عاصم بن طفيل
ج ٣: ٣٥٥	
عبد الحميد بن أبي العلاء	

ج ١٣٤: ١	ج ٢٦١: ٤
عبد الرحمن بن ملجم انظر: «ابن ملجم»	عبد الرحمن (رجل اصفهاني) ج ٣١٣: ٤
عبد الرحمن بن يعقوب ج ٣١٣: ٣	عبد الرحمن بن أبي داود ج ٢٣: ٣
عبد الرحيم القصير ج ٦٠: ٢	عبد الرحمن بن أبي عبد الله ج ٤٩: ٢ ج ٨٤: ٤
عبد السلام بن نعيم ج ٣١٣: ٢	عبد الرحمن بن أبي ليلى ج ٣٣٨: ١
عبد العزيز القزّاز (كأنه الخزاز) ج ٢٦٢: ٤	عبد الرحمن بن أبي نجران ج ٨٣: ٤
عبد العزيز بن عمر ج ٣٠٦: ٧	عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ج ١٢٩ - ١٣٠: ٣
عبد العزيز بن مسلم ج ١٧٥ - ١٧٤: ٤	عبد الرحمن الحجّاج ج ٣٤٦: ١
عبد العظيم بن عبد الله الحسنى ج ١٦: ٢	ج ٣٨٦ - ٢٧٩ - ٢٥٠ - ١٤٢ - ٢٢: ٣ ج ١٦٣ - ٨٤: ٤
عبد الكريم الخثعمي ج ٣٣٧: ٤	عبد الرحمن بن زيد ج ٣٦٩: ١
عبد الله بن أبان الزّيات ج ٢٩٩: ٨	عبد الرحمن بن عمرو انظر: «الاوزاعي».
عبد الله بن أبي الحمساء ج ٢٣٨: ٥	عبد الرحمن بن عوف ج ٩٤: ٣ ج ٩٣ - ٩٤
	عبد الرحمن بن غنم

ج ٤: ٣٠٦	عبدالله بن أبي وداعة
عبدالله بن الحسن (عبدالله محض)	ج ٥: ١٨٤
ج ٣: ٣٣٠ ج ٤: ٢٥٥	عبدالله بن أبي الهذيل
ج ٨: ١٧٧	ج ٤: ١٩٠
عبدالله بن حماد الأنصاري	عبدالله بن أبي يعفور
ج ١: ٢٦١	ج ١: ٣٢٣ ج ٣: ٢٥٥
عبدالله بن حنظلة	ج ٤: ٣٥٦ - ٣٥٧ ج ٨: ٢٦١
ج ٥: ٦٠	عبدالله بن إدريس
عبدالله بن رواحة	ج ٤: ٢٧٢
ج ١: ٨٨	عبدالله بن أنيس الأنصاري
عبدالله بن زبير	ج ٤: ٤٢
ج ٤: ٢٢٧	عبدالله بن بكير
عبدالله بن زمعة	ج ٢: ١٣٩ - ٢٣٤ ج ٣: ١٢٥
ج ٥: ٢٣٦	عبدالله بن جبير
عبدالله بن سفيان (الثقفي)	ج ٣: ٣٢٧
ج ٥: ١٩٢ - ١٩٣	عبدالله بن جعفر بن أبي طالب
عبدالله بن سلام	ج ٤: ٦١ - ٢١٦ ج ٦: ٦٤ - ٦٦ - ٦٧
ج ٥: ٢٠١ ج ٦: ٥٣ - ٢٧٠	عبدالله بن جعفر الحميري
عبدالله بن سليمان	ج ١: ٣٣٣ ج ٣: ٢٨٢
ج ٥: ١٨٥	ج ٤: ٢٣٧
عبدالله بن سينان	ج ٦: ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٨٠
ج ١: ١٧٤ - ١٨٠	عبدالله (الأفطح) بن جعفر بن محمد (ع)
ج ٢: ١٣٨ - ١٧٦ - ٣٠٦ - ٣٩١	ج ٤: ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٩
ج ٣: ٢٨٢ - ٣٧٧ ج ٤: ٧١	عبدالله بن جندب

عبدالله بن عمر	عبدالله بن شداد
ج ٣: ٤٦ - ٣٨٧	ج ٣: ٤٣٧
ج ٥: ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٤ - ٢٣٨ - ٢٤٢ - ٣١٦	عبدالله بن عامر بن كرين
ج ٧: ٣٠٨	ج ٦: ٦٨ - ٦٩
ج ٨: ٢٤٤ - ٢٥١ - ٣٢٧ - ٣٢٨	عبدالله بن عامر الجهني
عبدالله بن عمر الليثي	(والصواب عقبه بن عامر)
ج ٣: ٧٧	ج ٤: ٩ - ١٠
عبدالله بن الفضل بن ربيع	عبدالله بن عامر بن ربيعة
ج ٤: ٢٥٧	ج ٣: ٣٩٥
عبدالله بن الفضل الهاشمي	عبدالله بن عبيد بن عمير
ج ٥: ٢٢٩	ج ٤: ٢٤٤
عبدالله بن فضالة	عبدالله بن عثمان
ج ٣: ١٢٠	ج ١: ٣٢٣
عبدالله بن القاسم	عبدالله بن عتبة
ج ٥: ٣٦٧	ج ٥: ٢٤٨
عبدالله بن الكواء الشكري	عبدالله بن عطاء المكي
ج ٣: ٤٣٢	ج ٤: ٢٣٦ - ٢٤٧
عبدالله بن المبارك	عبدالله بن علي (بن الحسين ع)
ج ٤: ٩٠ - ٣٠٠ ج ٣: ٢٠٨ - ٤٣٦	ج ٣: ١٢٥
ج ٤: ١٣ ج ٥: ٢٨٤ - ٢٩٤	عبدالله بن عمرو بن حرام
ج ٦: ١٤٢ - ١٤٧ - ١٦٣ - ٢٢٦	الانصاري
ج ٧: ٢٣٤ ج ٨: ٦٩	ج ٤: ٢٨٠ ج ٨: ٣١٣
عبدالله بن محمد بن علي بن -	عبدالله بن عمرو بن العاص
الحسين (عليهم السلام)	ج ٤: ١٩ ج ٥: ٣٠٢ ج ٧: ٣٠
ج ٤: ٢٤٦ - ٦٢	
عبدالله المروزي	

عبدمناف	ج ٤: ٥٨	ج ٣: ٣٣٥
ج ٤: ٢١٩		عبدالله بن مُسكان
عبدالواحد بن المختار الانصارى	ج ٤: ١١٢	ج ٣: ١٣٩
ج ٤: ٣٦٨	ج ٢: ٣٥٦	عبدالله بن المغيرة
عبدالواحد بن زيد	ج ٤: ٢٩٠	ج ٢١- ١٣٨
ج ٦: ٥٤	ج ٥: ١٥٢	عبدالله بن ميمون القدّاح
ج ٨: ١٧٢-٨٠	ج ٤: ١٣	ج ٢: ٣٠٢
عبيد بن زرارة	ج ٢: ٣١٧	عبدالله النّجاشى
عبيد بن عمير (الليثى)	ج ٨: ٣٠٠-١٩٤	ج ١: ١٤٥
عبيدالله البجلي	ج ٨: ١٩٠	عبدالله بن هارون
عبيدالله بن زياد	ج ٤: ٢٦٠-٢٥٩	راجع «المأمون الرشيد»
ج ٤: ٢٣٠	ج ٣: ٢٧٨	عبدالله بن يحيى الكاهلى
عبيدالله بن عبد الله الدهقان	ج ١: ٢٠١	عبدالمؤمن الانصارى
ج ٢: ٣١٣	ج ١: ٢٤٩	عبدالمطلب بن هاشم
عبيدة بن الجراح	ج ٤: ١٥١	عبدالمطلب بن هاشم
انظر: «أبو عبيدة الجراح»	ج ١: ٧٦	عبد الملك بن أعين
عتبة الغلام	ج ٣: ٣١٩	عبد الملك بن عمرو الأحول
عثمان بن أبي العاص الثقفى	ج ٢: ٦٠	ج ٢: ٧٨
ج ٥: ٥٠	ج ٤: ١١٠	عبد الملك بن مروان
عثمان بن حنيف	ج ٤: ٢٤٢-٢٤١-٢٤٠	ج ٥: ١٨٥
ج ١: ٢٣٤		

عثمان بن أبي شيبة
ج ١: ٣٧٥

عطاء بن يسار

ج ٥: ٢٤٥

ج ٧: ١٠٧ ج ٨: ٣١٠

عثمان بن مطعون
ج ٥: ٧٦

عقبة بن عامر

ج ٥: ١٩٢ - ٣١٩

ج ٧: ٢٣٢ - ٢٨٠ ج ٨: ٣٢٨

عثمان بن عفان

ج ١: ١٦٢ - ٢٣٩ - ٢٤١

ج ٣: ٣٧٢ ج ٥: ٢٢١

ج ٦: ٩٤ ج ٨: ٢٦٣ - ٣١١

عقيل بن أبي طالب

ج ٤: ٦١

عكاشة بن محصن

ج ٧: ٣٧٩ ج ٨: ٣٨٨

عثم (بريد الجني)

ج ٤: ٢٦٢

عكرمة (مولى ابن عباس)

ج ٣: ٦٥ - ٣٦٢ - ٣٧٨

عجزة (المكفوفة)

ج ٨: ١٧٦

ج ٤: ١٠٠ ج ٥: ٢٩١ ج ٦: ١٤٧

ج ٨: ٢٥٩ - ٢٦٤

عدى بن الحاتم

ج ٣: ٣٧٢ - ٢٢١

عكرمة بن أبي جهل

ج ٣: ٣٩٢

عروة البارقي

ج ٣: ١٤٩

العلاء بن رزين

ج ٢: ١٥٦ - ٣٩٤

عروة بن الورد

ج ٦: ٢٢٧

العلاء بن زياد

ج ٥: ٥٠ - ١٨٧ ج ٦: ٤٣

العزيز (صاحب يوسف)

ج ٥: ١١٦

العلامة بحر العلوم

ج ١: ١٤٥

عطاء بن أبي رباح

ج ٤: ٧٩ ج ٣: ٣٢٢ ج ٥: ٢٠٤

العلامة الحلبي (ره)

ج ٣: ١٥٣ - ١٥٦

ج ٧: ٤٢ - ٣٣٢ ج ٨: ١٩٤

علقمة بن عمر والطاردي

ج ٣: ٣١٤

عطاء السلمي

ج ٢: ٢٩٩ - ٣٠٠

٣٢٥-٣٢٤-٣٢١-٣١٨-٣١٦-٣١٤
٣٣٤-٣٣٣-٣٢٨-٣٢٦
٣٥١-٣٣٨

٣٧٨-٣٧٥-٣٥٨-٣٥٧-٣٥٦-٣٥٣
٣٩٧-٣٩١-٣٩٠

ج٤: ٢٣-٢٢-٢١-٢٠-١٧-١٢-١١

٢٤-٢٨-٢٦-٢٤-٢٢-٢٠-١٧-١٢-١١

٩٢-٩٣-١٠٢-١١٢-١١٣-١٣٧

١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٥٣-١٥٦-١٥٧

١٥٨-١٥٩-١٦٧-١٧٤-٢١٤

٢١٥-٢٢٠-٢٢٥-٢٣٣-٣٤

٢٣٧-٢٣٩-٢٤٠-٢٤٢-٢٤٨-٢٥٠

٢٥١-٢٥٢-٢٥٤-٢٦٠-٢٦٢-٢٦١

٢٦٣-٢٦٤-٢٧٤-٢٧٥-٢٧٦-٢٨٣

٢٨٤-٢٨٧-٢٩٢-٢٩٧-٣٠١-٣٠٥

٣٠٨-٣١٠-٣١٨-٣٢٢-٣٢٥-٣٢٦

٣٥٢-٣٥٥-٣٥٦-٣٨٠-٣٩٢

٣٩٣-٣٩٦-٤٠٥

ج٤: ٥-٨-١٢-١٣-١٧-٢٠-٢٥-٢٩

٤٧-٥٥-٥٦-٦٧-٦٨-٧٧-٨٦

٨٨-٩٢-١٠٠-١٠٣-١٠٤-١٠٥

١٠٩-١١٠-١١١-١١٨-١٢١-١٢٣

١٢٧-١٣٠-١٤٣-١٤٧-١٤٨-١٦٦

١٧٣-١٧٦-١٨٥-٢٢٣-٢٣٠-٢٣٣

٢٤١-٢٤٢-٢٥١-٢٥٥-٢٦٦-٢٧٤

٢٧٧-٢٨١-٢٩١-٣١٠-٣١١-٣١٤

٣١٥-٣١٦-٣٢٠-٣٢٨-٣٤٤-٣٤٨

٣٦٥-٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠-٣٧٢-٣٨٥

٣٩٧-٤٠٩-٤١٢-٤١٣-٤١٤-٤١٩

٤٢٦-٤٢٩-٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-٤٤٧

٤٤٨

ج٤: ٤٥-٤٧-٤٨-٥١-٥٩-٦٠-٦١

٦٦-٦٧-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٩٠

٩٢-٩٣-١٠٥-١٠٦-١٠٩-١١٥

١٢١-١٤٤-١٤٧-١٤٩-١٥٠-١٦٩

١٧٠-١٧٢-١٧٥-١٨٢-١٨٣-١٨٦

علقمه (بن قيس) الأسود
ج٤: ٣١٤ ج٥: ٢٣٤

علقمة بن محمد الحضرمي
ج٧: ٤١

علي بن ابراهيم بن موسى
ج٤: ٣٢٤

علي بن ابراهيم بن هاشم
ج١: ٦٠

ج٤: ٢٦١-٢٦٢-٢٦٤-٣٠٦

ج٤: ٣٠٦-٣١٠

ج٧: ٣٧٠ ج٨: ٣٣٤-٣٥٠

علي بن أبي الحسن
ج٤: ٣٩٠

علي بن ابي حمزة البطائي
ج٤: ٢٢٢

ج٣: ١٤٧-٢٥٤-٢٥٥

ج٤: ٦٤-٢٧٤-٢٧٦-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠

علي بن أبي طالب

أبو الحسن (عليهما السلام)

ج١: ١٩-٢٥-٢٩-٣١-٥٢-٥٣

٦٥-٦٨-٦٩-٧٤-٧٦-٧٧-٩

٨٦-٨٧-١٠٧-١١٤-١٢٣-٢٤

١٢٦-١٤١-١٤٨-١٥٦-١٥٩-٦٠

١٦٥-١٧٣-١٧٩-١٩٠-١٩٤-٩٧

٢٠٣-٢٠٤-٢٠٨-٢١٠-٢١٣-١٤

٢١٧-٢١٩-٢٢٦-٢٣٠-٢٣٣-٣٤

٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٩-٢٤٠-٤١

٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥-٢٤٧-٥٣

٢٥٥-٢٦٠-٢٦٧-٢٦٩-٢٧٧-١١

علي بن اسماعيل ج ٤: ٢٦٤	١٨٧ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٤ ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦
علي بن أسباط ج ٤: ٦٣	٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢٠ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٣٥ ٢٥٩ - ٢٦٥ - ٢٧٢ - ٢٨٠ - ٣٠٩ - ٣٠٠
علي بن الاوتامش ج ٤: ٣٢٥	٣١٤ - ٣٣٥ - ٣٣٧ - ٣٤٥ - ٣٤٦ الى ٣٥٨ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٧ - ٣٧٣ - ٣٧٥ ٣٧٦
علي بن بكار ج ٤: ٣٩٨	ج ٥: ١٧ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٢ - ٤٣ - ٦٣ ٧٧ - ١٠٧ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٤٠ - ١٦٧ ١٧٠ - ١٩٦ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٣٠ ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٧٦ - ٢٧٨ - ٢٨٠ - ٢٨٥ ٣٠٣ - ٣١٣ - ٣٣٢ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣
علي الجرجاني ج ١٥٨	ج ٦: ٣ - ٤ - ١٢ - ٢٤ - ٤٣ - ٦١ - ٦٣ - ٦٥ ٦٧ - ٧٥ - ٨٠ - ٨١ - ٩٠ - ١٠٨ - ١١٢ ١٤٤ - ١٤٥ - ١٦٣ - ١٩٤ - ٢٢٦ - ٢٢٧ ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٧٠ - ٢٧٧ - ٢٨١ - ٢٩٤ ج ٧: ١٨ - ٢٧ - ٣٠ - ٣٢ - ٦٣ - ٦٩ - ٨٠
علي بن جعفر بن محمد (عليهما السلام) ج ٣: ١٢٢ - ٢٧٩	٩٦ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١٢٦ - ١٨٧ ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦ ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٣٠٩ - ٣١٠ ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٤ - ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٣١ ٣٥٠ - ٣٥٢ - ٣٦٢ - ٤٢٠
علي بن الحسن بن سابور ج ٤: ٣٣٣	ج ٨: ٧ - ٢٤ - ٣٥ - ٨٠ - ١٠١ - ١١٧ - ١٢٤ ١٢٥ - ١٤١ - ١٤٥ - ١٦٢ - ١٧٣ - ١٩٤ ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٥٤ - ٢٦١ - ٢٦٤ - ٢٦٨ ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ ٢٨١ - ٢٨٤ - ٢٨٩ - ٢٩٧ - ٢٩٩ - ٣٠٣ ٣٠٩ - ٣٢٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٤٧ - ٣٥٢ ٣٥٥ - ٣٦١ - ٣٦٧ - ٣٧٧ - ٣٧٨ ٣٧٩ - ٣٨٢
علي بن الحسين زين العابدين السجاد (سيد العابدين) (ع) ج ١: ٢٦ - ٣١ - ٦٥ - ١٢٧ - ١٩٧ - ١٩٨ ج ٢: ٣٢٧ - ٣١٣ - ٢٥٢ - ٢٤٥ - ٢٤٤ - ٢٣٢ ج ٣: ٣٤٧ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٧٨ ج ٤: ٤٥ - ٤٨ - ٥٩ - ٨٧ - ١٠٥ - ١٤٢ - ١٤٨ ١٥١ - ١٥٣ - ١٧٦ - ٢٠١ - ٢١٥ - ٢٢١ ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٧٤ - ٣٠٥ - ٣٢٤ - ٣٣٥ ٣٧٤ - ٣٧٦ ج ٣: ١٩ - ١١٣ - ١١٥ - ١٢٤ - ١٤٢ - ٢٠٧ ٢٣٩ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٣١٥ - ٣٢٠ - ٣٤٠	
علي بن أحمد الوشاء الكوفي ج ٤: ٢٩٣	

٤٣٠ - ٤١٩ - ٤١٥ - ٤٠١ - ٣٩٩ - ٣٩٦

٤٤٢

ج: ٤٤: ٩١ - ٧٢ - ٦٣ - ٤٩ - ٤٨ - ٤٧ - ٤٥

٢٧٨ - ٢٢٠ - ١٧٤ - ١٧٠ - ١٠٦ - ١٠٥

٢٨٥ - ٢٨٤ - ٢٨٣ - ٢٨٢ - ٢٨١ - ٢٨٠

٢٩١ - ٢٩٠ - ٢٨٩ - ٢٨٨ - ٢٨٧ - ٢٨٦

٣٠٤ - ٣٠١ - ٢٩٥ - ٢٩٤ - ٢٩٣ - ٢٩٢

٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣٣٧ - ٣٤٥ - ٣٦٦

ج: ٥٥: ٣٦٨ - ٣١٤ - ٢٣٠ - ٢٢٩ - ١٦٧

ج: ٦٦: ٢٢٥ - ٢٢٤ - ١٤٦ - ١١٣

ج: ٧٧: ٢٥٥ - ٦١ - ٣٢

ج: ٨٨: ٣٥٠ - ٢٩٩ - ٢٩٠ - ٢٥٧ - ١٩٥

عليّ بن مهزيار

ج: ٢: ١٨٤ ج: ٤٧: ٤٧

علي بن ميثم

ج: ٤٤: ٢٨٨

عليّ بن النعمان

ج: ٤٤: ٣٩٦

علي بن هلال (بن بلال ظ -)

ج: ١٠٨: ١٠٨

علي بن يقطين

ج: ١٠٧: ١٠٧ - ١٤٥ - ٣١٧ - ٣٣٤

ج: ٤٤: ٩٩ - ٢١ - ٢٥٩ - ٢٨١

ج: ٤٤: ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ ج: ٥٥: ٢٣٠

عمّار بن حيان

ج: ٤٣٩: ٤٣٩

عمّار بن سعيد

ج: ٥٥: ٣٥٩

عمّار بن موسى الساباطي

ج: ٤٤: ٣٥١ - ٣٥٠ - ٣٢٩ - ٣٢٨

علي بن محمّد النّقي (أبو الحسن

الثالث)

ج: ٣: ٤٠٢ - ٢٣٢ - ٣

ج: ٣: ٤١٦ - ٣١٣ - ٢٠٦

ج: ٤٤: ٣١٢ - ٣١١ - ٣١٠ - ٣٠٩ - ٣٠٨ - ٩٤

٣٢١ - ٣٢٠ - ٣١٩ - ٣١٧ - ٣١٤ - ٣١٣

٣٤٥ - ٣٣٣

ج: ٨: ٢٥٧ - ٤٢

عليّ بن محمّد النوفلي

ج: ٤: ٢٣٢ ج: ٤٤: ٣١٢

علي بن مزيد

ج: ٣: ٣٨٩

علي بن معبد

ج: ٣: ٢١٤

علي بن المغيرة

ج: ٣: ٢٧٨

علي بن موسى الرّضا (أبو الحسن

الثاني عليهما السّلام)

ج: ٢٤: ١٨٤ - ١٧٧ - ١٥٧ - ١٤٥ - ٣٢ - ٢٤

٢٤٤ - ٢٢١ - ٢١٨ - ٢١٧ - ٢٠٩ - ١٩٧

٣٠٨ - ٣٠٣ - ٢٩٢ - ٢٦٤ - ٢٦٢ - ٢٤٨

٣٥٣ - ٣٤٦ - ٣٣٩ - ٣٣٨

ج: ٤: ٦١ - ٤٩ - ٢٧ - ٢٣ - ٢١ - ١٦ - ٦ - ٤

٢٢٠ - ١٨٣ - ١٤٩ - ١٤٠ - ١٢٧ - ١١٠

٣٧٧ - ٣٢٩ - ٣١٧ - ٣١٣ - ٢٩١ - ٢٧٤

٣٧٨

ج: ٣: ١١٩ - ١١١ - ٨٨ - ٣٨ - ٢٣ - ٢٠ - ١٨

٣٨٦ - ٣٨٠ - ٢٣٣ - ٢١٧ - ٢٠٧ - ١٦١

عمر بن عبید	ج ٤: ٥-٦-١١٠	ج ١: ٣٠٤
ج ٧: ٣٣	ج ٤: ٢٧١	ج ٣: ٣١٦
عمر بن عكرمة		عمر بن ياسر
ج ٣: ٤٢٥	ج ١: ٢٣٩-٢٤٢-٢٤٧-٣٩٨	ج ١: ٢٣٤-٢٣٩-٢٤٢-٢٤٧-٣٩٨
عمر بن أذينة	ج ٤: ٦١-١٦٦-١٧١-١٨٩	ج ٣: ٣٩٩
ج ٢: ١٨٣-٢١٦	ج ٥: ٢٨٠-٣٢١	ج ٥: ٢٨٠-٣٢١
عمر بن الخطاب	ج ٨: ٢٧٤	ج ٧: ١٠٤
ج ١: ١٦٢-٢٣٥-٢٣٦-٢٤٣		عُمارة بن عميرة
ج ٢: ١٥٥-٢٨٨		ج ٤: ٢٣٠
ج ٣: ١٥-٧٦-٧٨-٩٨-٣٧٣-٣٧٦-٤١٣		عمر بن ثابت (أبي المقدم)
٤٢٩	ج ٤: ٥٥-٢٥٥	ج ١: ٣٠٩
ج ٤: ١٠٩-١٤٦-١٥٠-١٦٥-٣٤١		ج ٥: ٣٢٤
ج ٥: ٢٦٠-٢٨١		عمر بن الجموح
ج ٦: ٢٤-٢٥-٧٢-٧٣		ج ٦: ٧٤
ج ٧: ١٠٧-١٤٣-٣٥٤		عمر بن الحارث الرافعي
ج ٨: ٢٧٠-٢٧١-٢٧٢-٢٧٣-٢٧٦-٣١٠		ج ٨: ٩٣
٣١١		عمر بن حزم (بن زيد)
عمر بن أبي مسلم		الانصاري
ج ٤: ٣٢٩		ج ٨: ٣٨٨
عمر بن سعد بن أبي وقاص		عمر بن شيبه
ج ٤: ٢٣٠		ج ٦: ٢٢٨
عمر بن دينار		عمر بن العاص
ج ٤: ٢٤٤		ج ١: ٢٣٣
ج ٥: ٢٠٥		ج ٥: ٢٢١
عمر بن ذرّ (ابونذر همداني)	ج ٤: ٢٢٧	عمر بن عبدود
ج ٨: ٢٨٣-٢٨٨	ج ٨: ٣٤٩	ج ٤: ١٩٣
عمر بن شمر		
ج ٤: ٣٤٤		

عون بن عبدالله المسعودي	عمر بن عبدالعزيز
ج ٢٨: ٣	ج ٢٣٦: ١ ج ٢٣٠: ٤
عياض بن حمار	ج ٢٦٦-٢٦٧: ٤ ج ١٩٠: ٤
ج ٢١٧: ٥	ج ٢٤٨-١٩٧: ٥ ج ٢١٨: ٦
العيزار (عَيْنُ لِمَعَاوِيَةَ)	ج ٢٣٤: ٧ ج ٣٨٩-٢٤٤-١٧٢: ٨
ج ٢٠٠: ٤	عمر بن محمد بن زياد الصيمري
عيسى بن مريم (عليهما السلام)	ج ٣٣٢: ٤
(المسيح)	عمر بن مسلم
ج ١٢٦-١٢٣-٩١-٨١-٦٩-٣٦-٣٤: ١	ج ١٤٦: ٣
ج ١٤١-١٣٤-١٣٣-١٣٢-١٣٠-١٢٩	عمر بن يزيد
ج ٢٤٦-٢٤٠-٢٣٠-٢٢٧-١٩٩-١٥٧	ج ٣١٤: ١ ج ٢٨٤-٧١-٣: ٤
ج ٣٣٩	ج ٤١٩-١٢٤: ٣
ج ٢٩٩-٢٩٣-٢٦٨-٢١٤-١٨٦-١٤٠: ٢	ج ٣١٢-٢٩١: ٨
ج ٣٠٧-٣٠٥-٣٠٣-٣٠١-٣٠٠	عمران
ج ٢٨٨-٢٦٦-١٩٣-١٤١-٧٩-٥٣-٩: ٣	ج ٢٢٦: ١ ج ٣٢٤: ٧
ج ٤٠٢-٣٢٦-٣١١-٢٩٨-٢٩٧	عمران بن محمد الأشعري
ج ٣٣٥-٢٦١-١٩٢-١١١-٩٢-١٥-٤: ٤	ج ٣٠٥: ٤
ج ٣٣٨	عمران بن الحصين
ج ١١٥-١١٤-١٠٣-٦٢-٦١-٥٤: ٥	ج ١٥١: ٤ ج ٢١٩: ٥ ج ١٠٢: ٦
ج ١٨٠-١٦٥-١٥٣-١٥١-١٤٨-١٣١	ج ٤٣٣-٣٢٤-٣٢٣: ٧
ج ٢٥٤-٢٥٠-٢١٣-٢٠٨-١٩٦-١٩٥	عمران بن محمد القمي
ج ٣٢٨-٣٢٧-٣١٣-٣٠٤-٢٩١-٢٨١	ج ٨٢: ٤
ج ٣٦٨-٣٦١-٣٥٩-٣٥٧-٣٥٤	عوف بن عبدالله
ج ٩٢-٦٢-٤٩-٤٢-٢١-١٣-١٢-١٠: ٦	ج ٤٤٥: ٣
ج ٢٢٠-١٩٩-١٩٧-١٤٨-١٤١-١٠٤	عوف بن مالك
ج ٣١٥-٢٤٩-٢٤٨-٢٣٢-٢٢٧-٢٢٢	ج ٥٢: ٦
ج ٣٤٥-٣٤٤	
ج ٢٣٤-٢٢٧-١٧٣-١٢٥-١٠٨-٢٠: ٧	
ج ٣٢٨-٣٢٢-٣٢١-٣٠٩-٢٩١-٢٦٦	
ج ٣٩١-٣٧٠-٣٦٨-٣٦٤-٣٦٣-٣٥٥	
ج ٤١٧	
ج ٣٦٤-٣٥٠-٣٤٩: ٨	

ج ٤: ٦٩ - ٩٠ - ٩٢ - ١٦٩ - ١٧٤ - ١٨٢

ج ٣: ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١

ج ٤: ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢٣ - ٢٢٥

ج ٤: ٢٢٦ - ٢٣٨ - ٢٥١ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٩٩

ج ٥: ١٤٩ - ٢١٤ - ٢٣٨ - ٢٣٩

ج ٦: ١٠٣ - ٢٨٥

ج ٧: ٣٢٣ - ٣٢٤

ج ٨: ٢٦١ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٨٩

فاطمة بنت الهيثم

ج ٤: ٣١٣

فاطمة الصغرى

ج ٤: ٢٠٨

فتح بن الخاقان

ج ٤: ٣١٠ - ٣١٩

فتح الموصلى

ج ٣: ٤٩ ج ٧: ٣٣٢

فرات بن أحنف

ج ١: ٣٢٥

الفرزدق

ج ٤: ٢٢٨ ج ٨: ٢٨٤ - ٢٨٥

فرعون (عصر موسى)

ج ١: ٩٢ - ١٣٩ - ١٤٠ - ٢٤٠ - ٢٦٢

ج ٤: ٢٥٥ ج ٣: ٩٧ - ٢٥٧ - ٣١٣

ج ٤: ٣٣٥ ج ٥: ٢٢٠ - ٢٢٢

ج ٦: ٧ - ٣٣٢

ج ٧: ١٣٤ - ٣٢٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦

ج ٨: ٨٣

فضالة بن عبّيد

ج ٤: ١٩٣

عيسى بن أعين

ج ٣: ٢٧٧

عيسى بن عبدالرحمن

ج ٤: ٢٥١

عيسى بن كثير

ج ٨: ١٢٢

عيسى بن مالك الخولانى

ج ٧: ٣١١

عيسى المدائنى

ج ٤: ٢٧٦

عيسى بن القاسم

ج ٤: ١٣٩ - ١٨٤ - ٢٩٧ - ٣٩٤

عبيدة بن بدر الفزارى

ج ٥: ٢٣٤

(غ)

غزوان الرقاشى

ج ٤: ١٢

غياث بن ابراهيم

ج ١: ٣٣٣

(ف)

فاطمة الزهراء (عليها السلام)

ج ١: ٣٠ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٣٥١ - ٣٦٣

٣٩٨

ج ٤: ٣٢ - ١٨٧ - ١٨٨ - ٢٧٦ - ٣٣٩ - ٣٤٨

٣٧٦ - ٣٥٨ - ٣٥٣

ج ٣: ٦٧ - ٩٢ - ١٠٤ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٣٠

٣٩٢ - ٤١٩ - ٤٢٦

ج ٦: ١٧٨	فضة (خادمة الزهراء) (ع)
الفضيل بن يسار	ج ٤: ١٩٠
ج ٣: ٣٤ - ١٣٨ - ١٤٣ - ٣٠٦ - ٣٩٢	الفضل بن أبي قرّة
ج ٣: ٨٢ - ١٤٢ - ٣٦٤ - ٣٦٨ - ٣٩٦	ج ٣: ١٤٧
فيّاض بن نجّيح	الفضل بن أحمد بن اسرائيل
ج ٣: ٦٥	الكاتب
فيض بن المطر	ج ٤: ٣١٨
ج ٤: ٢٤٦	الفضل بن سهل (ذوالرياستين)
(ق)	ج ٤: ٢٨٦
قارون (صاحب الكنوز)	الفضل بن شاذان
ج ٦: ٢٤٤ ج ٨: ٣٨٥	ج ١: ٣٠٨ ج ٢: ٤٩ ج ٤: ٢٠٤
القاسم بن عبدالرحمن	فضل بن العباس
ج ٤: ٣٠٥	ج ٨: ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٨٠ - ٢٨١
القاسم بن العلاء	فضل بن عبدالملك
ج ٤: ٣٥٠	ج ٢: ١٩
القاسم بن المحسن	فضل الله بن علي الحسيني
ج ٤: ٣٠٧	ج ٥: ٢٧٢
قتادة	فضل بن يونس
ج ٣: ٦٥ ج ٢: ٣١٨	ج ٣: ٢٣ - ٢٧
ج ٦: ١٤٧ - ٢٢٧ - ٢٣٣ - ٢٧٧	الفضيل بن عياض
ج ٨: ٣٢٨	ج ٢: ٢٤٢ - ٣١٨
قتيبة	ج ٣: ٢٥٦ - ٤٠٢
ج ١: ٢٣٥	ج ٤: ٥ - ٦ - ١٢
قطب الدين سعيد الراوندي	ج ٥: ٩٠ - ٩٤ - ١٥١ - ١٨٠ - ٣٢٢ - ٣٦٩
ج ٤: ٢٤٨	ج ٦: ١١ - ٥٧ - ١١١ - ١٤٧
قنبر (مولي علي عليه السلام)	ج ٧: ٢٢٣ - ٢٣٤ - ٣٠٦
	ج ٨: ٧٠
	الفضيل بن غزوان

ج: ٨: ٥٨ - ٢٩٠ - ٣٢٨ - ٣٧٦

كعب بن مالك
ج: ٣: ٣٨٧

الكليني

انظر: «محمد بن يعقوب»

كمال الدين بن طلحة
ج: ٤: ٢١٨

كميل بن زياد
ج: ١: ٢٥ - ٦٤

(ل)

ليبد

ج: ٧: ٤٠٣

لقمان الحكيم

ج: ١: ٣٣ - ١٥١

ج: ٢: ٩٠ - ٣٧٢ - ٣٨٣

ج: ٣: ٩٨ - ١٠١ - ١٤٤ - ٣١٢ - ٣١٤

ج: ٤: ٧٣ - ٧٤

ج: ٥: ٩٣ - ١٥١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٨ - ٢٤٣

ج: ٦: ٢٧٩ - ٣٠٩ - ٣١٣ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧١

ج: ٦: ٥ - ٢٠٢

ج: ٧: ٢٢ - ٩٧ - ٢٣٤ - ٢٨٣

ج: ٨: ١٥٥ - ١٩٥ - ١٩٦ - ٢٥٢

لوط (ع)

ج: ١: ٢٤٠ ج: ٤: ٣٧٠ ج: ٥: ٢٧٥

ليث بن أبي سليم

ج: ٢: ٢١٩ ج: ٦: ١٠٣

ليث بن سعد

ج: ٤: ١٩٨ ج: ٦: ٢٢٦

قيس بن الحجاج
ج: ٥: ٥٦

قيس بن سعد بن عبادة
ج: ١: ٢٣٤

ج: ٦: ٦٣ - ٦٩ ج: ٨: ٢٧٠

قيس بن عاصم
ج: ٣: ٤٤٥

(ك)

الكاظم (ع)

انظر: «موسى بن جعفر عليهما السلام»

كامل بن ابراهيم
ج: ٤: ٣٤٦

كثير بن قيس
ج: ١: ٢٣

كثير النواء
ج: ٤: ٢٥٠

كرزبن وبرة
ج: ٢: ٣٨٠

كيسرى
ج: ٤: ١٥٨

الكشي
ج: ١: ٢٤٢

كعب الاحبار

ج: ١: ٢٠٣ ج: ٢: ٢٩٨ - ٣٠٢ - ٣٧٢

ج: ٣: ٤٠٢ ج: ٥: ٢٠٠

ج: ٦: ٧٦ - ٩٣

المأمون الرَّشيد (عبدالله بن هارون) ج٣: ٣١٤ - ٣١٨	ج٥٠: ٢٥٠ ج٦: ٦٩
ج٤: ٢٨٢ - ٢٨٤ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٩٠ - ٢٩٤ ج٥: ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ ٣٠١	ليث بن سعيد ج٤: ٢٥٨
مبارك (خادم أبي محمد العسكري) (ع) ج٤: ٣٣٠	(م) مارية (أم إبراهيم) ج٤: ١٨٨
المتوكل العباسي ج٤: ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٣٣	مارية (خادمة الحسن بن علي العسكري) (ع) ج٤: ٣٤٥
المُتنبّي ج٤: ٢١	ماعز بن مالك ج٧: ٦٧
مجاهد (بن جبر أبو الحجاج) ج١: ١٦٤ ج٤: ٧٩ - ٢٤٢ ج٣: ٦٥ - ١٩٣ - ٣٥٨ - ٤١٨ ج٥: ٧٠ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٤٩ - ٢٥٣ - ٢٧٣ ٢٨٤ - ٢٩٤ ج٨: ٣٠٠ - ٣٣٩ - ٣٧٤	مالك بن أنس ج١: ٩٧ - ١٦٤ - ١٦٥ - ٢٠٣ - ٢٥٩ - ٢٦٠ ٢٧٦ - ٢٨٧ ج٤: ٢٥٤ ج٦: ٦٩ ج٨: ٣٦٣
المحاسبي (الحارث بن اسد) ج٣: ٢٤٥ ج٥: ٨٦ - ٩١ - ٩٢ - ١٧٨ مُحرز ج٤: ٢٩٠	مالك الجهنّي ج٤: ٢٤٧
محمد (رسول الله) «ص» من الأعلام الموثقة في الكتاب تراه في جلّ الصفحات .	مالك خازن النار ج٨: ٣٥٠ - ٣٥٤ - ٣٥٨ مالك بن دينار ج٤: ٢٤٣ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٩٩ ج٣: ٢٦٦ - ٤١٣ ج٥: ١٩٧ - ٢٤٣ - ٢٥٤ - ٢٨٠ ج٦: ١٤٧
	مالك بن ربيعة ج٣: ٤٣٥

محمد بن اسماعيل بن بزيع ج ١: ١٤٥	محمد بن ابراهيم بن اسحاق الطالقاني ج ٤: ١٥٨
محمد بن اسماعيل التيمي ج ١: ٢٤	محمد بن ابراهيم العمري ج ٤: ٣٣٣
محمد بن اسماعيل العلوي ج ٤: ٣٢٥	محمد بن ابراهيم الكردى ج ٤: ٣٢٤
محمد بن أورمة ج ٤: ٣١٧	محمد بن ابراهيم بن مهران ج ٤: ٣٤٩
محمد بن بشير ج ٢: ٢٢١	محمد بن أبى بكر ج ١: ٢٣٥
محمد بن جعفر الاسدى ج ٢: ٣٩	محمد بن أبى عبدالله السيارى ج ٤: ٣٤٥ - ٣٥٠
محمد بن جعفر بن محمد (عليهما السلام) ج ٤: ٢٨٩ - ٢٩٠	محمد بن أحمد الأنصارى ج ٤: ٣٤٦
محمد بن حبيب البغدادى ج ٤: ٢٠٦	محمد بن أحمد بن محمد بن على العلقمى ج ٤: ٢٥٣
محمد بن الحسن (الشيخ الطوسى) ج ٢: ٩٧ - ٢٣١	محمد بن اسحاق ج ٤: ٢٣٢
محمد بن الحسن الصفار ج ١: ٢٠٠ ج ٣: ٢٢٩	محمد بن اسحاق بن موسى ج ٤: ٢٨٢
ج ٤: ١٦٣ ج ٥: ٤٥	محمد بن أسامة بن زيد ج ٤: ٢٣٤
محمد بن الحسين ج ٦: ٩	محمد بن اسماعيل انظر: (البخارى)
محمد بن الحسين الاشر العلوى	

ج ٦: ١١٠ - ١١١	ج ٤: ٣٢٠
محمد بن سهل	محمد بن الحسين الموسوي
ج ٦: ٢	(السيد الرضي)
محمد بن صالح	ج ١: ١٤١ - ١٤٥
ج ٣: ٢٦٤	محمد بن حمران
محمد بن طلحة (النهدى)	ج ١: ٣١٥
ج ١: ٣٢٨	محمد بن الحنفية
محمد بن طلحة الشافعي	ج ٣: ٣٩٨
ج ٤: ٢٢٣ - ٢٣١ - ٢٤٢ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٦٦	ج ٤: ٢١٧ - ٢٢٥ - ٢٣٩ - ٢٤٠
ج ٢٦٨ - ٢٨٠ - ٢٨٤ - ٢٩٥ - ٣٠٨ - ٣٢١	ج ٦: ٢٢٦ ج ٧: ٢٦٥ ج ٨: ١٥٩
٣٣٤	محمد بن خالد
محمد بن عباد	ج ١: ١٢٦
ج ٤: ٢٨٢	محمد بن داود
محمد بن العباس	ج ٤: ٣٢٣
ج ٤: ٣٥١	محمد بن سليمان (الراسبي)
محمد بن عبدالعزيز البلخي	ج ٨: ٢٨٨
ج ٤: ٣٢٩	محمد بن سليمان الديلمي
محمد بن عبدالرحمن	ج ١: ٣٤٧ ج ٢: ١٨٣
(الهمداني)	محمد بن سليمان (والي المدينة)
ج ١: ٣٠٤	ج ٣: ٢٦٤
محمد بن عبدالرحمن	محمد بن سليمان الهاشمي
ج ٤: ٢٥٠	ج ٥: ١٨٣
محمد بن عبدالله	محمد بن سنان
ج ٢: ٢٢٢	ج ١: ١٥٧ - ٣٥٧
محمد بن عبدالله البغدادي	ج ٤: ٢٧٢ - ٢٩٢
ج ٨: ٩٤	محمد بن سويد

ج ١: ٢٦ - ٣١ - ٥٤ - ٦٥ - ٧٤ - ١٢٧ - ١٤٧

١٧٣ - ١٩٤ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠١

٢٠٤ - ٢١١ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢١

٢٢٣ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٩٧ - ٢٩٧

٣٠١ - ٣٠٤ - ٣١٣ - ٣١٧ - ٣٢٣ - ٣٢٤

٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٤٠

٣٤٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦

ج ٢: ٣ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٤ - ١٦ - ١٨

١٩ - ٢٦ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٨ - ٥٤

٥٥ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٦ - ٦٨ - ٧٣ - ٨٤

١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٣ - ١٢٨

١٣٧ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٥٢

١٥٣ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ٢١٤ - ٢١٥

٢١٨ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٦٩

٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٨٣

٢٨٥ - ٢٨٧ - ٢٩٥ - ٣٠٦ - ٣٢٧ - ٣٣٩

٣٤٨ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٦٣ - ٣٦٥

٣٧١ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٧ - ٣٨٠ - ٣٨٣

٣٨٤ - ٣٨٧ - ٣٩٢ - ٣٩٤

ج ٣: ٥ - ٩ - ١٥ - ١٩ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٣

٧٧ - ٧٨ - ٩٢ - ١٠٠ - ١١١ - ١١٢

١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٣

١٤١ - ١٤٢ - ١٨١ - ١٨٤ - ١٩٥ - ١٩٦

٢٠٦ - ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٣٠ - ٢٣٣ - ٢٤٩

٢٥٥ - ٢٧٠ - ٢٧٦ - ٢٨٩ - ٢٩١ - ٢٩٢

٣١٧ - ٣٤٠ - ٣٥٩ - ٣٦١ - ٣٦٤ - ٣٧٠

٣٨٠ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٨ - ٣٩٤ - ٣٩٦

٣٩٧ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤١٠

٤١٢ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤٢٧ - ٤٣٠ - ٤٤١

٤٤٢

ج ٤: ٤٧ - ٤٨ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥

٦٦ - ٧١ - ٨٠ - ٨٤ - ٩١ - ٩٢ - ١٠٢

١٠٣ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٢٠ - ٢٣٠ - ٢٣٥

٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤

٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠

٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٨٢ - ٢٩٥ - ٣٤١

محمد بن عبدالله بن الحسين

ج ٤: ٢٦١

محمد بن عبدالملك الزيات

ج ٤: ٣٠٢ - ٣١٠

محمد بن عبيدالله البكري

ج ٤: ٢٦٧

محمد بن عثمان العمري

ج ٢: ٤٠ ج ٤: ٣٤٨

محمد بن عجلان

ج ٤: ٣٣٦ - ٣٥٤

محمد بن عذافر

ج ٣: ٢٥٣

محمد بن عرفة

ج ٦: ١٤٦

محمد بن علوية (أبو جعفر)

ج ٤: ٣١٣

محمد بن علي بن بابويه

انظر: (الصدوق)

محمد بن علي بن ابراهيم بن موسى

ج ٤: ٣٢٣

محمد بن علي بن ابراهيم

الهمداني

ج ٤: ٣٣٢

محمد بن علي الباقر (أبو جعفر

الأول) عليهما السلام

ج ٣: ٣٧٢	٣٦٦ - ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣٥٢ - ٣٤٥ - ٣٤٤
محمد بن الفرّج الرّخّجى	٣٧٤ - ٣٧٢ - ٣٧١ - ٣٦٨ - ٣٦٧
ج ٤: ٣١٨ - ٣١٢ - ٣١١ - ٣٠٨	٥٥: ٢٢٦ - ٢٢٥ - ٢١٨ - ١٥٠ - ١٣٨ - ٦٤
محمد بن الفضل	٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٨١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٣١٠
ج ٤: ٢٩١ - ٢٧٣	٣١٤ - ٣٢١ - ٣٢٣ - ٣٢٧ - ٣٦٤ - ٣٦٥
محمد بن القاسم بن الفضيل	ج ٦: ٢٢٣ - ٢١٨ - ٢١٦ - ١٦٥ - ١٤٥ - ١١٣
ج ٤: ١٨٤	ج ٧: ١٢٦ - ١٠٨ - ٥٨ - ٣٠ - ٢٧ - ٢٥ - ٩ - ٨
محمد بن قيس	١٢٨ - ١٤٤ - ٢٣٩ - ٢٥٥ - ٢٥٨ - ٣١٠
ج ٣: ٣٣	٣٢٦ - ٣٣٨ - ٣٢٦
محمد بن كرام	ج ٨: ٢٥٥ - ٢٤٢ - ٢٤١ - ١٤٠ - ١٢٨ - ١١٠
ج ٧: ٩٨	٢٦٤ - ٣١٢ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٤٧ - ٣٦٠
محمد بن كعب القرظى	٣٧٨ - ٣٨٢
ج ٣: ٦٩	محمد بن عليّ الجواد
ج ٥: ٢٠١	(ابوجعفر الثاني)
ج ٨: ٣٦٢	ج ١: ٢٤٤ - ١٩٧ - ٣٢
محمد بن محمد بن النعمان	ج ٢: ٣٠٩ - ٣
(المفيد)	ج ٤: ٢٩٨ - ٢٩٦ - ٢٩٥ - ١٦٣ - ٩١ - ٤٨
ج ٢: ٩٩	٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤
ج ١: ٢٨٦ - ٢٩٠	٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٤٥
ج ٣: ١٥٥ - ١٥٣	ج ٧: ٣٣
ج ٤: ٢٨١ - ٢٧٥ - ٢٧٠ - ٢٦٧ - ٢٥٩ - ١٩٤	ج ٨: ٢٥٧
ج ٤: ٣٢٣ - ٣١٢ - ٣٠٤ - ٣٠١ - ٢٩٦ - ٢٩٤	محمد بن عليّ الحلبيّ
ج ٤: ٣٥١ - ٣٤٢ - ٣٤١ - ٣٣٥	ج ٣: ٢٢٨
محمد بن محمد الحافظ	ج ٤: ٤
ج ٦: ٧٠	محمد بن عليّ الهاشمي
محمد بن محمد الحسن الطوسي	ج ٤: ٣٠٣
ج ١: ٢٥٧ - ١٤٥	محمد بن عمير بن واقد الرّازي
محمد بن مروان	ج ٤: ٣٠٧
ج ٣: ٢٨٠	محمد بن عيسى
	ج ١: ١٠٨
	ج ٤: ٢٩٣
	محمد بن عيسى بن عبدالله العلوي

محمد بن واسع	محمد بن مسلم بن رباح الثقفي
ج ٣: ٣٣٧ ج ٥: ١٩٧ ج ٨: ١٧١-١٩٥	ج ١: ١٧٣ - ٣٠٤ - ٣١٣ - ٣١٦ - ٣٢٤
محمد بن الورّاق	٣٤٢ - ٣٣٨
ج ٤: ٢٢٤	ج ٤: ١٤ - ١٧ - ١١٥ - ١٤١ - ١٥٦ - ٢٨٩
محمد بن الوليد	٢٩٧ - ٣٥٨ - ٣٧١ - ٣٩٤
ج ٣: ١٧	ج ٣: ١١٤ - ٢٣٠ - ٢٥٥ - ٢٧٠ - ٢٨١ - ٤١٥
محمد بن يحيى (الطّار)	٤١٩
ج ٣: ٢٨٢ ج ٤: ٣٢٢	ج ٤: ٤٧ - ٨٠ - ٢٤٦
محمد بن يحيى بن خالد بن برمك	ج ٦: ١١٣ ج ٧: ٢٥ ج ٨: ٢٨٩
ج ٦: ٧٧	محمد بن مسلم بن تدرس
محمد بن يحيى الفارسي	(أبو الزبير)
ج ٤: ٢٨٢	ج ٤: ٢٤٤
محمد بن يعقوب الكليني	محمد بن مسلم بن شهاب
ج ١: ١٢٦ - ١٣٥ - ١٥٩ - ١٧٢ - ١٩٦ - ٣٠١	انظر: «الزهري»
ج ٢: ٣١٠ ج ٥: ٢٢٢ ج ٨: ٤٢ - ٣٤٦ - ٣٧٨	محمد بن معاذ
محمد بن يوسف الاصفهاني	ج ٨: ١٧٦
ج ٣: ٣٤١	محمد بن مقاتل (القاضي)
محمد بن يوسف الشاشي	ج ١: ١٣٨
ج ٤: ٣٥٠	محمد بن المنكدر
محمود الورّاق	ج ٢: ٣٩٩ ج ٣: ١٤٢ - ٤٤٥
ج ٥: ٣١٥	محمد بن ميمون
المحمودي (محمد بن احمد بن حماد)	ج ٤: ٣٠٦
ج ٤: ٣٣٢	محمد بن النعمان (صاحب الطاق)
المختار بن أبي عبيدة	ج ٤: ٢٧٠
ج ٤: ٢٤١	محمد بن هارون
	ج ٤: ٢٩٤
	محمد بن هشام
	ج ٤: ٢٢٠

مصعب بن سعد ج ٨: ١٢٥	مرازم بن حكيم ج ١: ٣٣٤ - ٣٤٨ ج ٤: ٢٦٢
مصعب بن عمير ج ٨: ٥	المرزباني الحارثي ج ٤: ٣٥٠
المطرفي ج ٤: ٣٠٣	مروان بن ابي حفصة ج ٦: ٧٨
مطرف بن عبدالله بن الشخير ج ٥: ٢٠٤ - ٢٨٤ - ٣٧٠ ج ٦: ٢١٩ ج ٧: ٢٣٦ - ٣٠١ - ٤٣٣	مريم بنت عمران (عليها السلام) ج ٤: ٢١٢ - ٢١٣ ج ٦: ١٠٣ ج ٧: ٣٢٤ - ٤١٤
معاذ بن جبل ج ١: ١٩ - ٥١ ج ٢: ١٣ ج ٤: ١٢٢ - ٨	المستعين (بالله احمد بن محمد بن المعتصم) ج ٤: ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٣٢
ج ٥: ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٣٦ - ٢٤٣ - ٢٥٦ ج ٦: ١٤٤ - ١٤٢ ج ٨: ١٢٦ - ١٥٩	مسروق (ابوعائشة الأجدع) ج ٧: ٣٥٣
معاذة العدوية ج ٨: ١٧٨	مسروق (ابن عبدالرحيم) ج ٨: ٩٢
معاوية بن ابي سفيان ج ١: ٢٤١ - ٢٤٢ ج ٣: ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٦٨ ج ٤: ٢٠٢ - ٢٢٣ - ٢٢٦ - ٣٢٧ ج ٥: ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٧١ ج ٦: ٦٣	مسعدة بن صدقة ج ٢: ١١٢ ج ٧: ٣٧٠
معاوية بن عمّار ج ١: ٢٨ ج ٢: ١١٣ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٥٥ - ١٦٦ - ١٧٥ ج ٣: ١٨٤ - ٢٩٧ - ٣٧٦ ج ٣: ٩٦ - ٢٧٥ - ٣٧٥ ج ٤: ٨٣ - ٨٥	مسعر (ابن كدام) ج ٣: ٣٣٤
معاوية بن وهب	مسلم (ابن الحجاج صاحب - الصحيح) ج ٥: ٧٤ ج ٨: ٣٢٧ - ٣٨٧ - ٣٨٩

مَعْن بن راشد الصنعاني	ج ١: ٦٠ - ١٥٧ - ٣٣٩
ج ١: ١٦٤	ج ٢: ٩٦ - ٢٣٣ - ٣٦٨ - ٣٧٤ - ٣٩٥ - ٤٠٤
مَعْن بن زائدة	ج ٣: ٢٥٠ - ٤٠١
ج ٦: ٦٧	ج ٤: ٨٣ - ٢٧: ٧
مغيث (زوج بريرة)	المُعْتَرِّ
ج ٣: ٣٧٨	ج ٤: ٣٢٣
المغيرة بن عمران	المُعْتَصِم
ج ٤: ٢٥٠	ج ٤: ٣٠٢
المفضل بن عمر	المُعْتَضِد
ج ١: ٢١٠ - ٢٧٥ - ١٤١ - ٤	ج ٤: ٣٤٦ - ٣٤٧
ج ٣: ٣٧٨ - ٣٧٤ - ٣٦٠ - ٣٥٧	مَعْرُوف بن خَرْبُون
ج ٤: ٢٦٤ - ٢٧٩ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٧٥ - ٣٧٤	ج ٢: ٦٦
٣٧٦	
ج ٥: ٢٥٥	مَعْرُوف الكرخي
المفيد	ج ٣: ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٤٠٥ - ١٧٣: ٥
انظر: «محمد بن محمد بن النعمان»	ج ٧: ٢٦٨ - ١٢٧: ٨
مقاتل بن سليمان (المروزي)	مَعْمَر (ابن راشد الأزدي)
ج ١: ٣٤ - ٣٢٠: ٨	ج ٦: ١٠٩
مقاتل بن مقاتل	المَعْلَى بن خُنَيْس
ج ٢: ٦١	ج ٢: ١٧ - ٣٥٤: ٣ - ٢٥٨: ٤
المقداد بن الأسود	مَعْلَى بن مُحَمَّد
ج ١: ٢٣٤ - ٢٤٢ - ٢٤٧	ج ٤: ٣٠٣
ج ٣: ٢٢ - ٤٢٦ - ٤: ١٤٧ - ٢١٤ - ٢٣٣: ٦	مَعْمَر بن أَبِي زِيَاد
	ج ٣: ٣٩٦
المقدام بن شريح	مَعْمَر بن خَلَاد
ج ٦: ٦٠	ج ٣: ٣٩٩ - ٤٤٢
	ج ٦: ١١٣ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٣٠٥

١٢٤ - ١٢٣ - ١٢٢ - ١١١ - ٩٦ - ٩٥
 ١٦١ - ١٥٣ - ١٥١ - ١٤٧ - ١٢٨ - ١٢٥
 ٢٥٠ - ٢٣٢ - ١٩٣ - ١٧٥ - ١٧٤ - ١٧١
 ٢٨١ - ٢٧٩ - ٢٧٧ - ٢٧٥ - ٢٥٩ - ٢٥٨
 ٤١٥ - ٤١٠ - ٤٠١ - ٣٨٩ - ٣٨٦ - ٣١١
 ٤٤٣ - ٤٤١ - ٤١٩

ج:٤٧: ٤٧ - ٤٨ - ٥٧ - ٥٩ - ٦٢ - ٦٤ - ٧٤
 ٢٢٠ - ٢٠٨ - ١٠٣ - ٩٢ - ٩١ - ٨٣
 ٢٧١ - ٢٧٠ - ٢٦٨ - ٢٦٧ - ٢٦٦ - ٢٥٢
 ٢٧٧ - ٢٧٦ - ٢٧٥ - ٢٧٤ - ٢٧٣ - ٢٧٢
 ٣٥٦ - ٣٤٥ - ٢٨١ - ٢٨٠ - ٢٧٩ - ٢٧٨
 ٣٦٧
 ج:٥٥: ٦٥ - ٢٢٢ - ٢٣٠ - ٢٧٢ - ٣١٠ - ٣٢١
 ٣٦٧ - ٣٢٤
 ج:٧: ٣٢ - ٣٣ - ٥٩ - ١٥٢ - ٣٢١ - ٣٨١
 ج:٨: ٢٥٦ - ١٦٦

موسى بن عبد الملك
 ج:٣: ٢٧٦

موسى بن عمران كليم الله
 عليه السلام

ج:١: ٣١ - ٣٣ - ٩٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١٤١
 ٢٣٠ - ٢٢٧ - ٢٢٢ - ٢٢١ - ١٩٩ - ١٥٣
 ٣٧٢ - ٣٤٦ - ٣٢٥ - ٢٩٢ - ٢٤٠ - ٢٣٢
 ج:٢: ١١٠ - ١١٦ - ١١٤ - ٢١٤ - ٢٢٦ - ٢٦٩
 ٣٠٣ - ٣٠٢ - ٢٩٨ - ٢٩٣ - ٢٨٩ - ٢٧١
 ٣٠٦
 ج:٣: ٢١٥ - ٢٥٧ - ٢٨٨ - ٣١٣ - ٣٤٥ - ٣٨٠
 ٤٠٠ - ٤٠٢ - ٤١٠ - ٤٣٥
 ج:٤: ٩ - ٣٤ - ٤٣ - ٤٨ - ٩٢ - ١٨٥ - ٢٠٥
 ٣٣٨ - ٢٠٩
 ج:٥: ٥٨ - ٥٩ - ١٤٢ - ١٥٣ - ١٦٩ - ١٧٧
 ٢٩٣ - ٢٨٨ - ٢٧٦ - ٢٥٢ - ٢٤٣ - ٢٣٩
 ٣٦١ - ٣٥٨ - ٣٣٢ - ٣٢٧ - ٣٢٦ - ٣١٩
 ج:٦: ٥ - ٧ - ٢٥ - ٥١ - ٦٣ - ٨٠ - ٢٢٠

مكحول (ابن عبد الله الشامي)
 ج:١: ١٣٤ ج:٣: ٤١٣ ج:٤: ٥٢

المنتصر
 ج:٤: ٣١٩

منصور بن المعتز (والصواب ابن
 المعتز)
 ج:٥: ١٩٨

المنصور (الدوانيقي) أبو جعفر
 ج:٤: ١١٣ - ١١٥ - ١١٦ - ٢٤٩ - ٢٥٦ - ٢٥٧
 ٢٧٠ - ٢٦١ - ٢٥٨

منصور بن عمّار
 ج:٧: ٢٦٨ - ٢٦٧ ج:٨: ١٩٠

منهال بن عمرو
 ج:٤: ٢٤١

مورق (بن مشرّخ) العجلي
 ج:٥: ٢٠٢

موسى بن بكر
 ج:١: ٣٢٩ ج:٣: ١٧١

موسى بن جعفر أبو الحسن
 (أبو ابراهيم) (العبد الصالح)
 عليهما السلام

ج:١: ٢٨ - ٣٢ - ٥٤ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٩٧
 ٢٤٤ - ٣٠٢ - ٣١٠ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٧
 ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢٦ - ٣٣٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧
 ج:٢: ٢٠ - ٢١ - ٩٩ - ١٢٤ - ١٣٩ - ٢١٧
 ٢٧٤ - ٢٨٤ - ٣٠٧ - ٣٩١
 ج:٣: ١٦ - ١٨ - ٢٧ - ٣٣ - ٣٧ - ٤٣ - ٩١

ج ١: ٣٢ - ١٩٧ - ٢٤٤ - ٢٤٦	٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٤٣ - ٢٧٤
ج ٢: ١٧ - ٥٨ - ١٥٩ - ٣٤٩	٢٨٢
ج ٤: ٣٢١ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٤٠	ج ٧: ٥٢ - ٩٤ - ٩٨ - ١٢٥ - ١٣٤ - ١٥١
٣٤٣ - ٣٤٤	٢١٧ - ٢٩٠ - ٣٠٥ - ٣٢٠ - ٣٢٢ - ٣٢٨
٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧	٣٣٢ - ٣٣٦ - ٣٥٤ - ٣٩٢ - ٣٩٦ - ٤٢٦
المهديّ (العبّاسي)	٤٣٢
ج ٤: ٢٧٥	ج ٨: ٦ - ٢٦ - ٣٥ - ٥٨ - ٦٢ - ٧١ - ٧٢ - ٨٠
مهزم الاسدي	٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٨٩ - ١٤٧ - ٢٥٤
ج ٤: ٣٥٣	٣٨٥
المهلب (ابن ابي صفرة)	موسى بن عمران (أحد الرواة)
ج ٦: ٢١٩	ج ٤: ٢٩١
ميسر بن عبدالعزيز	موسى بن مهران
ج ٤: ٢٨٣	ج ٤: ٢٩١
ج ٣: ١٨٤	الموفق (الخادم)
ج ٥: ٢٩٢	ج ٤: ٣٠٤ - ٣٠٥
ميثم التمار	الموفق (العبّاسي)
ج ٣: ٣٩٩	ج ٤: ٣٢٢
ج ٤: ١٩٧	مهاجر (الصواب يحيى بن ابراهيم بن مهاجر)
ميسرة] (متحد مع من تقدّم ظ -)	ج ٣: ٢٥٦
ج ٥: ٢٩٢	المهتدي
ميكائيل	ج ٤: ٣٢٧
ج ٤: ١٨٦ - ١٩٣ - ٢١١ - ٢٤٠ - ٣٤٤	مهجع بن سفيان بن علم ابن أمّ غانم اليمانيّة
ج ٦: ٨١ - ٨٠ - ٧٨	ج ٤: ٣٢٩
ج ٧: ٨ - ٢٦٥ - ٣٠٥ - ٣٠٦	المهديّ الحجّة (عليه السلام)
ج ٨: ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٨٠ - ٣٢٠ - ٣٢١	القائم (صاحب الزّمان)
ميمونة (زوجة النبيّ «ص»)	
ج ٥: ١٨١	
ميمون بن مهران (الزّاهد)	
ج ٣: ٣١٩ - ٣٢٢ - ٤٤٥	
ج ٥: ٢٠٨	
ج ٨: ١٢٢ - ١٦٥	

ج ٣٢٦:٤	(ن)
نصير الدين الطوسي (خواجه)	نافع بن أبي الحمراء
ج ٢٥٧ - ١٤٥	ج ٢١١:٤
النضر بن جابر	النجاشي (ملك الحبشة)
ج ٣٣١:٤	ج ٤٤:٣ ج ٨٠:٤
النعمان (ابن المنذر)	ج ٢٢٢:٦
ج ١٥٨:٢	نجدة الحرورية
النعمان بن بشير	ج ٢٦١:٨
ج ٢٨٢:٢	النخعي
النعمان بن سعد	انظر: «ابراهيم بن يزيد»
ج ٤٨:٤	نجم الدين الحلّي
نعيمان الانصاري	ج ٧٣:٢
ج ٧٠:٨	نجمه (امّ علي بن موسى «ع»)
نمرود	ج ٢٨٨:٤
ج ٢٤٠ - ١٣٩	نرجس (امّ صاحب عليه السلام)
النوّاء التيمي بنت أعين بن صبيعة	ج ٣٤٧ - ٣٤٤:٤
ج ٢٨٤:٨	نسيم الخادم
نواس بن سمعان الكلابي	ج ٣٤٧ - ٣٤٥:٤
ج ٢٤٥:٥	نشط بن صالح
نوح (نجي الله عليه السلام)	ج ١٤٣:٢
ج ٢٤٠ - ٢٣٠ - ٢٢٧ - ٢٢٦ - ١٩٤ - ٥٠	نصر الخادم
ج ٢٦٢ - ٢٤٥	ج ٥٧:٤
ج ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٣:٢	نصير الخادم (أبو حمزة)
ج ١٩٢ - ١٨٥ - ١٨١ - ٩٢:٤	
ج ٣٥٧ - ٢٧٥ - ٥٨:٥	
ج ٣٠٣ - ٢٢٥ - ٢٢٤ - ٢١٤ - ٢٥:٦	

ج ٧: ٢٠ - ٥٢ - ٢١٠ - ٤٠٠
ج ٨: ٣٣٣ - ٣٥٠

نوح بن درّاج
ج ١: ١٤٥

ج ٦: ٢٣٣

وهب بن منبّه

ج ١: ٣٥

ج ٥: ٦٩ - ٩٣ - ١٦٩ - ١٩٧ - ٢٩٤ - ٢٩٥
٣٧١

ج ٦: ٧ - ١٦٣ - ٢٣٢

ج ٨: ١٦٩ - ١٩٠ - ١٩٦ - ٢٥٩ - ٢٦٦ - ٢٦٧

وهيب بن الورد

ج ٢: ٢٤٤ ج ٤: ٥

ج ٥: ٧١ - ١١٦

(٥)

هاثيل

ج ٥: ٢٣٠

هارون (ع)

ج ١: ٥٢ - ٣٢٥

ج ٤: ٢٠٥ ج ٦: ٧

هارون بن خارجة

ج ٢: ٣٠٥ ج ٤: ٤٧

هارون الرشيد

ج ٤: ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٩١

هارون بن عنتره

ج ٤: ١٩١

هارون بن مسلم

ج ٣: ١٢٢ ج ٤: ٣٢٨ ج ٧: ٣٧٠

هاشم (ابن عبدمناف)

(و)

الواثق (خليفة العباسي)

ج ٤: ٣١٠

وابصة

ج ١: ٥٨

واثلة بن أسقع

ج ٣: ١٧٥ ج ٨: ٢٦٥

الواسطي (محمد بن موسى)

ج ٥: ٩٤ ج ٧: ٢٦٩

واصل بن عطاء

ج ٦: ٦٥

الوصافي (عبيد الله بن الوليد)

ج ٢: ١١٠ - ٢٧٢

الوليد بن صبيح

ج ٢: ١١١

ج ٣: ٢٥٤

ج ٤: ٧٢

الوليد (بن عبد الملك)

ج ٥: ١٨٥

وليد بن المغيرة

هشام بن عبد الملك	ج: ٤: ١٧٩
ج: ٣: ٢٦٥ - ٢٦٦	هامان
ج: ٤: ٢٤٥ - ٢٤٨ - ٢٦٢	ج: ٤: ٣٣٥ ج: ٦: ٢٣٢
هشام بن عروة	هبة الله بن أبي منصور الموصلي
ج: ٥: ٢١٠	ج: ٤: ٣١٥
هشام بن المثنى	هبيبة
ج: ٢: ١٨٣	ج: ٣: ٢٥١ ج: ٤: ١٩٣
همام	هذيل بن حنان
ج: ٤: ٣٥٨ - ٣٦٢	ج: ٣: ٢٧٧
هند بن أبي هالة التميمي	هرم بن حبان
ج: ٤: ١٥٨	ج: ٤: ١٢ ج: ٦: ٢٤ - ٢٥ - ٢٦
هود (النبى «ع»)	ج: ٧: ٢٨٤ ج: ٨: ٧
ج: ١: ٢٤٠ ج: ٧: ٢٨٩	هرثمة بن أعين
الهالي	ج: ٤: ٢٨٨ - ٢٨٧
ج: ٦: ٦١	هشام بن أحمر
الهياج بن بسطام	ج: ٤: ٢٦٣ - ٢٦٤
ج: ٤: ٢٥٥	هشام بن الحكم
الهيثم	ج: ٣: ١٧ - ١٤٣
ج: ٤: ٣١٣	ج: ٣: ٢٨٠ - ٤١٥ ج: ٤: ٢٦٥ - ٢٧٧
(ى)	هشام بن سالم
ياسر (خادم الرضا عليه السلام)	ج: ٢: ٢٩٧ - ٣٦٠ - ٣٩١
ج: ٢: ٣١٧	ج: ٣: ٣٧٤ - ٣٦٠ ج: ٤: ٣٧٠
يحيى بن أبي كثير	هشام بن العاص
ج: ٢: ٢٢٤ ج: ٧: ٣٠٧	ج: ٦: ٨١

ج ١: ١٣١ - ١٥١	يحيى بن أكرم
ج ٥: ٩٣ - ٩٤ - ١١٦ - ١٥١ - ١٦٨ - ٣٦٩	ج ٣: ٣١٤ ج ٤: ٢٩٨
٣٧٢	
ج ١: ٤٣ - ٧٧ - ٢٢٧	يحيى بن بسطام
ج ٧: ٢٥٢ - ٢٦٧ - ٢٨٤ - ٣٢٤ - ٣٧٠	ج ٨: ١٧٦
ج ٨: ٧ - ٣٧٦	يحيى بن خالد البرمكي
يحيى بن هرثمة	ج ٤: ٢٩١ ج ٦: ٢٢٧
ج ٤: ٣١٤ - ٣١٥	يحيى بن زكريّا عليهما السلام
يحيى بن يحيى	ج ١: ٣٥٣ ج ٢: ٢٣٦ - ٣٩٠
ج ٣: ٢١٦ ج ٦: ٢٥١	ج ٣: ٥٣ - ٢٦٦ ج ٤: ١٩٢ - ٢٣٠
يزيد (بن أبان) الرقاشي	ج ٥: ٦٠ - ٧١ - ١٠٣ - ١٨٠ - ٢٩١ - ٣٠٤
ج ٧: ٣٠٧ ج ٨: ٢٦٧	ج ٦: ٧٧ ج ٧: ٣٠٨ - ٣٦٣ - ٣٦٤
يزيد بن أبي حازم	ج ٨: ٨٤ - ١٦٧
ج ٤: ٢٤٥	يحيى بن سعيد الأنصاري
يزيد بن أبي حبيب	ج ٤: ٢٥٤
ج ٥: ٢٠٥	يحيى بن سعيد الأهوازي
يزيد بن سليط	ج ١: ٣١٥
ج ٤: ٢٨١	يحيى بن الغساني
يزيد بن سهل	ج ٢: ٢٩٩
ج ٨: ٢٨٠	يحيى بن كثير
يزيد بن عبدالله	ج ٣: ٢١٦ ج ٦: ٢٥١
ج ٤: ٣٥١	يحيى بن محمد بن حباء الكاتب
يزيد بن معاوية	ج ٤: ٢٥٣
ج ٥: ٢٢٣	يحيى بن المرزبان النقيب
	ج ٤: ٣٣٢
	يحيى بن معاذ (أبوزكريّا) الرّازي

يعقوب (النبي عليه السلام)

ج ٤: ١٧ - ٢٨٦ ج ٣: ٤٢٦

ج ٤: ٨ - ١٧٥ ج ٦: ٢١٧ - ٧٨

ج ٧: ٢٥٣ - ٩٥

يعقوب بن أخي معروف

ج ٣: ٣٤٧

يعقوب بن يزيد

ج ٤: ٢٧٨ - ٢٧٩

يعقوب بن شعيب

ج ٤: ١٤٠ ج ٤: ٨٣

يعقوب المكفوف

ج ٨: ١٢٧

اليمانى

ج ٤: ٣٤٢

يوسف بن أسباط

ج ١: ١٦٩ ج ٢: ٢٤٦

يوسف بن عبيدة

ج ٤: ٢٣٠

يوسف بن يعقوب (ع) الصديق

ج ١: ٣٦

ج ٣: ٥٥ - ١٠٤ - ٣٤٢ - ٣٦٢ - ٣٩٩ - ٤٤٣

ج ٥: ٧ - ١١٦ - ١١٧ - ١٥٦ - ١٨٦ - ٢٣٩

ج ٦: ٧٨ - ١٢٦ - ٢١٧

ج ٧: ٩٥ - ٢٣٤ - ٢٥٣ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٨

٣٧٥

ج ٨: ٨٤ - ٩٢ - ١٥٦ - ٢٧٢

يوسف بن يعقوب (النصرانى)

(المستبصر)

ج ٤: ٣١٥ - ٣١٦

يوشع بن نون (ع)

ج ١: ٣٦ - ١٥٣ - ١٩٩ - ٢٣٠

ج ٣: ٢٧٠

يونس (ع)

ج ٣: ٢٩ - ٧١

ج ٤: ٣٧٠ ج ٨: ٨٣ - ٩٢

يونس بن ظبيان

ج ٢: ٢٧٩

يونس (بن عبد الرحمن)

ج ٣: ٢٨٠

يونس بن عبيد

ج ٣: ١٨٣ - ١٨٤

ج ٥: ١٩٨ ج ٦: ١٠

يونس بن عمّار

ج ٣: ٢٥٧

يونس بن يعقوب

ج ٣: ٢٧٠

فهرس البقاء والامكنة والبلاد

ج٤: ١٨٥ - ١٨٧		«الف»	
باب الحنَّاطين		الابطح	
ج٤: ١٨٣		ج٤: ١٥٢ - ١٦٩	
بابل		أبوقبيس	
ج٤: ٢٠٠		ج٤: ١٤٧	ج٤: ٢٥٨
بئر الحديدية	ج٤: ١٩٣	أحد	
ج٤: ١٦٥		ج٤: ٣٩٣	ج٣: ٤١٣
البحر الاخضر المحيط		الأردن	
ج٨: ٢٢٥		ج٧: ٣٠٨	
بحر الاندلس		الاصفهان	
ج٤: ١٦٨		ج٤: ٣١٣ - ٣١٤	
بحيرة الاردن		الاندلس	
ج٧: ٣٠٨		ج٤: ١٦٨	
بربر		أم القرى	
ج٤: ٢٥٢		انظر «مكة»	
البصرة		الاهواز	
ج١: ٢٤ - ٨٦ - ٢٠١ - ٢٤١		ج٤: ٣٢٩	
ج٣: ١٣٥ - ١٦٧ - ١٨٢ - ٢٦٦		«ب»	
ج٦: ٦٧ - ٧٧		باب بنى شيبية	
بصرى		ج٦: ٢٧	
ج١: ١٩٤		باب جبرئيل	
بطحاء مكة			

ج ٤: ٦٥ - ١٦٥	ج ٤: ٣٥٥
نهامة	بغداد
ج ٧: ٣٥٥	ج ١: ١٣٩
«ث»	ج ٤: ٣٠٢
ثَنِيَّةُ كُدَا	البغيغة
ج ٢: ١٦٩	ج ٢: ١١٢
«ج»	البقيع الغرقد
جامع الكوفة	ج ٤: ٢٣٥
انظر: «مسجد الكوفة»	ج ٢: ١٨٧
الجبل	ج ٨: ١٤٦ - ٢٦٩
ج ٤: ٣٣٠	بلاد البربر
جبل ثبير	ج ٤: ١٦٨
ج ٢: ١٧٨	بلاد الترك
الجُحفة	ج ٤: ١٦٨ - ٣٢٠
ج ٣: ٤٤٧	البيت العتيق (البيت الحرام)
جرجان	انظر: «الكعبة»
ج ٤: ٣٣٠ - ٣٣١	البيت المعمور
الجزيرة	ج ٢: ٢٠٢
ج ٤: ٣٤٣	بيت المقدس
جزيرة العرب	ج ٢: ١٥٧
ج ٤: ١٧٢	ج ٤: ٤١ - ٥٠
جلولاء	ج ٧: ٣٠٨ - ٣١١
ج ٤: ٣٤٣	ج ٨: ١٧٤
«ت»	البيداء
تبوك	ج ٤: ٣٤٢

حنين	جمع
ج ٢: ٨٨ ج ٣: ٣٧٢ ج ٤: ١٤٦	انظر: «المزدلفة»
ج ٥: ٢٢٨ ج ٦: ٢٧٢	
حوأب	الجمرات الثلاث
ج ٤: ١٧١	انظر: «منى»
الحيرة	«ح»
ج ٤: ٣٤٣	حائر الحسين عليه السلام و تربته
«خ»	ج ١: ٣٦١ ج ٤: ٨٢
خانقين	الحبشة
ج ٤: ٣٤٣	ج ٣: ٣٩٢ ج ٤: ٩-٦٦
خراسان	الحجاز
ج ٣: ٢٤ ج ٤: ٤٨ - ٤٩ - ٨٧ - ٢٨٤	ج ٣: ٢٢٤ ج ٤: ٢٠٤ - ٣١٥
٢٩٠ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦	
٣٠٨ - ٣٤٢ - ٣٤٣ ج ٦: ١٤٧	حجر اسماعيل
ج ٨: ١٠٠	ج ٤: ٢٣٣
خَمّ غدير	الحديبية
ج ١: ٥٢ - ٢٣٥ ج ٢: ١٨٤	ج ٤: ١٦٥
الخدق	الحرم (مايقابل الجَلّ)
ج ٤: ١٩٣	ج ٢: ٣٢١ ج ٤: ٢٩٩
الخَوْرَتَق	حرم النَّبِيِّ (ص)
ج ٤: ١٩١	انظر: «مسجد النبي»
الخير	الحطيم
ج ٣: ٣٩١ ج ٤: ١٩٣ ج ٧: ٣٢٢	ج ٢: ١٥٢ - ١٨٢ ج ٤: ٣٣٥
«د»	حلوان
	ج ٤: ٣٣٠
الدّجلة	

روضة خاخ ج٤٧:٤١٤٧	ج٧:٢٦٨	ج١:٢٥٨
الرّي ج١:١٣٨-١٣٩		دار الندوة ج٤:١١٣
«ز»		ديار ربيعة ج٤:٣١٥
زمزم ج٤:١٥٣-١٧٠-١٧٨ ج٣:١٥	«ذ»	ذوالحليفة ج٤:١٨٤
«س»		ذو حشب ج٤:٨٠
سامراء «سَمَنْ رَأَى» ج٤:٣٠٩-٣١٧-٣١٩-٣٢٠-٣٢١-٣٢٤ ٣٤٦-٣٣٠	«ر»	الرّبذة ج١:٢٣٩
سقيفة بنى ساعدة ج٨:٢٨٠-٢٨١		رُحْبَة الكوفة ج٤:٢٣٠
السند ج٤:٢٩٢		الرّضوى ج٤:٢٣٨
السوس ج٣:١٨٢		ركن الحجر ج٤:١٥٤-١٧١-١٧٨
«ش»		الرّكن اليماني ج٤:١٥٤-١٧٠-١٧١
الشام ج١:٣١٩-٣٤٥:٣ ج٤:١٢-٤٢		الرّملة ج٤:٣٤٣
الشطّ ج٤:٣٥٠		
شعب ابى طالب		

العراق	ج: ٩
ج: ١: ٢٤١	
ج: ٤: ١٧ - ٢٢٩ - ٢٧٦ - ٢٨٦ - ٣٠٢ - ٣٤٣	«ص»
ج: ٧: ٢٥٨ - ٣١٠	صنعاء اليمن
عرفات «عرفة»	ج: ١: ١٩٤ ج: ٤: ١٦٦ ج: ٨: ٣٥٢
ج: ٣: ١٧٨ - ١٧٦ - ١٧٣ - ١٦١ - ١٤٨ - ١٤٧	الصفاء
ج: ١٨١ - ١٩٧ - ٢٠٤ - ٢٠٧	ج: ٤: ١٧٣ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٦١ - ١٤٨ - ١٤٧
عمّان البلغاء	ج: ٤: ٨٠ ج: ٣: ٢٠٨ - ٢٠٣ - ١٩٧
ج: ٨: ٣٥٢ ج: ١: ٢٥٣	ج: ٦: ٢٢٨ ج: ٧: ٣٥٥
«غ»	صفين
الغرى	ج: ٤: ١٩٨ ج: ٥: ٣٢١
ج: ٤: ٨٧	الصين
«ف»	ج: ١: ٢١ - ١٩ ج: ٤: ١١٥
فنج	«ط»
ج: ٤: ١٦٨	طرطوس
فدك	ج: ٦: ٨٢
ج: ١: ١٥٣ - ٢٣٦	طورسينا
الفرات	ج: ٢: ٢٥٦
ج: ٣: ١٥	طوس
ج: ٤: ١٩ - ٢٠٠ - ٣٤٣	ج: ٤: ٩١ - ١٧٠
فلسطين	«ع»
ج: ٨: ٢٧٠	عبّادان
«ق»	ج: ٨: ٩٢
القاديّة	عدن
	ج: ١: ٢٥٣ ج: ٨: ٣٥٢

٣٥١ - ٣٤٤ - ٣٤٣ - ٣٤٢ - ٣٠٢ - ٣٠١
٣٥٧ ج٧: ٤٢١

«ل»

لبنان
ج٨: ٥٩

«م»

المأزمين
ج٢: ١٧٨

مدين (ماء مدين)
ج٧: ٣٥٤ - ٢٨٩

المدينة المشرفة
ج١: ٣٥٦ - ٣٤٦ - ١٤٠ - ٢٣

ج٢: ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٤ - ١٤٦ - ١٠٩ - ٤٥
٢٠٥ - ١٨٨ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٨٤ - ١٨٣
٣٠٠ - ٢٣٠

ج٣: ١٢٩ - ١٢١ - ١٠٢ - ٩٥ - ٤٣ - ٣٥
٢٣٧ - ٢٢٦ - ١٧٠ - ١٦٧ - ١٤٢ - ١٣٣
٣٧٦ - ٣٦١ - ٢٩٤ - ٢٧٠ - ٢٦٧ - ٢٥٥
ج٤: ١٢ - ٨١ - ٨٠ - ٦٠ - ٤٢ - ٤١ - ٩

٢٤٦ - ٢٤٢ - ٢٣٩ - ٢٣٣ - ٢١٧ - ٢٠٨
٣٠٨ - ٣٠٢ - ٢٩٧ - ٢٩٤ - ٢٨٠ - ٢٤٧
٣٣٦ - ٣١٩ - ٣١٥ - ٣١٤ - ٣١٠
ج٥: ٢٣٦ - ٣٥٢ - ٢٧٦

مرو

ج٤: ٢٩١ - ٢٩٠

المروة

ج٢: ١٩٧ - ١٧٣ - ١٧٢ - ١٦١ - ١٤٨ - ١٤٧
ج٦: ٢٢٨ - ٨٠ - ٢٠٣

ج٤: ٣٢٥ - ٧٢

قبا

ج١: ٢٩٤

القزوين

ج١: ١٣٩

قم

ج٤: ٣٤٧

«ك»

كربلاء

ج٤: ٢٢٩ - ١٩٨ - ١٧٠ - ٨٩

الكرخ

ج٤: ٣٤٣

الكعبة (بيت الله)

ج١: ٣٥٣ - ١١٧

ج٢: ١٥٣ - ١٥٢ - ١٤٩ - ١٤٨ - ١٤٦ - ١٤٠

١٧١ - ١٦٩ - ١٦٨ - ١٦٣ - ١٥٦ - ١٥٤

٢٠٢ - ١٩٧ - ١٩٢ - ١٨٣ - ١٨٢ - ١٧٢

ج٣: ٣١٨ - ٢٠٣

ج٦: ٢٨٤ - ٣٤٢ - ٨٦

كنعان

ج٨: ١٧٧

الكوفة (كوفان)

ج٢: ٢٧٤ - ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٧

ج٣: ٤٤٧ - ٣٦٨ - ٢٥٥ - ١٨٥ - ١٣٠ - ٢٣

ج٤: ٢٢٨ - ٢٠٥ - ٢٠١ - ١٩٦ - ٨٧ - ٨٤

ج٤: ٢٩٣ - ٢٩٢ - ٢٦٣ - ٢٦١ - ٢٥٠ - ٢٤١

مسجد الفضيخ	المزدلفة (وادي جمع)
ج ٤: ١٨٨	ج ٤: ١٧٧ - ١٧٩ - ٢٠٧
مسجد قبا	مسجد الأقصى (بيت المقدس)
ج ١: ١٣٤ ج ٤: ١٨٨ ج ٦: ٢٢٣	ج ١: ٢٢٩ - ٣٥٦ ج ٤: ٥٠
مسجد الكوفة	مسجد الاحزاب
ج ١: ٣٥٦ ج ٤: ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ٣٥٥	ج ٤: ١٨٨
ج ٤: ٥١ - ٨٢ - ٣٠٢ - ٣٤٢	مسجد براثا
مسجد النبي (ص)	ج ٤: ١٥٩
ج ١: ٣٥٦	مسجد البصرة
ج ٢: ١٥٦ - ١٥٨ - ١٨٤ - ١٨٧ - ٢٣٠	ج ١: ٨٦
ج ٤: ٥٠ - ٢٩١ - ٣٠٢	مسجد الحرام (الحرم)
مشربة أم ابراهيم	ج ١: ٢٢٩ - ٣٥٦
ج ٤: ١٨٨	ج ٤: ١٥٦ - ١٧٠ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٢ - ١٩٠
المشعر الحرام	ج ٢٧: ٦ ج ٢٠٨ - ٢٠٢
ج ٢: ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ٢٠٤ - ٣٢١	مسجد الحصباء
مصر	ج ٤: ١٨٢
ج ١: ٣١٩ ج ٣: ١٦٧	مسجد الخيف
ج ٤: ٤٢ - ٣١١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ ج ٦: ٧٠	ج ١: ١٩٣ ج ٤: ١٧٣ - ١٧٧
المعرّس (معرّس النبي)	مسجد السهلة
ج ٤: ١٨٤	ج ٤: ١٥٩
مقام ابراهيم	مسجد الشجرة
ج ٤: ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٨ ج ٤: ٣٤٢	ج ٤: ١٦٨
مقام جبرئيل	مسجد الغدير
ج ٤: ١٨٦	ج ٤: ١٨٤
مقام النبي (ص)	مسجد الفتح
ج ٤: ١٧٦	انظر: «مسجد الاحزاب»

نجران	مكة
ج ٥: ٣٧١	ج ١: ١٥٣ - ١٦٤ - ٣٥٦
النجف	ج ٢: ٤٤ - ١٠٩ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٥٢ - ١٥٣
ج ٤: ٣٤٤	١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٦
النصرة	١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٩ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣
ج ٢: ١٧٤	١٨٤ - ١٩٠ - ١٩٢ - ٢٠١ - ٣٠٨
النهران	ج ٣: ٢٥٦ - ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٢٩٤ - ٤٢٨
ج ٤: ١٩٥	ج ٤: ٤١ - ٦٠ - ٨٢ - ١١٣ - ١٣٠ - ١٤٧
«و»	١٦٤ - ٢٢٣ - ٢٢٩ - ٢٣٩ - ٢٤٦ - ٢٤٧
وادي جمع	٢٥٣ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٧٦ - ٢٧٩ - ٢٧٩
انظر: «المزدلفة»	٢٩٠ - ٢٩٩ - ٣٠٢ - ٣٠٤ - ٣٠٦ - ٣٠٧
وادي مُحَسَّر	٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٩
ج ٢: ١٧٤ - ١٧٧ - ١٧٩	ج ٥: ٢٣٥
«ي»	ج ٦: ٧٠ - ١٤٧ - ٢٢٨ - ٣٣٥
اليمن	ج ٧: ٤٢١ - ٣٣٤
ج ١: ١٦٥	الملتزم
ج ٣: ٤٤٧ - ٤٣٧ - ٣٩٢ - ٣٢٧ - ٤٤٧	ج ٢: ٢٠٣
ج ٤: ٤٢ - ٨٦ - ٣٤٢	ج ٤: ١١٣
ج ٦: ٢٤	منى
ج ٧: ٣٧٥	ج ٢: ١٧٣ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١
ج ٨: ١٧٧	ج ٤: ١٩٢ - ١٩٥ - ٢٠٧
ينبع	ج ٤: ٢٩٩
ج ٤: ٣٦٧	«ن»
	النباج
	ج ٤: ٢٩٣



القبائل والمِلل والبيوتات والفرق

بنوسلمة	«الف»
ج٦: ٧٣	آل الزبير
بنوسليم	ج٤: ٢٣٧
ج٦: ١٠٢	الاشعريون
بنوعامر	ج٥: ١٢٩
ج٥: ٢٠٤	أصحاب الكهف
بنوالعباس	ج٤: ٩
ج٣: ٣٢٣ - ٢٥١ - ٢٥٤	الاکراد
ج٤: ٢٢٨ ج٥: ٢٢٦	ج٤: ٢٨٦
بنوعبدالمطلب	«ب»
ج٤: ٢٤٠	البرامكة
بنوعثمار	ج٤: ٢٩١
ج٤: ٢٧٧	بنوأسد
بنوكعب	ج٤: ٢٢١
ج٥: ٢٣٥	بنواسرائيل
بنومدلج	ج١: ٣٢٥ ج٥: ١٨٨ - ٣٠٦
ج٤: ٤٢٨	ج٦: ٢٦٤ - ٢٣٩
بنوهاشم	ج٨: ٨١ - ٨٢ - ٨٨
ج٤: ٦٧	بنوامية
ج٤: ٢٢٤ - ٢٩٤ - ٣٢٣	ج٤: ٢٠٢ - ٣٢٣ - ٣٤٢ - ٣٤٣
بنويعقوب	ج٥: ٢٢٦
ج٥: ٣٢٩	بنوحنيفة
	ج١: ٢٣٤

الخوارج ج ٤: ١٩٧	«ت»	تأسيس ج ٧: ٢٦٣
«ر» الروافض ج ٤: ٢٧٤ - ٣١٥		تاويل ج ٧: ٢٦٣
الروم ج ٤: ٣٢٦ - ٣٤٣		الترك ج ٤: ٣٢٦
«الزاي» الزيدية ج ٤: ٢٤٧ - ٢٧٠ - ٢٧١		تيم ج ٤: ٣٦٧
«ش» الشيعة ج ١: ٧٤ - ١٦٣ - ١٨٠ - ٣٣٥ ج ٢: ٧٣ - ٩٣ - ٢٦٨ ج ٤: ٤٧ - ٣٠٩ - ٣٣٥ - ٣٥٥	«ث»	ثمود ج ٢: ٢٤٠ ج ٧: ١٩٠ - ٢٨٩ ج ٨: ٧٥
الشراة ج ٤: ٣١٤	«ح»	الحرورية ج ٤: ٢٤٧
«ص» الصقالبة (صقالبة) ج ٤: ٣٢٦		الحشوية ج ٤: ٣١٤
«ع» عاد ج ٢: ٢٤٠ ج ٧: ٢٨٩ ج ٨: ٧٥ - ٨٥	«خ»	ختعم ج ٤: ١٠٤
عبس		الخنزر ج ٤: ٣١٩

القبايل والطوائف والملل والنحل

قيس	ج ٤: ٢٠١
ج ٤: ١٦٦ - ٢٢٨ - ٣٤٣	العباسيون
«ك»	ج ٤: ٣٢٨
كندة	العجم
ج ٤: ٣٤٣	ج ٢: ١٧٨ - ١٧٥
«م»	ج ٤: ٢٣٦ - ٣٤٣
مأجوج	العرب
ج ٨: ٣٤٠	ج ٢: ١٧٨ - ١٧٥
ج ٧: ٢٦٣	عدى
المارقين	ج ٤: ٣٦٧
ج ٤: ١٧١	العمالقة
المجوس	ج ٢: ١٥٩
ج ٣: ٢٣	«ف»
المرجئة	فارس
ج ٤: ٢٧٠ - ٢٧١	ج ٤: ٢٣٦
المعتزلة	«ق»
ج ٤: ٢٧٠ - ٢٧١	القاسطين
ج ٥: ١٢٩	ج ٤: ١٧٠
المفوضة	القدرية
ج ٤: ٣٤٦	ج ٤: ٢٤٧ - ٢٧٠
منسك	القرامطة
ج ٧: ٢٦٣	ج ٤: ٣٤٩
«ن»	قريش
الناكثين	ج ٣: ١٨ - ١٤٢ - ١٧٠ - ٤٠١
ج ٤: ١٧٠	ج ٤: ١٥٢ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٦٨ - ١٧٨
النصارى	ج ٥: ٢٢٢ - ٢٢٩ - ٣٦٣
	ج ٦: ٢٨٤

القبائل والطوائف والملل والنحل

		ج ٦: ٣٤٤	ج ٤: ١٦٧ - ٢٠٥
«ي»			«هـ»
	يأجوج		همدان
ج ٨: ٣٤٠	ج ٧: ٢٦٣		ج ٣: ١٣٠
	اليهود		هوازن
ج ٤: ١٦٥	ج ٣: ٢٢٦		ج ٥: ٢٣٩



الكتب المنقولة عنها المذكورة
في تضايف الكتاب

«الف»

الاحتجاج للطبرسي

ج ١: ٨٧ - ٢٠١ - ٢٤١ - ٢٦٢

ج ٥: ٧٧

الارشاد للمفيد

ج ٤: ٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٩٣ - ٣١٠ - ٣٢٣ - ٣٤٩

الاستبصار للطوسي

ج ٣: ٢٧٧

اعتقادات الصدوق

ج ١: ٨٩ - ٢٦٠ ج ٨: ٢٥٤

إعلام الورى للطبرسي

ج ٤: ٣٠٨ - ٣١٩ - ٣٣٣

إقبال الأعمال (لابن طاووس)

ج ٤: ٣١٩

الاقتصاد في الاعتقاد (لابي حامد)

ج ١: ٢٦٥

إلتهاب نيران الاحزان

ج ١: ٢٣٦

الإنجيل

ج ١: ٣٤ - ٣٦ - ١٣٤ - ٢٤٤

ج ٤: ٢١٤ - ٣٧٦ ج ٤: ١٣٠ - ٢٠٣ - ٢٠٤

ج ٥: ٣٢٢ ج ٧: ١٢٥ - ١٣٨ ج ٨: ٧٨ ج ٥: ١٤٨ - ١٥١ - ٢٨٠ - ٢٩٣

«ب»

بصائر الدرجات للصفار

ج ١: ٢٠٠ - ٢٠٢

ج ٤: ١٦٣ ج ٥: ٤٥

«ت»

التوحيد للصدوق

ج ٤: ٢٠٣

تفسير الامام عليه السلام

المنسوب إليه

ج ١: ٢٩ - ٢١١

ج ٤: ٩٩ ج ٣: ٤٠٣

تفسير الواحدى (كأن المراد

أسباب النزول)

ج ٤: ١٩١

تلبيس ابليس لابن الجوزي

ج ٥: ٥٤

التوراة

ج ١: ٣٣ - ٣٦ - ١٩٧ - ٢٢١ - ٢٤٤ - ٣٥٦

٣٩٦

ج ٤: ٢١٤ - ٢١٩ - ٢٦٤ - ٢٦٩ - ٢٩٩ - ٣٠٢

٣٧٦

ج ٣: ٣٥ - ٣٢٧ - ٤٠٠ - ٤٠٢

ج ٤: ٥٠ - ١٣٠ - ٢٠٣ - ٢٠٤

ج ٥: ١٤٨ - ١٥١ - ٢٨٠ - ٢٩٣

«د»	ج ٧: ١٣٧ - ٣٩٢ - ٤٠٨ ج ٨: ٣٧٦
الدلائل للحميري	توحيد المفضل ج ١: ٢١٠
ج ٤: ٢٣٧ - ٢٤٥ - ٢٧٥ - ٣٠٤ - ٣١٢ - ٣٢٨	تفسير علي بن ابراهيم ج ٢: ٢٦١
«ذ»	التهذيب للطوسي ج ١: ٣٠٤ - ٣٤١ - ٣٥٢
الذكرى للشهيد ج ٤: ١٣	ج ٢: ٩ - ١٤ - ٢٣ - ٢٧ - ٣٤ - ٣٥ - ١٩٢ ج ٣: ٢٧٩ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٦٦ - ٣٧٣ - ٤٠٢ ٤٠٤
«ر»	ج ٣: ١٥٥ - ٢١٧ - ٢٤٩ - ٢٧٠ - ٢٧٩ - ٢٧٥
الرسالة القدسيّة (لابي حامد) ج ١: ٢٦٥	٣٩١
«ز»	ج ٤: ٦٧ - ١٠٥ - ١١٠ ج ٥: ٢٢٢ - ٢٢٥ - ٢٣٠
الزبور ج ١: ٣٣ - ٢٤٤ ج ٢: ٢١٤ - ٣٧٦ ج ٣: ٢٣٥ ج ٤: ٢٠٤ - ٣٣٥ ج ٧: ١٣٨ - ٣٠٦ ج ٦: ٣١١ ج ٨: ٢٤	«ث» ثواب الاعمال للصدوق ج ٤: ٧٤
«س»	«ج» جامع سفيان الثوري ج ١: ١٦٥
سر العالمين (وكشف الدارين) ج ١: ٢٣٥	«خ» الخرايج و الجرايج للراوندي ج ٥: ٤٥
«ش»	الخصال للصدوق ج ١: ١٢٩
شرح شهاب الأخبار ج ٥: ٢٧٢	
شرح النهج لابن أبي الحديد	

عين اليقين له (ره)	ج ١: ٢٤٢
ج ١: ١٧١	شرح النهج لابن ميثم
عيون أخبار الرضا للصدوق	ج ٣: ١٩٣
ج ٤: ٢٨٣ - ٢٨٨ ج ٥: ٢٢٩	«ص»
«ف»	صحيح البخارى
الفردوس	ج ٢: ٦٥ ج ٥: ٧٤ ج ٨: ٣٢٧ - ٣٧٢ - ٣٨٧
ج ٤: ٢١٠	صحيح مسلم
«ق»	ج ٢: ٦٧ ج ٥: ٧٤ ج ٨: ٣٢٧ - ٣٨٧ - ٣٨٩
القرآن	الصحيحين
مبثوث في الكتاب	ج ٤: ١١٨
قواعد الشهيد	الصحيفة السجادية
ج ٣: ٣٩٢	ج ٤: ٤٥ - ١٧٦ - ٢٢٩ - ٣١٩ - ٣٧٩
«ك»	«ع»
الكافي لابي جعفر الكليني	عدّة الداعي لابن فهد
ج ١: ٧٤ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥٦ - ١٧٣ - ١٨٠	ج ٤: ١٦ - ٩١ - ١٠٧ - ٢٢٠ - ٢٨٥ - ٢٨٩
١٩٤ - ٢١٢ - ٢١٦ - ٢٦٢ - ٣٠٩ - ٣١٢	٢٩٠ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٣٠٢ - ٣٠٩ - ٣١٨
٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٧ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣	٣٢٨
٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٤ - ٣٣٧	عرض المجالس للصدوق
٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥٤	ج ٧: ٣٠٨
ج ٢: ٨ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٤ - ٣٨	علل الشرايع للصدوق
٣٩ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣ - ٧٨ - ٨٦	ج ٢: ١٤٣ - ج ٤: ٣٧٤
١٠٢ - ١٠٧ - ١١٥ - ١١٩ - ١٣٣ - ١٩٥	علم اليقين للمؤلف (ره)
٢١١ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢١ - ٢٢٢	ج ١: ١٩٨ - ٢١٩ - ٢٣٦ - ٢٦٦
٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٣١ - ٢٣٢	
٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٨ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٤	
٢٨٣ - ٢٨٧ - ٢٨٩ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦	
٣١٢ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٦٦	
٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٤ - ٣٨٣	

كتاب الآل لابن خالويه	٣٨٤ - ٣٩٤ - ٣٩٦
ج٤: ٢٢٢ - ٢٢١	٢٠ - ١٥ - ١٣ - ١١ - ١٠ - ٩ - ٨ - ٥ - ٣
كتاب ابن جريج في الآثار	٣٣ - ٣١ - ٢٩ - ٢٨ - ٢٧ - ٢٣ - ٢٢
ج١: ١٦٤	٤٦ - ٤٥ - ٤٢ - ٤١ - ٣٨ - ٣٦ - ٣٥
كتاب علي عليه السلام	٩١ - ٨٦ - ٨٢ - ٧٧ - ٥٤ - ٥٠ - ٤٧
ج٣: ٤٢٦	١٠٨ - ١٠٥ - ١٠٣ - ١٠٢ - ١٠٠ - ٩٥
كتاب علي بن هلال	١٢٠ - ١١٩ - ١١٤ - ١١٢ - ١١٠ - ١٠٩
ج١: ١٠٨	١٣٠ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٤ - ١٢٣ - ١٢١
كتاب القائم لابن شاذان	١٧١ - ١٦٩ - ١٦٧ - ١٥٥ - ١٤١ - ١٣٢
ج٤: ٢٠٤	١٨٩ - ١٨١ - ١٧٩ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٧٣
كتاب معمر بن راشد	٢١٧ - ٢٠٩ - ٢٠٦ - ١٩٨ - ١٩٦ - ١٩٣
ج١: ١٦٤	٢٤٤ - ٢٣٥ - ٢٣٠ - ٢٢٨ - ٢٢٣ - ٢٢٢
كتاب من لا يحضره الفقيه	٢٨٩ - ٢٧٧ - ٢٧٥ - ٢٧٣ - ٢٧١ - ٢٥٣
ج١: ٧٦ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣١٠ - ٣١٢ - ٣١٣	٣١٥ - ٣١٤ - ٣١٣ - ٣١٢ - ٣١٠ - ٣٠٧
ج٣: ٢٠ - ١٧ - ١٦ - ١٥ - ١٣ - ٩ - ٥ - ٣	٣٦٠ - ٣٥٩ - ٣٥٧ - ٣٥٤ - ٣٤٥ - ٣١٧
ج٣: ٣٩ - ٣٤ - ٢٨ - ٢٦ - ٢٥ - ٢٣ - ٢١	٣٦٩ - ٣٦٧ - ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣٦٢ - ٣٦١
ج٣: ٦٨ - ٦٥ - ٥٨ - ٥٦ - ٥٥ - ٤٨ - ٤٥	٣٨٤ - ٣٧٨ - ٣٧٧ - ٣٧٤ - ٣٧٠
ج٣: ١٠٩ - ١٠٧ - ٩١ - ٨٨ - ٨٤ - ٨٠ - ٧٣	٤١٠ - ٤٠٥ - ٣٩٨ - ٣٩٥ - ٣٩٣ - ٣٨٧
ج٣: ١٤٢ - ١٣٩ - ١٣٧ - ١٣٥ - ١٢٢ - ١١٣	٤٤٧ - ٤٣٨ - ٤٣٠ - ٤٢٥ - ٤١٦ - ٤١١
ج٣: ١٥٧ - ١٥٥ - ١٤٩ - ١٤٨ - ١٤٦ - ١٤٣	٤٤٨
ج٣: ١٨١ - ١٨٠ - ١٧٨ - ١٧٦ - ١٧٤ - ١٥٧	ج٤: ٣٥٢ - ٢١٩ - ١٨٧ - ١٧٤ - ١٠٢ - ٧٧ - ٧٤
ج٣: ١٩٣ - ١٩١ - ١٨٧ - ١٨٥ - ١٨٤ - ١٨٣	ج٥: ٣٧٤ - ٣٧٠ - ٣٦٨ - ٣٦٦ - ٣٥٨
ج٣: ٣٦٥ - ٣٦٣ - ٣٥٨ - ٣٥٦ - ٢٨٧ - ٢٣٣	ج٦: ٢١٨ - ١٦٧ - ١٥٠ - ٧٤ - ٦٤ - ٤٥ - ٥
ج٣: ٣٩٠ - ٣٨٣ - ٣٨١ - ٣٨٠ - ٣٦٧	ج٧: ٣١٤ - ٣٠٩ - ٢٩٢ - ٢٢٦ - ٢٢٥ - ٢٢٢
	ج٨: ٣٦٢ - ٣٢٧ - ٣٢٣ - ٣٢٠
	ج٩: ٢١٦ - ١٩٤ - ١٦٥ - ١٤٤ - ١١٢ - ٥ - ٠
	ج١٠: ٢٧٧ - ٢٧٣ - ٢٦٩ - ٢٢٢
	ج١١: ٥٩ - ٥٨ - ٥٦ - ٣٢ - ٣٠ - ٢٥ - ١٨ - ٨ - ٠
	ج١٢: ١٤٣ - ١٢٨ - ١٢٦ - ١٠٨ - ٩٦ - ٦١
	ج١٣: ٢٨١ - ٢٥٥ - ٢٥١ - ٢٣٩ - ١٥٢ - ١٤٩
	ج١٤: ٣٤٠ - ٣٣٨ - ٣٣٠ - ٣٢٣ - ٣٢٠ - ٣١٠
	ج١٥: ٣٧٠ - ٣٦٢ - ٣٥٦
	ج١٦: ٢٤١ - ١٦٦ - ١٤٠ - ١٣٨ - ١٢٨ - ١٠٥ - ٠
	ج١٧: ٣١١ - ٣٠٩ - ٣٠٣ - ٣٠١ - ٣٠٠ - ٢٩٩
	ج١٨: ٣٧٨ - ٣٢٣

ج ١٦: ٦٠	ج ٣: ٥-٦-٣٦-١٢٠-١٢١-١٤٦-١٤٨
ج ٤: ١٩٣-١٩٤	١٥٥-٢١٧-٣٦٥-٤٠٣-٤١٤-٤١٦
مصباح الشريعة	٤٤٨-٤٤٧-٤٤٨
ج ١٦: ٦٨-١٣٥-١٤٧-٢٢٦-٣٧٩-٣٨٥	ج ٤: ٥٥-٥٧-٥٩-٦١-٦٢-٦٤-٦٥
٣٩١	٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧٣-٧٤-٧٦
ج ٤: ٢٠٧	٧٩-٨٧-٨٩-٩١-٢٠٩
٣٤٨-٣٤٦-٣١٦	ج ٨: ٢٦٢-٢٨٩-٢٩١
ج ٤: ١٠٩-٤	ج ٥: ٢٢٦
٣٢٨-٢٦٤	كتاب - لم بسمه - لمؤيد الدين
ج ٦: ٢٢٥-٢٧٥-٣٥٦	العلقى
ج ٧: ٢٨٣-٣٦٣	ج ٤: ٢٥٣
ج ٨: ٦٢-١٤٧-١٦٦-١٧٠-٢٤٢	كشف الغمة للاربلي
معاني الاخبار للصدوق	ج ١: ٢٠٢-٢٠٣
ج ٤: ٢٠٤	ج ٤: ١٨٩-١٩٢-٢٠٣-٢٠٦-٢٠٧-٢١٠
(المصاييح الثلاثة - المتهدج، وما للكفعمي ولابن الباقي)	٢٢١-٢٢٣-٢٢٦-٢٢٩-٢٣٤-٢٣٧
ج ٢: ٣١٩	٢٤٥-٢٥٧
معتصم الشيعة في احكام الشريعة	ج ٥: ٤٥
ج ١: ٢٨٩	كمال الدين و تمام النعمة
ج ٢: ٣٧-١٨	للصدوق
مكارم الاخلاق للطبرسي	ج ١: ١٩٧
ج ٤: ٦١-٦٣-٦٥-٦٧-٧٢-٧٦-١٥٨	ج ٦: ١٧
١٦٢	«م»
المناقب لابن شهر آشوب	المبسوط (للشيخ الطوسي)
ج ٤: ١٩٥	ج ٢: ٩٢
المناقب لابن طلحة	المحاسن للبرقي
ج ٤: ٢٣١-٢٤٢	ج ٣: ٢٣-٣٩٣
المناقب للخوارزمي	المحبر الكبير للبغدادى
ج ٤: ١٨٩-١٩٢-٢٠٥-٢٠٦	ج ٤: ٢٠٦
	المسند للإمام احمد بن حنبل

ج ١: ٣٣٥	منهاج النجاة
تهج البلاغة للسيد الرضى	ج ١: ٢٦٥
ج ١: ١٤١ - ٢١٠ - ٢٤٢	الموطأ للإمام مالك
ج ٣: ١٩٣	ج ١: ١٦٥
ج ٤: ٢١٤	مهج الدعوات
ج ٤: ١٧٢	ج ٤: ٣١٩
ج ٧: ٣٥٠	ج ٥: ٣٦٢
«ى»	«ن»
اليواقيت لابي عمر الزاهد	نوادير الحكمة
ج ٤: ١٩١	ج ٤: ٣٠٨
	النهايه للطوسى

